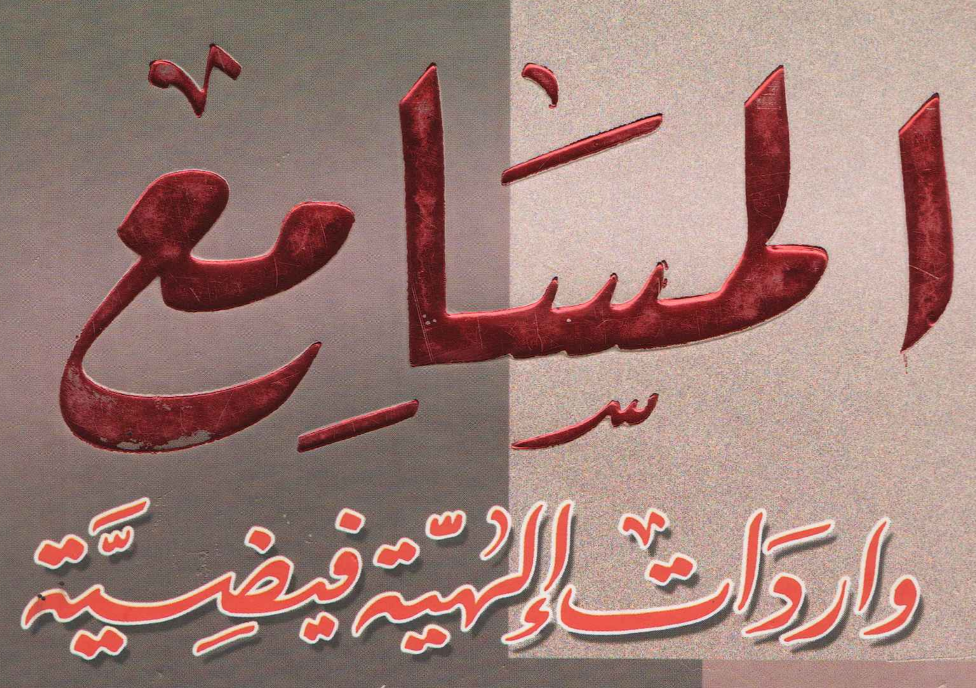


تأليف

سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى ٨٠٧ هـ

وفي المقدمة

المنح الإلهية

من مناقب السادات الوفائية

للشيخ أبي اللطائف بن فارس الوفائي

كان حياً سنة ٨٣٠ هـ

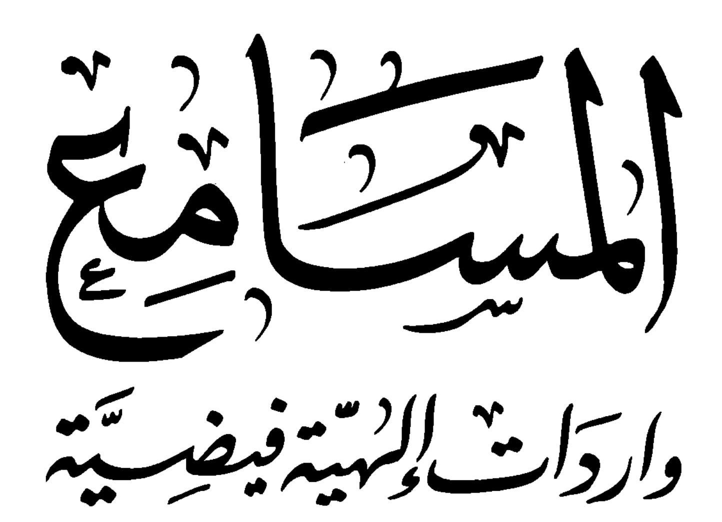
تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان



واردات إلهية فيضية

تأليف

سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى ٨٠٧ هـ

وفي المقدمة

المنح الإلهية
من مناقب السادات الوفائية

للشيخ أبي اللطائف بن فارس الوفائي

كان حياً سنة ٨٣٠ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي



Title: **AL-MASĀMIᶜ**
and **AL-MINAḤ AL-ILĀHIYYAH**
MIN MANĀQIB AL-SĀDĀT AL-WAFĀ'IYYAH
Author: Sīdi ʿAli Wafā ibn Muḥammad Wafā
and Abu al-Laṭā'if ben Fāris al-Wafā'ī
Editor: Aḥmad Farīd al-Miziyadī

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 424

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: المسامع
وفي المقدمة: المنح الإلهية
من مناقب السادات الوفائية
المؤلف: سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا
وأبو اللطائف بن فارس الوفائي
المحقق: أحمد فريد المزيدي

الناشر: دار الكتب العلميـــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 424

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5477-X (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5477-4 (13 dig)
90000
9 782745 154774

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٧ م ـ ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ – ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١١/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ – ١١ بيروت – لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام، وأنعم علينا وجعلنا من أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ وأتحفنا بحقائق الإيمان، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ورقّى بنا مراقي الإحسان، وحبّب إلينا أوليائه العارفين، والعلماء الموقنين، وسلك بنا مناهج المتّقين الصديقين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سرُّ الوجود، وإكسير هذا العالم الموجود، وسلِّم كثيرًا.

وبعد..

لما كانت كرامات الأولياء معجزات لسيدنا ومولانا محمد ﷺ؛ إذ نالوا ذلك ببركة اتباعه، فمَنْ أُكرموا بهذا النصيب الوافر، وفُتح عليهم بأعظم المفاخر، وتواتر عليهم عجب العجائب وكثير المآثر؛ أعجوبة الزمان وحماة الحمى، كبار الشأن، تحفة الدهر، وغرباء البر والبحر، السادة الأغواث، سادات الزُّهَّاد، وأئمة العارفين والأقطاب، «الوفائية» مشهوري الذِّكر؛ عظيمي القدر، فقصدت لهم التعريف ببعض مآثرهم، والتنبيه على الجليل من مفاخرهم.

وذلك بتحقيق كتب وتراث السادة الوفائية، بدءًا من سيدي محمد وفا وابنه سيدي علي وفا إلى أولادهم وأتباعهم، ولما كانت كتبهم تحوي الأسرار، ويشع منها المكنون من المكنون من الأسرار، فكانت كنزًا مخفيًا في سرٍّ مكنونٍ، لم يكن علمهم كغيره من العلوم، فحُفظ حالهم بالستر والخفاء، وما كان ناطقة بلسانهم أو قلم من أقلامهم إلا بإذن منهم، وما نحن إلا قلم في دواتهم، أستشف من حبر أسرارهم ما يأذنون في إظهاره وخطه بمددهم.

فظل هذا التراث قرونًا طويلاً غير مأذونٍ بنسخها وإخراجها ولا سيما تحقيقها وطبعها، حتى جاء الإذن ظاهرًا وباطنًا، وعند زيارتهم والوقوف على أعتابهم عند شرفات وأبواب بيتهم لشيخنا وسيدنا الغوث مصطفى بن عبد السلام الملواني، فنطق

بما يريدون عطاؤه فهمًا ومعرفةً من كتبهم، وقد أُخبر بذلك أنه أول من أُذن له بمعرفة وإقراء هذا العلم اللَّدني، بعد قرونٍ مضت.

ومن المعلوم أن سيدي جمال الدين أبو المواهب الشاذلي الوفائي كان ناطقة سيدي علي وفا قدس الله سرهما.

ثم إذا بي أرى من المرائي الحِسان التي أجتمع فيها بأهل بيت السادة الوفائية مرات ومرات قبيل زيارتهم وبعد زيارتهم.

حتى جاء الشيخ في الفترة الأخيرة قبيل انتقاله فأذن لي أولاً بسماع مجالسه في علوم سيدي محمد وفا، وثانيًا بالحض والحث على تحقيق تراثهم، وأنًا أولى بغيرنا من تحقيق هذا العلم، حيث علل بقوله مرةً أن كلامهم صعبٌ فهمه إلا على من فُتح عليهم.

ومن نص كلامه: نحن منهم وهم منا.

فبادرت بالإسراع مستعينًا بالله، فحققت: الشعائر، والنفائس، والمعاريج، والعروش، لسيدي محمد وفا، والمسامع لسيدي علي وفا، وكذلك في مقدماتها: بيت الوفائية للبكري، ومزيل نقاب الخفا للزبيدي، والنفحات الرحمانية للزرقاني، وكتابنا هذا: المنح الإلهية، وغيرها مما نعده للتحقيق أيضًا في مناقبهم، وآثارهم.

و«**المنح الإلهية من مناقب السادات الوفائية**» من تصنيف الشيخ الإمام أبي اللطائف ابن فارس الوفائي، كان حيًّا سنة 830هـ.

ولم نقف على ترجمةٍ وافيةٍ له، وانظر: تاريخ بروكلمان (120/2)، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (297/3)، وكشف الظنون لحاج خليفة (1859/2)، ومعجم المؤلفين لكحالة (674/2).

وكتاب المنح الإلهية، من أهم الكتب التي خُصت بالحث في جانب الكرامات، والأحوال، للسادة الأطهار، وزاد الكتاب أهمية أن المصنف من تلامذة سيدي علي وفا، وراويته، قدس الله سرَّه.

نماذج من صور المخطوط

كتاب المنح الالهية من مناقب

السادات الوفائية تاليف

خادم حضرتهم هو ابو

اللطايف نفعنا

الله تعالى

ببركاته

في الدين

...

والا

خرة

امين

صورة غلاف المنح

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم يا الله
يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دايم يا علي يا حكيم
سمعت سيدي يحيى رضي الله عنه يقول في المشهد الشريف
ما شاء الله كنت وانا ابن خمس سنين اقرو القران على رجل
يقال له الشيخ يعقوب وهو الان يعيش فاتيته يوما
فرايت انا نا يقرا عليه سورة والضحى وصحبته رفيق
له وهو يلوي شدقيه بالامالة ورفيقه يضحك اعجابا
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص
ابيض قطن ثم رايت القميص علي فقال لي اقرا فقرات عليه
سورة والضحى والم نشرح ثم غاب عني فلما ان بلغت احد وعشرين
سنة احرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم قبالة وجهي فعانقني وقال لي واما بنعمة ربك
فحدث فاوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى قلت
الشيخ يعقوب هذا المذكور اعرفه وراينه وكان فقيها
مقريا صالحا منقطعا مات بالقاهرة رحمه الله وسمعته

صورة الصفحة الأولى من المنح

صلى الله عليه وسلم كان ختم الاولياء كما اشار
الى ذلك صاحب عنقاء مغرب في ختم الاولياء وشمس
المغرب في قوله رضي الله عنه وعند فنا الزمان
وختمها على فنا مدلول الكرور بيوم ويدل عليه ايضا
قوله رضي الله عنه انا اكثر الاولياء اتباعا
يوم القيامة واعلم يا اخي ان احزابه وتوجهاته
واذكاره واوراده وادابه جامعة مانعة كالحد
الجامع المانع الذي ليس بعده مرمى ولا فوقه بغية
لطالب في هذه الطريقة وراغبا في هذه الحقيقة
فلا بد للسائل ان ياخذ عنه في البداية بالاستاذية
وفي النهاية بالنيابة الاولوية واعلم يا اخي
ان روح هذا الخاتم لا تاتيه المادة الا من روح
الله لا من روح من الارواح بل روحه تكون المادة
لجميع الارواح وان كان لا يعقل ذلك من نفسه
في زمان تركيب جسده العنصري فهو من حيث ما هو

جاهل من جهة تركيبه العنصري فهو العالم
الجاهل فيقبل الاتصاف بالاضداد علم وجهل
كما قبل الاصل الاتصاف بذلك كالجليل
والجميل الثابت في الجنان علما وقيل بالعلم جهلا

تمت

الكرامات الشريفة والمناقب المنيفة
على يد انفس العباد واحوجهم
الى الله في يوم المعاد يوم
لا ينفع فيه والد ولا
اولاده غفر الله له
وللناظر فيه
المراد والمراد
الفقير عبد الله
التراجي
وصلى الله
على
محمد

صورة الورقة الأخيرة من المنح

المنح الإلهية
من مناقب السادات الوفائية

للشيخ أبي اللطائف بن فارس الوفائي

كان حيًّا سنة ٨٣٠ هـ

تحقيقه وتخريجه وتعليقه

أحمد فريد المزيدي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسّر يا كريم يا الله

يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

سمعت سيدي [..] رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف ما مثاله:

كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجلٍ يُقال لَه: الشيخ يعقوب، وهو الآن يعيش، فأتيته يومًا فرأيت إنسانًا يقرأ عليه سورة (والضحى)، وصحبته رفيقٌ لَه وهو يلوي شدقيه بالإمالة، ورفيقه يضحك إعجابًا، فرأيت النبي ﷺ يقظةً لا منامًا وعليه قميصٌ أبيضٌ قطنٌ، ثم رأيت القميص عليَّ، فقال لي: «اقرأ»، فقرأت عليه سورة (والضحى) و(ألم نشرح)، ثم غاب عني.

فلما أن بلغت أحد وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة، فرأيت النبي ﷺ قبالة وجهي فعانقني وقال لي: «وأما بنعمة ربك فحدِّث»، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت، انتهى.

قلت: الشيخ يعقوب هذا المذكور أعرفه ورأيته، وكان فقيهًا مقرئًا صالحًا متعشقًا، مات بالقاهرة رحمه الله.

وسمعته يقول في مشهدٍ من المشاهد أيضًا:

جاءني بعض أولادنا وذكر شخصًا من غلمان هذا البيت وسمَّاه، ولكن لم يحضرني الآن مَنْ هو، وصحبته شخص ذكر أنه رأى النبي ﷺ، وقال له: رحْ إلى علي بن وفا؛ وقل له يدعو لهذا العالم بما فيه صلاحهم، فقال لَه: يا رسول الله، ما خصوصيته؟ فقال لَه ﷺ: خصوصيته أن دعائه لا يُردّ.

قلت: الأمر أعظم من أن يُحاط به، ولكن ذكر ذلك وأمثاله على ما تقتضيه الحكمة، وفقه العقول في المشهد العام، وبالله التوفيق.

وسمعته يقول: أخبرني شخصٌ أنه رأى في المنام أنني جالسٌ في الحجرة الشريفة النبوية، على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام، على كرسي، والجماعة حاضرون، ومنهم أبو النور وأنا ساكتٌ، والناس منتظرون أنني أتكلم، وإذا بالحجرة الشريفة فُتحت وظهر

منها أبو هريرة ﷺ، فقال لي: يا سمي، صهر رسول الله ﷺ يقول لك: تكلّم، فلما ذكر سيدي رضي الله عنا به هذه الحكاية قال: دلَّت هذه الحكاية على ميراث أبي هريرة وعلي رضي الله عنهما، ثم تلا: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ﴾ [المائدة: 84].

وسمعته يقول: رأيت فيما يرى النائم أن شجرة قُلعت من المشرق، وطارت إلى أن صارت مسلمة لي، وقالت: أنا شجرة العالم، ثم طارت إلى المغرب، وعادت حصلت في يدي، فإذا علي يُقال لَه: العالم كله شجرة، ويدك هي البقعة المباركة من هذه الشجرة.

وسمعته يقول: وعزة الرب المعبود قيل: «**يا علي، وحقك عليَّ** - وهو القسم العظيم - **ما أحبَّك أحدٌ إلا أحببته ولو عمل ما عمل، ولا أبغضك أحدٌ إلا بغضته ولو عمل ما عمل**[1]».

وسمعته يقول: إذا ادَّعى أحدٌ محبَّتي، إن كان صادقًا فلسعادته، وإن كان كاذبًا فما أخيبه في دعواه، بل أجعله صادقًا، قلت شاهد ذلك:

عَلَى إنَّنِي رَاضٍ بِدَعْوَى هَوَاكم فَإنْ كُنْتَ فِيهَا كَاذِبًا أَتَحَمّلُ
لعَلّكم إنْ تَقتلُونِي بَفَضْلِكُم فَيُضبح حَقًّا مَا بِهِ أَنَا مُبْطِلُ

وأخبرني سيدي الكبير رضي الله عنا به وأنا ساعٍ في ركابه الشريف، قال مما جاء في الوصايا الشريفة عند الانتقال الشريف لشمس الدين الزيلعي، قدَّس الله برَّه العزيز أن قال لأولادي:

هؤلاء ليسوا كأولاد الناس؛ هؤلاء روحٌ واحدةٌ في جسدين، وهما في الحقيقة روحي، وقد أخذت من الله عهدًا وميثاقًا أن من أحبَّهما كان من أحباب الله، ومن أبغضهما كان من أعداء الله.

وقال في بعض المشاهد مشيرًا إلى سيدي الكبير: هذا خزانة العلم وأنا أنفق منها.

وسمعته يقول: من رآنا اثنين فهو بفرد عين، ومن رآنا واحدًا فهو بعينين.

وسمعته يقول في المشهد عن سيدي الكبير رضي الله عنا به: إنه كان جالسًا في

(1) لم نقف عليه هكذا، وانظر بنحوه في الشرف المؤبد للشيخ النبهاني (ص122) بتحقيقنا.

متنزه والجماعة في خدمته، وأن شخصًا من الجماعة، الآن لم يحضرني اسمه، كان أبوه ينظم الزجل والموالي نظمًا جيِّدًا، وأنشأ له مطلع زجل لم أستحضره.

قال: وكان كلما حضر حضرة من الحضرات الشريفة يخطر في خاطره ذكر أبيه، ويقول: ليت أبي كان حيًّا؛ ليحصل لَه رحمة من هذه الرحمات، وقوي عنده هذا الخاطر إلى هذا اليوم المذكور الذي تشرَّفت الجماعة فيه بالجلوس في خدمته، فنظر إليه سيدي رضي الله عنا به وقال لَه: تحفظ شيئًا من نظم أبيك؟ فقال: نعم، فقال: أنشدني إياه، فأنشده يقول مواليًا:

مَاذَا أَقُولُ فِيْكَ يَا مَنْ بَحْرٌ هُوَ دَوَاهم ... وَمَنْ يحسِنُوا وَإِحْسَانه أَزَالَ الغَمُّ
مَدْحُكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ جَوْهَرٌ فَشِيءُ مَا تَمّ ... وَإِنْ حَلَيْنَا لَكَ الجوْهَر فَأَنْتَ اليَمُّ

قال: وكان سيدي متكئًا فاستوى جالسًا، واستعاد منه الإنشاد، وقال لَه: رحم الله أباك، رحم الله أباك، رحم الله أباك.

قلت: وهذا من سعة الكرم، وفوق ما كان يؤمله ويرجوه، وهذا الذي صورته دعاء إنما هو حق يقين حصل في الحال.

وأخبرني سيدي الكبير وأنا ساعٍ في ركابه الشريف:

إن شخصًا أتى خدمة سيدي الكبير رضي الله عنا به، وهو بالبلاد الإخميمية، فأمره سيدي أن يقوم بخدمةٍ؛ لأن الجماعة كل منهم لَه خدمةٌ، وجعل لَه من الخدم أن يحتطب كل يومٍ حزمة من الحلفا؛ لأجل المطبخ، فاستمرَّ على ذلك مدةً، إلى أن عتبت عليه نفسه يومًا، فانقطع عن الخدمة فلاحظته العناية والكرم، فرأى في المنام بحرًا، وهو كلما أراد أن ينجو معهم تشبّ نار تحول بينه وبينهم، فلما ضاق به الخناق استجار بسيدي، فرأى حزمة من الحلفا التي كان يجمعها، وقائلٌ يقول لَه: اركب عليها، فركب عليها فطارت به إلى الجنة، واستيقظ فأتى مستغفرًا.

وأخبرني سيدي الكبير رضي الله عنا به، وأنا ساعٍ في ركابه الشريف إلى المقام الشريف:

إنه كان شخص من الجماعة الأول وكان سكريًا، وكان في كل سنةٍ يخدم بيت سيدي بسكر من مطبخه، فجاء سنة من السنين كبر ذلك القدر اليسير في عينه، وأنه يبيعه ويأخذ ثمنه ويتصرف فيه، ففعل ذلك، فلم يشعر إلا والباب قد طرق عليه، فخرج

فوجد شخصًا، فقال: الأمير يلبغا الخاصكي طلبك، فطلب منه الإقالة بما تصل القدرة إليه، فلم يفعل، فلما حضر بين يدي الأمير حين وقوع نظره إليه أمر بتجريد ثيابه للعقوبة، فلما ضاق به الخناق استغاث: يا سيدي أنا في جيرتك، فأقسم بالله الذي لا إله إلا هو أنه سمع سيدي من على كتفه الأيمن يقول لَه: تنسى خدمتنا؟ فقال لَه: يا سيدي أستغفر الله، فعند ذلك نظر إليه الأمير وقال: ليس هذا هو المطلوب، وأنتم غالطون فيه، فخلوا سبيله، فحين انصرف سالمًا حمل القدر الذي كان عليه، وزاد عليه قدره، وأتى به إلى حضرة سيدي السيد محمد وفا، فقال لَه: ما الذي أوجب هذه الزيادة، احكِ للجماعة، فحكى ما اتفق.

وأخبرني سيدي رضي الله عنا به أن سيدي كان مقيمًا مرة بالقرافة، وكانت الجماعة كل منهم يتسبب في سببه إلى آخر النهار، ويتوجه إلى خدمة سيدي، فتوجه يومًا واحدٌ من الجماعة، يُقال لَه: عبد الله المغربي، وصحبته شخصٌ يُقال لَه: ابن ريمون، من أعيان الجماعة، فلما وصلا إلى القلعة كانا إذ ذاك يعمرون في مدرسة السلطان حسن، وكلٌّ منهم من مرَّ عليهم يمسكونه تلك الأعوان، ويأتون به إلى شاد العمارة، ويلزموه بالعمل يومًا سخرة، ولم يوقروا كبيرًا ولا رئيسًا.

فلما مرَّا عليه أمسكوهما وأعطوا كل واحدٍ منهما قفة ومسحة، وأمروهما بالعمل، فقال ابن ريمون لرفيقه: ما العمل؟ قال لَه: أخدم وما أطيق الإهانة ولا الضرب، فقال ابن ريمون: لا أنا والله لا أخدم إلا أستاذي، ودع روحي تروح، فحين قال ذلك وإذا بجندي سائق على فرسٍ، وهو يقول: مرسوم السلطان ألا يُسخر أحدٌ، وأن تطلق الممسكون جميعًا، فذهبا إليَّ، فلما حضرا في حضرة سيدي أمرهما أن يحكيا ما اتفق، فقال لهما: لو شئتما غلقًا واحدًا لخدمتما فيها إلى آخرها.

قلت: ابن ريمون هذا كان من أعيان الناس الجماعة، وله خصوصية، منها أنه بلغني أن سيدي كان يرسله في بعض الأحيان ليأتيه بالبهيم ليركبه، فيقوده من غير أن يركبه؛ أدبًا أن يركب مكان ركوب سيدي، فقال لَه في بعض الأيام: لا تأتِ إلا راكبًا، فما أمكنه المخالفة، واستصغر نفسه أن يركب مكان ركوب سيدي، فنزع البردعة وحملها على رأسه إجلالاً، وركب امتثالاً، فصار الناس ينسبونه إلى الجهل والحمق.

قال: وكان ذلك مع كبر سنه، وضعف بشريته، وهكذا يكون العبد المخصوص،

وبالله التوفيق.

أخبرني سيدي علي رضي الله عنا به، وأنا ساعٍ في ركابه الشريف، إنه قبل أن يمن الله تعالى عليه بدخول بيت سيدي، إنه كان صادقًا في التوجُّه إلى الله تعالى، فرأى فيما يرى النائم أنه في فضاءٍ، وفيه قصرٌ عالٍ، نقيُّ البياض، مرتفعُ البناء، يدور به قبورهم مكشوف عنهم، وعليهم أكفان بيض، لها رائحة حسنة، أحياء في صورة الأموات، فقال لهم: مَنْ تكونون أنتم؟ فقالوا لَه، أو قال قائلٌ منهم: هؤلاء أولياء جميع الأزمنة، وصاحب هذا القبر خاتمهم ينتظرونه؛ ليقوم يشفع فيهم، وإذا بالباب قد فُتح، ورأى سيدي جالسًا ولم يكن يعرفه إذ ذاك، فلما تصدَّق الله عليه بالحضور في الحضرة الشريفة قال لَه سيدي: فتحوا لك الباب أوقفوك في الخدمة.

وأخبرني سيدي الكبير وأنا ساعٍ في ركابه الشريف، قال لَه: سُئل سيدي رضي الله عنا به، فقال: لمن تُنسبوا؟ فقال: كنا ننتسب أولاً إلى الأستاذ داود، والآن انقطعت النسبة من داود ومن غيره.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف؛ حكايةً عن جد سيدي الكبير رضي الله عنا به، قال:

كنت ماشيًا بالإسكندرية عند المعارج، وابن ابني على كتفي، يعني سيدي، فرأيت النبي ﷺ فقال: «**من لقي الله وفي قلبه مثقال حبة من سواه لقيه يوم القيامة ندم**[1]»، قلت: والد سيدي انتقل وسيدي صغير سنه، وتشرَّف بتربيته جده المذكور.

وأخبرني سيدي أنه كان من أصحاب الأحوال، فمنها ما أخبرني به وأنا ساعٍ في ركابه الشريف، إن شخصًا من رؤساء الثغر السكندري، عمل مولده في شهر ربيع الأول، ودعا إليه وجوه أهل الثغر، فمن كان حاضرًا نائب الثغر إذ ذاك، فحصل لسيدي الجد المذكور وارد استغرق فيه، فلما أفاق قال: رأيت أنني خائضٌ في سماء الدنيا إلى حقوي، وكان الأمير عنده استهزاء بالفقراء، فقال مستهزئًا: وأنا رأيت أني خائضٌ في السماء إلى حقوي، فقال السيد الجد: أما أنا فصدقت وأما الأبعد فكذب، وسيُصاب في حقويه، فما قام من ذلك المجلس إلا مكسحًا.

وأخبرني أيضًا سيدي ﷺ أنه كان جالسًا على شاطئ البحر الملح بالثغر المذكور،

(1) هذا حديث كشفي صحيح.

وإذا بامرأةٍ تبكي وتنتحب، وتقول إن ابنها قد غرق في البحر، فأدلى يده في البحر، فطلع بولدها حيًّا ببركته.

وأخبرني أيضًا أنه كان مسافرًا نحو البلاد المصرية، فمرَّ ببلدٍ تُسمَّى دسوق، وكان إذ ذاك بها شخصٌ يُسمَّى سيدي إبراهيم الدسوقي، ضريحه بها يزورونه ويقصدونه بالنذر وغيره، وله أتباع ومريدون، فقصد الاجتماع به، فوجده في محل تعبده، فسلّم عليه فلم يلتفت إليه، فنظر إليه سيدي وقال: ليس الشأن هذا، قم معي، فأمسك بيده ونزل به من الغرفة التي كان بها إلى أرض الفلاة، وكان من الربيع والأرض مكسوة بالزرع، فاستغرق سيدي في وارد ذكر يقول: الله، الله، إلى أن صارت كل عشبةٍ في الأرض تقول معه: الله، الله، فقال لي: كذا يكون الشأن.

قلت: وهذا الذِّكر الشريف جاء مكررًا في آخر حزب الأسماء الحسنى.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في يوم جمعة، والجماعة في خدمته يذكرون هذا الذِّكر الشريف بعد صلاة العصر، قال: إذا قال أحدكم: (الله) كتب الله لَه سيادة.

وأخبرني سيدي الكبير رضي الله عنا به، وأنا ساعٍ في ركابه الشريف:

لا تقوم الساعة على من يقول: الله الله، دلَّ ذلك على أن أهل هذا الذِّكر لم يزالوا أحياء، فإن القيامة لا تقوم إلا على الأموات.

وفي الحديث الشريف: «**الله الله في أصحابي**[1]» فيه سرٌّ عظيمٌ.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به قال: من قرأ حزبنا بحضور قلبٍ غُفر لَه ما بين هاتين الآيتين، يعني التي في الحزب الشريف حزب الفتح الكبير، قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف:23].

﴿**رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [المؤمنون:118].

قلت: ولهذا الحزب الشريف جمع أسرار جميع الأحزاب المتقدمين؛ فإني سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف: إن قال لك: لِمَ تقرأ حزب الأستاذ أبي الحسن الشاذلي؟ فقل لَه: بل أقرأه أو حزب الأستاذ أبي العباس، فقل لَه: كذلك أو حزب الأستاذ داود وغيره، فقل لَه كذلك.

وأخبرني بعض جماعة علماء بيت سيدي أن سيدي الكبير رضي الله عنا به، كان

---

(1) رواه الترمذي (696/5)، وأحمد (54/5).

بالمكان الذي يُسمَّى بالقوس بروضة مصر، والجماعة يذكرون الحزب في خدمته، فمرَّ جماعة من المتفرجين، فوقفوا يسمعون الحزب الشريف، فقال سيدي: مَن سمع حزبنا غُفر لَه، فقال بعض الجماعة: يا سيدي، هؤلاء عابري سبيل، فقال سيدي: وقد غُفر لهم.

قلت: انظر ما أوسع هذا الكرم، فـ﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ**﴾ [الأعراف:43].

وهذا القوس المذكور كان ملكًا لسيدي، ثم إن شخصًا من الأمراء يُقال لَه: اقبعا لص أخذه عدوانًا، فأخبرني بعض الجماعة أن سيدي علي رضي الله عنا به قال: يُخشى عليه أن يصيبه سهمٌ من كيد هذا القوس، فغضب الله عليه والسلطان، وبالغ في عقوبته، وضرب إلى أن مات، ورجع المكان المذكور إلى بيت سيدي في الزمن الفتحي، واستمرَّ إلى الآن والحمد لله.

وأخبرني سيدي أبو الفتح رضي الله عنا به، يحكي عن سيدي الكبير رضي الله عنا به، إنه لما حلَّ ركابه الشريف إلى البلاد القبلية، نزل ببيت الخطابة بجامع البلد، وكان مظلمًا، فسأل سيدي أن يفتح في المكان طاقة للنور، فألقى الله تعالى في خاطر شخص من أهل البلد، ففعل ذلك بسعادةٍ سبقت لَه، فلما رأى سيدي قال لَه: لأفتح لك في قلبك طاقة تنظر بها إلى ربك.

قلت: لما دخلت إخميم عام ثلاثين وثمانمائة، رأيت هذا المكان وتشرَّفت بمواطن الأقدام الشريفة، ولله الحمد على ذلك.

وأخبرني سيدي علي رضي الله عنا به أن أبا الحسن بن المواز، كان اجتماعه بسيدي بإخميم المذكورة، فأول حضوره بالحضرة الشريفة كانت تنزل مناهدًا شريفة، فلم يفهم منا شيئًا؛ لأمرٍ اقتضته الحكمة الإلهية، فنوى العود إلى المدينة، فاستأذن سيدي فلم يأذن لَه، فكرَّر السؤال، وتعلل بأن والده لَه عليه حقٌّ، وبره مطلوب مشروع، فمنعه، فأيقظه الله من سنة المخالفة، وقال: ليس للعبد الحقيقي اختيار، ومولاي يفعل ما يشاء ويختار، فحين ترك التدبير والاختيار أشرق في أفقه شموس تلك المشاهد الشريفة دفعة واحدة، فقال: ما بقيت أبرح عن حضرة سيدي، ولا أظعن عنها، فحين خطر لَه هذا الخاطر قال لَه سيدي: قمْ سافر، واقضِ حق بر والدك؛ فإنه يكون انتقاله.

فحين وصوله إلى المدينة وجد أباه كما ذكر سيدي متوعكًا، فتوفَّاه الله تعالى، وكان يعاني صناعة الصرف، فجمع موجوده الجميع، وقال في خاطره: العبد لا يملك شيئًا دون سيده، وإن تصرفت في هذا الموجود ولو بالدرهم الفرد أكون خائنًا، فقال لَه شخصٌ يُسمَّى: شهاب النجانقي: سيدي مستغنٍ عنك وأنت محتاجٌ، فقال لَه: ما الذي أفعل، فقال: اكتسي منها ما تحتاج إليه، وما فضل احمله إلى سيدي، فقال لَه: ما الذي أكتسيه؟ فقال لَه: جبة وقميصًا وعمامةً، فقال لَه: ثمِّن لي ثمن هذه الحوائج؟ فثمَّنها لَه بثلاثمائة درهم، فقال لَه: هذا لسان تنبيه بحق، يقول لك: هذا القدر يحتاج إلى أن يتكمَّل بثلاثمائة درهم، فحصلها وأضافها إلى المال المتحصّل، وجعل الجميع ضمن صندوق، وحمله وسافر به إلى حضرة سيدي.

فلما تمثَّل بين يديه الكريمة قال لَه ابتداءً: ماذا قال لك شهاب؟ فحكى ما اتفق، فقال لَه سيدي: لو أخذت منها الدرهم الفرد لنقصت نقصًا لا يتدارك، ثم إنه بعد ذلك تصدَّق عليه بخمسين درهمًا، وقال لَه: رح إلى السوق المعروف بالخبيثة، واقصد الدكان الفلانية؛ فإن صاحبها تُوفِي، استأجرها وتسبب في طواقي من القماش الخليع، ففعل ذلك، فأعطاه الله بركة وسعة رزق إلى أن تُوفِي ذو يسارٍ، وترك مالاً وقماشًا وأملاكًا ببركة سيدي رضي الله عنا به.

قلت: أبو الحسن كني بهذه الكنية؛ لأنه في المقام العلوي، والزيلعي كني بأبي حفص؛ لأنه في المقام العمري.

ورأيت بخط سيدي رضي الله عنا به أنه أرَّخ انتقاله ونعته بالفاروق.

وسمعت سيدي علي رضي الله عنا به، يحكي أن شخصًا كان من الصلحاء بالمدينة المشرفة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، يُسمَّى أبو بكر النطاع، وكان له خدمة بالحجرة الشريفة، فبينما هو ليلةً بائتًا بها، وقد قفل الأبواب، وهو في أثناء الليلة وإذا بالباب المُسمَّى بباب جبريل قد فُتح، وقد دخل منه واحدٌ وقع في نفسه منه هيبة ووقار، ولم يعلم مَن هو، فتحيَّر كون الباب قد فُتح بعد قفله بالأقفال الحصينة، ولم يعلم ما دار بينه وبين ساكن الحجرة الشريفة من الأسرار، وما أمكنه التهجم عليه؛ لهيبته التي أوقعها الله في قلبه، فلما ظهر من الحجرة قفل الباب كما كان، فما عن قليل إلا وقُدِّر لَه ضرورة تدعوه إلى التوجُّه إلى مصر، فارتحل إليها، ونزل عند التجار المعروفين

بالحزارجة، فلما انقضى شغله اشتاق خاطره إلى زيارة من بمصر من الأولياء والصلحاء، فدار على الموجودين في ذلك الزمن واحدًا بعد واحدٍ، وهو يقول: من بقي؟.

فقيل لَه عن بيت سيدي، فسعى إليه واستأذن، فأذن لَه بالدخول، فرأى جمالاً مطلقًا، وأمرًا عظيمًا من فرشٍ وأوانٍ، فأمَّنه سيدي، واستدعى بمائدةٍ تشتمل على صحون صيني، وزبادي كذلك، فزاد تعجبه، ثم نظر إلى سيدي متعجبًا، فرأى عليه أحد ملابسه وهو بفراء سنجاب، لم يرَ لَه نظير، فقال في خاطره: سلمنا كل شيءٍ إلا الفقراء يلبسون السنجاب، فنظر إليه سيدي وقال: أيما أعظم السنجاب أو فتح الباب؟ فاستغفر الله تعالى، وعلم أنه المطلوب.

وكنت يومًا ساعي في ركاب سيدي، فنحن بالقرافة، قال سيدي: كلما يحصل للإنسان من المقامات بربه، ومجاهدة أو اكتساب حالة من حالات العبادة، فالعزيز وراءه، وأنتم فقد سمعتم، وما نال عزًّا غير أهل غرامنا.

قلت: يزعم كثير من المحجوبين أن الإنسان قد يُعطى شيئًا ويخشى عليه سلبه، وعبد هذه الحضرة مؤمن من ذلك، فإني سمعت من اللسان الشريف يقول من عدة سنين: يا علي، يا علي، لك في قلوب أصحابك أمن السلب.

وقول سيدي رضي الله عنا به: عطايا كرام أمنوا المؤمن في العطاء، ولم يسلبوا الموهوب لو كان لم يعطوا.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في بعض المشاهد الشريفة: السلب إن اتفق وقوعه يكون في الكسبيات، وأما الوهبيات فلا تُسلب أبدًا؛ بدليل قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: 2].

وكنت مرة في ركاب سيدي وهو يتصدَّق بواردات شريفة في خدمته بعض الجماعة، منهم أبو المشاهد، فقال سيدي مباسطًا للجماعة: الساعة يعتقدوا أنَّا نحن زوارًا، ثم قال: لسنا بزوارٍ؛ بل نحن أصحاب الدار؛ لأن حقيقة الزائر قضاء شغل ويعود ونحن فكل عضوٍ فينا يقول: والله لا أبرح عن هذه البيوت.

وكنت يومًا أيضًا ساعٍ في ركابه الشريف في وقت حرٍّ شديدٍ، وغبارٍ منعقدٍ، فقال سيدي رضي الله عنا به: أيما أحب إليكم المشي في التراب والمحاجر، أو الركوب

بالغاشية، فأشهدنا الله النعمة وقبلنا، فذمه الشريف، فقال سيدي: ذاك ركوب بغاشية، وهذا مشي بتجلي.

وكنت يومًا ساعٍ في ركابه الشريف، فذكر من لفظه الشريف:

حمل محبك إِعْيَاء الهوَى فَلَهُ قَلْبٌ عَلَى كَاهِلِ الأَشْوَاقِ محمُولُ

ومما وقع من الصدقات الشريفة أن العبد توجَّه ساعيًا في خدمة الركاب الشريف يومًا، فلما وصل سيدي إلى المقام الشريف تصدَّق على لسانٍ بأربعة أبيات وهم:

بروحِي مَن وافَاكَ مجيئَه بِالوَفَا ومَنْ يَقَفْ فِيْهِ فِي الوَرَى فِيْهِ يَبْقَى

نجَا مِنْ اسمًا ثُمَّ فِعْلاً فكَوْنه عَلَى المَعَانِي مَنْ رَآه رَأَى الخَفَا

يَشْهَده مَنْ يَهْدِهِ الله يَهْتَدَى وَأَضْحَى سَعِيْدًا لاَ يضِل وَلاَ يَشْقَى

فَهَذَا الَّذِي لله رَقَا عَبِيده وَرَق لهُم أفديه من سيدٍ رَقا

فطلب العبد من أبي فاكه خادم المقام الشريف دواة، وكتب هذه الأبيات؛ ليقدمهم لخدمة سيدي، فلما ظهر سيدي من المقام وركب، قال: يا أبا اللطائف، فقبل العبد الورقة وقدمها، فتناولها بيده الكريمة، وقال للعبد: قال لي أبو فاكه أبو اللطائف، وقع له أبيات، فقلت لَه: ما الذي ذكر فيهم؟ فقال: يا سيدي، ذكر فيهم ما تفضَّل الله به عليكم، قال: فقلت لَه: بل ذكر فيهم ما تفضَّلنا نحن به عليه، ويكرّر ذلك مرارًا، ثم ناول الورقة للعبد وقال: اقرأ ما فيها؟ فقرأتها عليه من لفظي، ثم أخذها ووضعها في جيبه الكريم، وقال: آمرك بالقراءة لإيجاد السر الذي قيل فيه: اقرأ: وأرقا، فظهر السر فيما تصدَّق به على لسان عبده من قوله، فهذا الذي لله رقا عبيده.

قلت: أبو فاكه هذا كان من أهل الشام، ونشأ طول عمره في صحبة أهل الخير، إلى أن تصدَّق الله عليه بخدمة هذا المقام الشريف، أخبرني أن سبب خدمته؛ أنه لما ارتحل إلى البلاد المصرية استقرَّ خادمًا لمقام الأستاذ تاج الدين بن عطاء الله السكندري، قدَّس الله سرَّه العزيز، فاستدعاه لخدمة المقام الشريف، فاعتذر بكونه خادمًا لمقام الأستاذ تاج الدين، فقال سيدي: يكون هنا وهنا، فقلت لَه: يا سيدي، رأيت رؤيا ومعناها أنه رأى روحه بالحرم الشريف، قال: فقال لي سيدي: الله تعالى قد اختار لك خدمة هذا المقام، وأراك إياه قبل أن تدخل، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ [آل عمران: 97].

فأخذ بجميعه لخدمة المقام، واستمرَّ إلى أن توفاه الله تعالى، وتصدَّق سيدي على العبد بخدمة الحضرة الشريفة بعد انتقاله، وقال سيدي: أنت تصدق الله عليك بخدمة الحضرة الشريفة.

ومما تصدَّق به سيدي على العبد أنه كان في ليلةٍ من ليالي الجمع، في شهر ربيع الأول، عام أحد عشر وثمانمائة، قام في خدمته الحضرة الشريفة في آخر الليل، وأصلح القناديل بهمة سيدي المستصحبة معه، فلما انقضت وظيفة الصبح والزيارة، وتوجَّه سيدي إلى البيت، قال لي سيدي: رأيت سيدي وأنت قائمٌ في خدمة الحضرة الشريفة، وعليك نورٌ، فقلت: يا سيدي أبو اللطائف عليه زهرية، فقال سيدي: هذا نور الحي القيوم، ثم قال سيدي: وفي أي شيءٍ أنشأت من أنشأ؟ قلت: وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومما تصدَّق به مرة وأنا في ركابه، إذ قال لي: سبحان من أسعدك يا أبا اللطائف، وأيضًا فلما كان سيدي بالمقام الشريف توجَّه العبد يوم الثلاثاء للخدمة؛ ليعود في الركاب الشريف صبيحة يوم الأربعاء للمشهد، فصار العبد يوم الثلاثاء ينقل التراب جميع النهار، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء حل ركاب سيدي الكبير من الروضة، فتوجَّه العبد للمشهد في ركاب سيدي وسيدي، فقال لسيدي في أثناء الطريق: جاء أبو اللطائف بالأمس، وخدم بطول النهار، فصرت أنظر إليه وأقول: إن هذه سعادة عظيمة حصلت لَه.

قلت: ومن صدقاته أنه أمرني مرة بكتابة تاريخ عمارة الحضرة الشريفة، فقال العبد: يا سيدي ما مثال ما أكتبه؟ فكتب سيدي رضي الله عنا به ورقة بخطِّه الشريف ما مثاله: (يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم)، كان تمام خدمة هذه الحضرة الشريفة الوفية، وابتداء الظهور على سرير مقصورتها الأعلوية، آخر ساعة من يوم الجمعة بحرمتها المصونة الربَّانية الإلهية، سابع شهر الله المحرم، عام سبعة وثمانمائة محمدية، والحمد لله الأعز الأكرم وحده دائمًا.

قلت: ومن صدقاته إذ أمرني بكتب التائية الشريفة في قطعٍ لطيفٍ؛ يحمله على رأسه الشريفة، فتشرف العبد بكتب ذلك لسيدي وسيدي، فأول يوم كتب العبد قال سيدي رضي الله عنا به: واحد يكتب والغيب يكتب فيه، فلما انتهت الكتابة أرسل

سيدي للعبد ورقة مكتوبٌ فيها ما مثاله، يكتب الولد عنوان هذه الصحيفة الشريفة بالذهب واللازورد، طلعة ما هو في خلعة ما هو، قلت: وقول سيدي: (الغيب يكتب فيه) صارت هذه الكلمة سارية إلى حين قريب انتقال سيدي الكبير، وكان العبد حصل له أمر وهو خائفٌ منه، فلما حضر في خدمة سيدي سأل سيدي عن حال العبد، فأخبره بالأمر الذي يخافه، فقال سيدي رضي الله عنا به: ﴿كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: 21]، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

وللعبد في المدائح الشريفة قصائد جملة، وأزجال نذكرها بعد إن شاء الله تعالى، فمنها: إن العبد مدحه مرة بزجلٍ يأتي ذكره، فلما قدمه وقرأه نظر إلى العبد متبسمًا وقال لَه: وحياة سيدي ما أشكرك على هذا الذي فعلت، وإنما أشكرك على هذا الإحسان الذي أحسنت به، والنور الذي أشرق فيك، فإنه كان خطر في خاطري في هذه الجمعة أن أقول لك شيئًا، إني رأيت الجماعة فترت بفكرتهم.

وفي قصيدةٍ أخرى قدمتها لَه، فقال سيدي رضي الله عنا به لبعض الجماعة: اسمع لسان وهاب أبو اللطائف.

وفي قصيدةٍ أخرى قال سيدي: كان حسان بن ثابت يخدم الحضرة الشريفة بمثل هذا، وأخبرني النبي ﷺ أن حسان مؤيدٌ بروح القدس، قال: ولم يزل هذا السر سارٍ إلى أن نظم الأستاذ أبو العباس المرسي، قدَّس الله أسرارهم العزيزة أجمعين، فقال حين أنشدها: أيَّدك الله بروح القدس، فقال سيدي رضي الله عنا به: وأنت أيَّدك بروح القدس.

فلله ما أوسع هذا الكرم؛ كون هذا الدعاء انتقل في حق العبد خبرًا، وممثل ذلك كان العبد والأخ أبو العطاء ماشيين في الركاب الشريف، فقال سيدي رضي الله عنا به لأبي العطاء: اقرأ حزب خصوصيتك، فقرأه، فقال سيدي للعبد: واقرأ أنت أيضًا حزبك، فقرأه العبد، فقال سيدي: ما هذا إلا عطاءٌ عظيمٌ.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف لما ينزل على الذِّكر الشريف المولوي: انشق لَه قلب الشيطان، وأرجو الله أن يكون نوره مستمرًا إلى يوم القيامة.

وأخبرني بعض الجماعة أنه قبل تنزل هذا الذِّكر الشريف سمع سيدي يقول: قيل لي: سيظهر لك في هذه السنة روحًا، وذكر أن لَه خصوصيات ولكن لم أستحضرها، قال هذا المخبر: فكنت ليلةً من الليالي بائتًا بالروضة ببيت سيدي، فانتبهت في الليل فرأيت نورًا عمَّ المكان، حتى صرت أقرأ كتابة السقوف، فلما كان في ظهر سيدي، وذكر هذا الذِّكر الشريف وكرّره، وأمر بقراءته في جميع المهمات.

وأخبرني أيضًا شخصٌ من الجماعة أنه سمع سيدي رضي الله عنا به يقول: بداية هذا الذِّكر نهاية الأولياء.

وكنت مرة في خدمة سيدي الكبير رضي الله عنا به في بيت الروضة، والجماعة في خدمته بالقاعة، وممن كان حاضرًا أبو البشائر، وأبو شامل، فقال سيدي رضي الله عنا به: رأيت فيما يرى النائم السيد عيسى ﷺ، جالسًا عند هذا الشباك، وأومأ إلى أحد الشباكين الراجعية، ومقابله رجل في الشباك الآخر، فقال لَه: هذا المكان ينزل فيه روح القدس.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به في قوله تعالى: (رب إني مغلوب فانتصر)، قال: قال هذا الذِّكر يفتح أبواب السماء؛ قال الله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر: 11].

وكنت مرة في الركاب الشريف، وسيدي رضي الله عنا به يباسط الجماعة بواردات شريفة، فمنها: أن قال: لما وُلد سيدي الكبير رضي الله عنا به، جاء الأستاذ تاج الدين بن عطاء الله قدَّس الله سرَّه العزيز ومعه أصحابه إلى بيته الذي وُلد فيه، وطلبه ليزوره، فأتى به في القماط فقبَّله، وقال لأصحابه: هذا جامع علم حقائقنا.

أخبرني القاضي ناصر الدين بن فوز الشافعي، المكنى بأبي المواهب، أن جده كان من الصلحاء، وأرباب الأحوال والمجاهدات، وله ضريحٌ بمدينة سنهور، مقصود للزيارة والنذر، والمقصود من ذلك أن الأستاذ أبو الحسن الشاذلي، قدَّس الله سرَّه العزيز، لما توجَّه للحج أرست مركبه التي هو فيها على ساحل البحر المقابل لسنهور المذكورة، وكان بها رجلٌ من أكابر الصلحاء، يُقال لَه: ابن هارون، وضريحه بها مشهورٌ، قال: فجاء بأصحابه قاصدًا زيارة الأستاذ أبو الحسن، فوجده قد نصب لَه خيمة، وهو بها، قال: فاغتسل كغسل الإحرام، وطاف بخباء الأستاذ أسبوعًا، ووقف

مقابله إلى أن أذن له، فدخل وأقام قليلاً عنده، ثم ظهر من عنده، فأنكر عليه أصحابه هذه الفعلة، فكُوشف الشيخ بذلك، فقال لأصحابه: والله ما اغتسلت وطفت الأسبوع إلا وقد رأيت الكعبة طائفة به، ولما دخلت إليه حصل لي في هذه اللحظة فوق ما حصل في صحبة الشيخ أبي السعود في خمس وعشرين سنة، قال: ثم دعاه إلى بيته وأضافه، ورفع له علمًا على رأسه، وصار يقول: بسم الله، يا ملك الأولياء.

المقصود من هذه المقولة إن كان حاضرًا جدي أبي المواهب المذكور، فقال لَه الأستاذ أبو الحسن: أنا رجلٌ عيسويٌّ، وسيظهر بعدي المحمَّدي.

قلت: ثم إن أبا المواهب لما توجَّه إلى مصر المحروسة، اجتمع بخدمة سيدي الكبير بالروضة، وكنت حاضرًا، فحكى لسيدي هذه الحكاية، ثم حضر الأخ أبو ظاهر فدعا سيدي، وقال لَه: اسمع هذه الرواية، ثم إن سيدي رضي الله عنا به حكى من لفظه الشريف حكاية تؤيد هذه، وهو أن شخصًا كان من أصحاب الأستاذ أبي العباس المرسي، قدَّس الله سرَّه العزيز، وأنه قال لَه: ما تموت إلا أن تجتمع بصحائب الزمان، وأسرَّ إليه سرًّا يوصله إليه، فعاش زمانًا طويلاً إلى أن أدرك زمان سيدي الكبير، رضي الله عنا به، فاجتمع به بإخميم، وبين يديه الكريمة يقرأ كتاب الشعائر الشريفة، فحصل له حالة استغراق، وقال: بالله إذا كان هذا شعيرك، فماذا يكون قمحك؟ قال: فضمَّه سيدي إليه، واستدعاه لتبليغ الرسالة، فأداها بالأمانة.

ثم ظهر من عنده وقال لأصحابه: تأهبوا للصلاة عليَّ، فقالوا لَه: أنت بحالة الصحة، فقال: ما كانت حياتي إلا لأداء الأمانة وقد أديتها لصاحبها، فتُوفي في اليوم الثاني، رحمه الله تعالى.

وسمعت من اللسان الشريف الفتحي سيدي أبي الفتح، رضي الله عنا به، يقول في مشهدٍ من المشاهد الشريفة، نُقل إلينا بالإسناد الصحيح: إنه توقف النيل في زمان سيدي الكبير رضي الله عنا به، فلم يزد إلا قليلاً ووقف، إلى أن دخلت «مسرى» من شهور القبط، وهو واقفٌ، فهمَّ الناس بالفلاة، فقصدوا سيدي رضي الله عنا به، وكان مشهورًا في زمانه بالدعوة المُستجابة، فقالوا لَه: يا سيدي ما تنظر ما الناس فيه، ألا تدعو الله لهم! قال: فمشى سيدي إلى شاطئ البحر، توضأ منه وصلَّى، ثم دعا الله تعالى بما شاء، ورجع ماشيًا وهو يقول: وفا وفا، والبحر تابعٌ لأقدامه الشريفة، إلى أن وفا في

ليلةٍ، فمن ثَمَّ سُمِّي: سيدي وفا.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف: هذه الحضرة الشريفة جامعة لسائر الأولياء، فإن طلبت الأستاذ أبا الحسن فهو معك في هذه الحضرة، والأستاذ أبا العباس المرسي فهو معك، وعدَّ عددًا كثيرًا من السادات، كعبد القادر الكيلاني، وغيره، كمشايخ الرسالة وغيرهم.

ثم قال: أولياء الأمم الماضية كذلك، ثم قال: وإن كان ما تحب إلا عظامًا نخرةً، وأجسادًا باليةً، رح زور القبور، لكن أخاف عليك تبقى في زورٍ.

وسمعته يقول: زيارة القبور تذكر الموت، وزيارة العارف تذكر بالحي الذي لا يموت.

وسمعته يقول في المشهد: ها أنا أقول صريحًا، ولا أكتم كلامي لمن صحبني من عشر سنين فأكثر: أن استقم على هذا الطريق كانت لكم الحجة على سائر الخلق، وإلا فكانت حجة الله عليكم.

وأخبرني بعض الجماعة أنه سمع سيدي يقول: ما من نطفةٍ تُوضع في رحم بيد ملك مخلقة أو غير مخلقة، إلا وقد أطلعني الله عليها.

وسمعته يقول: وعزة الرب المعبود، أنا حبيب الله، من أحبَّني أحبَّ الله، ومن والاني والى الله.

وسمعته يقول في المشهد: أردت أن أقوم في هذه الجمعة من مكانٍ إلى مكانٍ، فوجدت في أعضائي فتورًا وضعفًا، فقلت في قلبي وخاطري: لم أصل إلى سن الشيخوخة وعمري كذا وكذا سنة، لم يحضرني الآن ما ذكر سنه إذ ذاك، قال: فقيل لي: بل سنك أحد وسبعون سنة؛ لأنا وهبناك وأنت ابن ثلاث عشر سنة ما لا نهبه غيرك إلا في سن الأربعين.

وسمعته يقول: قيل لي غير ما مرةٍ: أودعتك السر الذي ما ناله أحدٌ سواك، ولا سواك يناله.

وكنت مرة في المقام الشريف ليلة المشهد قاصدًا صبيحة التوجُّه في الركاب الشريف، فلما كان الصبح قال سيدي للعبد: رح إلى المدينة، وقلْ للجماعة إذا انقضت الوظيفة يتوجَّهوا إلى حال سبيلهم؛ فإن في بشيرتي شيئًا يتعين عدم الحضور بسببه،

فتوجَّه العبد لامتثال المرسوم الشريف، فحين انقضاء الوظيفة، وعزم أكثر الجماعة، جلس العبد على باب سيدي، وإذا به قد ظهر وعبر إلى الجامع، وعمل مشهدًا مشهودًا، ثم قال فيه: كنت عزمت على ألا أجئ، فسمعت من لا يسعني مخالفته يقول لي:

مَـــتِّعْ القَلْـــب بِـــوَجْدِ متعِـــي وكـــرِّر القَـــوْل بِـــهِ مـــسْمَعِي

وأخبرني شخصٌ من الجماعة أنه كان يومًا من أيام المشاهد عزم على تبطيله، وتوجَّه إلى القرافة، فحين وصوله إلى المكان المُسمى بالتبانة، سمع قارئًا يقرأ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاغُ﴾ [الشورى: 48]، [فسار] بفرسه إلى المدينة، وعمل المشهد.

وقال لي مرة وأنا في ركابه: نفسي ما تميل إلى شيءٍ؛ لأنها قد وجدت كل شيءٍ، وقد كشفت كل شيءٍ، ولولا أن ثَمَّ أمور لا بُدَّ من بثِّها وإظهارها فارقت هذا العالم من زمانٍ.

وسمعته يقول في المشهد: الساعة يقول القائل ماذا يعمل هذا الربع قدح، ثم قال: هذا الربع قدح يكال به عوالم السموات والأرض.

وسمعته ينشد من كلامه الشريف في المشهد الشريف: ما عبد لَه بك عزٌّ، فكيف لا يتحاشى ما أثم، قال: نعم يتحاشى على عوالم السموات والأرض.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف: كنت ليلةً بسطح بيت ابن زنبور بالروضة، وإذا بشختور أتى إلى تحت البيت، وفيه جماعة يتعاطون نوعًا من المنكرات، فهممت أن أدعو عليهم، فسمعت يُقال لي: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [الإنسان: 28، 29].

وسمعته يقول: حصل لي مرة توعك، فصنعوا إلَيَّ العائلة دواءً لأشربه، ثم قالوا: يا سيدي، نجعله في طاس أم زبدية؟ فتذكرت قول سيدي: (واسقني بالطاس) فقلت: اسقني بالطاس، فحصل الشفاء في الحال.

وسمعته أيضًا يقول في توعكٍ حصل لَه: طلبت شيئًا أمسح فيه يدي، فقالوا لِي: منشفًا؟ قلت: نعم، نأخذ من شفا فحصل الشفاء.

وسمعته يقول في المشهد: حصل لي في بعض هذه الأيام وارد قبض، فأتى إلى ولدي كذا يسمي سيدي أبو الوفا فصفق بيديه وقال: سيدنا معنا ما يضيعنا، فحصل

البسط في الوقت.

وسمعته يقول في المشهد: أنا لم يجعلني الله إلا مبسوطًا، وإذا حصل وارد من واردات الجلالة إنما هو تحمل عن الخلق.

وكنت مرة ساعيًا في ركابه الشريف في مشهدٍ في آخر الليل، فنحن في قناطر السباع، وإذا بشخصٍ مرَّ بنا، وقال: الله يجعلك في حب الطائفين بالكعبة، فقال سيدي للعبد: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29]، الصدِّيق يُسمَّى عتيق.

وأخبرني الأخ أبو فاكه قال: قال لي سيدي يومًا: كانت أيام التجريد أيام طيبة، كنت أطلع إلى القرافة فأرى الدينودي، والإمام الشافعي واقفين لانتظاري في المكان الفلاني، كلٌّ منهم لابسٌ كذا، وصفته كذا، ويمشون معي إلى أن أصل إلى المقام الشريف، أقاما على ذلك مدةً من الزمان.

قلت: ومثل ذلك ما أخبر به الأخ العزيز أبو سالم، قال: كنت مرة جالسًا في المشهد، وبإزائي شخصٌ لا أعرفه، فلما انقضى المشهد قال لي سيدي: مَن كان جالسًا بإزائك؟ قلت: سيدي، رجلٌ أشقر اللون لا أعرفه، فقال سيدي: ذاك البيضاوي، جاء ليأخذ نصيبه من هذه الحضرة.

وكنت مرة في خدمة سيدي مع الجماعة نذكر وظيفة عصر الجمعة في القاعة الصغيرة التي بإزاء بيت سيدي بالروضة، فبعد انقضاء الوظيفة قال سيدي: كان رجل حاضر معكم في الوظيفة من رجال الغيب، رجلين اثنين وامرأة خلف هذا الحائط.

أخبرني سيدي الكبير رضي الله عنا به بعد انتقال سيدي علي رضي الله عنا به، قال: رأيت سيدي فيما يرى النائم، وأنا أتكلم في شيءٍ من هذه الواردات الشريفة، فقال سيدي: يا سعادة من حصل على شيءٍ من هذه المشاهد الشريفة ولو كلمة واحدة، قال سيدي فتألمت على الجماعة الذين ما يستعدوا لتنزل المشهد، قلت: الحمد لله الذي مَنَّ علينا بنزل المشهد الشريف الفتحي.

وأسمعنا من لسان سيدي أبي الفتح ما أشهدنا سر الواحد في جميع المشاهد.

وكنت يومًا في خدمة سيدي الكبير بجامع الأزهر؛ لانتظار الصلاة على جنازةٍ، وكان شخصٌ يلقي درسًا، يُقال لَه: التلواني، فدعا سيدي العبد للحضور بين يديه الكريمة، وقال له: اسمع ما يقول هذا، ثم قال:

طَوَيْت عَوَالِمِي فِي طَيِّ عِلْمِي وَلَكِنِّي سَأَنْشرُ مَا طَوِيْت

فلم يظهر للعبد نتيجة ذلك إلا في المشهد الشريف الفتحي.

قلت: ووقع الإشارة إليه بأمورٍ سمعتها وشهدتها.

فمنها: إن سيدي رضي الله عنا به قدمه إمامًا، ثم خطبنا، ورأيت بالخط الشريف في إجازةٍ لَه، وقد أجزت لَه خصوصًا، ولأخوته عمومًا، ودعا لَه فيها بما مثاله، أقر الله به عيني، وبلغني عنه ما يكمل به بهجتي وزيِّني.

ومنها: إن سيدي الكبير رضي الله عنا به عند انتقاله خصَّه بخصوصيات تدل على وحدته بهذا الشأن، من ذلك أن قال: كلما أنا قائمٌ به سيدي أبو الفتح قائمٌ به.

ومنها: إنه خصَّه بجميع كلام سيدي وكتبه، وارداته الشريفة.

ومنها: حصول مفاتيح الحضرة الشريفة لَه من غير تعنٍ على ما بلغني.

ومنها: أن قال للجماعة مشيرًا إليه: اخدموه تنتفعوا، وستروا ما أقول لكم فيه عن قريبٍ.

إلى غير ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

أخبرني بعض الجماعة أن سيدي علي قال عنه: إنه مخلوعٌ، فما رآه أحدٌ إلا وانبسط.

وأخبرني بعض الجماعة أن سيدي الكبير قال: ما تزوجت النساء إلا لأجله، ما شئت قل فيه، فأنت مصدقٌ، فالحب يقضي والمحاسن تشهد.

أخبرني سيدي الكبير رضي الله عنا به أنه رأى سيدي فيما يرى النائم، ثم قال: وكأنما يذكر في وظيفة الصبح إلى [.....(1)] يا الله، يا نور، يا حق، يا مبين، فصرت أكرّر: يا حق يا مبين، يا حق يا مبين، فاستيقظت وأنا معانق سيدي، فقال لي: هذا سر التوحيد.

وأخبرني وأنا ساعٍ في ركابه أيضًا قال: رأيت سيدي فقلت:

وَأَيْنَمَا كُنْت كَانَ قَلْبِي وَأَيْنَمَا سِرْتَ فَهُوَ سَارِي

فقال سيدي:

---

(1) بياض بالأصل.

وَأَيْــنَمَا كُــنْتَ كَــانَ قَلْبِــي وَأَيْــنَمَا سِــرْتَ فَهُــوَ سَــارِي

قلت: هذا أيضًا مما يدل على الوحدة، والعدول عن الثنوية.

سمعت سيدي أبا الفتح رضي الله عنا به يقول أنه دخل على سيدي الكبير قريب الانتقال، فوجده على صورة سيدي علي، فقال لَه: رؤياي رؤياه، رأيت بخط سيدي الأخ أبي الطيب المصري، قدَّس الله سرَّه العزيز ما مثاله.

كنت مرة في خدمة سيدي رضي الله عنا به، فتكلم في واردٍ شريفٍ في خصوصية أهل هذا البيت الشريف، ثم قال: نحن شجرة، الذي دخل في ظلها فقد دخل في ظلِّ الله.

وقال مرة سيدي الكبير: كنت أكتب مرة في واردٍ مضمونه: إن أحدًا لا يحصل لَه نفوذ إلا بمظهرٍ من المظاهر، فقلت في خاطري: لو طلب دليل على ذلك ما الذي يكون جوابه، وذلك أن الأعمى لا يمشي إلا بدليلٍ، والبصير لا يحتاج إلى ذلك، وكان بإزاء فسحة الديوان الشريف، ففتحه تفاؤلاً، فكان أول ما وقع النظر عليه قوله: وبعد فإني طيب كل طيبٍ.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُّرْشِداً﴾ [الكهف: 17]، مفهومه: ومن يهد تجد لَه وليًّا مرشدًا.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول: وعزة الرب المعبود ما همَّت نفسي بفاحشةٍ، ولا فعلتها قط.

قلت: الفاحشة ما تصدر إلا ممن هو في صورة البشرية، وأما ساداتنا رضي الله عنا بهم مقدَّسون عن صفات الأبشار، ولم يرهم في صورة بشر إلا من هو بشرٌ.

وأخبرني بعض الجماعة أنه سمع أبا حفص الزيلعي قدَّس الله سرَّه العزيز يقول: دخلت على سيدي رضي الله عنا به وهو متوعك، فقلت: ما حال سيدي رضي الله عنا به؟ فقال رضي الله عنا به: تطول الليالي والجفون قصيرة.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف: رأيت مرة أنني بالمدينة الشريفة، وكان الخلق قد حصل لهم عطشٌ شديدٌ، وهم يستغيثون فلم يُغاثوا، وكلما راموا القرب من الحجرة الشريفة يجدوا سياجًا يمنعهم، فلما جئت انخرق السياج، وفُتح الباب، فقلت:

اســــقِي العطَـــاش تكـــرُّمًا فَالعَقْـــلُ طَـــاشَ مِـــن الظَّمَـــأ

فانفرجت عنهم.

وأخبرني سيدي الكبير أن أبا حفص الزيلعي، قدَّس الله سرَّه العزيز، كان يأخذ سيدي وسيدي إلى حانوت الشهود، التي هو جالسٌ بها، وكان الحانوت إذ ذاك برحبة مكان العيد، مكان المدرسة الجمالية، فحصل عندي يومًا من الأيام وارد جلال، كون نحن جالسين في الأسواق، فنمت وأنا جالسٌ، فرأيت النبي ﷺ فقال لي: «أي مكانٍ جلستما فيه يصير بيتًا من بيوت الله»، فلم أذكر هذه الرؤيا من نحو الأربعين سنة إلا حين عمرت مدرسة، قال سيدي: فلما استيقظت قال لي سيدي: إن وعد الله.

أخبرني الأخ أبو الريان أنه كان مرة في خدمة سيدي في المعدية، فحين وصول المعدية إلى ساحل مصر رأينا مراكبًا مرسية، تحول بيننا وبين البر، فوفق الله شخصًا لسعادته، فقام وفسح المراكب، وبسط طريقًا لدخول المعدية التي شُرّفت بسيدي، فقال سيدي: هذا حصل لَه بهذه الفعلة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وكان العبد مرة في ركاب سيدي الكبير في يوم الخميس؛ للتوجُّه إلى المقام الشريف، وذلك [في الشتاء] فلما كان عند مدرسة السلطان حسن أراد سيدي تجديد وضوء، فقال سيدي: انظر من تجد عنده إبريق من أهل هذا السوق، يعني القبو، واملأ لي ما من الحمام، وائتني به في الميضأة التي في السوق في القبو، فدخل العبد الحمام التي بالقرب من السوق، وهمَّ أن يملأ الإبريق من حوضٍ، فوجد عليه جنديًّا من ذوي النفوس الخبيثة، فنهر العبد وسبَّه، ومنعه أن يملأ من الحوض، وما اكتفى بذلك حتى ملأ طاسة وطرش العبد بها، فلبست العبد لباسًا، فملأت الإبريق من حوضٍ آخر وأتيت إلى سيدي به، فتوضأ وركب، وسرت في خدمته، فنظرت إلى ما عليَّ من الثياب؛ لكي أعصر البلل الذي أصابني، فلم أجد في أثوابي قطرة أصلاً، فلما كان في يوم الخميس الآخر، والعبد في ركاب سيدي، قال: انظر سِعة الكرم، كون الإنسان يحصل له الخير من حيث لا يشعر، وذكر صاحب الإبريق، ثم قال: وصاحب الحمام أيضًا، كم من شخصٍ يملأ منه من أباريق وجرر، فحصل لَه حظٌّ وافرٌ بالإبريق الذي ملأ به لنا، فقال لَه العبد: يا سيدي، اتفق إلى إخراق عادة ذلك اليوم، وذكرت له فعلة الجندي، وكبّه

الماء على أثوابي، وعدم التأثير، والسلامة من شر الجندي، فقال سيدي: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

أخبرني أبو البقاء قال: كنت مع سيدي يومًا وهو قاصدٌ إلى بيت أكمل الدين، شيخ الخانقاة الشيخونية، وكان في ضعفه الذي مات فيه، فلما وصلنا استأذن سيدي في الدخول، فقال خادمه: إن الشيخ في حال الاحتضار، لم يعي لأحدٍ، وله نحو ثلاثة أيام في النزع، قال: فدخل سيدي إليه، فحين رآه تزحزح لَه، وكلَّمه كلامًا فصيحًا، فقلت في خاطري: كيف يقول الخادم خلاف الواقع، قال المخبر: فسمعته يقول لسيدي: يا سيدي كانت الجماعة عندي، وأشار إلى الملائكة الموكّلين بالمحتضر، فسمعتهم يقولون: تمهلوا حتى يقضي سيدي شغله، قال: فقال سيدي: قد أدَّينا ما علينا، وغدًا إن شاء الله تكون نوبة يونس الدوادار والأمراء، ثم انصرف من عنده، فلم يصل سيدي إلى ظاهر الباب حتى خرج الخادم، وقال: يعيش سيدي ويبقى في الشيخ رحمه الله تعالى.

أخبرني بعض الجماعة عن الأخ أبي خالص، المعروف بابن نجوم، وكان لَه صوتٌ حسنٌ، وكان يعمل في بعض الأحيان السماع في خدمة سيدي، فحصل لَه منه هفوة في حين تقتضي التربية والتأديب، فقال لَه سيدي: اخرج من هذه البلد في هذه الليلة، قال: فخرجت هائمًا على وجهي؛ قاصدًا إلى البلاد الشامية، ولم يكن معي ما أستعين به على النفقة، فجئت إلى سرياقوس فقرأت عشرًا وقصيدًا فجبوا إلَيَّ شيئًا قليلاً، فأخذته وقلت في نفسي: أي بلدةٍ مررت بها أفعل ذلك، فلما وصلت إلى غزة، سعيت في دروبها وأزقتها، فرأيت في بعض الأماكن شخصًا مديونًا في صورة مجنون، والناس يسبونه ويهينونه، والصغار ترجمه بالأحجار، فاختلج في خاطري أنه من ذوي الحالات، وأن للبله إصابات، فنظرت فوقفت أنظر إليه، فلما أحسَّ بي قام يمشي، فقفوت أثره وهو سائرٌ إلى أن جاء إلى محل مكان ليس فيه أحدٌ، فالتفت إلَيَّ وقال: يا علي تغضب سيدي، قال: فبكيت، فقال: هو كريمٌ يردّك، فسرت إلى الشام على تلك الحالة، فدخلت الحمام يومًا فتذكرت بيت سيدي فبكيت وأنشدت:

مَهْمَا أَرَدتم فَافْعَلُوا والله مَا عَنْكُمْ سَلُو

قال: فعند ذلك قلب الله قلبي إلى العود، فتوجَّهت إلى الديار المصرية، فحين وصولي غزة رأيت ذلك الشخص المجذوب الذي اتفق لي معه ما اتفق، فقال لي: يا

علي حصل الرِّضا، ووجب الشكران والشُّكر، ثم قال لي: تدري ما السبب؟ قلت: لا، قال: عمل ساعٍ في حضرة سيدي، فقال سيدي الكبير لسيدي علي: يا سيدي لو كان أبو خالص هنا طيب الجماعة، فكانت شفاعة منه، ثم قال لي المجذوب: إذا وصلت إلى المدينة رح إلى سيدي الكبير، وكما كان شفيعًا لك أولاً يكون ثانيًا آخرًا، ففعلت ذلك وجئت إلى سيدي الكبير، فركب معي فضلاً منه وإحسانًا إلى خدمة سيدي علي بالمقام الشريف، وحصل الرِّضا، وقال: فوق الرضا.

وقال لي الأخ أبو سالم أن سيدي قال يومًا وقد أدّبه: كل واحدٍ منكم عندي أعز وأغلى من الجوهر عند عارفه، وإنما التربية تقتضي التأديب، كما أن الوالد إذا أدب ولده يضرب، أو غيره يثقل عليه ذلك، فيتحمل المشقة لمصلحةٍ يعود نفعها على الولد.

أخبرني بعض الجماعة أن أبا الفضل الفرات تضارب مع شخصٍ من الجماعة، فنهره سيدي، وقال: وهل في الوجود مثل ابن الفرات، كون عينه رأت سيدي رضي الله عنا به.

وسمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد: لو استقمتم ملأتكم جواهر، ولو خفيتم حملتكم على ظهري كتفي.

وأخبرني الأخ أبو الفضل بن الفرات أن زين الدين بن المواز عند انتقاله كان سيدي جالسًا عند رأسه، قال: سمعته يقول: يا سيدي بدستورك أقوم أو أرحل، فقال لَه سيدي: بسم الله، فطلعت روحه في الوقت، قدَّس الله سرَّه العزيز.

وأُخبرت أن أبا حفص الزيلعي قدَّس الله روحه، كان مرة في خدمة سيدي الكبير رضي الله عنا به، فظهر طبق العجين، فحمله أبو حفص المذكور إلى الفرن، وتركه وعاد إلى خدمة سيدي، فقال لَه: امضِ إلى الفرن، واقعد فيه، قال: فجاء إلى الفرن وضمَّ أثوابه، وهمَّ بالعبور إلى بيت النار، فمسكه وقال: ما الذي تريد تفعل؟ فقال: أستاذي أمرني أن أقعد في الفرن، فقال: ما أراد إلا أنك تجلس إلى أن تخبز الخبز، فقال: لا بُدَّ من الدخول وامتثال الأمر، فاحتملوه جماعة وأتوا به إلى سيدي، وحكوا لَه ما اتفق، فقال سيدي: لو دخل الفرن لكان عليه بردًا وسلامًا.

وأخبرني الأخ أبو الطيب بن المصري أن أبا النور الدماميني أخبره أنه حصل لَه قبض شديد، وضيق صدر، وكان مقيمًا بالناصرية، فقال: ما يزيل هذا إلا رؤية سيدي،

فتوجَّه إلى بيت سيدي بالكافور، فحين وصوله ظهر سيدي لَه من غير أن يستأذن عليه، فجلست بين يديه، فتكلَّم سيدي في واردٍ وأنا ساكتٌ، فصار الذي كان عندي من القبض كأنما هي عقدٌ تنحل واحدةً بعد واحدةٍ، إلى أن زال جميع ما أجده، وكأنما كانت ثوبًا نزعته، فعند ذلك قال سيدي: السلام عليكم، وظهر إلى البيت، وقمت من بين يديه في غاية السرور.

قلت: وأبو النور هذا كان شديد الإنكار على بيت سيدي، فحفَّته العناية، وأراد الله به خيرًا برؤيا أراها الله لَه، وصورتها أنه رأى أن القيامة قد قامت، وأُمر به إلى النار، فقال: فبِمَ استوجبت هذا، فقيل: باعتراضك على وليّنا فلان، فأتى مستغفرًا، وانتظم في سلك الغلمان، وامتدح سيدي بقصيدةٍ فائيةٍ بديعةٍ، فبلغني أن سيدي لما وقف عليها قال له: كل بيتٍ محا عنك ما اقترفته في سنةٍ، فعدَّ أبياتها فوجدها مطابقة لعدد سنة بأمورٍ اتفاقية ورحمة من سيدي، وما اتفق لَه أنه أرسل من الثغر السكندري عبودية تتضمَّن استمراره على العبودية، وضمنها يسأل عن سؤالات استشكلها، كأنها والله أعلم من كلام القوم، فأجابه سيدي عن ذلك ضمن مشرفة من خدمته، وكشف لَه عن وجه الإشكال، وقال في آخر المشرفة: واعلم يا فقيه أن النور بأرضنا متقصفٌ، ووظيفتنا الفناء في الله، والسلام.

قلت: وكان بالثغر شخصٌ من أصحابنا، لَه نظمٌ مليحٌ بديعٌ، فقال: ينبغي هذه السجعة أن أجعلها في استهلال قصيدة، فنظم قصيدة نبوية مطلعها:

إن النور بأرضنا [........] يذل القصير، إلى أن قال في الملخص: فُتقت نوافح ذكرهم فتمسَّكوا بالمصطفى وتطيبوا وتعطروا، وختمها وأنشد للأخ أبي التداني بحضرة أبي النور المذكور، فقال لَه: بقي عليك أن تنظم قول سيدي: (ووظيفتنا الفناء في الله) فقال الناظم المذكور: هذه جعلتها على أبي التداني، فنظمها أبو التداني مواليه: يا من تجرد، وجمعوا ظهر الجملة، أنت الذي حولك أن تحتسب بالله، أعرض عن النحو، واترك أحرف العلة، واجعل وظيفتك ما عشت الفناء في الله.

وقد أخبرني أبو النور أنه سأل سيدي عن الشيخ محيي الدين بن العربي أنه خلط علوم التحقيق بالفلسفة فتشاكل الأمر، قال: وقد بلغني عن جماعةٍ سألوا سيدي عن ابن عربي، فأجاب كلاً منهم بجوابٍ على ما يقتضيه حاله، فمنهم من قال: إنه عارفٌ بالله.

أخبرني أبو الفضل بن الفرات أنه سمع سيدي الكبير رضي الله عنا به يقول: ابن عربي وابن سبعين ملكا الطريق معًا إلى فلكٍ يُقال لَه: الفلك المحدب، ورجعا منه ولم ينفذا عنه.

أخبرني أبو المشاهد أنه سمع سيدي يقول: ابن عربي كان يعرف طريق الجان معرفة جيدة، فإذا أتى الجان سكر من قبل أن يدخل، فتصدَّر منه هذه الأمور التي يقع الإنكار عليه بسببها.

قلت: وكنت مرة بخدمة سيدي بالروضة في يوم جمعة والجماعة وممن كان حاضرًا القاضي فخر الدين القاياتي، فأنشد منشدًا قصيدة لابن عربي، فيها أمورٌ تشكل على الفقيه، فقال سيدي: لمن هذه القصيدة؟ فقال: لابن عربي، فقال لَه: قم واستغفر الله.

قلت: انظر ما أبدع هذه الحكمة، فإنه أرضى الفقيه ولا حرج في الاستغفار.

كنت مرة في خدمته فحصل مباسطة، فقال لي: إن شئت إلى الإسكندرية أجد مكانًا أسكن فيه، فقلت: يا سيدي الوجود وما حوى ملكًا لسيدي، فقال: جاء في الوصايا الشريفة ألا تخرج أولادي من هذه البلدة؛ لأن مدار الحكم عليها.

سمعت سيدي يقول في بعض المشاهد: إن شخصًا أنشد في حضرة سيدي الكبير قصيدة نازلة في النظم، مشتملة على بعدٍ وجفا، فقال لَه بعض الجماعة: ليس هذا مشروب الجماعة، قال: فسكت وخجل واستحيى، فتعطف سيدي عليه وتكرَّم، ثم قال: ما الذي قال لك هذا القائل؟ فقال: يا سيدي، (ليس هذا مشروب الجماعة)، فقال: سيدي قل: فإن هذا مشروبي أنا.

قلت: والقصيدة المذكورة في أمراء الإسكندرية تستدعي زيادة بيان، فإني سمعت سيدي يقول: نحن قوم إسكندرانيون، وكفاها شرفًا أن المولد الشريف كان بها سنة اثنين وسبعمائة.

سمعت أبا اليمن بن ذنكر يحكي للجماعة بالإسكندرية لما حبسه الملك الظاهر بها، أنه سمع سيدي يقول: إن غلام هذا البيت لا بُدَّ لَه من الخلاص، إما في أول الأمر أو آخره، وإن فاته ذلك جميعه فيتخلص، ولو على المغتسل.

قلت: رأيت ما يؤيد ذلك، ويصحح هذه المقولة، وهو أن الأخ أبو سالم قدَّس الله

سرّه العزيز، لما انتقل وغُسِّل وأُدرج في الكفن، قال الغاسل: من يحاسبنا عنه؟ فسمع سيدي الكبير ذلك، فقال: هذا تحمل بحساب غيره.

سمعت سيدي يقول في المشهد الشريف: كان يُقال: في الحضرة الشريفة مَن دخل في شبكتنا ما له منها خلاص، مثال ذلك أن الصياد إذا نصب شركًا للغزال فوصل فالغيرة في حقه أن يصير إلى أن يخلصه صياده، وإن رام التخلص بنفسه ربما اشتدَّ عليه الخناق، أو كسرت رجله، ومع ذلك ليس لَه منها خلاص.

وسمعته يقول: كان يُقال في الحضرة الشريفة غير ما مرَّ مشيرًا إلى الجماعة: لو علم الله أن في الوجود خيرًا منكم أتانا به، طلعت يوم جمعة إلى خدمة سيدي بالمقام الشريف، وكان إذ ذاك تزايد، وكذا سمَّاه أبو الحسن، فأنشدني من الشريف مواليه:

يَـا سَـيِّد الـشَّاذِلِيَّة شُـرِّفَتْ طَلْعَـتك   ولاحَ نُـورُ الـولاَيَا مِـنْ سَـنَا خَلْعَـتِك

وَافَيْتَنَا يَا وَفَى بالجمْعِ يَوْم جمعتك   والحمدُ لله عَلَيَّ يَا أَبُو الحسن رجعتك

قال لي سيدي يومًا: خدمت بيت سيدي وحدانية ما تحتمل الشركة، وسمعته يحكي في المشهد الشريف حكاية وقعت في زمن سيدي الكبير رضي الله عنا به، وهي أن شخصًا يُعرف بالبلقيني، لم أستحضره، وكأنه كان لَه إلمام بجماعة الشيخ العجمي، اجتمع به سيدي الكبير رضي الله عنا به، فاستأذنه في الحزب الشريف، فقال: أخشى عليك من أن تُبنى لك زاوية في بلقس، وتُجعل شيخًا، فتشرك حزبنا بوظيفة العجمي، فتحصل الغيرة، فقال ما معناه: لا يمكن ذلك، فاتفق جميع ما قال لَه سيدي من بناء الزاوية والمشيخة ببلقس، فتقدم بعض الجماعة كأنه والله أعلم ابن المِوان، يعلمه بحلول ركاب سيدي؛ ليبادر للعبودية، فلم يبتهل بذلك، وحجه الركون إلى الرئاسة، قال: فلم يمضِ عليه أسبوعٌ إلا وقد تخرطت مصارينه فيه ووقعت، ثم إن العبد كان يومًا ساعٍ في الركاب الشريف، فذكر سيدي هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال: إن يشأ الله كان هلاكه ظاهرًا فقط.

قلت: الحمد لله الذي عافانا من بلاء المشركين، وجعلنا لَه موحدين، والله ما نعرف سوى سيدي.

سمعت أبا القوت يحكي أن شخصًا رأى في المنام أن عبد سيدي المُسمَّى بالحاج سعيد الماوردي بعد انتقاله، فسأله عن حاله، فقال لَه: لما أتاني الملكان، رأيت سيدي

علي، فقال لهما: أما تعلما أن هذا من جماعتنا، قالا: نعم، قال: فما الذي يكون في المرأة التي قتلها بالصعيد، قال: والأخرى تُترك من أجلنا، فانصرفا عني بخيرٍ.

قلت: وقد اتفق في قضية تقرب من هذه، هي أنه كان لي صاحب متصوف يُشهر بابن الزيات، وكان يحضر المشاهد الشريفة، فنمت وسط النهار بالمقام الشريف، فرأيته في المنام وكان قد انتقل، وكأني أسأله عن حاله، فقال لي: سيدي علي خلصني، وهو أنه حين وُضعت في اللحد جاء، وجلس على صدري، وما برح من عندي حتى فتح لي طاقة من الجنة، واستيقظت.

وكنت مرة في خدمة سيدي متوجهًا إلى المقام الشريف من طريق مصر، فحين أشرفنا على الحدرة التي تشرف على الحضرة الشريفة، قال سيدي للعبد: لما حججنا جئنا إلى مكانٍ، فقال لي بعض من كان في الخدمة: يا سيدي هذا المكان يُسمَّى: المفرح، فقلت له: لماذا؟ قال: لأنه يُرى منه المآذن، فقلت لَه: كيف لو رأوا المؤذنين، أم كيف لو رأوا من تكبره المؤذنون.

وأخبرني الأخ أبو حامد الماسي قدَّس الله سرَّه العزيز، قال: كنت في خدمة سيدي في التوجُّه إلى الحجاز الشريف، قال: فعند أول رحله تعوق الركب عن الشيل إلى أن ركب سيدي لأمرٍ أراده الله تعالى، فقال سيدي: نحن نعوق الناس، سر بنا على انفرادنا، فقلت لَه: يا سيدي والجبال حولنا؟ فقال: يعين الله، قال: فسرنا من جبالٍ وأوديةٍ منفردين، فرأيت آيات بيِّنات.

منها: إنني رأيت الحبالصة يتخارطون من الجبال قاصديننا، فحين وصلوا إلينا يتأدبوا، ويسألوا سيدي الدعاء.

ومنها: إنني كنت راكبًا على جملٍ، فأدركه الإعياء، وعجز عن الحركة، وأسبل عنقه، وبقي في حيز الأموات، قال: فتحيرت في أمري، ولم أدرِ ما الحيلة، فإنني ما لي قدرة على المشي، ولا أجد ما أكتريه، فقال لي سيدي: ما بالك؟ فذكرت لَه ما اتفق، قال: فقال لي: ضعْ المحمل الذي أنا راكبٌ عليه على جملك، قال: فقلت: هذا ميتٌ لا محالة، قال: افعل ما أمرتك، قال: فحملته حمل سيدي وركب عليه، فسار نشيطًا، واستمرَّ راكبًا إلى مكة المشرفة، فأردت بيعه وشراء غيره، فلم يتهيأ لي ذلك، فرجع معنا إلى مصر، فحين وصوله إلى باب النصر، وقع ميتًا، فعلمت أنه محيي الموتى، أبقاه

للخدمة.

وأخبرني أبو منعم الوراق، رحمه الله تعالى، أنه كان في تلك السنة بالحجاز الشريف، وإن سيدي لم يأكل في تلك الحجة إلا ثلاث أكلات، أكلة بمكة: موزة وشقة بطيخ لا أكثر.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد الشريف: كنت يومًا بالمقام الشريف، وإنسان بالباب، يقول: أنا كسير، أنا كسير، فسمعته يقول: الكسر من لوازم هذا الباب.

أخبرني بعض الجماعة أنه سمع سيدي رضي الله عنا به يقول: لو ضاعت شاة بالمشرق أو بالمغرب كان عليَّ ردُّها.

أخبرني سيدي الكبير رضي الله عنا به أن شخصًا كان شديد الإنكار على بيت سيدي، فمررنا يومًا بعد المشهد، فوجدناه عند الشد، فلم يسلم علينا، فنحن ثاني يوم بالبيت، فإذا به قد جاء مستغفرًا تائبًا، وذكر أنه رأى في النوم كأن القيامة قد قامت، ورأى الجماعة غلمان بيت سيدي، وقائلاً يقول: هذه الفرقة الناجية، فأنبهته وانتبه.

وأخبرني بعض الجماعة أنه حضر يومًا ميعاد الشيخ سراج الدين البلقيني، فحصل للشيخ عبرة، ثم قال لمن حضر: تدرون ممن أبكي؟ قالوا: لا، قال: للحديث الوارد: «**وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة: فرقة ناجية، واثنين وسبعين في النَّار**[1]»، فبكائي ما أدري من أي الفرق أنا.

قال المخبر: فذكرت ذلك لسيدي رضي الله عنا به فقال: الحمد لله الذي عرفنا من أي الفرق نحن.

أخبرني الأخ أبو المشاهد أنه تزايد النيل في سنةٍ من السنين زيادة مفرطة، وثبت إلى أن خاف الناس فوات الزرع، وتضرروا من ذلك، قال: فوقف سيدي على السلم الذي بالقيطون، ورجليه الكريمتين في الماء، ثم قال مخاطبًا للنيل: ما بالك تشوش على الخلق، أتحب أن أرتحل عنك، فأقسم أبو المشاهد أنه نزل من حينه عن أقدام سيدي، ولم يتأخر.

كنت يومًا في بعض الأيام من الجمع في بيت سيدي بالروضة عند غروب الشمس،

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (227/3) بنحوه.

وسيدي يلقي واردات شريفة، ثم قال: حانت الشمس، فاستغرب الجماعة هذه العبارة، فلم يجيبوا بشيءٍ، فقال سيدي: لم نقل: غربت الشمس، فإن شمسنا لم تغرب.

سمعت أبا الغنايم يقول في قول الأستاذ عبد القادر الجيلاني قدَّس الله سرَّه العزيز:

أَفَلَتْ شموسُ الأولين وشَمْسُنَا أبدًا عَلَى أَعْلَى العُلاَ لا تغرب

قال: الذي أراه أنه أراد بهذا الكلام هذه الحضرة الشريفة، فإنه شمسهم، وهذا ملمح حسن.

سمعت سيدي يقول في بعض المشاهد: قال الأستاذ عبد القادر الكيلاني: الإمام العالم الربَّاني، نعته بهذا الوصف.

وفي مشهدٍ آخر سمعته يقول: الأستاذ عبد القادر أشرق فيه راسمه، فلذلك صار لَه اقتدار على خرق العادات، وعلى كلٍّ تقدير الكل: يا حسبي جنود وأنت سلطان الجنود.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول: من مشهدك يأتيك روح مددك، وعليَّ قد يغنيك تظفر بتمكينك.

لما انتقل سيدي رضي الله عنا به، ووُضع في المضجع الكريم بالمقام الشريف، قال سيدي الكبير رضي الله عنا به لجميع من حضر المشاهد: يعلم الغائب شاهد الإدراك وشاهد الخبر، إنكم لا تضيعونا يضيعكم الله، وأستاذنا ما مات، ولكن كما قيل: ما غاب ساقينا، ولكن ربما حجبت أشعتها صدى الأكوان.

أخبرني أبو العطاء أنه كان مرة في خدمة سيدي الكبير رضي الله عنا به يقول: فقال لَه في ضمن وارده: لا بُدَّ أن تموتوا قبل، ثم لا تموتوا بعد ذلك أبدًا، قال: فقلت في خاطري: كيف وفلان مات؟ وأشرت إلى مظهر أنك ظاهر الشريفة، فقال لي سيدي من قبل أن أتلفظ بشيءٍ: تلك حياة، تلك حياة، تلك حياة، قد مرت قصيدة لخدمة سيدي شرفت بمديحه، وكُتبت على استهلالها: الحمد لله المنعم المتفضل، فقال لي: جوابك هذا ما قلته أولاً، الحمد لله المحسن المتفضل.

وقدمت لَه مرة زجلاً، فقال لي: حصل لك شيء بالكيل الوافي، وقدمت أيضًا زجلاً، فقال: هذا زجل التسبيح والحمد، وأرسلني مرة من المدينة إلى مصر بحاجةٍ، وكان الوقت بعد العصر، فرحت وعدت بسرعة، فقال لي: أشرق فيك سر قوله:

﴿جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ [فاطر:1].

سمعت سيدي يقول في المشهد: لو قيل لنفس المريد: اقتلي أبغض الناس إليك، لبادرت إلى قتل الأستاذ، ولو قيل لقلبه: انظر أحب الناس إليك، لدخل تحت ذيل الأستاذ.

وسمعته يقول ما معناه: إن المؤمن لا نفس له بل كله يصير قلبًا، والكافر نفس كله.

قال لي سيدي يومًا وأنا ساعٍ في ركابه إلى المقام الشريف من جملة وارد، قال: لما يأتي وقت المحيا الشريف في كل عامٍ، فيكسى العائلة كسوة جديدة، ويقصد بذلك إمداد العالم في هذا الزمن الظاهر، ويُسمِّي كل منهم ما يختار لبسه، ويسأل الوالدة: ماذا تلبسي، فلم تخبر شيئًا، فأقول لها: لماذا تقول لي: أنا إن لبست جوخة مقطعة أنا أعرف إيش أنا.

وسمعت سيدي يقول في بعض المشاهد: كنت مرة مارًا في مكانٍ، فرأيت شخصًا يخاطب أخرًا، وهو يقول لَه: ترك الحراف عند أهل الحراف حراف، قال: فقلت في خاطري: هذا الأمر سارٍ في أهل الله؛ فإن ترك العلم عند أهل العلم علمٌ.

كنت مرة في خدمة سيدي فعاد شخصًا، كان سكنه قريبًا من الجامع الأزهر، فلما ظهر وركب، قال: أي مكانٍ نعود منه، فقلت لَه: المرسوم مرسوم سيدي، فقال: قل لي: من أي مكانٍ نعزم، فقلت لَه: من بين القصرين، وقصدت بذلك المرور بمجتمع الناس؛ رحمةً عليهم، فلما سار سيدي ذكر تحقيق ما ظهر لي، وقال: كان سيدي لما يركب يقول لَه بعض الجماعة: يا سيدي امضِ من هذا الموضع؛ لتحصل الرحمة لأهل السوق، ثم تلا سيدي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 20].

ثم قال هؤلاء: ليس لهم في الأسواق حاجة، وإنما هو رحمة منهم.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في بعض المشاهد: إذا أرادك قضى مرادك: أي أمات مرادك.

وسمعته يقول: كل مقامٍ بالنسبة إلى ما هو أرقى منه صراط في حقه، فالجنة الأولى صراط للجنة الثانية، ونحن صراطنا منسوبٌ إلى جنة الفردوس، فالساقط منه يحصل في جنة الفردوس توجيه سيدي، وسيدي مرَّ والجماعة في خدمتهما قاصدين التنزه في

جزيرة الصابوني، فقدم مركبًا تحمل الجماعة وما يحتاجونه، ومركبًا لسيدي وسيدي، وكان العبد في المركب الذي تشرف بخدمة سيدي وسيدي، فصار سيدي يباسط الجماعة بواردات شريفة، وممن كان في خدمة سيدي الشيخ شمس الدين القليوبي، فلما وصلنا إلى الآثار قال سيدي: ثَمَّ آثار، وثَمَّ عيون، وكان ممن هو جالس في خدمة سيدي الفقيه أبو الفتح القرافي، وكان وراءه أبو رضوان، فصار أبو الفتح ليتزحزح عن مكانه؛ ليرى وجه سيدي، فلم يلتفت إليه، فقال لَه بعنفٍ: ما تسمع من عمرة سيدي ولا من بكرة، فسمعه سيدي رضي الله عنا به فقال لَه: ما الذي يقول هذا؟ فقال لَه: أبو الفتح، كان أبو رضوان اغتاض، فقال سيدي: أصحابنا وجوههم قبلة، وظهورهم قبلة، ووجوههم قبلة لأهل الحضرة، وظهورهم قبلة لأهل الجنة.

ومما وقع من الواردات إذ ذاك، إذ قال: اجتمعت يومًا بالشيخ سراج الدين البلقيني فقال لي: كنت أعتقد الشيخ ولي الدين المولوي، والآن زال اعتقادي منه، فقلت لَه: ما السبب في شيءٍ ونقيضه؟ فقال لي: أما سبب الاعتقاد فضعفت مرة، وأيست من الحياة فعادني، فقال: فقلت لَه: ما بقيت أعيش، فقال: بل تعيش وتتولى قضاء دمشق، فكان كما قال.

ثم قال سيدي: انظر حال الفقهاء لما أعطاه هذا الفقير بلدًا اعتقده، ولما أراد أن ينتقد عليه بشيءٍ زال اعتقاده منه، قال سيدي: ثم قلت: وما السبب في عدم اعتقادك له؟ قال: اجتمعت به يومًا، فقال لي: رأيت النبي ﷺ قال لي كيت وكيت، قال سيدي رضي الله عنا به: فأردت أن أستر هذه الحالة، فقلت لَه: في النوم؟ قال: لا، سألته فقال لي: بل في اليقظة، فقال سيدي: ما يمكن أقول تصح رؤيته للخواص يقظةً، ثم قال سيدي رضي الله عنا به: قلت لَه: معجزة النبي ﷺ يصح أن تجري كرامةً في حق الولي؟ قال لي: نعم، فقلت لَه: فالنبي إذا نامت عيناه ما يكون مستيقظ القلب، قال: نعم، قلت: فلعل هذا الولي حصل لَه اليقظة القلبية بحسبه، فرأى فيها النبي ﷺ، ولم يقصد القلبية، فقال لي: والله صدقت، أشهد على أنني رجعت إلى حسن العقيدة فيه.

ولما وصلنا إلى الجزيرة، وجلس سيدي بها، كان أبو المشاهد استصحب معه عُودًا من أعواد الطرب [...] وحمله وأتى إلى خدمة سيدي، ووقف ينظر أن يؤذن لَه، فنظر إلى سيدي الشيخ شمس الدين القليوبي، وقال لَه: ما تقول في العود؟ فقال: أي عودٍ

يريد سيدي؟ فقال: هذه الآلة المشتملة على أوتارٍ مطربةٍ، فقال لَه: كل شيءٍ يستمع في حضرتكم جائز.

فقال لَه سيدي: بل ماذا تقول فيه الفقهاء؟ فقال: يا سيدي يقولون: إن سماع الأوتار حرامٌ، فقال سيدي: ونحن موافقوهم على ذلك، كما قال بعضهم:

مَا اسْتِمَاعِي مِنْ ضَربَات المثَانِي   بَلْ سَمَاعِي مِنْ وَارِدَات المعَانِي

وأشار سيدي إلى أبي المشاهد فعمل، وحصل بسط عظيم، وحضر ذلك اليوم شيء للأكل، فقال الشيخ شمس الدين القليوبي: طعام واحد كافي اثنين، فقال سيدي رضي الله عنا به: طعام الواحد كافي الخلق أجمعين.

كنت مرة سائرًا في ركاب سيدي الكبير، متوجهًا للمقام الشريف، فنحن عند باب الحزق، وإذا بإنسان متزي بزي الفقراء المتصوفة، وبيده سبحة طويلة، فإذا وأنا أعرفه، فلما رأى سيدي وجاء وسلم عليه، فلما فارقه قال سيدي: هذا سالك بغير مسلك، وليس لَه هادٍ يهديه إلى الطريق، وهو قائمٌ بنفسه، فقال العبد: والله يا سيدي من حين رأيت بيده السبحة نفر خاطري منه، فقال سيدي: بيده سبحة؟ قلت: نعم، قال: هذه سبحة الشيطان، فحين قال ذلك سيدي إذا إنسان يكلم إنسانًا ببُعد منادٍ، وكأنه كلمه كلامًا، فقال لَه: لأي شيءٍ؟ فقال سيدي: هذا لسان عيني، كأنه يطلب الجواب على ما قلنا، من كون هذه السبحة سبحة الشيطان، أقول لك هذا لما حمل السبحة، وأظهرها كان لسان حاله يقول لأي من رآه: أنا خيرٌ منك، كوني في ذِكرٍ وتسبيحٍ، وأنت بطال، وهذه كلمة إبليسية.

كنت مرة في ركاب سيدي علي بالقرافة، فقال لي شخص خمس قول سيدي:

أشرقت إشراق بدر حفَّه الشرف

فقلت لَه: أي شيءٍ يقول؟ فقال سيدي: أحد يقدر يخمس سورة الرحمن، فقلت: لا والله يا سيدي، قال: مهما أراد يقول، ولم يعين لي سيدي هذا الشخص من هو، فسرت بعد ذلك في ركاب سيدي الكبير، فذكرت لَه هذه القضية، فقال: هو عويس الشاعر، سمعت سيدي يقول في المشهد في قول الله تعالى إخبارًا عن السيد عيسى، وقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6]: أي أحمد مني.

ثم قال: إذا كان هذا اسمه أحمد، فماذا يكون عين مُسمَّاه؟ ثم قال سيدي: وفي سر

أحمد سرٌ غريبٌ؛ وهو أن الحاء يُستمد منه: نوح، والميم: إبراهيم، وموسى، وسليمان، والدال: آدم، وداود، فهؤلاء السبعة من أولي العزم الكرام، واثنان هو بحرف الألف، وهو حرفٌ لا يخرج لَه، فإنه إن كان أول الكلمة فما تنطق إلا بالهمزة، وإن كان في وسط الكلمة أو آخرها فبالحركة التي قبله.

أخبرني الأخ أبو فاكه أنه قال لسيدي: يا سيدي رأيت الفقراء المنسوبين إلى البيوت، إذا وقع من مريدهم هفوة أو خطأ يؤدبونه، إما بضربٍ، وإما بسفرٍ، وإما ببيع ما عليه من الثياب، وبيت سيدي يعاملون الجماعة بالرحمة الواسعة، فقال سيدي: أرباب البيوت إذا وقع من مريدهم نفور وراح وجد من يأوي إليه، ونحن إذا نفر من عندنا أحدٌ من الذي يأويه؟ سمعت سيدي يحكي في بعض المشاهد أنه كان راكبًا يومًا بالقرافة، فلقيه رجلٌ يُقال لَه: الشيخ محمد الديلمي، وكان يدَّعي أنه يُنسب إلى الخرقة القادرية، سالكًا إلى الطريق بغير علمٍ، فلما رأى سيدي قال لَه: أنا ساعٍ أن أمحو المنكرات، ولن أترك على وجه الأرض منكرًا، قال سيدي: فقلت لَه: هذا الذي ذكرت أنكر المنكرات، قال: كيف ذلك؟ قلت لَه: ألك على الله اعتراض في أحكامه؟ قال: لا، قلت لَه: تقدر أن تقول للرحمن لا يرحم، أو للغفار لا يغفر، أو للستار لا يستر؟ وفي كلٍّ يقول: لا، قال: فقلت لَه: إذا لم يبقَ منكرٌ فلمن يرحم، ولمن يغفر، ولمن يستر، ويتعطل حينئذٍ أسماء الصفات وعمالتها.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد: المقدس بمثابة اللسان، ومكة بمثابة القلب، ولذلك قال الله تعالى للخليل الذي بنى الكعبة أنه أتى الله بقلبٍ سليمٍ، وكان منها المظهر الشريف المحمَّدي الذي قيل في حقه: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:11]، والفؤاد سر القلب.

سمعت سيدي يقول: في حقيقة الطيران مفارقة السفليات، ومرافقة العلويات.

وقال الطبراني: فرق حجاب الهوى.

ومن كلامه رضي الله عنا به: كانت نفسيات تفرح بأنها تطرح وتطير وتمشي على الماء مثل شيء في الريح، لو التقت ذي رجلٍ يمشي من التبريح كانت من الله روح لا من بنات الريح.

سمعت سيدي رضي الله عنا به يقول في المشهد: الرجل بالهمم لا باللمم.

وقال: الرجال الهمم القدسية، والنساء [للسريرة] الحسية، فكم من امرأةٍ في الصورة همتها رَجُلية في السريرة، كما أخبر الله في قوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 12]، فلو شاء لقال: وكانت من القانتات.

والذي هو رجل في الصورة وهو أنثى في السريرة، كما أخبر عن فرعون في قوله: ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: 53]، فيه إشعارٌ أن ذلك من أوصاف النساء، كقوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً﴾ [النساء: 117].

سِرت مرة في ركاب سيدي رضي الله عنا به إلى المقام الشريف، فتبعنا شخصٌ من أهل الشام، وكان كثير الخباط، يدَّعي أنه يُنسب إلى الأستاذ أبي يزيد البسطامي، وكنى بعد بأبي واثق، وكان كثير الصيام والقيام، يزعم أنه بالجوع والسهر يحصل لَه الخير والظفر، فلما ظهر سيدي إلى المقام الشريف استدعى العبد لخدمته، فوجده قد وضع شيئًا للأكل، فقال لي: ادعُ هذا الرجل، فظهرت له، وقلت لَه: أنت صائمٌ؟ قال: نعم، قلت لَه: سيدي قد دعاك للأكل بين يديه، فالمصلحة تقتضي من باب النصيحة، إن دعاك تمتثل للأمر من غير اعتذارٍ بصومٍ، قال: نعم، فلما حضر بين يديه قال لَه سيدي ابتداءً: قال الأستاذ أبو يزيد البسطامي: اجتماع الإخوان عيد، ويوم العيد لا يجوز صيامه، قال العبد: إذا كان هذا حال اجتماع الإخوان فكيف بحضرة السادات، فقال سيدي: أحسنت، فنحن نأكل في خدمته، وإذا بقطٍّ جاء، فوضع سيدي لَه لقمة، فقال أبو واثق: يا سيدي، أطعمت القط فأطعم الكلب الآخر، مشيرًا إلى نفسه، فرأيت سيدي قد تغيَّر؛ لإساءة هذا اللفظ، ولم يبدِ جوابًا، فأعاد عليه القول ثانيًا، فقال سيدي: لا، فإنهم يقولون: رزق الكلاب على المجانين، فقلت: ورزق العبد على ساداته، فقال: نظم من؟ فقلت لَه: العبد، فقال: نعم، وناولني لقمة لما ظهر سيدي من المقام الشريف، وركب: يا مولاي يا واحد.

أخبرني شخصٌ من الصلحاء بمدينة زهو من الأعمال القبلية، عن سيدي رضي الله عنا به، أنه كان حين حلَّ ركابه الشريف بالصعيد، كان بها جماعة يُعرفوا بأولاد الصوابي، وعندهم عدم اعتقاد للسادات، والاعتراض يورث الشقاء وزيادة.

وكانوا إذ ذاك لهم طاحون يتسببون فيها، فحملهم الحسد لخدمة سيدي على

التحيل على ما لا يصلوا إليه، وذلك أن دعوا سيدي إلى عندهم في صورة عزيمة، فأجابهم إلى ذلك، ودخل إلى طاحونهم، فقفلوا عليه الباب، وقالوا لَه: لا سبيل إلى الظهور من هنا إلى أن تطحن ويبة من القمح، وغيبوا البغال وألزموه بذلك، قال المخبر: فجلس سيدي رضي الله عنا به بإزاء القادوس الذي فيه القمح، وأشار إلى الناف فدار بلا محركٍ، واستمرَّ على تلك الحالة إلى أن انطحنت الويبة، وسيدي يرسل الدقيق بيده المباركة، فلما رأوا هذه الحالة المخرقة للعادة سلموا وأسلموا.

أخبرني بخبر سيدي الكبير رضي الله عنا به أنه كان بإخميم جماعة من الأشقياء، حملهم سوء الاعتقاد والحسد أن قصدوا التحيل على قتل سيدي، وأرغبوا شخصًا من الجهال الأشقياء على أن يقتله، فقال: كيف الوصول إلى ذلك؟ قالوا لَه: ترصده في الأسحار حين يقدم لصلاة الصبح من الجامع، فاضربه بسكينٍ فيموت، ولا يُعلم لَه قاتل، قال: فعزم على ذلك وترصده، وهمَّ ليضربه، فقال لَه سيدي: اقعد، فوقع على الأرض وقد بطلت جميع أعضائه عن الحركة، وبقي كأنه سطيح لا يستطيع التحول من حصول الألم، فلما نار النور، ورأوه على تلك الحالة، سألوه عن سببها، فأخبرهم بما اتفق وتدخل عليهم أن يدخلوا على سيدي في أمره، ففعلوا ذلك، فقال لهم سيدي: هذا قد قعد لأذاه، فألحوا عليه فقال: من أجلكم يكون نصفه لكم ونصفه لنا، قال: فعوفي في نصفه، وبقي النصف الآخر بطال إلى أن مات.

قال المخبر: وقد رأيت نسله وكلهم ذوو عاهات.

سمعت سيدي رضي الله عنا به في المشهد الشريف يقول في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ [الحجرات: 12]: أي لا يقول: اللسان خلاف ما في القلب، ولا القلب خلاف ما في اللسان، لا أعلم لهذه الآية تفسيرًا غير هذا.

سمعت يقول في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾ [الأعراف: 40]: أي حتى ينهضم هذا الكبر.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الله لَمَعَ المُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]: أي لمعهم بنوره، ومن لمعه بنوره لا يحرقه بناره.

وقال لي مرة وأنا ساعٍ في ركابه الشريف من جملة واردات في قوله تعالى حكايةً عن الملائكة الكرام حيث قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]: أي

نمر على الأرواح الطيبة نقدسها لك.

وقال لي مرة أخرى وأنا في خدمته متوجهًا للمقام الشريف في قوله تعالى، عن السيد عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: 117]، ومعلوم أنه كان باقيًا، ولو أراد الموتة الطبيعية لقال: فلما تتوفاني، فالمعنى: فلما أدخلتني في الدائرة الوفائية.

وسمعته يقول مرة وكنت في خدمته قاصدًا المقام الشريف، فقال لَه العبد: يا سيدي وقع هذا الوارد في المشهد السابق، فقال سيدي رضي الله عنا به: رحم الله من سمع فوعى.

وسمعته يقول في قوله ﷺ: «**ينزل ربكم في كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا**[1]»: هو الرجل العارف.

وسمعته يقول في المشهد في واردٍ استطرد فيه السلام إلى أن يتلو: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾ [آل عمران: 14]، إن حبل نطقه في ابتدائه.

وسمعته يقول: تأملت ما الحكمة في كون جهنم لها سبعة أبواب، قال: تتبعت القرآن الشريف فوجدت الأسباب الموحية لذلك سبعة في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: 14]، وكنت ساعيًا في ركابه الشريف يومًا والوارد الشريف مستصحبًا، فقال له العبد: يا سيدي قول الله تعالى: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19] تكون الباء سببية.

قال سيدي رضي الله عنا به: وأعلى من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: 11].

وكنت مرة في ركابه الشريف وهو يتكلم في واردٍ تصدق به على العبد، فقلت لَه: يا سيدي قوله تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257]، يكون لفظ (ولي) مبتدأ ثانٍ.

---

(1) رواه البخاري (384/1)، ومسلم (521/1).

فقال سيدي: كيف يكون التدبير؟ فقلت لَه: (ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) فقال سيدي: اجعل الكل مبتدأ واحد.

وسمعته يقول: لأي شيءٍ شرع للمحرم التجرد من مخيط الثياب؟ قال: لأنه أشبه شيء بلباس الأموات.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ [فاطر: 1]، ذكر الجناح ليدلك على سرعة الوصول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88].

وكنت مرة في خدمته بالمقام الشريف، فتكلم سيدي على واردٍ شريفٍ، ثم قال في قول سيدي الكبير رضي الله عنا به: تمثلني الرحمن عينًا لغيبه، فها صورتي كالنجم في سورة الإسراء.

ثم قال: ما الذي في سورة الإسراء؟ فعاجل شخصٌ من الجماعة بالجواب، فقال: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16]، فقال سيدي: هذا في سورة النحل، وأمسك عن الجواب.

ثم بعد انتقاله الشريف توجَّه العبد في خدمة سيدي الكبير إلى المقام الشريف، فتكلم بواردٍ عظيمٍ، من جملته أن قال: المظاهر الشريفة أن تعدوا في الصورة فهم واحد في السريرة، وكثير من الناس يسمُّوني سيدي أحمد، وآخرون يقولون: سيدي علي، والكل واحد.

ألا ترى أن الله تعالى جلَّ جلاله يُنعت بـ(الرحمن) و(الرزاق) والكل دلَّ عليه، فقلت لَه: يا سيدي، وقع للعبد في خدمة سيدي كيت وكيت، وذكرت له سؤال سيدي والإمساك عن الجواب، فقال سيدي رضي الله عنا به: هذا معنى ما نحن فيه الآن، أما سمعت في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110].

وسمعته يقول: لأي شيءٍ قال الله تعالى في المظهر الشريف المحمَّدي: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ [الضحى: 6] مقصورًا، ولم يقل: فآواك، وآوى لك، وآوى بك، وكذا ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾ [الضحى: 7]: أي فهداك وهدى لك، وهدى بك، وكذا ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8]: أي فأغناك وأغنى لك وأغنى بك.

وسمعته يقول في قوله ﷺ: «الأقربون أولى بالمعروف[1]»: أي الأقربون إلى الله.

وكذا في معنى ما جاء في الصلاة في فضل أول صف؛ قال: أول صف أكثرهم متابعة للإمام، ولو كان في آخر المسجد.

وقال في قول الناس: (إذا أرادك قضى مرادك): أي أمات مرادك.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ [الحجر: 49]: أي أوجد فيهم الأخلاق النبوية، فوقع للعبد من صدقات سيدي على لسانه أن قال: نعم عبد ساداتي غدًا اليوم قائمًا بمقام الأولى الرسل الكرام المواليا.

ومنكر هذا القول ليس بسامعٍ من الله؛ لما قال: نبئ عباديا.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ [الفرقان: 72]: أي يتكرَّمون عليه، يوجدون فيه معنى حسنًا.

وقال في قوله ﷺ: «بُعثت بخراب الدنيا[2]» ليس المراد هدم هذا البناء، وإنما المراد ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: 36]، فهذه الدنيا الذي بُعث بخرابها.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ﴾ [البقرة: 243]، يعني ألوف مستقيمة لا باءات معوجة، وإن كان معناه ألوف: أي أعداد كثيرة.

وسمعته يقول في قصة يوسف حيث قالوا: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ﴾ [يوسف: 88] قال: كل الناس يكيلوا لك الكيل ناقصًا، وهؤلاء يوفون لك الكيل.

وقال في السورة أيضًا: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ [يوسف: 88] ما أحسن هذه الدخلة.

وقال في السورة أيضًا إخبارًا عن السيد يوسف حيث قال: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4]، قال: هذا من سورة: اسجدوا له الأفلاك، وفي نهايته كما أخبر الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ﴾ [يوسف: 100].

وسمعته يقول: غليظ كثير ممن زعم أن إخوة يوسف باعوه؛ فإن الله تعالى يقول:

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (183/1).

(2) رواه الطبراني في الكبير (301/22)، وأبو نعيم في الحلية (130/8).

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: 19]، يعني وارد السيارة إلى آخر الآية، ثم قال: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ بمعنى باعوه، فالضمير عائدٌ إلى السيارة لا على الإخوة، والله أعلم.

وسمعته يقول في قوله ﷺ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ [1]»، إنما أتى بنون الجمع في قوله: (في أمرنا)، ولم يقل: (في أمري) حتى يشمل خلفائه انتهى.

وقال يومًا وأنا ساعٍ في ركابه الشريف في جملة وارد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ [الشورى: 52]، ليس يُحمل هذا على ظاهر هذه الآية، ومن قال بذلك فهو غلطٌ، وإنما المراد: إن كان الأمر مجملاً ثم فصل، قال الله تعالى ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وقال سيدي رضي الله عنا به يومًا وأنا ساعٍ في ركابه الشريف إلى المقام الشريف، مباسطًا للعبد أن قال:

عَـدت العَـادُونَ وجَـارُوا فـرجَوْنَا الله مجيـرًا

هذا من أي البحور؟ فألهمني الله من فضله أن قلت: كلام سيدي لا يُقاس ببحرٍ، ولكنني أقول: إنه من بحر الكامل، فأعجب ذلك سيدي وتبسَّم، ولا أعدم الله العبد فضله وصدقاته.

وسمعته يقول في المشهد الشريف في قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: 26]، إذا حسبت لفظة (مسك) بحساب جمل الغالب والمغلوب، وهو أن الميم بأربعة، والسين بستة، والكاف باثنين، فالمجموع اثني عشر، واحسب اسم (علي) فالعين بسبعة، واللام بثلاثة، والياء بواحد، والقاعدة: إن الحروف المشددة بحرفين، فتكون الياء مكررة، فيكون المجموع اثني عشر على عدد (مسك)، فكأنه يقول: (ختامه علي) ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 26].

قلت: ويطابق هذا الحساب المتقدم قول سيدي رضي الله عنا به في بعض التنزلات الشريفة، قوله: فعلي وفق عشق وجميل وجمال، فإن الوفق عند علماء الحرف ما سُمِّي وفقًا إلا لموافقته أعداده، فإذا تقرَّر ذلك فاحسب اسم (علي) تجده العين بسبعة، واللام بثلاثة، والياء بواحد، والمجموع: أحد عشر.

(1) رواه البخاري (959/2)، ومسلم (1343/3).

ثم احسب لفظة (جميل) تجد الجيم بثلاثة، والميم بأربعة، والياء بواحد، واللام بثلاثة، المجموع أيضًا: أحد عشر.

ثم احسب لفظة (جمال) تجد الجيم بثلاثة، والميم بأربعة، والألف بواحد، واللام بثلاثة، المجموع: أحد عشر.

فانظر هذا [الاتساع] الغريب، وما ذلك على الله بعزيز.

وسألته رضي الله عنا به عن قول بعضهم: (حسنات الأبرار سيئات المقرَّبين) فتكلم على ذلك بكلامٍ غريبٍ، وأيَّد ذلك بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً 6﴾** [الإنسان: 5،6]، ثم قال: الأبرار يشربون بكأسٍ ممزوجٍ، المقرَّبون يشربون عينًا صرفًا.

وسمعته يقول في المشهد الشريف في قوله تعالى: **﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾** [النمل: 39] قال: اجعل هذه الآية أمامك إذا قامت عندك حالة تقول لك: إنك صاحب مقام، فاعلم أن ذلك لسان عفريت من الجن، وأما الذي عنده علم من الكتاب قال: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك: أي قبل أن تنظر إلى نفسك بعين التعظيم انتهى.

وقال من جملة وارد شريف: إن ذكر قول الأستاذ أبي العباس المرسي قدَّس الله سرَّه العزيز كلام المأذون له يخرج وعليه طلاوة تكسوه، قال: آية ذلك قوله تعالى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾** [الحجر: 94].

وقال لي يومًا وأنا ساعٍ في ركابه الشريف: الناس يسألوا الله الخاتمة، ونحن نسأل الله السابقة، فإن من صحَّت سابقته حسنت خاتمته.

وقال لي يومًا وأنا ساعٍ في ركابه الشريف إلى المشهد الشريف من جملة وارد شريف: قال الله تعالى: **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾** [البقرة: 115]، أعلمك أنه ما يرى وجه الله إلا وليٌّ، ثم قال: وقد قرأت: **﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله﴾**، ثم قال: وجهه هنا تعرفه؛ لأن إذا الشخص أستر مثلاً وجهه وكشف جسده، وكشف من وجهه علم ولم يجهل عن جميع جسده جهل ولم يعلم، وإذا ستر جميع جسده وكشف من وجهه علم ولم يجهل، قلت: ذلك لعارفه، والله أعلم.

وسمعته يقول في قوله تعالى: **﴿لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾** [النور: 35]: أي لا عيسوية

ولا موسوية إلا وسطية محمَّدية.

قلت: ما أحسن قوله رضي الله عنا به حيث يقول: امح حرفيك لتحصني بثبوت الوسطاء.

وسمعته يقول في قوله تعالى في قصة مريم عليها السلام: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**﴾ [آل عمران: 37]، قال: المحراب في اللغة هو الغرفة العالية، وما ذكر المحراب ها هنا إلا ليعلمك أنها لم تزل في موطن عبادة.

وسمعته يقول في المشهد الشريف في قوله تعالى: ﴿**وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**﴾ [يس: 68]: أي ومن نعمِّر قلبه نردَّه إلى الخلق ليرحمهم.

ومثل ذلك سمعته يقول في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: 20]: رحمة على أهل الأسواق لا لحاجةٍ لهم فيها.

وسمعته يقول في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ**﴾ [التوبة: 120] جعل لفظة (ما) نافية، فنفى عنهم هذا الوصف، إلا أنه جاء في معرض التوبيخ.

قلت: والله أعلم، يطابق ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ الله وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً**﴾ [الأحزاب: 53].

وسمعته فيما جاء في الآثار حيث يقول الله تعالى: «**كلكم عارٍ إلا من كسوته**[1]»، لكل حاسةٍ من الحواس الظاهرة والباطنة كسوة، إما حسية وإما معنوية، وقد قال: (كلكم عار إلا من كسوته).

قال سيدنا الأستاذ الكبير رضي الله عنا به في الدنيا والآخرة في بعض مشاهده الشريفة: كل وليٍّ لله تعالى من زمني هذا وإلى قيام الساعة يأخذ عني، إما في بدايته، وإما في نهايته.

وفي رواية أخرى زيادة وهي: من تقدَّم فهو مني، ومن تأخَّر بعدي فهو يأخذ عني.

وهذا الوارد يحتمل معاني: **أحدها**: إنه رضي الله عنا به وصل إلى الغاية القصوى في الكمال من إرثه إلى المقام المحمَّدي ﷺ، بحيث كان ختم الأولياء كما أشار إلى

(1) رواه مسلم (4/1994).

ذلك صاحب عنقاء مغرب في ختم الأولياء، وشمس المغرب في قوله رضي الله عنا به: (وعند فناء خاء الزمان وختمها على فناء مدلول الكرور يقوم).

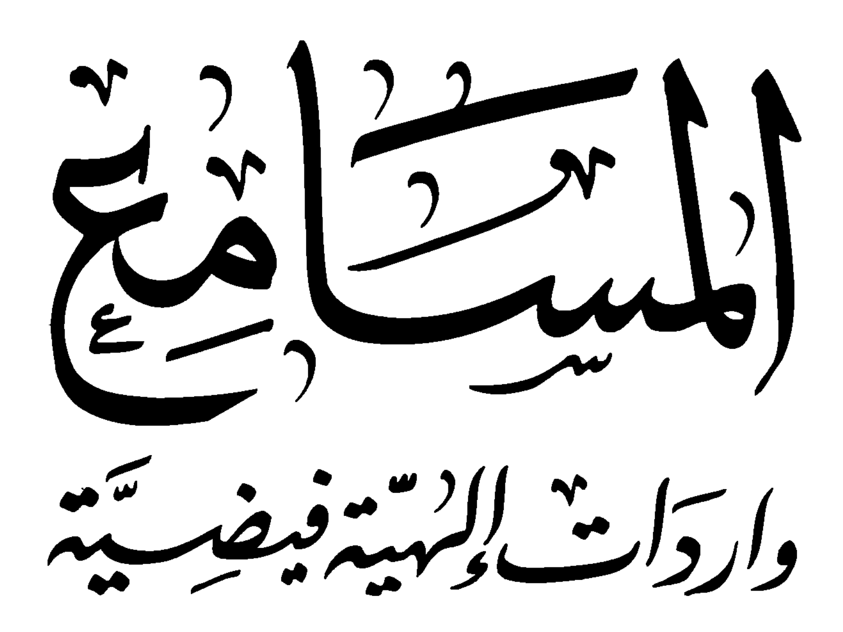
ويدل عليه أيضًا قوله رضي الله عنا به: أنا أكثر الأولياء اتِّباعًا يوم القيامة.

واعلم يا أخي أن أحزابه وتوجهاته وأذكاره وأوراده وآدابه جامعة مانعة، كالحد الجامع المانع الذي ليس بعده مرمى، ولا فوقه بغية لطالبٍ في هذه الطريقة، ولراغبٍ في هذه الحقيقة، فلا بُدَّ للسائل أن يأخذ عنه في البداية بالإسنادية، وفي النهاية بالنيابة الأوابية.

واعلم يا أخي أن روح هذا الخاتم لا تأتيه المادة إلا من الله، لا من روحٍ من الأرواح، بل روحه تكون المادة بجميع الأرواح وإن كان لا يعقل ذلك من نفسه في زمان تركيب جسده العنصري، فهو من حيث ما هو جاهلٌ من جهة تركيبه العنصري، فهو العالم الجاهل، فيقبل الاتِّصاف بالأضداد علم وجهل، كما قيل: الأصل الاتِّصاف بذلك كالجليل والجميل، ألفيت بالجهل علمًا، وفيك بالعلم جهلاً.

تمَّت الكرامات الشريفة، والمناقب المنيفة، على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى الله في يوم المعاد، يوم لا ينفع فيه والد ولا أولاد، كمَّل الله له وللناظر فيه المرام والمراد الفقير: عبد الله الشبراخيتي.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.



تأليف

سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى سنة ٨٠٧هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

أحمد فريد المزيدي

نماذج من صور المخطوط

هذا كتاب المسامع لسيدي علي وفا

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم هذه واردات شريفة
الاهية مما ابرزه لسان القدرة الازلية في قوالب الحروف الرسمية بواسطة
صاحب الحضرة الوفوية سيدي علي بن سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنهما وأيد
من فيض فيض الحق سبحانه وتعالى ومحمد نبيه عبده من عنده مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح المصباح في زجاجة هذا مثل القوة المتصرفة المدركة الحيوانية
وما فيها من الادراكات التي هي المعبر عنها بالقلب بيت الرب ومشكاة الانسان
من صلصال كالفخار هذا مثل البدن الجسماني الظلماني بطبعه الكثيف فلولا
اتصاله لم يظهر عنه شيء مما ظهر بواسطته من الادراكات ونور الحياة اسمع المثل
كقنديل من زجاج والجسم كقنديل من فخار فانظر بهما اللطف وارق ...

صورة الصفحة الأولى

انكسارا وانفعالا وتوسم في الخلق هذه المعاني فاخشعهم وارقهم
واطوعهم فالطفهم [illegible] واخفهم فانفعهم واعرفهم انما يخشى الله من
عباده العلماء فاستدل بوجود الملزوم على وجود لازمه وبعدم اللازم على
عدم ملزومه [illegible] فهم في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه قال
عن [illegible] اذن [illegible] المؤمن [illegible] ربه [illegible]
لاجلاله ربه [illegible] لا باذنه لحقا المقدس عن [illegible]
لذلك يحتاج الى اذنه في ذلك فلذلك قال اذن الله ان ترفع فافهم
اسمع قال [illegible] الانسان بلسان اهل النظر تعريفا لا يستقصي
بالحرس ولا ميت ولا طفل ولا مجنون ولا غير البشر قلت [illegible]
[illegible] لا بانه [illegible] الانسان جوهر [illegible] مراتب
الوجوب والامكان كشفا وبيانا لا نظرا [illegible]
الارضية الا بجسم ارضي يتعلق [illegible] تعلق التصرف الذي يعبر عنه
[illegible] يتعلق الله [illegible] الانسان
هو الجوهر المفارق المعبر عنه بالروح الناطق [illegible] بالجسم
البشري الذي هو اصل في البنية البدنية لا [illegible] الانسان
جسم ارضي [illegible] ويتحرك حسا [illegible] بين
مراتب الوجوب والامكان كشفا [illegible]
[illegible]
ذلك بالقوة [illegible] بالقوة القريبة [illegible] بالفعل لانه [illegible]

صورة الصفحة الثانية

وقس على هذا اسم العارف عين معروفه في الحق حقيقة ما صفة
تعالى في شهود الكمال والتكميل لكون محبته السابقة [illegible] شهود وقبل
قدم صدق المحبة بكونه تحقق [illegible] محبوبه [illegible] بكون
ظهور المتحقق بصبغة ما تحقق ولكن منا [illegible] ولكنا مجال [illegible]
والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط وهو حسبنا وهو سيدنا ربي
ومولاي فليس الا هو يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم
انتهى [illegible] في التنزل الرباني وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي
وعلى آله وصحبه وسلم يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم
تشرف بمطالعة هذه المسامع الشريفة فقير رحمة ربه [illegible]
وصمة ذنبه عبيد اهل الوفا المتحقق [illegible] جنابهم [illegible] الدوديه
رجا القبول فانهم كرام لا يردوا من اتاهم ولو متطفلا بل [illegible] من
[illegible] المامون محبا [illegible] كما في [illegible]
الفضل [illegible] لوجود وغاية المقصود القطب الفرد [illegible]
الجامع والسر الباهر القاطع والنور المتلالي [illegible] الاستاذ
الوجود [illegible] وملاذي [illegible] وباب
وصلتي القطب سيدي محمد ابو الانوار [illegible] بالوعد الصادق
[illegible] الله والمسلمين [illegible] علينا من [illegible]
وارحم اسلافنا والمسلمين بيركة [illegible] من فضلك يا ارحم
الراحمين [illegible] وعافية [illegible]
[illegible] ولا [illegible]

٢٧٦

تم [illegible] يوم الجمعة [illegible]
الشريف المفاض [illegible] محمد بن خزيم [illegible] فلله الحمد والمنه
لله الحمد والمنه لله الحمد والمنه [illegible]

صورة الورقة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه واردات شريفة إلهية مما أبرزه لسان القدرة الأزلية في قوالب الحروف الرسمية بواسطة صاحب الحضرة الوفوية سيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا، رضي الله عنهما في الدنيا والآخرة.

قال سيدي رضي الله عنا به: فوائد من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده على عبده من عنده، ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَة﴾ [النور: 35]، هذا مثل القوة اللطيفة المدركة الجسمانية وما فيها من الإدراك الربَّاني، وهي المعبر عنها بالقلب بيت الرب، ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]، هذا مثل البدن الحيواني المظلم بطبعه الكثيف، فلولا أنجاشه لم يظهر منه شيءٌ مما في باطنه من الإدراك ونور الحياة.

اسمع: القلب كقنديلٍ من زجاجٍ، والجسم كقنديل من فخارٍ، فانظر أيهما ألطف وأرق وأسرع انكسارًا وانفعالاً، وتوسَّم في الخلق بهذه المعاني، فأخشعهم وأرقهم وأطوعهم وألطفهم هو أرفعهم وأخفهم وأنفعهم وأعرفهم، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، فاستدل بوجود الملزوم على وجود لازمه، وبعدم اللازم على عدم ملزومه، فافهم.

اسمع: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: 36]، عدل عن (أمر) إلى (أذن) إشعارًا بأن المؤمن كالمجبول على محبة رفعة بيت ربه، لكنه لإجلاله ربه ضعف عن مباشرة خدمة بيته إلا بإذنه؛ احتقارًا لنفسه عن تأهيلها، لذلك يحتاج إلى إذنٍ لَه في ذلك، فلذلك قال: (أذن) فافهم.

اسمع: قال قائلٌ: عرّفْ لي الإنسان بلسان أهل النظر، تعريفًا لا ينتقض بأخرس ولا ميت ولا طفل ولا مجنون ولا غير البشر.

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: الإنسان جوهر مفارق مميز بين مراتب الوجوب والإمكان، كشفًا وبيانًا، لا تظهر تصرفاته كعموم الحيوانات الأرضية إلا بجسمٍ أرضيٍّ، يتعلق هو به تعلق التصرف الذي تعبر عنه الفلاسفة بتعلق التدبير.

هذا على رأي محققي النظار القائلين بأن الإنسان هو الجوهر المفارق، المعبر عنه بالروح الناطق.

وأما القائلون بأن الجسم البشري الذي هو أصل البنية البدنية لا يتحلل بتحللها فيُقال: الإنسان جسمٌ أرضيٌّ، شأنه أن يدرك ويتحرك اختيارًا بنفس نظرية، مميزة بين مراتب الوجوب والإمكان كشفًا وبيانًا، يظهر من ذلك للمدارك الأرضية بما سلمت لَه من ذلك الجسم.

فقولك: (شأنه كذا) يخرج كل من ليس لَه ذلك بالقوة، ويدخل كل من هو لَه بالقوة القريبة وبالفعل؛ لأنه فرع من القوة.

وبقولك: (جسمٌ أرضيٌّ) يخرج الملائكة النورانية؛ لأنهم من نورٍ، والجان لأنهم من نارٍ.

وبقولك في الأول: (لا تظهر تصرفاته.. إلى آخره) يخرج الروح المتمثل بشرًا؛ لأنه قد تظهر تصرفاته بدون هذا، بأن يتمثل بجسمٍ غير أرضي.

وبقولك: (لعموم.. إلى آخره) يخرج ما قد يظهر لا لعموم فافهم.

اسمع: كل الموجودات مراتب وجودك بالنسبة إليك، فما ظهر لديك إلا ما هو أنت ومنك وإليك، فانظر ماذا ترى، وآتِ كل ذي فضلٍ فضله بحكمتك فذلك من كمالك، فافهم.

اسمع: إذا كانت مراتب العبودية كلها شواهد الربوبية، فأدبك ألا ترى شيئًا إلا شهدته من حيث فضل دلالته على ربك، إن كنت مطيعًا فاعلم أن في طاعتك لذة لعقلك، وبسطًا لأملك، ورئاسة في قومك وأقاربك، كل ذلك دليل على حسن عطاء ربك، فإن رأيت مع ذلك مطيعًا فانظر لَه الفضل عليك فيما يمكن أن يتأتى لَه من حجاب طاعاته، ومن حجابه في طاعته عليك.

وإن رأيت عاصيًا فقل: هذا دلَّ بإخراجه عن داعية عقله على عظمة القهار، وبتلبسه بالنقيصة على جلالة القدوس السلام، وبتوقعه العفو على عظيم منة العفو، وبالتستر عليه والحلم عليه، واتصال المدد به مع مواقعته للمعصية دليل على عظمة الستار الحليم الحكيم الجواد، ونحو هذا.

فله دلالات كثيرة على ربك مع فواته حظوظه من اللذة والرئاسة وبسط الآمال

المتقدم ذكرها، وتبدله مكان ذلك ضده، فانظر لَه الفضل بذلك عليك، وإن كنت عاصيًا ورأيت مطيعًا فانظره من حيث التأهيل لموافقته الأمر دونك، وإن رأيت عاصيًا فانظر معصيته أخف من معصيتك بمقتضيات ذلك، فبالجملة عظم حرمة ربك في عباده، بأن تري لهم الفضل عليك على كل حالٍ، فإن الرب الحق الكريم يُنزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه، فافهم.

اسمع: الصورة بيت المتصور بها، ومن ثمَّ قال عيسى لصديقه شمعون الصفا: أنت الصخرة التي أبني عليها بيتي: أي أرتب لي في اعتقادك صورة روحانية ربَّانية بكشفي وبياني، الثابت التأسيس في تصديقك، وسماه الصفا، والصفا هو الجبل الأبيض، ومن هنا تعرف الحكمة في تعرف الصادقين إلى صديقيهم بصورة كمالاتهم التي يخصونهم بتعريفها منهم دونهم، ويصير ناطق الصديق باب بيت ذلك الصادق، وذلك البيت قلب ذلك الصديق، ويصدق بذلك فيه أن قلبه بيت ربه، فافهم.

اسمع: الأمر على ما هو به الوجود ذات يقتضي لنفسه أن يُقضى، وما ثم إلا هو فيقضي بقضايا يجردها من نفسه لنفسه، فيحققها لذا يتعيَّن بها لنفسه، ثم يتميز بكلٍّ منها عن نفسه في كلٍّ منها عند نفسه، ثم يرتبها مراتب، فتلك هي موجوداته، وهو ذاتها ووجودها ما ثمَّ سوى هذا.

اسمع: الحياة[1] اقتضائية الوجود للإدراك، والفعل في كل مرتبةٍ بحسبها.

اسمع: الروح صورة الحياة في مرتبة الإمكان.

اسمع: المرتبة التي يقتضي فيها الوجود بأن موجوده حاصل لَه بذاته حصولاً لازمًا هي مرتبة وجوب، والتي يقتضي فيها بخلاف هذا هي مرتبة إمكان، قال هو سيدي ومولاي في كشف الوجود:

وَعِـنْدِي بالتحقِيقِ لَـيْسَ بِـزَائِد ... كَذَاكَ عَلَى الإطلاقِ فِي كُلِّ رُتْبَةِ
وَقَامَـتْ بِـهِ كُـل الـصِّفَات حَقِـيْقَة ... ووصف كذا التجسيمِ والجسديَّةِ
وفِـيْهِ التَّجَلِّـي للوجُـوبِ بِذَاتِـهِ ... وقـوته بالفعـلِ للمكنـيةِ

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: الحياة هي على الحقيقة إبدال أوصاف المُبقَي بنعوت المُبقِي وهي ببقاءٍ لا بإبقاءٍ، وحقيقتها: ثبوتٌ يمنع الحادث من التغيير، وتمكينٌ يجرِّد المُمَكنْ عن صفة نفسه، وغايتها: قيامٌ يمتنع انقطاعه، ووجودٌ يستحيل عدمه اهـ.

فهـــنَاكَ حَـــقٌّ لاَ يَـــزُول ثـــبوته ومـن خلقـه هَـذَا بعكـسِ القـضيةِ

اسمع: الوجود القاضي بالكمالات الحكيمة في كل مقامٍ بحسبه هو الوجود الإلهي.

اسمع: الروح الحكيم الذي هو مبدأ الفضائل والمحامد، هو وجه الربوبية في دائرة الإمكان.

اسمع: من ظهر فيه وجوده الإلهي بالروح الحكيم فهو الإله الرب الحق بوجوبه، ورسوله ونبيه ووليه الهادي المرشد إليه بإمكانه.

اسمع: الإدراك أربع مراتب: التعقُّل وهو مبدأ التجرُّد، والتخيل وهو مبدأ التقيُّد، والإحساس وهو مبدأ التشخص المقداري ماديًّا، والتوهُّم وهو مبدأ النسبة والربط، وكل ذلك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لا ينكشف لك إلا معلومك منك وإليك في كل مقامٍ بحسبه، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

اسمع: القضاء المحقق يُسمَّى في دائرة الترتيب علمًا فعليًّا، والقضاء المعين يُسمَّى علمًا انفعاليًّا، الأول: حقيقة كل مرتبةٍ فاعلية، والثاني: حقيقة كل مرتبةٍ قابلية، وكلاهما لا زمان للوجود؛ للزوم القضاء المشترك لَه، فهما ثابتان لوجود كل موجودٍ، فما من موجودٍ إلا وله فعل وقبول بحسبه.

اسمع: القوى التي هي مدارك قابلة تُسمَّى آفاقًا، فالعقلية منها آفاق عُلا، والحسية آفاق دُنا، والخيالية وسطى بينهما، وتُسمَّى آفاقًا مبينة.

اسمع: حقيقة الدنيا إحساس ممد للتخيل، قاضٍ عليه لتعلق النفس المدركة بهيكل مادي، ليس في استعداده قبول إلا لذلك، والبرزخ عكسه، والآخرة تكافؤهما وتلازمهما، فأمرها دائم لهذا الانكشاف اللازم.

اسمع: الوهم البهيم ضد الروح الحكيم في كل مقامٍ بحسبه، وصور قوى الأول أبالسة، وصور قوى الثاني ملائكة.

اسمع: حقيقة الجنة ملكة خيالية من الروح الحكيم، إذا كَمُل ظهورها في النفس المدركة اقتضت لها كشفًا، كل ما انكشف في إدراكها حسنًا جميلاً موافقًا لاختيارها، مناسبًا لها، مرضيًّا عندها من جميع جهاته، وذلك في الآخرة نعيم مقيم.

وحقيقة جهنم ملكة خيالية من الوهم البهيم، إذا تمَّ ظهورها في النفس المدركة اقتضت لها عكس ما اقتضته حقيقة الجنة لمحلِّها، وذلك في الآخرة جحيم، وعذاب مقيم، والأولى لروحانيتها لا تقبله، والثانية لوهميتها تقبله، وإن لم يقع فلمانع غير عدم القبول.

اسمع: مفيدك بكشفه وبيانه لحقيقة الجنة هو خلاقها لك، وهو مدخلك بإدراكك فيها، ومن ثمَّ قال الحق بلسانه المحمَّدي: إن المؤمن به في الجنة اليوم.

اسمع: جاء في الخبر المحمَّدي: «**إن أبا بكر وعمر سمعه وبصره**»، ثم قال:

«**إن أصحابه في الجنة**»، فهم أعين نفسه المدركة بمدارك مَلكة روحه الحكيم يومئذٍ، وهي منه السمع والبصر والذوق واللمس والشم والحفظ والذكر والفكر والتصرف والاختيار.

اسمع: لا تقل كيف تكون قوة جهة من جهات الإدراك نفسًا مدركةً بجميع جهات الإدراك؛ فإن هذه الأرواح الربَّانية قواها، وإن كانت إدراكاتها جزئية مقيَّدة من حيث التعلُّق الجثماني بهياكلهم الجسمانية إلا أنها في تروحنها مبادئ إدراك تام، فلكلٍّ منها جميع جهات الإدراك، فمن ثمَّ تكون نفوسًا مدركة تامة.

اسمع: ما ثمَّ إلا ذات عالمة تتعيَّن بمعلوماتها منه إليه، ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد: 3]، وإن سُمِّي علمه حسًّا أو خيالاً أو وهمًا أو عقلاً أو علمًا، كما تقدم، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

اسمع: معلومات الموجودات المجردة ماهيات مفارقة، قائمة فيها بأنفسها، ومعلومات تلك المفارقات ماهيات متشخصة، قائمة فيها بأنفسها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الماهيات المفارقة الممكنة تُسمَّى عالم القدرة، والماهيات المادية الثابتة بالمبادئ المفارقة تُسمَّى عالم الحكمة، الأولى للثانية حق وأمر وغيب وقوة، والثانية للأولى خلق وكون وشهادة وفعل، فافهم.

اسمع: اليقين وجدان لا يحتمل النقيض، فهو يغني عن الخبر والنظر، وإن قويا ظهوره؛ لأنهما لا ينتجان إلا ظنًّا، وإن غلب فتوهم يقينًا.

اسمع: الحاصل بالنظر والخبر أثرهما فهو دونهما رتبة، وإن حكم بفضله عليهما بهما؛ لملاحظة أمر غيب عند رؤية كونه أثرهما، وأما متعلق اليقين فعين حقيقته، ولا

حاجة للأثر بعد العين، ومن ثمَّ قال بعضهم: ربما وصل العارف إلى حيث يستغنى بالله عن الله: أي يستغنى به يقينًا عنه، نظرًا أو خبرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: إذا عرفت أستاذك وإمام هداك من حيث وجوده الإلهي الواجب فقد عرفت ربك الحق، أتعرف مَن هو؟ ما هو إلا عين وجودك الإلهي، تعيَّن لك في مرتبة الانفصال عن كونك الذي ترى أن لا كون لك سواه، فما دمت تأخذ عنه بالنظر والخبر، فأنت في مراتب ظنك به الذي هو لك عنده، فإذا أوجدك منك وقد حققك صدق الحب به، فقد جاءك منه اليقين، فاعلم ذلك واعمل عليه، فإنه الحق المبين، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، وقد تحقَّق عابدك بمعبودك، فافهم.

اسمع: موجود الوجود الذات هو المحيط من حيث هو وجود جميع الموجودات، وهو الإله من حيث هو موصوف الصفات المحيطة بالتعلُّقات الحكمية، اسمه الله جلالة غير مشتقةٍ من شيءٍ أصلاً، من حيث هو المحيط، واسمه (الله) جلالة مشتقة من الإلهية من حيث هو الإله، وقد أشار الحق المبين بلسانه المحمدي إلى الأمرين بقوله: ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، هذه جلالة الإحاطة.

﴿الله الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2] هذه جلالة الإلهية.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 3] هذا المحيط؛ لأنه الكل.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4] هذا الإله؛ لأنه لكمالات مراتب دائرة الفرق كلها، وهو الغني عنها بذاته وإحاطته.

اسمع: هو الوجود في كل موجودٍ لا يتغيَّر، فوجود كل موجودٍ يظهر فيه من حكمة إحاطته وإلهيته، بما يناسب خاصيته التي خصصه بها ترتيبه، فلا إله إلا الله الواحد، وهو بكل شيءٍ موجود قيوم شاهد.

اسمع: كل الموجودات موجوداتي، فسمِّني بما شئت، وصِفني بما أردت، وكل من سميته أو وصفته فإنما سميتني ووصفتني مع تجردي عن كل ذلك بذاتي، وقيوميتي فيه بتعيناتي.

اسمع: لا يدعو رب عبده إلا كنت أنا الداعي، ولا يرى عبد قصر أخيه كما يرى سهيلاً في جنته إلا كان المرئي قصري، ولا حفَّ ملائكة بعرشٍ إلا كان المحفوف عرشي، ولا تكلَّمت بكلمةٍ إلهيةٍ إلا والله متكلمها، ولا بأمرٍ إلا والله آت به، ﴿أَنزَلَهُ

بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾ [النساء: 166]، وحسبك ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: 19].

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: 11].

﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94].

يا كل سامع على الإطلاق: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ [الحجر: 98، 99]، فافهم.

اسمع: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ﴾ [الشورى: 51]، شفاهًا وجاهًا، ولا يكلمه كذلك والله إلا الله، لكنه في حجاب تصور استحالة ظهوره لَه في مثل صورته، وهو الظاهر لَه في صورته، وبمثلها في حقيقته، فمتى تجرَّد عن البشر بمغايرته انطلق من قيد بشريته، وأتاه الله في صورته، فأي شيءٍ يخيفك من سقر، ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 29]، إلا التقيد بحكم الغيْر والغير.

ومتى لوّحتك فوجدت في لوحك ما له لُوحت وشهدته وذقته قلت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِياً﴾ [مريم: 23]، حتى كنت منكشفًا لي كما أنا الآن.

اسمع: من أحبَّني تلوّح، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: 35]، فافهم.

اسمع: قال سيدي ومولاي:

طويت عَوَالِمِي فِي طَيِّ عِلْمِي وَلَكِنِّي سَأَنْشرُ مَا طويتُ

وأظهرُ بَعْدَ مَا أخفى وَإِنِّي بِذَاتِي لاَ ظَهَرْتُ ولاَ خفيتُ

فكان قوة بيان تمام هذا الظهور بي باطنًا على رأس أحد وأربعين عامًا من مولدي، ومولدي سحر ليله الأحد حادي وعشرين محرم، عام أحد وستين وسبعمائة للهجرة المحمدية، وكان هذا الظهور ظاهرًا على رأس أحد وأربعين عامًا من تقديس القرافة الصغرى بالضريح الشريف، وكان النزول به بكرة يوم الأربعاء، رابع عشرين ربيع الآخر، عام خمسة وستين وسبعمائة للهجرة المحمدية، وذلك أن الأمر الإلهي الأعلى ورد بأن يعمل مكان الضريح الشريف بناءً شريفًا خاليًا من الردم، فشرع في امتثال ذلك بهداية الله تعالى ومنته من بكرة يوم الأحد، ثالث عشر ذي الحجة، عام ستة وثمانمائة

للهجرة المحمدية، إلى يوم الجمعة سابع عشر المحرم عام سبع وثمانمائة، وكان النقل من الضريح إلى المقصورة الشريفة الكائنة مكانه آخر ساعة من يوم الجمعة المذكور، وهو أول يوم من مسرى، والحمد لله وحده دائمًا.

اسمع: لا يصعبن عليك التصديق بأن المفارقات معلومات، قائمات بأنفسها في المجردات، والمتشخصات في المفارقات كذلك، وأنت ترى في منامك ما ترى، وتعلم أن ذلك كله في خيالك، أو سواه من مداركك، أو أن نفسك اتصلت بعقلٍ مجرَّدٍ أو مفارق، فأدركت فيه ذلك، فعلى كل تقديرٍ هذا هو مما تقدَّم

وفي الحقيقة هو مدركك، متعيِّن لنفسه في نفسه بكل ما أدرَكَ في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: جاء في الخبر: «**إن الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل**[1]»، يد الرحمن هذه هي القوة الناطقة المتصورة حُسْن الفعل الحكيم، تصورًا يبعث النفس على استعمال قواها للصورة الظاهرة في تصويره، وقبل وقوع الصدقة في يد السائل وقعت في صورة المسئول، وبتحسين موقعها يربّيها حتى تكون بنتائج ذلك مأدبة ثابتة واسعة كالجبل العظيم، فافهم.

اسمع: المراتب المزاجية تحت حكم المراتب النفسانية ضرورةً واختيارًا، ألا ترى تغير المزاج لتغير النفس، وصحته لصحتها، ومن هنا يظهر لك أن نفسك قد تُضعِف بدنك وقد تُصحه، ﴿**قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: 165]، فافهم.

اسمع: إذا كان في نفس العبد دعوى الربوبية تغيرت لورود أوامر ربها عليها، فتبطئ عن امتثالها، ولو بأن تضعف بدنه عن القيام بصورة ذلك الأمر من حيث يشعر، ومن حيث لا يشعر، والجاهل بذلك ضعف فقال لَه إمامٌ مرشدٌ: ما أضعفك إلا نفسك، ارتاب من ذلك، وما قال له المرشد إلا حقًّا، فافهم.

اسمع: ﴿**إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ [الطارق: 4]، هو مَلَكُ صورتها الفلكية.

اسمع: ما من قوةٍ قابلة إلا وهي حافظة لمقبولها، فالقوى الهيولانية القائمة بالمراتب المادية كلها ملائكة حافظة في تلك المراتب التي هي لمقبولاتها فيها ألواحٌ محفوظةٌ.

---

(1) رواه الطبراني في الكبير (109/9)، والطبري في تفسيره (20/11).

اسمع: الاسم عين المُسمَّى، والمدركات كلها أعين مدركها، فهي أسماؤه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: بالروح الناطق المدرك عَلِمَ آدم الأسماء كلها، فكانت كلها أسماؤه، وبإفاضة كل صورةٍ على القوة القابلة لها علَّم كل ملكٍ اسمه، وبتصور تلك القوة بتلك الصورة عَلِمها، فعلم اسمه، وباستحقاقه الفاعلية في الكل بحكم إحاطته المرتبية وجب على الكل السجود له، وبانفعال الكل لفاعله وقعوا له ساجدين.

اسمع: لما لم يكن عنده صور الضلالات والرذائل مفصلة بحيث أن يقدر قدرة تامة على إفاضتها على القوى القابلة لها، فلم يُفضها، فلم تنفعل لَه تلك القوى لم تسجد لَه الشياطين، ولما صوَّرها بالبيان الحكيم فقلبِها عنه مَن قبِلها؛ ليتمكن من التجرد عن غلباتها؛ إذ لا يتجرَّد عن شيءٍ من ليس لَه به شعور، سجدت لَه القوى القابلة لذلك، فكانت شياطين أسلمت فلا تأمر إلا بخيرٍ.

اسمع: ما من صانع صنعة إلا والقوى القابلة لصناعته في مادتها ملائكة ساجدة لناطقه في ناطق آدم، متعلمة به منه أسماءها.

اسمع: الناطق الآدمي مهيمن على كل ناطقٍ كوني ربَّاني، والناطق الربَّاني الإلهي مهيمن عليه من حيث كل ناطقٍ ربَّاني كوني، وإن كان هو منهم من حيث هو ناطق ربَّاني إلهي، فناطق أئمة الهدي وجه أحسن الخالقين، كما قال بعض مظاهره: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]، فافهم.

اسمع: أصحاب الصنائع كلها فعلة، والصانع الحق هو القيوم بعقولهم وأرواحهم، والمعلم هو الحي القيوم، وأئمة الهدي منهم في كل مقامٍ بحسبه، فانظر أين منزلة الفاعل من الصانع، وأين الصانع من المعلم، الفاعل هو القيوم الطبيعي، والصانع هو القيوم النفساني، والمعلم هو القيوم العقلي في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: المشهود بواسطة إنما يظهر لشاهده على قدر الواسطة في شهوده، ومن ثمَّ تتفاوت المرائي بواسطة المرايا بحسب تفاوتها عند رائيه، وهو في نفسه على ما هو به، فافهم.

اسمع: الكلي ماهية عقلية، لها تعينات لا تتناهى بالقوة، باعتبارها تُسمَّى جزئيات، وهي لها كالمرايا تظهر فيها بأنها جزئيات، ولها من جزئياتها جزئي هو شخصها الكبير

الذي لا تظهر في الخيال، بأنها كلي إلا متشخصة بشخصه، وهو لها الشخص المفرد الذي اقتضاه الكلي بنفسه، فانحصر فيه بجميع خاصياته ومعانيه، فهو الحقيقة والجزئيات المحسوسة ظلالها في كل مقامٍ بحسبه حتى العقل الأول ماهية عقلية: أي صورة العلم في نفسه، وشخصه في الخيال صورة العقل المُسمَّاة عقلاً كليًا، والحاصل منه من الحس، ولو بآثاره عقول جزئية منه هي ظلاله، فافهم.

اسمع: جاء في الحديث:

«**إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام**[1]».

اسمع: الجنة صورة خيالية، أشخاص الأنواع الكلية كلها صور خيالية، وظلالها جزئياتها المحسوسة، فصورة الشجرة الفلانية في الخيال الجناني يسير الراكب في ظلالها المحسوسة مهما عمَّر وأحسَّ وقس على هذا، فافهم.

اسمع: الأمور الروحانية واسعة بسعة الكشف الروحاني، والأمور الجسمانية ضيقة بضيق الكشف الجسماني، فمهما ظهر في أحدهما ظهر بحكمه، فمن ثمَّ ظهر الروح الملكي في حس الكشف الخيالي لَه ستمائة جناح، كل جناحٍ يسد الأفق، ونحو هذا.

وظهر في حس الحساس الجسماني بشرًا مقداره ثلاثة أذرع، وهو في نفسه هو على حاله، كما ترى كرة السماء في الهواء على السعة المعهودة، وتراها في المرآة الصغيرة على مقدارها الصغير، وهي في نفسها هي على كل حالها، وقس على هذا، فافهم.

اسمع: الأمور الوهمية أوسع صورة، والأمور العقلية أوسع معنى، ولكل مقامٍ مقالٌ، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

اسمع: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف: 143]: أي متجردًا عن كون يُرى بالبصر الجسماني الذي سألتني أن تراني به، ﴿**وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ**﴾ [الأعراف: 143]: أي جبلة كونك، فإني متحولٌ بصورة كونك للذين أتعرف إليهم بها، ففيها يراني البصر الجسماني، وتدركني المدارك الجسمانية، ﴿**فَإِنِ اسْتَقَرَّ**﴾ [الأعراف: 143] من شهودك ﴿**مَكَانَهُ**﴾ [الأعراف: 143]، وهو أنه كوني الذي تنزلت به، وصورتي التي تحولت فيها، ﴿**فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ [الأعراف: 143] إذا رأيت نفسك، ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا**﴾ [الأعراف: 143] من حيث أنه مظهر مشهوده، وصورة معبوده، ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ**﴾ بذلك من

(1) رواه البخاري (1851/4)، ومسلم (2175/4)، والترمذي (671/4)، والنسائي (479/6).

رقدة «الناس نيام[1]»؛ لأن رؤيتهم نفوسهم غير ربهم الحق، ﴿أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾ [يوسف: 44]، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأعراف: 143]، يتوهم من مغايرة مظاهرك لك، أو يظن أنها مظاهر سواك، ﴿تُبْتُ﴾: رجعت بشهودي عن رؤيتك سواك، ﴿إليك وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو أنت المؤمن المهيمن الحق الأول الظاهر الباطن، فافهم.

اسمع: ما منك إلا وإليك، وما إليك إلا ومنك، الكل تجليات وجودك في شهودك، بحسب خاصة مرتبة موجودك، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، فافهم.

اسمع: الوجود هو العين والمعنى، وهو الكل بالحقيقة ما ثَمَّ سواه، فإن شِئت فاشهده وسمِّه ذاتًا، أو إن شئت فاشهده وسمِّه صفة، أو مهما شِئت فاشهده وسمِّه؛ فإنك لا تشهده وتُسمي إلا إيَّاه وهو حقيقتك، وأنت هو، فهو يشهد نفسه ويسميها كيف شاء وأحب وأراد واقتضى واختار، فافهم.

اسمع: كما أنه ليس لهيكلٍ قلبان، كذلك ليس لفلكٍ كوكبان؛ فإن الكواكب قلوب القوالب الفلكية، واعلم أن الفلك الثامن الذي يسمونه المكوكب إنما هو واحدٌ بالنوع الخاص، وأما بالشخص فإنه أفلاك على عدد كواكبه، متماسة هيئات مجموعها، كفلك واحد يساوي مجموعها بالشخص، وهذه القلوب هي مسكن القوى المدبرة لهذه الهياكل، كقلوب الهياكل الأرضية سواء بسواء، وإن كان لبعضها انفعال عن بعض، والكل إنما هو تعينات الوجود المدرك من نفسه لنفسه، كسائر ما ينكشف في الإدراك، فافهم.

اسمع: ما أعجب حال الإنسان معنى كل شيءٍ من حقيقة بيانه، وهو من عين كل شيءٍ بخليقة كيانه، ما أعجب حال حقيقة الأكوان تكون بالمالك والمملوك والخادم والمخدوم، فتعبّد لنفسها، وتسوّد على نفسها، والوجود يقضي كماله بأن يظهر في كل موجودٍ فرقاني بوجه سيادته ووجه عبادته.

اسمع: آخر كل فصل شبيه بالذي يليه في المعاني والأعيان في كل مقامٍ بحسبه، فآخر الشتاء شبيه بالربيع، وآخر الربيع شبيه بالصيف، وآخر الظهورات الفرقية شبيه بالظهورات الجمعية، وآخر الظهورات الجمعية شبيه بالظهورات الإحاطية، ومن ثَمَّ جاء لسان الختم النبوي الفرقاني شبيه بلسان الختم الولائي القرآني، وقس على هذا،

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (147/5)، والقاري في المصنوع (199/1).

فافهم.

اسمع: أسباب محبة الحق وأهله كلها أبواب رحمة، إدراكها انفتاحها، من صدّقها وقبِلها دخلها، ومن جَحَدها وردَّها أُغلقت دونه بإعراضه وصرفه عنها.

اسمع: إذا أتاك سبب محبة ترحم بها، فلا تفتش على صحته من سقمه، فإنك لا تدري قد تجد ما يشكِّك فيه فتُحرم بركته، ولكن قابله بالإيمان وحسن القبول، وإذا وجدت بذلك فائدته فلا عليك أنت من كيف كان، مثال هذا يرى المرء نورًا يلمع عند مقامٍ شريفٍ متى قبِل أنه لمع من بركة صاحب هذا المقام حصل لَه رحمته بمحبته، فيسأل عنه، فيقول لَه حكيم: هو من نور صاحب هذا المقام، فيقوى إيمانه المؤدي إلى حصول فائدة ما رأى، وقد يصادف غير حكيم فيقول لَه: هذا متفعل، فيشكك فيه فيحرم فائدته التي ينالها بتصديقه، فتكون زيادة في مواهبه، وقس على هذا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: 101]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس: 9]، فافهم.

اسمع: الاتحاد افتعال من الوحدة، وافتعال الشيء لا يكون إلا عن فقده، والوحدة ذاتية للوجود، ففقدها وهْمٌ، فالاتحاد وهمٌ في الحقيقة حقٌّ في حكم الفرق.

اسمع: بلسان الفرق الاتحاد التلبس بوحدةٍ حصلت عن تعين استلزم رفع الاثنينية عن محله، مثال هذا في الحيوان، نقول: هو الحساس المتحرك بالاختيار، والناطق هو المفكر المستعمل للقياس، المميز بين مراتب الوجوب ومراتب الإمكان، وفي مفهوم الإنسان تقول: هو حيوانٌ ناطق، لا حيوان وناطق، فتعيُّن الماهيتين بأنهما الإنسان رفع الاثنينية عنهما، فكانا مفهومًا واحدًا، قال هو سيدي ومولاي:

وَ يمحُو اتحادُ الزَّوج مِنْهَا اتحادهَا   بِإِثْبَاتِ نَفْي الحدِّ بالثنويَّة

اسمع: الحكم في الماهيات بالتلون للنسب ليس إلا.

مثال هذا: الحياة في المرتبة الواجبة بالنسبة الوجوبية لازمة، لا تتخلف عن جهةٍ من جهاتها، ولا تقبل الزوال، ولا تتخلف عن ظهور الإدراك الكامل، والقول الشامل بها في محلها، وهي في المرتبة الممكنة بالنسبة الإمكانية بخلاف الأول، وهي الحياة في الحالين، والتلون جاء من قبل النسبة.

اسمع: أيها العبد الممكن إذا قامت بك معانيك بحكم نسبتها إلى ربك الواجب

قيامًا وجوديًا بحيث تكون مع إمكانك المرتبي، واجدًا لمعانيك، وآثارها وَجْد ربك الواجب لها، فذاك هو اتحادك بربِّك، فهذا الاتحاد وحده حكم النسبة في محلها لا يمازج عليها، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

اسمع: الكلام حكم باطن يعبر عنه في ذي الجنان بالجناني، ويبينه حكم ظاهر يعبر عنه في ذي اللسان باللساني.

اسمع: إذا جئت ربك الحق ومربيك الصدق ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 89]، له أملي على باطنك بسره أولاً، ما يكشفه ويبينه لك بقاله ثانيًا، فتكون مقولاته الظاهرة قوالب لتلك المعاني الروحانية التي هي كلماته الباطنة في باطنك، وبما بطن فيك قبلك إنما أظهر لك، فالخير كله والفضل لك يبديه منه وإليه، فافهم.

اسمع: قد علمت أن الوجود هو الذات المقتضي لنفسه أن يُقضى، وما ثمَّ إلا هو، فيقضي بقضايا يجردها من نفسه لنفسه، فيحققها ويتعيَّن بها عند نفسه، فهي موجوداته، وما هي بالحقيقة إلا هو، وإن كان يتميز في الحكم التقديري يجعلها سواه حكمًا ومعاملةً، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: العلم كون الوجود مبدأ التحقيق[1] والتقدير، والحياة كونه مبدأ الإدراك والفعل، هذا في دائرة الوجوب، وذلك في دائرة الإمكان، سُمِّي بالأسماء اللائقة بأحكام نسبته إليها، فعين العلم بما هو مبدأ التحقيق فيها يُسمَّى عقلاً، وبما هو مبدأ التقدير يُسمَّى نفسًا، وعين الحياة بما هو مبدأ الإدراك يُسمَّى روحًا، وبما هو مبدأ الفعل يُسمَّى طبيعة وقوى، والوجود بما هو وجود العقول والأرواح يُسمَّى الرحمن، وبما هو وجود النفوس والقوى يُسمَّى الرحيم في دائرة الوجوب، وبما هو وجود العلم والحياة بوجوههما فيها يُسمَّى الله الإله، وبما هو الوجود المتعين بأحكامه في دائرة الإمكان من حيث هو متعيّن بالعقول والنفوس والأرواح والقوى يُسمَّى الحق، فالحق وجود الأعيان الإمكانية التي تُسمَّى خلقًا، وآدم عين الرحيم في دائرة الإمكان، فالآدمية هي المرتبة الجامعة بين مرتبتي النفوس والقوى، والإنسان القيوم لَه عين الرحمن فيها،

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنًا به: التحقيق هو ما يحصل معه القطع الذي يستحيل معه وجود النقيض، وحقيقته: وجدان وجودٍ في كشفٍ يستحيل معه الستر الموجب لتوهم الغيب، وغايته: بلوغ يوجب الوقفة؛ لاستحالة توهمِ مطلوبٍ سيحصل اهـ.

فإنسانيته هي المرتبة الجامعة بين مرتبتي العقول والأرواح، والإنسان الكامل المحيط بهما هو عين الله فيها، فإنسانيته هي المرتبة الجامعة بين مراتب العقول والنفوس والأرواح والقوى.

اسمع: المرتبة المُسمَّاة في دائرة الإمكان بالناطق، وفي دائرة الوجوب بالمتكلم هي المرتبة التي لا يظهر الوجود بجميع الموجودات ظهورًا ترتيبيًّا إلا فيها، واسمه من حيث هو وجودها الحق المبين.

اسمع: إذا ظهر الحق بخلقٍ تعرَّف به نفسه تعريفًا فرقيًّا جمعيًّا، فقد تنكَّر على مَن يراه خلقًا بما تعرَّف إليه به وعكسه، قال هو سيدي ومولاي:

قَـدْ جَـاءَكَ العِلْـمُ اليقـين وَعَيْـنه   متعـــرفًا بِالحـــقِّ فِـــي تنكيـــرِهِ

أي عين العلم اسمه الحق في ظهوره بما اسمه الخلق، فهو متعرف بالحق في تنكيره باسم خلقٍ وتعينه به، فافهم.

اسمع: العقل والروح المتمثلان في جمعيتهما الإنسانية بالهيكل المدعو وجودهما به رجل وبشر وعبد وكائن وإنسان آدمي، ونحو هذا إنما هو عين ستر على المتعين به، قال هو سيدي ومولاي:

علـيك سـترٌ مِـن الـرحمن منـسبلٌ   تدعي بِهِ فِي حِجَابِ الخلقِ يَا رَجُل

فاسم الرجل ستر على اسمه الرحمن في حجاب الخلق، كما اسمه الرحمن في حجاب الحق حجاب عن شهوده في الكون عين الرحمن.

اسمع: من لَه الأمر كله تحجَّب بالجلال التنزيهي الذي به يتعرَّف لمراتب فرقانه، فهو الباطن في عين ظهوره.

اسمع: ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: 111] لما بايعوه تحت الشجرة.

و﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، ما أنت على الكافرين بوكيل، وأنت على المؤمنين حفيظٌ ووكيلٌ، وتصرفاته فيهم تصرفاتي، فافهم.

اسمع: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الذاريات: 16]، ما لك إلا ما أفاضه عليك ربك وأستاذك، ومهما تعاطيته دون ذلك إنما هو حكاية تحكيها عن صاحبها، فلا تلتفت بعد أستاذك إلى سِواك، فافهم.

اسمع: إنما هو وجودك، وكل المعاني معانيه، بأي معنى لاح أعطى حكمه في شهودك.

اسمع: المحسن ضد المحزن، فأيهما لاح أعطي حكمه فاختفى لَه الآخر في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الوجود واحد وإن اختلفت في التحديد والترتيب موجوداته، أليس الشيء يتَّصف بأوصافٍ كثيرةٍ متخالفة.

اسمع: لولا التحديد لم يظهر سوى التوحيد في التجريد، والكل واحد منه إليه ليس إلا هو، فافهم.

اسمع: ما ثمَّ موجود إلا ووجوده الإلهي لا يقبل من أحد إلا الإسلام لَه، فإن أتاه بغيره لم يقبله منه.

اسمع: الكل منك وإليك إنما هو حاكمك، يتعيَّن بأحكامه في كل مقامٍ بحسبه، فانظر ماذا ترى، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: ما توقف ظهوره على ظهور أمرٍ آخر إذا ظهر به لا يتميز أحدهما في الإشارة الحسية عن الآخر، فالمتوقف يُسمَّى عرضًا لما توقف عليه من حيث إنه متوقف عليه، وظاهر به كما تقدَّم، والمتوقف عليه يُسمَّى جوهرًا للمتوقف من حيث إنه متوقف عليه وظاهر به، كما تقدَّم، فالجوهر والعرض مفهومان نسبيان، وكل منهما لَه في نفسه من حيث هو ماهية تقبل المفهومين.

اسمع: القوى المدركة لجوهر النفس المدركة كالأعضاء لجوهر البدن الحيواني، وخلوها موانع تمام تأثيرها، وتعينها بأحكامها من النفس بمنزلة القوى البدنية من البدن، وإدراكاتها كالأغذية والأدوية للبدن، وكما أن للبدن صحةً ومرضًا، وزيادة في أقطاره، وذبولاً وتعديل مزاج وانحرافه، وزيادة في قوة الأعضاء، أو نقص بسبب الأغذية والأدوية في وجدها وفقدها وكثرتها وقلتها، ومناسبتها ومباينتها، ونحو هذا، فكذلك حال النفس في تروحنها بسبب أغذيتها وأدويتها وأحوالها كما تقدَّم.

اسمع: جاء في الخبر النبوي: «**الحكمةُ غذاءُ القلوب**»، فالنفس المدركة إذا تغذت بالحكمة كانت قلبًا روحانيًّا، وإن اغتذت بقضايا الوهم البهيم فهي نفس بهيمية، وقس عمى هذا.

اسمع: الأغذية ثلاثة: طبيعي بدني وهو غذاء البدن، ووهمي كالرئاسة والفُتية وتحسين الهيئة والجاه وهو غذاء النفس الحيوانية، وعلمي كالتفنن في المعارف الروحانية والكشوف الرحمانية والبيانات الربَّانية وهو غذاء القلوب النورانية، وهي النفوس الإنسانية.

اسمع: كما أن الغذاء قد يمري في البدن على أعضائه الأصلية دون أعضائه الفضلية، فتقوى به قواه، ولا يظهر عليه سمن ولا تبدُّن، وقد يكون بالعكس، وقد يمري عليهما وقد لا يمري، فهكذا أغذية النفس فيها.

اسمع: إذا تبدن جوهر النفس بغذائه استتبع البدن فتبدن في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثَمَّ ترى النفوس الحيوانية عند رئاستهم، ونحوها قد تُقبل أبدانهم، وهكذا أهل القلوب النورانية.

اسمع: العارف عين معروفه[1]، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبَّة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو يا مولاي، يا واحد يا مولاي، يا دائم يا علي يا حكيم.

---

(1) قال سيدي داود بن باخلا: العارف أثره في الآخذين عنه بإمداده وأنواره أكثر من آثارهم فيه بأذكارهم وأعمالهم، وقال ﷺ: العارف يتكلم علي الفطرة الأصلية فلذلك لا يستجيب له إلا من كان قريبا منها ويعز قبول من كان بالظلمات العارضة بعيداً عنها. وقال ﷺ: قلب العارف كالنار لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر.

وقال: العارف لا يبقي مع غير الله تعالى بحال لو كان ما يبدو من الله تعالي يستمد ومن وقف مع ما بدا له من الله تعالي إليه حجب بذلك.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: جاء في الحديث: «**إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا**[1]»، فما من موجودٍ إلا وهو بوجوده الإلهي لا يقبل إلا الطيب، ولو كلمة طيبة، كما أنه بوجوده الإلهي لا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام، وإن قبل خلاف ذلك فبوجوده من حيثية مرتبة سوى هذه المرتبة الإلهية، فافهم.

اسمع: العقل صبغة تجرُّد، والخيال صبغة تشخُّص مفارق، والحس صبغة تشخُّص كائن، ومتعلقات الأول تُسمَّى عالم الجبروت، والثاني عالم الملكوت، والثالث عالم الملك، وحقيقة الأمر أن الوجود المدرك يجرد من نفسه لنفسه قضايا يحققها بقضائه الذاتي، وينكشف متعينًا بها لنفسه في كل مقامٍ بحسبه، فإن انكشف بها في مرتبته العقلية أدركها مجردة، أو في الخيالية أدركها مفارقة، أو في الحسية أدركها كائنة، بحسب خاصيات هذه المراتب، والكل هو منه إليه ما ثمَّ سوى ذلك في دائرة الإدراك، ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد: 3].

وإن عُبر عن ذلك بأن النفس تدرك تارة بآلات بدنية، وتارة تتحد بالعقل فتدرك المجردات، أو أنها من شأنها في كونها مفارقة أن تدرك المفارقات، وكل شيءٍ تدركه فلا يبعد أن يكون أمرًا قائمًا بنفسه، مجردًا أو مفارقًا أو كائنًا، كما يقول أصحاب المثل الأفلاطونية، ومن يقاربهم، ومتى تحقق عندك الأمر على حقيقته علمت أن كلاً من عند الله، فهو حقٌّ، ﴿**وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ [الحديد: 5]، فافهم.

اسمع: كل المعاني تعينات بدا بها سرك المنيع، فإذا حكم وجودك بالقدرة فتعين بها فهو القدير، وحيث يظهر فيك بها فهو مقدرك، وحيث يحكم بالعجز ويتعيَّن به فهو العاجز، وحيث يظهر فيك به فهو معجزك، وقس على هذا.

اسمع: ذُلُّك لله عزٌّ، فإنه يكرم من يذل له، وذلّك للمصروفين عن ذكره وآياته

---

(1) رواه مسلم (703/2)، والترمذي (220/5).

عذاب مهين، ألم تسمع قول الحق: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: 30، 31]، فإنهم كانوا يذلون لَه فيهينهم، وجاء في الخبر: «**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه**[1]»: أي يذله للمصروفين عن ذِكر الله وآياته، وأما الذين يحبهم الله ويحبونه فـ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54]، لو لم يكن إلا بالزُّهد فيهم، فافهم.

اسمع: الكلام حُكم يُبيّنه لفظ، ولفظ يبين حكمًا، الأول نفس ذهني، والثاني حسّي.

اسمع: الكلام النفساني تتناجى به القلوب بألسنة الأحوال والمعاملات والتعرُّفات، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193، 194] الآية، ثم اللفظ يكشف ويبين ما وقر في الصدر للأسماع الحسية.

اسمع: أول ما يملي إمام هدايتك من قلبه على قلبك، ومن باطنه على باطنك، ثم يبين لك بلسانه ما أملى عليك من جنانه، فتجد معنى بيانه حاصلاً عندك، ضروريًا لا تستطيع إنكاره، ولا تتكلف في فهمه، وما البيان والمبيَّن والتبين إلا منَّة من عليك باطنًا وظاهرًا، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: 20] الآية فافهم.

اسمع: أليست أنفاس أهل الأرض إذا تصاعدت إلى كرة الزمهرير خلعت صورة الهواء، وكانت ماء كما يقول الطبيعيون، فكهذا الصورة الحركية القائمة بالأنفاس لفظًا، أو بالمتحرك فعلاً بالقوى الباطنة أو الظاهرة، لا يبعد أن تنخلع عنها، وتقوم بقوابل هيكلية ظاهرة، وتأتي لمن صدرت عنه أولاً بعدو أو صديق، وقد جاء في الكتاب: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7]، ولا ترى إلا جسمًا، وجاء في السُّنة: «**إنما هي أعمالكم أحصيها، وسأوفيكموها، فمن رأى خيرًا فليحمد الله، ومن رأى غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه**[2]».

وجاء: «**إن الأعمال تجادل عن عامليها أو تجادلهم**[3]»، وكل ذلك مما تقدَّم.

اسمع: إذا عملت عملاً على موافقة اختيار ربك الحق من حيث رباك، فقد أحسنت إلى ذلك العمل بتكوينك إيَّاه حسنًا محمودًا، فجزاؤك منه أن يتصور لك من حيث

---

(1) رواه الترمذي (522/4)، وأحمد (405/5)، وابن ماجه (1332/2).

(2) رواه مسلم (1994/4).

(3) لم أقف عليه.

يحسن إليك والضد بالضد.

اسمع: صورة الحسنة إذا أتبعتها الاستكبار بها أفسدتها وجعلتها سيئة، وصورة السيئة إذا أتبعتها الإنكار أصلحتها وجعلتها حسنة، فجاءتك كل منهما كما جعلتها عاملة على شاكلتها، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

اسمع: إذا آذاك شيء بقصدٍ أو بلا قصدٍ فلا تغفل عن أنه عملك قد عاملك، وكذلك من وجدت منه إحسانًا، هذا حكمك أيها العبد المتدين في دائرة ديانك الفرقي الحكيم.

اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، اللهم أصلح منا ما كان فاسدًا، وتقبَّل منا من كان صالحًا، فافهم.

اسمع: الوجود الظاهر في كل موجودٍ بنظامٍ حكيمٍ يربيه به ويربُّه، هو الله رب العالمين، وبظهوره في الإنسان الكامل هو الكبير المتعال العلي الكبير، على ظهوراته فيما دونه، وبظهوره في كل مرتبةٍ هو العظيم على ظهوره فيما دونها، هذا والعلو والكبرياء والعظمة له معان مرتبية لا نسبية فقط، ولكن حقيقية ونسبية، ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [العنكبوت: 46]، هو وجودنا الظاهر فينا بالإلهية، وإن كان ظهوره في كلٍّ منا بحسبه، ﴿رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: 126] عقولاً أو سِواها، فافهم.

اسمع: الخيال مجمع شمل الأحكام فيه، يتعين تصور المراتب علمية كانت أو عقلية أو وهمية.

اسمع: حقيقتك المدركة هي علمٌ بتحقيقها، وروحٌ بتعينها، وعقلٌ بتحديدها، ونفسٌ بتعاينها في صور المراتب الوهمية، وقلبٌ بتقلبها في صور المراتب، ما خلا الوهمية، وسرٌّ بتجردها لوجودها عن صور المراتب الفرقية.

اسمع: تجردْ عن الخيال تنقلب نفسك قلبًا، والقلب بيت الرب، والنفس بيت الهوى، فافهم.

اسمع: الاجتماع حشرٌ، والتمايز الافتراقي نشرٌ في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: مهما حشره الخيال مفارقًا نشره الحس كائنًا، ومهما حشره الحس كائنًا نشره الخيال مفارقًا.

اسمع: القُلة تدحرُجُها هو تقلبها، كتقلب القلب عن نفسانيته، فإذا تدحرجت فاض

مددها من باطنها على ظاهرها، فباطنها أزلها المبدئ الفاعل بتحقيقه وتمكينه، وظاهرها أبدها المعيد القابل بكشفه وتعيينه.

قال قائلٌ: يا قُلتي تدحرجي تعرفي الماء من أين يجيء.

اسمع: لا يسع الواحد إلا واحد، فما شهدت اثنين كنت مع كلٍّ منهما منك بخلاف ما أنت به مع الآخر من شاهدك، فأنت مع كلٍّ منهما بجزئك فقط، فتفقد عند كلٍّ منهما منك جزءًا، وتجد جزءًا، والشيء ينعدم بانعدام جزئه في كل مقامٍ بحسبه، فأنت معدومٌ عند كلٍّ منهما، لا إلى هذا، ولا إلى هذا، وقد ظهر لك من ثمَّ أن الشركة هلكة.

قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء: 22].

اسمع: موجودك عرش وجودك من حيث ظهوره به تمام الظهور في كل مقامٍ جمعيٍّ بحسبه.

اسمع: الروح المحمدي روح الجمع، وبذلك جاء بصورة قرآنه بلسانٍ قرشيٍّ، والتقرش: التجمع، وكذلك التقرؤ، ﴿**فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [الصافات: 102].

اسمع: جاء في الحديث أنه قال عن الأموات: «**لستم بأسمع منهم**[1]»، فانظر كيف يكون انبساط حكم إدراك النفس المدركة بحسب خلوص حكم بساطها والضد بالضد.

اسمع: إذا شهدت فلا تشخص إلا إلَى ما تشهد أنه الله بعين تعينك في الوقت، فإن شهدت اثنين فاستقبل واحدًا بكليتك استقبالاً يغيب به شاهدك الثاني عن شهوده، يجمع الله شملك، ويحفظك كلك، جاء في الخبر الصدق: «**مَنْ جعل الهموم همًّا واحدًا جمع الله همه، وجعل غناه في قلبه**[2]»، ومَن تفرَّقت عليه الهموم فلا يبالي الله في أي وادٍ هلك.

اسمع: العبد لمولاه ما يعرف إلا هو، وليس مولاك إلا محبوبك، والمحبَّة لا تتعلَّق من واحدٍ إلا بواحدٍ، ولا يتحقَّق محب إلا بمحبوبه، ﴿**فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [الصافات: 102] فافهم.

اسمع: الهجرة ترك المانع من المقصود تحصيلاً لسبب حصوله في كل مقامٍ

---

(1) رواه البخاري (462/1)، وأحمد (287/3).

(2) رواه الترمذي (642/4)، وأحمد (183/5)، وابن ماجه (1375/2).

بحسبه.

اسمع: لا هجرة إلا لله ورسوله: أي إلى دالٍّ على الله، وهادٍ إليه، ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [النساء: 100]، ومن ثمَّ «**لا هجرة بعد الفتح**[1]»؛ إذ لا دلالة بعد الوصول، ولا تسبب بعد الحصول.

اسمع: ﴿**وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [آل عمران: 97]، فالبيت البنائي محج تكليفي، وصنع مثالاً من كون إمام الهدى إلى الله، فهو البيت البياني، والمحج التعريفي الأول موضع لحج الأجسام، وهذا موضع لحج القلوب.

اسمع: ﴿**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ**﴾ [النحل: 7]، والسفر إلى الله مفارقات ما دونه، فكيف لا يشق على النفس البشرية مفارقة حظوظها وشهواتها وملاذ طبعها ووهمها، فترى ذلك بلاء، ولا يسهل عليها السلوك في ذلك إلا بعد فتح باب الفهم بحسن عواقبه عليها، وذلك الفتح هو مرافقة ربها لها بمناجاته الحاملة لها في طريقها على أجنحة اللطف المزيل عنها كل تلك المشقة، ومن ثمَّ قال السيد الكامل ﷺ في بعض أسفاره: «**أقم الصلاة وأرحنا بها يا بلال**[2]»؛ لأن المصلي يناجي ربه، ألم تسمع وترَ أن المحادثة في الطريق تذهب مشقة السلوك فيها، وأن ذلك يكون بحسب لذة تلك المناجاة، حتى إن الحادي يناجي الركائب فتقطع المهامه، كمن طويت لَه طي السجل للكتاب بقدر حسن حَدْوه ﴿**ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ [الروم: 28].

اسمع: نفسك المدركة هي ناقة ربك التي لا يخرجها من حجب صخرة جسمانيتها إلا لصالح مقرب عنده، قد آتاه رحمة منه، والعلم بالله شراب الأرواح، والحكمة غذاء القلوب، ﴿**فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ**﴾ [الأعراف: 73].

فمن حجبها بظلمة وهمه البهيم عن نور ربها العليم الحكيم فقد عقرها، ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**﴾ [الشمس: 7، 8] لتجتنبه، ﴿**وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس: 8] لتلزمه، ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: 9، 10]، وقصة ثمود من قصص صورها، فلما كذبوا رسول الله عقروها بتكذيبه، ولو صدقوا لحييت حياة

(1) رواه البخاري (1416/3)، ومسلم (1488/3)، والترمذي (148/4).

(2) رواه أبو داود (296/4).

طيبة.

اسمع: اعرف الناقة التي عليها طعام صاحبها وشرابه في سفره، وضلّت عنه حتى يئس من الحياة، وتهيأ للموت، ونام واستيقظ فوجدها ففرح فقال: «**أنت عبدي وأنا ربك**»، مِن فرح الله بتوبة عبده، والتوبة: الإقلاع عن العناد، والرجوع بالوداد إلى المراد في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: إنْ جعلك ربك الحق المبين مظهر هدايته إليه ودلالته عليه بالوجود، فقد منحك أشرف مراتب تخصيصه لعبيده.

اسمع: ربما قال الديان لعبده: أنت لا تدّخر شيئًا بغير أمري، إلا لاستشعارك الحاجة إليه، ولو علمت أني قادرٌ على إحضاره لك عند احتياجك إليه غير ناسٍ لك، ولا بخيلٍ عليك، ولا خاف عني أمرك لم تدخر، فلسان حال ادخارك يرميني بإحدى هذه الخصال، وأين أنت إذًا من القيام بما يجب لي عليك من التنزيه والإجلال.

اسمع: ربما جاء العبد لباب ربه فدفعه دفعة عظيمة، فإن فهم أن ذلك إشارة لتخليه بين يديه عن قوته وحوله، فرمى بنفسه على بابه لقى رفعة عظيمة.

اسمع: لما جاء السامع لكليمه وبيده عصا قال لَه: ﴿**أَلْقِ عَصَاكَ**﴾ [القصص: 31]، فإنها تكون بيد المعلم على المتعلم لا العكس، ﴿**فَأَلْقَاهَا**﴾ [طه: 20]، فلما جاء الكليم بمحمده صاحب الهراوة كان يخطب والعصا بيده، إشارة إلى أنه كليم السميع، فافهم.

اسمع: الحب الروحاني ﴿**نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ [الهمزة: 6] تذيب كثافة النفس حتى تشف، فـ ﴿**تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ**﴾ [الهمزة: 7] أعظم من إذابة الحب الجسماني لضخامة البدن.

قال محبٌّ روحانيٌّ وقد كان سمين البدن:

أَحَــبَّ قَلْبــي ومَــا دَرَى بَدَنِــي ... وَلَــو دَرَى مَــا أَقَــامَ فِــي الــسمنِ

فهذا هو النحول والذبول والفناء النفساني.

اسمع: ما دامت النفس كثيفة مستكبرة هي جمل، لا تفتح لَه أبواب سماء تنزلات الربوبية، ولا يدخل جنة العبودية حتى تذيبها سبحات الجلال، فتدخل وتلج في سم الخياط، وهو مشكاة فتح واصل المفصول، ومهيئ أستار عورات النفوس والعقول، ﴿**إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: 114].

اسمع: أوراق: «**غراس الجنة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**[1]» كنزٌ لا ينفد نعيمه، فافهم.

اسمع: الله (رب العالمين) واحد، يظهر في كل مرتبةٍ من مراتب الإدراك بمظاهر من أعيانها لأهلها، يظهر لكل محبٍّ بمحبوبه، وله جنات نعيم ودركات جحيم، في كل دائرةٍ مظهرٌ يناسب عبادته، وعبادة كل مظهر من نسبة المرتبة الإدراكية التي هو من أعيانها، حتى إن العابد لتكوير عمامته يعبده بتحسينه في اليوم الواحد مائة مرة أو نحوها أو أكثر، حتى يراها كما يجب، فيثيبه الرب المتجلي له في ذلك على جدِّه، وتعبده لَه بما يجده في نفسه من نعيم استحسانها، وأبهته بها، والفرح بتوهمه أن الأعين شاخصة إليه بسببها، وأنه رأس وتزيَّن بين الناس من أجلها، فعبدَ الحقَّ في مظهرٍ، وهي عبادة وهمية، فأثابه ثوابًا وهميًا، وقس على هذا أمر كل وجهٍ معبود، وعباده وعبادتهم، وإثابته وضدها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الوجود ذات الموجودات المقتضي لنفسه أن يقضى، ويستلزم قضاؤه مقتضيات، وما ثَمَّ إلا هو، فمقتضياته صور تجريدية يجردها لنفسه من نفسه على طريقة المُسمَّى بالتجريد البياني، وهذه هي موجوداته ومراتبه وظهوره في كلٍّ منها بحسبه، وكلها هو حقيقةً وسواه حكمًا ومعاملةً.

اسمع: الحياة اقتضاء الوجود للإدراك، والفعل صورة الحياة، والنفس ظل الروح في القبول الجسماني، والجسم قابل النفس، والروح في كل مقامٍ بحسبه، فالجسم موات، والنفس فان، والروح باق، وهو حقٌّ بما هو في صورة الحياة، وخلقٌ بما هو متعلقٌ بالنفس البدني، وإظهار الموجود لَه في القبول الجسماني هو نفخه فيه، فالمنفوخ عن الوجود الإلهي هو روح الله بما هو حقٌّ، وروح من نفخ فيه بما هو خلقٌ، وله بحقيقته خصائص الحق الإلهي وأحكامه، وبما هو خلق خصائص الخلق وأحكامه انظر ما أجمعه، فافهم.

اسمع: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ [يوسف: 6، 7]، الرب هو وجود الروح الحق الربَّاني الإلهي، وهو يكون في كل مظهرٍ بحسبه، فربُّ يوسف كان ظاهرًا بيوسف وإخوته، ولما أراد يعقوب ظهوره بحكمه الإلهي فيهم

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (91/10).

ظهورًا تمامًا إلى نبوتهم، قال: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83]

وإتيان الله ظهوره في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللهُ﴾ [هود: 12]: أي بوجوده الحق الظاهر في موجوديته بالنذارة الإلهية.

اسمع: ربك: من صوَّر فيك ما يصلح به نظامك، ويكمل به قوامك في كل مقامٍ بحسبه، فمعلمك ربك.

اسمع: إذا أفنيت العبد في ربه بأن تراه حقيقته بذاته لم يبقَ عندك إلا رب، وإذا عكست نكست.

اسمع: الظاهر في مظهرٍ بربوبيته لَه ظهور يتربب به على ظهوره بما هو ربٌّ في مظهره ذلك، بما هو فاعلٌ فيما دون ذلك المظهر من القوابل الفعالة، وهو بقابله لفاعليته في ظهوره الثاني عبد لرب ظاهر به، فربٌّ قابل لفاعله عبدٌ بقابل لفاعلٍ فوقه، وكل فاعلٍ رب لقابله، وكل قابلٍ عبد لفاعله في كل مقامٍ بحسبه، وليس الفاعل والقابل بكل فعلٍ وقبولٍ إلا واحد لَه في كل مرتبة حكم ونظام، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

اسمع: العقل المُستفاد هو صورة مفيده في مستفيده في كل مقامٍ بحسبه، فالقرآن صورة متكلِّمه كما قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الأعراف: 52].

اسمع: الرُّشد ظهور صورة المتبوع الحكيم في تابعه بحكمها، والإرشاد إظهارها فيه، والمفيد يُسمَّى رشيدًا بمعنى مرشدًا.

اسمع: من شفعك بصورته الحقية فهو شفيعك، وقبولك لها قبول شفاعته فيك، وعلى قدر حُسن قبولك تكون عائدة شفاعته عليك.

اسمع: جاء في الحديث: «مَن صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت لَه شفيعًا[1]»، ذلك حيث كانت دار العلم الربَّاني الذي جاء به، وهكذا كل من صبر بين يدي معلم لعلمه الربَّاني، هو له شفيعٌ بما يفيده من صورته العلمية الربَّانية.

اسمع: إذا ظهرت فيك صورة ظهرت بخصائصها؛ لأنها لوازم مرتبية لها، ولكنها

(1) رواه مسلم (1004/2)، والترمذي (722/5)، والنسائي (487/2).

تظهر فيك بحسب استعدادك وقبولك لها، فبذلك تتفاوت الدرجات.

اسمع: جاء في الحديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم[1]»، يعني بأصحابه أئمة الهدى الفرقاني الروحاني الربَّاني، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16]، أنت ما سمعت أن تغيرات النفوس الفلكية توجب تغيرات ما تحتها إنما حقيقته أن تغيرات نفوس الأئمة الخواص توجب تغيرات العموم، فاسأل الله من فضله دوام بسط حضراتهم الشريفة؛ ليدوم بذلك بسط العالم آمين، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾ النساء: 41]؛ لأنك صورتنا فيهم، وشهيد الشيء ما ظهر بظهوره.

اسمع: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76] واحدٌ كلهم مستوياته، وهو المستوي على كلٍّ منهم بما ظهر به فيه من علمه، وبذلك لَه الشفاعة جميعًا، وصورته الإحاطية من ذلك في كل زمانٍ هي صورة صاحب ذلك الزمان، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102].

اسمع: ﴿إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [لقمان: 23]، ذات الصدور القلوب، فهو الظاهر بذلك كله، والصدور أيضًا هم الأئمة، فلا يعلم ذواتهم إلا الله، فإن علمتها فانظر من أنت، وإن أعلموكها بما فوق عقلك فاعلم من هم، وانظر جهولك بذلك من ولا تنكر كون ذلك من فوق قوى عقلك البشري، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [البقرة: 105]، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد: 21]، فافهم.

اسمع: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9]، فلا عيش إلا بالكريم المسامح في كل مقامٍ بحسبه، اللهم اظهر فينا بالكريم المسامح، يا كريم، يا مسامح، يا حق، يا مبين، آمين فافهم.

اسمع: منكرُ الحق والخائضُ في أهله كافر، والمصغي لَه منافق، ﴿فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ الله جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ [النساء: 140].

اسمع: جاء في الحديث:

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، من نفسه وأهله

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (62/3).

وماله والناس أجمعين[1]»، فالأحب إليك من نفسك كيف لا تكره، وتدفع ما يغضبه ويكرهه، ومن ثمَّ كانت علامة المؤمن حب ما أرضى ربه، وكراهة ما أسخطه والضد بالضد، فافهم.

اسمع: النفس هيولي الصور العلمية المُسمَّاة بالعقول، والصورة أشرف من هيولاها، وربك إنما يربك بصورته العلمية التي يظهر بها في نفسك، فإن عقلت كان ربك الحق أحب إليك من نفسك؛ لأنه محبوب لذاته، والنفس لا تحب إلا لأجله، فافهم.

اسمع: الصادق هو صورة الوجود الحق لصديقه، فهو هو بالحقيقة، وإن حكم الوهم بمغايرته له كالمرئي بواسطة المرايا الصقيلة من الأشخاص.

اسمع: كان يوسف صدّيق يعقوب، فرفعه في شهوده على العرش؛ لأنه شهد مقارنه الرحمن العليم الحكيم، وقد حققه بنفسه حيث يقول: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [يوسف: 83]، وإنما جاءوا جميعًا ليوسف القائل: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93]، وكلا القولين حقٌّ.

اسمع: الصدِّيق مع صادقه كالمرئي بواسطة المرايا الثقيلة مع المرئي منه، هو هو حقيقةً، وغيره وهمًا، وهو في مغايرته لازم لأمره يتحرك لحركته، ويسكن لسكونه؛ لكونه على صورته.

انظر كيف قال يعقوب: ﴿عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [يوسف: 83] وهو بكنعان، فقال صديقه وهو بمصر: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93].

وقال السيد الكامل لعمر وهو بالحديبية: «**إني عبد الله، ولن أخالف أمره، وانتظر وعد الله فإنه حقٌّ**»، فذهب عمر إلى أبي بكر فأجابه بنص ذلك؛ لأن الصدِّيق مع صادقه كما تقدَّم.

اسمع: كانت زليخة صدّيقة يوسف، فشهدته الحق ظهر حيث قالت: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: 51]، وانظر كيف شهدته بما أشارت إليه بقولها: (أنا) بما هو حقيقتها، وشهدت مراودتها لَه عن نفسه بما هي غيره وهمًا.

وانظر كيف راودت الحق عن نفسه، بماذا يا ترى إنما هو بالمحبة – بالتقرب

(1) رواه مسلم (67/1)، والبيهقي في الشعب (129/2)، بنحوه.

الحبي- الموجبة أن يحبها، فيكونها أو يكون سمعها وبصرها وقواها، يا ترى كيف يكونها وهو حقيقتها؟! بكونه يكشف لَبْس الوهم عن شهودها حتى تشهد بعين اليقين ما أثبته الوهم لم يكن، وما نفاه لم يزل، فافهم.

اسمع: الآثار صور مؤثرها، والمتعلقات صور المعاني التي هي متعلقة بها، والمعاني صور الوجود المتعين بها. مثال هذا: المخلوقات صور المعنى الخلق، والمعنى الخلق صور الخالق، وقِس على هذا.

اسمع: النعم صور المنعم، ولذلك وجد السيد الكامل كسرة ملقاة فرفعها وقبّلها وقال: «**يا عائشة أجلّي نِعم الله**[1]»، وشاهد هذا الشهود لم يكن في حب الدينار والدرهم والخميصة عبدًا إلا لله، الظاهر المعاني بأعيانها في مراتب تصرفاتها، والغافل عن ذلك هو عند حب هذه عبدُ الدينار والدرهم والخميصة، وقِسْ على هذا، «**وإنما لكل امرئ ما نوى**[2]»، فافهم.

اسمع: من ظهر حقه المبين بعلم الجمع الإلهي الربَّاني فعلم القرآن كشفًا وبيانًا مبينًا عليمًا حكيمًا، فقد ظهر فيه بصورة الرحمن، ومن قَبِله صدّيقًا: ﴿**بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: 89]، له ظهر فيه بصورة الرحيم.

ألا ترى أن اسمه الرحيم في الذِّكر دائمًا يأتي تابعًا لاسم الرحمن، ومسماهما واحد، وإن كثرت مراتبه فكثرت ظهوراته بكثرة مظاهره، ﴿**وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفتح: 29]، لا يعرف أن أحدهم رحيمٌ إلا أهله، ﴿**تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ**﴾ [البقرة: 273]، فاتَّسِمْ بها تعرفهم، فرحمانهم هو بهم رحيمٌ، فافهم.

اسمع: ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [المؤمنون: 28].

انظر كيف كان صاحب الاستواء وعرشه الفلكي على الماء حيث قال لقومه عن وجوده: ﴿**ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ الله مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾ [هود: 41]، فأدخلهم ﴿**مُدْخَلَ صِدْقٍ**﴾، وأخرجهم ﴿**مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾.

اسمع: ناطق الناطق بالحق المبين إذا ظهر بحكمه في الجسم المائي المنوي

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

(2) رواه البخاري (3/1)، ومسلم (1515/3).

الحيواني كان للرحمن عرشًا على الماء، وللأرواح والمعاني الربَّانية التي في نظامه فُلكًا مشحونًا، فإذا نطق لأسماعه الواعية بعث تلك الأرواح بكشفه وبيانه من أنجاش صور مداركهم البشرية، حتى تلتبس كل روحٍ من قبول قابلها ببدنها ونسمتها.

اسمع: الباعث هو الوارث، ورثهم بانتظامهم في نظامه، وبعثهم بنفخهم في وعاة كلامه.

اسمع: مرَّ محمد بموسى وهو يصلي في قبره الأرضي، فرقاه بشهوده حتى جعله بإسرائه في السماء السادسة، قال هو سيدي ومولاي: وتقدست بشهودك الأسرار.

اسمع: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 3]، فمظاهره لا يحجبهم كونهم مع أتباعهم في أرضياتهم عن رفيع درجاتهم، ولا يشغلهم كونهم في رفيع درجاتهم عن كونهم معهم بولايتهم وحفظهم، فافهم.

اسمع: من وصل قلبك بربك فقد منحك فأغناك بما أنت مسيس الحاجة إليه، ولا غنى لك عنه، فما تكافئه ولو أعطيته العالم كله لأعطيته ما أغناه الله به عنه، وليس ما لا حاجة له كفؤًا لا غنى عنه، فافهم.

اسمع: الوسع يجمع، والضيق يدفع في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لا يتم ملك إلا لواسعٍ عليم في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: من امتلأ بأمرٍ ضاق عن سِواه، يا ترى كيف نهاية الوسع يقتضي الضيق؟ ذلك لأن النهاية نهاية نفاد، ونفاد الضد يقتضي حصول ضده.

اسمع: ما ثمَّ بالحقيقة إلا الله، فمن ملأك به أوجدك كل شيءٍ.

اسمع: التعرُّف جذبٌ، والمعرفة به انجذابٌ، فمن ثمَّ لولا تعرفه إليك لم تعرفه، فهو من لولا جذبه لك لم تصل له، فما يأتي إليه إلا من أراده.

اسمع: إذا ظهر وجودك فيك باسمه الواسع لأمرٍ فوسَّعك له، والباسط فبسطك به، فاعلم أنه أراد بك أن تجمعه، وأراد به أن ينجمع لك، والضد بالضد.

﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: 125].

اسمع: حيز كل مرتبةٍ أصلها ومطلوبها بالذات.

اسمع: الحركة تنقل عرضي للاستقرار في مطلوب، فمن وصل إلى مطلوبه

الحقيقي بطلت حركته بسكونه.

اسمع: ما دمت تزهد في حاصلٍ وتملّه وتطلب سِواه فاعلم أنه مطلوبك الحقيقي، ووصلك به خلعتك.

اسمع: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]، فهي لا تسكن دون رجوعها إليه، انظر كيف قال لصاحبها بالوجد: «**خلقت كل شيءٍ من أجلك، وخلقتك من أجلي، فلا تشتغل بما خُلق من أجلك عما خُلقت من أجله**[1]»، فهو لذلك لا يستطيع الشغل عنه بما دونه، وبذلك يطلب سِواه حتى إذا وجده وتمكن منه زهده وملّه، فخرج عنه طالبًا أمرًا آخر، وما مطلوبه الحقيقي إلا أصله الذي إذا وجده كان إليه المنتهى والمستقر، ليس بعد الله شيء، وكل إلى بدئه عائد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: 75]، فافهم.

اسمع: ولد سيدي أبو الحسن الوفوي لكاتبه آخر الثلث السحري من ليلة الجمعة خامس عشر صفر، عام سبع وثمانمائة، وهو وإخوته جميعًا عبيد سيدي ومولاي، وما للعبد إلا مولاه كافي عبده، ووافي وعده سبحانه وبحمده.

اسمع: المزاج استعدادٌ جسمانيٌ، قابل لتجلي الروح الذي ظله في هذا الاستعداد يُسمَّى النفس البشرية والحيوانية في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: المنكشف في حس النفس الحيوانية ظل المنكشف من عقلها في خيالها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الجنة الحسية عرضها السموات والأرض، والخيالية عرضها كعرض السماء والأرض.

يَا سيدُ الشَّاذلية شرّفتْ طلعَتكْ ... وَضَاء نورُ الولايَا مِنْ سَنا خِلعتَك
وافِيت يا وفوي بالجمعِ يوم جمعتك ... والحمدُ للهِ عَلَى يَا أبو الحسن رجعتك

فافهم.

اسمع: جاء في الخبر: «**العلماء ورثة الأنبياء**[2]»، هذا من حصر المبتدأ في الخبر، يعني: ما العلماء إلا ورثة الأنبياء، فمن ورث الأنبياء أو نبيًّا فهو العالم، ومن عكس

(1) ذكره المناوي في الفيض (366/5).

(2) رواه البخاري (37/1)، وأبو داود (317/3)، والترمذي (48/5).

انتكس فهمه، فتوهم أن من نقل الأساطير فهو وارث الأنبياء هيهات.

اسمع: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: 166]، فمن لم يجد علمه لم يجد ما أنزله.

اسمع: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193، 194]، فهذا منزله لا الأشداق والأوراق.

اسمع: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49].

قال: (أوتوا العلم) ليعلم أنه من مشكاة من قيل فيهم: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 136]، تدري لِمَ لَمْ يسمِّ الفاعل هنا وهنا؛ لأن العلماء والأنبياء هم أسماؤه حقيقةً.

اسمع: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: 115]، قُرئ بفتح اللام على البناء للمفعول، وبضمها على البناء للفاعل، فمن استفاد الولاية فهو من الأول، ومفيدها لَه هو الثاني، وإفادة الولاية هي وجه الله، بمعنى حكمه المرتبي وخاصيته المرتبية، فأينما استفدتم الولاية أيها المريدون فثمَّ في مفيدكم وجه الله قد واجهتم به من أهّله لشهوده، فافهم.

اسمع: إنما تكلف أن تعامل كل أحدٍ على شاكلة شهودك الوجداني، واعتقادك الاستدلالي، بعد تصحيح النظر فيه، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7]، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].

اسمع: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17]، فإن شهدوه واعتقدوه الله فقد كفروا بدعواهم بنوته لمريم، وهم ينكرون احتياج الله لمبدأ، وإن عسكوا فبالعكس، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: 31]: أي مع شهودهم مغايرتهم لله، والمسيح ابن مريم: أي واتخذوا المسيح ابن مريم: أي نعتوه ببنوته لمريم وهم يشهدونه عين الله، ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 140].

اسمع: جاء في الحديث: «**تنشأ سحابة من تحت العرش فتمطر مطرًا كمني الرجال، فتنبت أجساد الناس كما تنبت الحبة في حميل السيل**[1]»، يعني أنهم يكونون كما كان

(1) لم أقف عليه هكذا.

آدم شجرة بوادي نعمان، ثم ظهر حكم النفس الحيوانية في تلك النفس النباتية، فتحركت الشجرة بشرًا سويًا، ومن ثمَّ جاء أنهم: «**يدخلون على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا**[1]» في الهواء، وإنما كان (ستون ذراعًا) وهو شجرة نباتية، فلما ظهر فيه الحيوانية أكثر إلى حده.

اسمع: جاء في الخبر: «**كل ابن آدم يبلي إلا عجب ذنبه منه كان وفيه يحشر، ومنه يُبعث**[2]»، فهو الدُّرة الأولى والجزء الذي ينبني منه البدن، وهو يكون جماديًّا ثم نباتيًّا ثم حيوانيًّا ثم آدميًّا، بحسب ظهور أحكام النفوس بمعانيها متمثلة في صور هياكلها، وهذا كله حكم وجود دائرة الفرق.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو، سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: قال قائلٌ: ما بال الشاذلية يجملون لباسهم وهيئاتهم، وطريقتهم الاقتداء بالسلف الصالح مع علمهم بما كان أكثر السلف عليه من بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: ذلك لأنهم نظروا إلى المعاني والحكم، فوجدوا السلف الصالح لما وجدوا أهل الغفلة والشغل بدنياهم منهمكين على الزينة

---

(1) رواه البخاري (1210/3)، ومسلم (2179/4).

(2) رواه البخاري (1813/4) بنحوه.

الظاهرة؛ تفاخرًا بدنياهم، واطمئنانًا إليها، وإشعارًا بأنهم من أهلها خالفوهم إظهارًا لحقارة من حقّره الحق مما عظَّمه الغافلون، وتنويهًا بالغنى بالله عما اطمأن إليه الغافلون، فكانت أطمارهم يومئذٍ تقول: الحمد لله الذي أغنانا عما أفقر نفسه إليه من همه دنياه.

فلما طال الأمد وقست القلوب بنسيان ذلك المعنى، واتخذ الغافلون رثاثة الأطمار، وبذاذة الهيئة حيلة على دنياهم، انعكس الأمر، فصار مخالفة هؤلاء في ذلك هو فعل السلف وطريقتهم كما تقدَّم.

وقد أرشد الأستاذ أبو الحسن الشاذلي قدَّس الله سرَّه العزيز إلى ذلك بقوله لبعض من أنكر عليه جمال هيئته من أصحاب الرثاثة:

يا هذا. هيئتي هذه تقول: الحمد لله، وهيئتك تقول: أعطوا لي شيئًا من دنياكم. والقوم أفعالهم دائرة مع الحكمة الربَّانية، مرادهم مرضاة ربهم، وإرادتهم وجه ذي الجلال والإكرام في كل شيء، ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: 273]، فإن اتسمت بسيماهم وهو التروحن والتمعن عرفتهم، وظهرت لك مقاصدهم التي بها ترى حسن أفعالهم، فافهم.

اسمع: جاء في الخبر المحمدي أنه قال لصدِّيقيه: «**أنتم شهداء الله في الأرض**[1]»، تدري بم ذلك؟ بشهودهم له عين الله أو مظهره الأكمل.

اسمع: أنوار المستفيدين ظلال أنوار مفيديهم إياها، فمن شهد مفيده الله وقبلت منه حتى صار باطنه على صورته، فقد أدخله الله في ظله بما أفاده واستفاده منه، وقس على هذا.

اسمع: الأتباع ظلال متبوعيهم في كل مقامٍ بحسبه ما يتبع عينًا إلا ظله.

اسمع: الظل الحاصل من فوق دائرة الزمان والمكان ظل بعد العصر، والظل بعد العصر يُسمَّى الآل، فاعرف من هم آل الله وآل رسوله، وانظر مِن آل مَن أنت، إن حصل لك ظل هكذا فافهم.

اسمع: من أفادك بكشفه العليم وبيانه الحكيم فهمًا عن الحق المبين، وبصيرة في آلائه، فقد شق لك سمعًا من اسمه السميع، وبصرًا من اسمه البصير، بيد أحسن

(1) رواه البخاري (460/1)، ومسلم (655/2)، والترمذي (373/3).

الخالقين، كما اشتُق الرحم من اسم الرحمن، وهل يُشتق القابل إلا من الفاعل في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الإدراك الجسماني الكائن أرضٌ سماؤه الإدراك الروحاني المفارق الممد لَه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الملائكة صور أحكام العليم الحكيم في المدارك.

اسمع: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 27، 28]، فسرُّ اطمئنانها بكونها راضية به، مرضية لَه، واطمئنان الأرض استواؤها حيث تنطبق على ما حل فيها، لا تخالف وضعه، فإذا صفي الإدراك من موانع حسن القبول فقد اطمأن لمقبوله.

اسمع: ﴿لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: 95]، فتجرد عن الريب تتنزل عليك ملائكة الغيب.

اسمع: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: 2].

اسمع: بالروح المتكلم الناطق تتنزل ملائكة العلم والحكمة على إدراك مريده الصادق.

اسمع: الأمر على الترقِّي فمِنْ: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: 95] إلى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ [الإسراء: 96] إلى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: 97].

فتوحد الظل بحقيقته وتحقق الفرع بأصله.

اسمع: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: 14]، لا يتدرَّج إلى كماله إلا بذوق حكم جماله ثم جلاله كالفخار، لولا انكساره ما توسعت أطواره، أما سمعت الناس وألسنة خلقهم أقلام حقهم يقولون: لولا الكاسورة ما عمرت الفاخورة، فلولا الانخرام ما تجدَّد نظام، من لم تنكسر أنفة نفسه لم يجد الفخر بروح أنسه، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: 243]، فهم قائمون بعد الحي الذي لا يموت، المؤمن حي الدارين.

اسمع: العتالون بمصر يقولون:

يَا وَحْدَانِي مَا لَو ثَانِي عَافَاكَ اللهُ

فقل:

يَا وَحْدَانِي فِي رَبِّه مَا لَو ثَانِي عَنْ حبّه   عَافَاكَ الله من حُجبِه وشَفَاكَ الله بقربِهِ
يَا وَاجِدَانِي فِي سرّه مَا لَو ثَانِي عَنْ أمرِهِ   عَافَاكَ الله مِن مكره وشَفَاكَ الله بذكرِهِ
يَا وَاجِدَانِي فِي عشقِهِ مَا لَو ثَانِي عَنْ صِدْقِهِ   عَافَاكَ الله مِن فرقِهِ وشَفَاكَ الله بحقِّهِ

اسمع: ﴿يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: 1]، والزيادة كما جاء في الخبر: هي نظر العبد لربه، ورؤية وجهِ الله، فإذا رأيت الهادي إلى الله بالله فقد رأيت وجه الله، وإذا كان هذا الولي الحميد في كون خلقي، وظهر فيه بنوره الحقي، فهو زيادة الله في الخلق ما يشاء، فافهم.

اسمع: من علم شيئًا جمعه أو منه، ألم نقل: إن العلم حصول صورة الشيء في النفس، وإنما قلنا: أو منه؛ لقول من قال: إن علم الشيء بنفسه غير زائدٍ عليه.

اسمع: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ﴾ [الحجر: 24] فهو جامعهم.

اسمع: لا يجمع الأول والآخر إلا الوسط، فسيد الأولين والآخرين هو وسطهم.

اسمع: غاية كل شيءٍ نهايته وختامه، وغاية النبوة الربوبية، فخاتم النبيين وسطهم جامعهم غايتهم ربهم.

اسمع: جمعه ظهوره بأنه ذاتهم وأنهم صفاته، وأنه غيبهم وأنهم تعيناته.

اسمع: إذا أفادك الحق نفسه بكشفه وبيانه فحصلت لك رؤيته والتحقق به، فإنما رآه وتحقق به نفسه التي أفادك إياها، فهو لا يراه إلا إياه، ولا يتحقَّق به سِواه، وكل صدِّيقٍ لصادقه هو، يتحقق به ويراه، فنفاة الرؤية ومثبتوها على صوابٍ كما سمعت، فافهم.

اسمع: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108]، إنما أنا المستحق الأصيل إن عرفتم حقي الجميل الجليل، فافهم.

اسمع: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193، 194]، فهو كتابٌ قلبيٌّ روحانيٌّ، ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79]؛ من الكثافة الطبيعية والوهمية، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49]، وهذا هو القرآن وفرقانه، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 145]، فهو كتابٌ حسِّيٌّ لسانيٌّ، إنما هو فرقان وقرآن، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: كان فرعون أعرف أهل زمانه بالحق الهادي المتعين بعين موسى القائل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: 39]، ولكنه كان عين المضل، فظهر بحكم مرتبته ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: 79]، ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ [طه: 56]، وجحد بها واستيقنها، وعلم أن منزلها بكشفه وبيانه بصائر هو رب السموات والأرض يومئذٍ.

ولذلك لما قال: من لا يعرف الحق إلا غيبًا، ومن لا يعرف من موسى إلا ظاهره العبداني الخلقي، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ﴾ [الأعراف: 121- 123]: أي بموسى؛ لأنه بحقِّه الربَّاني رب العالمين يومئذٍ، ولكنكم لا تعلمون.

وهكذا حال مظهر المضل كلما قابل مظهر الهادي في زمانه ومكانه يضله الله عنه على علمٍ به، فهو ضلال وجودي لَه واجب لمرتبته، كما الهدى وجودي لذاك واجب لمرتبته.

اسمع: من عرف أن الله الإله، وجوده العليم الحكيم الذي لا يظهر لَه منفصلاً عنه إلا في صورة يهديه فيها إلى صلاح نظامه، وكمال قوامه في كل مقامٍ بحسبه، فإذا ظهر له فيها عرف أنه هو، ولم يحجبه ما رآه من أحكام حجابه الإمكاني عن شهود حقائق وجوبه، فقد عرف الله الإله، ورآه عينًا حقيقة، وإلاَّ فمعرفته ورؤياه لَه غيبًا مجاز، فافهم.

اسمع: النفس التي من شأنها أن تتصور صورة جسمانية لا تخلو من حيث لها ذلك عن أن تكون كذلك، وإن لم يدرك ذلك منها سِواها.

اسمع: ألم ترَ إلى نفسك في الحالة المُسمَّاة بالنوم كيف أنت نائمٌ في مدارك حاضريك، وأما في إدراكك أنت فمستيقظٌ قائمٌ بجسمك، تمشي وتأكل وتشرب وتنكح وتعقل، وتدرك جميع ما لك أن تعقله وتدركه في الحالة المُسمَّاة باليقظة، وهم لا يرون جسمك إلا ملقي مواتًا في مضجعه، فهكذا أنت بالنسبة إلى إدراكك وإدراكهم في الحالة المُسمَّاة بالموت، أنت في إدراكك قائمٌ بشأنك سويًّا، وإن كان جسمك الذي هم يدركونه منك متمزقًا مفتتًا باليًا، فاعمل على غلبة حكم روحانيتك على جسمانيتك، وكل مرتبةٍ عليا منك على دنياها؛ ليشملك صلاح النظام وكمال القوام ما دمت في قيود مراتب الجسدية تسعد، فافهم.

اسمع: حكم المرتبة الغالبة على إدراكك صبغة لما ورد عليه، انظر كيف أهل التوحيد الحقيقي لا يرد على إدراكهم شيء إلا شهدوه وجهًا من وجوه واحدهم، وأهل الخير لا يرد عليهم شيء إلا شهدوه خيرًا والضد بالضد.

الأولى: ﴿صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138]، صاحبها لا يرى غيرًا قط، والثانية صبغة الجنة صاحبها لا يرى شرًّا قط، والثالثة صبغة جهنم ضد هذه.

ألم تسمع قول الحق عن الهدى أنه إذا ورد على أهل العمى كان ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: 44]، وأن أهل بصيرة التقوى ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201]، فيرد عليهم العمى فيكون لهم هدى، فافهم.

اسمع: مبدأ ظهور القوة الحيوانية في الكائن بحكمها هو المُسمَّى في دائرة وجوب وجود ذلك الكائن محيي الموتى، وفي دائرة إمكانه إسرافيل، وإظهارها فيه نفخها، وقابلها منه هو صورها ومراتب ظهوراتها التفصيلية من ذلك القابل هي أنجاش الصور، واستعدادات هذا القابل هي حفظته وحملة عرشيته في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الحكيم لا ينفخ روحًا ربَّانيًا بكشفه وبيانه في صورية إدراك حتى يجد محيي أمواته بمكنته الجنانية والباطنة كيف كانت، وإسرافيليته بمكنته اللسانية والظاهرة كيف كانت، وحتى يجد لذلك الصور نجشًا منفتحًا متهيئًا لسلوك ذلك الروح فيه بارتفاع موانعه عنه، وقد يتصرَّف ذلك الحكيم في ذلك الصور بما يفتح به ذلك النجش الصالح لسلوك ما يريد نفخه فيه، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [المعارج: 6، 7].

﴿إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 23]، ﴿فَالله هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9]، فافهم.

اسمع: المبادئ التأثيرية أربعة:

سبع حقائق مجردة قائمة بمحض حكم الوجوب في المعاني المعبر عنها بالعلم والحياة والإدارة والقدرة والسمع والبصر والكلام وبالعقول الأولى ونحو هذا، وسبع مفارقات قائمة من حيث تجرد ماهياتها بحكم الوجوب، ومن حيث تعلقها بآلاتها الشخصية بحكم الإمكان، وهي المعبر عنها بأرواح الأمر والعقول الفلكية ونحو هذا، وسبع طبيعيات قائمة بحكم الإمكان المستعد للمفارقات استعدادًا لازمًا، وهي المعبر عنها بالنفوس الفلكية ونحو هذا، وسبع حركيات قائمة بحكم التحلل والتركيب المعبر

عنه بالكون والفساد ونحو هذا، وهي المعبر عنها بالنفوس العنصرية في المراتب العنصرية ومتولداتها، فهذه ثمانية وعشرون مرتبة هي حروف كلمة الوجود المُسمَّى بالعلم.

اسمع: لكل مرتبةٍ دائرة، ولكل دائرةٍ خاصية، ولكل خاصيةٍ منها صبغة ضرورية فلا يدخل شيء في تلك الدائرة إلا انصبغ بصبغة خاصيتها، وقد جاء في الخبر المحمدي أن ما بين سماء الدنيا والأرض سبع طباق، بين كل طبقةٍ والأخرى مقدار بضع وسبعين سنة، فبذلك يكون بين سماء الدنيا والأرض مقدار خمسمائة سنة، فلو قدرت حجرًا قذف به من الأرض على كثافته علوًّا حتى بعد عنها بضعًا وسبعين سنة، ودخل فيما بعد ذلك، فإنه يتلطف بلطافة ما دخل فيه، وكلما رقى إلى دائرة تلطف بلطافتها حتى ينتهي إلى منتهى الدوائر الجسمانية والأشباح الروحانية.

ولو أن شبحًا روحانيًا تنزل من الفلك العرشي على لطافته إلى الفلك الكرسي، لتكاثف بحسب صبغة الفلك الذي نزل إليه عما هو عليه في حكم صبغة فلكه العرشي، ثم كلما نزل إلى دائرة تكاثف في صبغتها إلى منتهى دوائر التكاثف، ومن ثمَّ تسري الأجرام فتتروحن بتلطفاتها، وتنفذ في الأجرام السماوية نفوذ الشعاع البصري في الكرة الزجاج حتى يتصل بما في باطنها، وضوء الشعلة الحاصل في باطنها حتى يتصل بالمنفصلات عنها من غير أن تفرق تلك الأشعة والأضواء اتصالات تلك الكرة، وتتنزل الأشباح الروحانية، فتتجسَّم بتكاثفاتها حتى يكون الروح بشرًا سويًّا.

اسمع: مراتب الإدراك المحيط بدوائر التحديد أربعة:

عقلٌ ذو تعقلٍ هو مبدأ التجردات، وخيالٌ ذو تخيلٍ هو مبدأ التشخصات اللطيفة، ووهمٌ ذو توهمٍ هو مبدأ التناسبات والتضايفات، وحسٌّ ذو إحساسٍ هو مبدأ التشخصات المتكاثفة، وبفاعليته يحقق ويقدر، وبقابليته يعين ويكثف، وقُلْ حينئذٍ عما ظهر لك به هذا الوجود المدرك ما اقتضاه ظهوره المناسب لاستعدادك من ناطقك البياني أن يعبر به عنه، فكلٌّ من عند الله، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الحديد: 5].

اسمع: النفس مبدأ حفظ النظام الشخصي، فمبدأ حفظ نظام الشخص البدني الذي هي متصفة به نفسٌ جماديةٌ، فإن كانت مع ذلك مبدأ تغذيته ونموه وتولد مثله عنه فنفسٌ نباتيةٌ، فإن كانت مع ذلك مبدأ توهمه وإحساسه واختياره وتخيله فنفسٌ حيوانيةٌ،

فإن كانت مع ذلك مبدأ تعقله وتفكره واختياره الأولى في كل مقامٍ بحسبه فنفسٌ ناطقةٌ، وكل مبدئية من هذه المبدئات فإنها باطنة في الأخرى بالقوة، وظاهرة عنها بالفعل على هذا الترتيب في كل مقامٍ بحسبه، فإن نظرنا أولاً إلى ظهور المبدئية الجمادية كان النبات باطنًا في الجماد، والحيوان باطنًا في النبات، والناطق باطنًا في الحيوان، والعكس بالعكس.

وظهور كل نفسٍ من هذه النفوس إنما يكون بتشخيص مناسب لها، باطن في تشخص ما هي باطنة فيه من حيث المبدئية كما تقدَّم، ففي الشخص الجمادي شخص نباتي، وفيه شخصٌ حيوانيٌّ، وفيه شخصٌ ناطقيٌّ، إذا ظهرت كل نفسٍ من هذه النفوس بالفعل فيما هي فيه بالقوة، والجمادي جرم ظاهر، والنباتي جسم ألطف منه ظاهر في باطنه، والحيواني جسم ألطف منه ظاهر في باطن النباتي، والناطقي شبح روح ألطف منه ظاهر في باطن الحيواني، وبكلٍّ من هؤلاء يؤثر واحد هذه الجملة، وموصوف مفاهيمها وأعيانها أثره الخاص به.

اسمع: كان آدم بأن تبدَّت نفسه الجمادية بشخص طيني بوادي نعمان، وظهرت فيه نفسه النباتية بشخص نباتي على صورة تركيب أعضائه هذه التي الآدميون عليها اليوم، وظهرت فيه نفسه الحيوانية بشخصٍ حيواني، وظهرت فيه هذه الناطقة بشخصٍ عقلي، فانكشف لَه عالمه العقلي بما فيه من قدسٍ وكمالٍ، فكان في كشفه عليمًا حكيمًا، مسجود الملأ الأعلى.

وثم انكشف لَه عالمه الحيواني بما فيه من اختيارٍ وجلالٍ، فكان في كشفه حاكمًا متصرفًا بما هو الأولى من مصرف لَه المجد والعلا.

وثم انكشف لَه عالمه النباتي بما فيه من زينةٍ ونعمةٍ ولذةٍ وجمالٍ، فكان في كشفه متنعمًا في جنات يكون فيها كما يشاء، ويكون لَه فيها ما يشتهي حيث يشاء، كل ذلك وهو في لطائف تجتلي.

وثم انكشف لَه عالمه الجمادي، فنزل إلى أرضه وصورة طينه فتحركت تلك الشجرة النعمانية حيوانًا ناطقًا، كما تحرَّكت طينة مخلوق عيسى بنفخه فيها طائرًا، وكما يتعفن بعض باطن جرم النبات فيكون حيوانًا متحركًا، وكان لَه في هيكله الطيني ما للأبوين في النطفة من القوى الفاعلة والقابلة، وكما كان في مريم لعيسى من ذلك،

وكانت حواء صنوان عن ضلع هذه الشجرة النعمانية، كالغصن عن الأصل، وجرت عليها سنته، وسرت فيها سيرته من ثمَّ، فكانت عنه منه لَه معه فيما تقدَّم، ولغلبة حكم الحيواني عليه عند استقراره بكشوفه في أرضه هذه كان خليفة في الأرض، فافهم.

اسمع: ما الكل إلا ظهورات الوجود المدرك في موجوده من أحكامه الصورية بما ناسب ما خصص به ذلك الموجود من الخصائص المرتبية المُسمَّاة بالاستعدادات، فالكل هو منه إليه به، فليحكم بما يريد، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، طلع ونزل وتولى وانعزل، وكان في أبدِ وأزل وتعين بكل ما جرده لنفسه من نفسه في نفسه بنفسه، وهو بما هو الكل، ومجرد عن الكل لم يزل فما لك لا تتعجب من انكشاف به تتحجب:

حَالِي غَرِيبٌ بينَ أهْلِ زَمَانِي ... فَأَصِيحُ مِن شَوْقِي إِلَى إِخْوَانِي
آه عَلَى سمعٍ يَعِي كَشْفِي ويَا ... لهفِي عَلَى عَيْنٍ تطيق تَرَانِي
مَا رَاحة الفردِ الغريبِ وأنسه ... إلا بمنْ هو مثله وحدانِي
هَذَا وَلا مثل ولا ثَانِي ... فَلا خِلاَّن وَلاَ إِخْوَان

آه أواه يا لا إله إلا الله.

اسمع أسمعك الله بسميعه: الناطقة أصل في دائرة الغيب البسيط، والجمادية أصل في دائرة شهادة التخطيط.

اسمع: الرحمن هو الوجود الإلهي المتجلي في الإدراك بما ليس في وسع القوى المدركة الاستقلال بإدراكه.

اسمع: الآفاق مراتب الظهور والإشراق، فالمدرك الحسِّي أفق أدنى، والمدرك الخيالي أفق مبين وسط بين الأفقين، والأفق الأعلى هو المدرك العقلي.

اسمع: ﴿فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ [النجم: 6، 7]، والاستواء وصف الرحمن: أي انكشف لنفسه بأفقه الأعلى أنه الرحمن، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ [النجم:8]، إلى أفقه المبين، فانكشف لنفسه ثمَّ، بأنه الروح الأمين المكين، ثم تدلى إلى أفقه الأدنى فانكشف لنفسه ثمَّ بأنه بشر سوي رسول كريم سميع بصير بحقه لحقه، فهذان قاب قوسيه.

اسمع: ﴿فَأَوْحَى﴾ [النجم: 10] برحمانيته لعبده ﴿مَا أَوْحَى﴾ [النجم: 10] بلسان

عبده إلى أتباعه، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 4]، من الرحمن إلى الروح، (يوحى) بلسان الرسول إلى المؤمنين به، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: 136]، ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران: 84].

اسمع: إذا ظهر الوجود الناطق بحكمه الرحماني في شخصه البشري الآدمي فقد أحب الحق عبده، فكان سمعه وبصره ويده ورجله وفؤاده ولسانه، وحتى كأنه فأمره أمره، وقوله قوله، وفعله فعله، أو كان به سميعًا بصيرًا خبيرًا، ونحو هذا من أسمائه وصفاته، أو كان معه يسمع ويرى، ويفعل ما يشاء، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فانظر ماذا ترى.

اسمع: المقيد بمرتبة عاجز عن القيام بضدها في كل مقامٍ بحسبه، فلا يتأتى لَه أن يصل إلي مراداته مما هو عاجز عنه إلا بمن لَه القيام به، ومن ثمَّ قال الواجب للمقيد الممكن: أنت خليفتي في تحصيل مراداتي بالقوى الإمكانية، وقال الممكن للواجب: أنت لي نعم المولى، ونعم الوكيل في تحصيل مراداتي بالقوى الواجبية، والمطلق من كل المراتب مراتبه، فهو القيوم بلا واسطةٍ في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: إمام الهدى بالحق من حقوقه على الخلق قيامهم بخدمة حضرته في كل مقامٍ بحسبه؛ لأنه أولى بهم من أنفسهم، ولا يؤمنون حتى يكون أحب إليهم مما سواه، فخدمته أوجب عليهم من القيام بضرورات أنفسهم، فكيف بما دون ذلك، فمن قام منهم بذلك فله المكانة على من لم يقم به، حيث قام عنه بما هو حق الله عليه، والكريم من عرف الإحسان لأهله، ومن ثمَّ قال السيد الكامل لأصحابه:

«ما نفعني مال أحد ما نفعني مال أبي بكر، وإن من أمَنّ الناس عليَّ في نفسه وماله أبا بكر، فاعرفوا لَه ذلك[1]**»**، فافهم.

اسمع: أيما موجودٍ ظهر فيه وجوده الحق المبين بحكم الإلهية من جهةٍ، وبحكم الوسلية من جهةٍ وتعين في قابلي كشفه الرحماني، وبيانه الربَّاني بما أفادهم من الأنوار العبدانية، والأرواح الإيمانية، ظهورًا تامًّا بحسب مقامه، فإنه الله ورسوله والذين آمنوا في دائرته، وانظر كيف قال صاحب هذه المرتبة لسامعي دائرته: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾

---

(1) رواه البخاري (1337/3)، ومسلم (1854/4)، والترمذي (608/5)، (609/5)، والنسائي (35/5)، وابن ماجه (36/1)، بنحوه.

[المائدة: 55] يعني نفسه، ﴿الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 56]، يعني نفسه، ألم تسمع قوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ الله وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة: 16]: أي خليلاً.

تخللــت مــسلك الــروح منــي ....

والوليجة من الولوج، فلو لم يكن الكل واحدًا بالحقيقة، وإلا لزم من اتخاذ كل منهم وليجة اتخاذ من دون الباقي وليجة، وكذلك من اتخاذ المجموع؛ لأن تقدير النص: ولم يتخذوا من دون الله وليجة، ولم يتخذوا من دون رسول الله وليجة، ولم يتخذوا من دون المؤمنين وليجة، فلو تغايروا بالحقيقة لكان كل منهم يلزم من اتخاذه الدون، فلم يصدق لمتخذه أنه لم يتخذ من دونه، لكن حيث فهمت الوحدة الحقيقة صح ذلك، وكان اتخاذ كل منهم اتخاذًا لكل منهم لا لدونه ما ألطف إشارات الحق المبين إلى أسراره المصونة عن مدارك مراتب التغاير، فافهم.

اسمع: السلام منتج التحابب، فمن وجده في مرتبةٍ منها ولها أحبها وأحبته، فكانت لَه دائرة نعمة ونعيم، وإن كانت على ضده بضده.

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: 46]، فافهم.

اسمع: الموطن الذي هو لمن دخله بسلام مأمن ونعيم، هو الذي لمن دخله بضد ذلك ضد ذلك، ولو لم يتأت فيه مخافةً لم يتمنّن الحكيم على أهل السلام فيه بالتأمين، فافهم.

اسمع: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: 9] إدراك السمع والبصر، ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 9] كشف الفؤاد.

قال هو سيدي ومولاي:

نَــاي المــرام إذَا رَنَــا فهامــه أَدْنَى لقلـب الـصبِّ مِـن أوهامِـهِ

فانظر كيف الأدنى للقلب.

اسمع: النفخ للروح هو التجلِّي الجاعل لها مثالاً للمتجلي في قبول المجلي في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: النفخ يكون من المعيّن الرحمن، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]، أو بحجابٍ رسلي ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ [المائدة: 110]، أو بحجابٍ ملكي

فينفخ فيه الملك.

اسمع: نافخ الروح هو لها كما أنت؛ لما ترى منك بواسطة الأجرام الصقيلة، فمنه بدت وبه قامت وإليه تصير بما هي ظله ومثاله وهمًا، وما هي بالحقيقة إلا هو علمًا.

اسمع: نافخ روح العبد هو مولاه وممده بمعناه، فمن كان نافخ روحه ملك رحمة ورضوان فهو صاحب رحمة ورضوان بالأصالة، وصاحب ضده بالعرض والضد بالضد، ومن كان نافخ روحه الله الذي لا تحكم عليه صفاته حكم منازعة؛ إذ لا تعاند فيها فهو صاحب كل الصفات، يصرف آثارها في مصارف الحكمة كما يرى.

اسمع: معلمك ومفيدك هو الذي نفخ في قبولك بالإفادة ما أفادك هو، فهو وليُّك في ذلك في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثمَّ قالت الملائكة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [فصلت: 31]، وقال المخصوص بالله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ﴾ [الأعراف: 196]، وهكذا الشياطين أولياء الذين لا يؤمنون، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71].

اسمع: لا يعرف عبد إلا مولاه، ومن ثَمَّ قال الخليل لجبريل: «**أما إليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي**[1]».

اسمع: الأمور الديانية كلها ملكية، فلا يتلقَّاها أئمتها إلا بقواهم الملكية، ومن هنا يحتاج الرسول إلى جبريله، ولا يسري إلا برفاقته، حتى إذا انتهى إلى كشفه الوجودي وتحقيقه الشهودي فارق جبريله ملقى عند باب مقام عرفانه، كالحلس البالي؛ لأنها معرفة جمع ترد على محل فرقان، فتوجب فناء أمر العبد في أمر ربه، والخلق في حقه والعارف في معروفه، والمكاشف المحقق قائم باق عند صعق العارف وفنائه؛ لاستغنائه عن القوى الملكية هناك بقواه الإلهية.

اسمع: بوصول إبراهيم إلى النار التي لا تؤثر فيه، بل تصير بسر حلمه بردًا وسلامًا، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، كما يُقال للنار بصبِّ الماء عليها: انطفئي.

اسمع: أُوحي ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: 10] هذا قدر قوس السمع، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17] هذا قدر قوس البصر، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11] هذا قدر قوس ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 9]، ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (292/2).

[النجم: 12]، ولقد رأى سمعًا وبصرًا كلام الحق يُسمع ويُرى؛ لأنه يرد على القلب السميع البصير.

اسمع: ذرة عجب الذنب أصل شجرة الجرم وحبة بذره، فهو وتوابعه فيها ومنها وبها بحقيقته، وعنها تظهر ظلاله المثالية بحسب قبول مظهرها، وكذلك ذرة الكبد للجسم، وذرة القلب للجسد، فافهم.

اسمع: «**خلق الله آدم على صورته**[1]»، بما نفخ فيه منه بلا واسطةٍ.

وقال السيد الكامل عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ: «**إن في وجهه مسحة مَلَك**[2]»: أي شبه ملك بما النافخ فيه ملك.

اسمع: المَسحة: الشبه، ومن ثَمَّ يُسمَّى المسيح مَسيحًا لروح القدس النافخ لَه في مريم، فافهم.

اسمع: ليكن خبر ربك الحق أحق عندك مما خالفه، ولو أنه محسوس فقد علمك السيد الكامل ذلك بقوله عمن سقاه العسل فتوهم أخوه؛ لكثرة ما كان به عند شربه أنه ضره: «**صدق الله وكذب بطن أخيك**[3]».

اسمع: لما كان يوم تجرد السيد الكامل عن لباس بشريته سأل عنه صديقه الأكبر عليًا، فقال: كيف أصبح؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا، فشهده حقًّا بارئًا؛ لتجرده عن الخلق المبروء، وأيضًا شهده بارئًا كما يفهمه الجمهور؛ لأن الحق سبوح عن أعراض خلقه.

اسمع: لما كانت بيعة الرضوان كان عثمان قد أرسله السيد الكامل إلى مكة إشارة إلى أنه يريد بهم الحلم، ولو أراد بهم الانتقام لأرسل إليهم عمر، فلما بايع الناس بسط السيد الكامل يمناه الأولى وقال: «**اللهم هذه يدك**»، ثم بسط الأخرى وقال: «**هذه يد عثمان**»، ثم وضع هذه في هذه وقال: «**اللهم هذه بيعة عثمان**»[4].

فإن قيل: كيف صرَّح لك بأنه يظهر بالحق وبالخلق، فلكل مقامٍ منه مقال، ولكل

(1) رواه البخاري (2299/5)، ومسلم (2183/4).

(2) رواه النسائي (82/5)، وأحمد (359/4).

(3) رواه البخاري (2152/5)، ومسلم (1736/4)، والترمذي (409/4)، والنسائي (163/4).

(4) رواه البخاري (1352/3)، والترمذي (629/5).

مجالٍ منه رجال، فافهم.

اسمع: لا يملك المخلوقات ملكًا حقيقيًا أصليًا غير خلاقها، فتصرفاته فيها باختياره كلها حق وعدل حسن جميل، وهو العليم الحكيم، وتصرفات غيره باختياره تصرف فيما لا يملك فهو ظلمٌ قبيحٌ كما قيل:

ويقبحُ من سِوَاكَ القَوْل عندي وتفعلــه فيحســنُ مِــنْكَ ذَاكَــا

إلا أنه لا غير لَه بالحقيقة، وإن ثبت مجازًا فلا تصرف لَه دونه، ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ [الأنعام: 57]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، فافهم.

اسمع: وجودك هو المتعين بكل ما أدركته، لكنه إذا كان في عين بحكم التقيد قصر أمره فيه عليه، فلم يكن بما هو فاعل مختار فيه فاعلاً مختارًا في عين آخر، وإن كان له في كل عين اختياري فعل، واختيار هو به فيه فاعل مختار، ومثاله في ذلك ما إذا دخلت بين مرايا كثيرة صقيلة، فنظرت في كلٍّ منها بحسبه، فإنك متعينٌ بكلٍّ منها بعين خاص بحكمه من حيث هو قائم بها في الوهم، فأنت الكل بالحقيقة، وكل منهم مغاير للآخر بالمجاز، والتقيد المرتبي.

اسمع: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ [آل عمران: 37] الحق المتعين بما سُمِّي فيه زكريا ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾، وقوله: ﴿زَكَرِيَّا﴾ بيان لقوله: ﴿رَبُّهَا﴾، فقراءة أبي عمرو أعلى من قراءة من قرأ: (وكفَّلَها) بالتشديد، ونصب زكريا بـ (كفَّل) من هذا الوجه[1]، وتلك أعلى من حيث بيان أن حقه الواجب الذي هو ربها منه، كفلها خلقه الممكن الذي هو روح خالقها منه، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

اسمع: إذا تقرَّبت إلى ربك الحق بأشياءٍ فابدأ بنفسك، فالأقربون أولى بالمعروف.

اسمع: إذا رأيت من يبدأ بإيصال الراحة إلى نفسه، فلا تلمه على ابتداء الأقرب إليه ببره، ولكن أرشده إلى تحقيق الراحة ما هي ثم دعه والبداءة بنفسه.

اسمع: كيف يسوغ لك أن ترى من البر معاملة الغير بأمرٍ لو عاملت به نفسك رأيته حقًّا، ما لم تتحقق المناسبات والتأثيرات بحسب الاستعداد.

اسمع: إذا وجدت ربك الحق متخلقًا لك، فتخلق بما خلَّقك به تسعد، ﴿وَاعْبُدْ

(1) انظر: المفتاح في القراءات السبع للمغربي القرطبي (ص70)، والغاية في القراءات العشر لابن مهران (ص46) كلاهما بتحقيقنا.

رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] بتحققك به، فافهم.

اسمع: القلب الذي قواه ربَّانية ملكية تكشف وتبين الأحكام الحكمية الروحانية هو بيت الله المعمور في السماء، والمرتبة السيادية، والنفس البشرية التي في مداركها تظهر أعيان معاني تلك الأحكام، وبقواها تصور أكوان صورها، هي الكعبة التي على حيال البيت المعمور في الأرض التبعية.

اسمع: الكعبة ظل البيت المعمور كما السلطان ظل الله في الأرض، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [البقرة: 124].

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص: 26]، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]، يصلي فيه العبد بربه صلة تصوره على صورته، فافهم.

اسمع: في الإمرة المرهوبة أمن من العقوبة، ومن ذلك قول العرب رهبوت خير من رحموت.

اسمع: يقول القائل الماهية الساذجة مجردة، فإذا تصورت ممكنة إمكانًا لازمًا لها فهي هيولي ما هي ممكنة لَه محل إمكانها هذا، فإذا تلبست بما هي هيولاه فهي مادة هو صورة فيها.

اسمع: يقول القائل: إن المعلومية في علم الحق الواجب شيئية ثبوت لمحلها، ومعلومية هذا المحل لنفسه أو لمن لَه أن يعلمه من المجالي الثبوتية هي شيئية الوجود، فالفاعل المختار الواجب هو القائل للثابت بشيئية الثبوت: (كن): أي بأن يعلم نفسه أو يعلمه وجودي أو ثبوتي له أن يعلمه، فتلك شيئية الوجودية، ما أخفى سر الوجود عن مراتب إخفائه، فافهم.

اسمع: الرب ملك ممالكه مدارك عباده، وكلماته عماله في ممالكه الفهمية السامعية، فأحكامها تولية ونسخها عزل، والحكم للمتولي والجند والرعايا أعوان من لَه الدولة في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثمَّ تُنصر الكلمة المحكمة وتشكر وتدحض الكلمة المعزولة وتنكر.

اسمع: حكم الحق المسيحي هو كلمة أب وولد، وعزلها الحق المحمدي برب وعبد، وقال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾ [الأحزاب: 40]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 1: 3]، ﴿مَا كَانَ للهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم:

35]، فانظر ماذا ترى.

اسمع: لسان الحال أصدق، جاء في الخبر أن السيد الكامل جلس يومًا كاشفًا عن فخذه، وأبو بكر عنده، فدخل عمر وعثمان فغطى وركه، فقال بذلك أنه يُطْلع ويكاشف أبا بكر من نفسه على ما يستر على أكابر قومه[1].

وجاء أنه أوصى ألا يغسله إلا علي، فقال بذلك أنه يُطْلع عليًا من نفسه على ما بطن وظهر.

وجاء أن عليًا غسله في قميصه تحقيقًا لقوله: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا**[2]»، فافهم.

اسمع: إذا صار الوهم قوة نظرية فقد لبس إبليس صورة ملكية، ولم يخلُ نظام العقل النظري حينئذٍ من تلبيسٍ يقع منه موقع الكشف الصحيح، فإذا ظهر مظهر إلهي بوجهه الربَّاني لفعل هذا شأنه، فأوجب انكشافه لَه سجود جميع قواه لَه إلى تلك القوة الوهمية، فقد سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس كان من الجن، ففسق عن أمر ربه، وتردَّد في ريبه، فإذا خلَّصه هذا المظهر من تحكم هذه القوة فقد نزع إبليس حلته الملكية، وأخرجه من نظامهم، فتميز الفريقان متقابلان بالفرقان.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبَّة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وَأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم.

---

(1) رواه مسلم (1866/4).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (203/10).

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: اسم الذات ذاتُ الأسماء، فإذا ظهر تمام الظهور ظهر كل اسمٍ بحكمه كذلك في كل مقامٍ يحسبه.

اسمع: قال قائلٌ: ما بال النفس تنبسط برؤية الذهب وحصوله أكثر من غيره من المعادن؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: لأنه أتم مظاهر الرزاق الجميل في دائرة النقود، وقيومية المعارضة المعدنية.

قال: فما باله في هذا الزمان بلغ الشخص من مثاقيله إلى ما لم يبلغه قبل هذا؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: إن ذات الأسماء ظهر في مظهره هذا الزمان ظهورًا لم يظهر ظهورًا مثله قبله، فظهرت جميع الأسماء في مظاهرها على حسب ذلك.

اسمع: الذات بلا قيدٍ لا تعلم ولا تدرك؛ إذ كل علمٍ ومعلومٍ وإدراكٍ ومدركٍ وحكمٍ ومحكومٍ إنما هو متقوم بها، فأول مراتبها هي تقييد تجردها عن القيود الثبوتية مطلقًا، ومرتبتها هذه هي مرتبة العدم المحض، ويليها مرتبة الذات المقتضي لنفسه أن يُقضى، وما ثمَّ إلا هو فيقضي بنفسه على نفسه قضايا تجريدية يحققها، ويُكشف لنفسه متعينًا بها، فهي موجوداته، وهو الوجود، فباعتبار ما هو كذلك مطلقًا يُسمَّى الوجود المحض المطلق، ثم باعتبار كل متعينٍ لَه نظام خاص به فهو الكل، وكل من الكل، والمتعين بها كذلك حقيقةٌ، والمتغاير فيها نسبة، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: التعين بما هو الحاصل في الإدراك من المتعين به يُسمَّى وجودًا زائدًا، وبما هو ناعت له في التصور يُسمَّى صورة وماهية، وبما ناعت لَه في التعقُّل يُسمَّى صفة، وبما هو ناعت لَه في التصديق يُسمَّى اسمًا، وبما هو ناعت لَه في التخيل يُسمَّى مثالاً، وبما هو ناعت لَه في التوهُّم يُسمَّى ظلاً، وبما هو ناعت لَه في الحس يُسمَّى شخصًا، وبما هو مبدأ أثره يُسمَّى معنًى، فإن كان ذلك الأثر صورة حدية لنفسه فهو معنى ذاتي،

وإن لم يكن فإما أن يكون أثرًا في باطن الإدراك فيُسمَّى معنى كماليًا، أو في ظاهره يُسمَّى معنًى فعليًا.

اسمع: الكبرياء كمال الذات، والعظمة كمال الصفات، والحكمة كمال الأفعال، والعلو نظام ذلك كله، فهو الكمال المحيط، ولذلك ترى لسان القرآن المحمدي بجمعه وإحاطته يذكر اسم الله العلي مع الكبير، ومع العظيم، ومع الحكيم، فيظهر به كمال ما ذكره معه.

اسمع: الجلال[1] التجرد عن ضد ما للجمال التعين به في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: جاء في الحديث: «**الجمال صواب القول بالحق**[2]»: أي بالوجود المتكلم الناطق المبين العليم الحكيم، الذي أموره لا تبديل لها في المدارك السليمة.

جاء في الحديث: «(**سبحان الله**) **براءة من السوء**[3]»، فضد الجمال في كل مقامٍ بحسبه، والجلال هو التجرُّد عن السوء، فخلاف صواب القول بالحق سوء، وهو السوء المنفي بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: 188]، وهذا التجرُّد عما دون الكمالات هو الجلال، كما أن التعيُّن بالكمالات هو الجمال[4]

---

(1) إن الجلال حضرة لائقة بالمشاهدة لأنه اسم ظهر الله به مخصوصاً بالثنوية وهو تمكين اسم الجميل فتظهر عليه صفة في حال الناظر والمنظور ليحصل له هيبة وخشوع مع محبة فالجميل للمحبة، فلما رفع المحب إلى مقام أعلى من موطن المحبة الذي هو الظاهر. فازداد الاسم صلة بغير زوال عينه، ولما كانت هذه الصفة لائقة بالمشاهدة وهي الجلال خرج الشاهد في شهوده من مقام إلى مقام لأنه لا يتغير عليه صفة إلا بخروجه من محله في شهود واحد، فالجلال مختصة بالله دون الجميل وغيره لكونها تنشأ عن التعظيم وكل تعظيم ناشئ عن عظمة الله تعالى، وإذا حصل للشاهد شهوداً في خلع واحد يكون هذا الشهود أشد تمكيناً من الشهود الواحد، والتمكين عبارة عن الاستعلاء لكن الاستعلاء على ضربين: استعلاء وصف واستعلاء معنى، فالعارف الكامل له استعلاء الوصف ويتعالى عن استعلاء المعنى إذ استعلاء المعنى هو على بني الجنس بشرط الاستقلال لجهة دون جهة، والعارف لا جنس له ولا حصر فيحل عن هذا المقام المعنوي، ولما كان هذا العارف متصفاً بالاستعلاء اتصافاً فأخرج من مقام الشهود إلى مقام الجلال.

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (357/3).

(3) ذكره القرطبي في التفسير (85/2).

(4) تقول الست عجم في شرح المشاهد: إن الجمال بعد الأرواح تنزل مناسب بحيث ذكر أرواحاً متعددة والتعدد لائق بالجمال لأن الله تعالى لما أوجد الخلق متكثراً متمايزاً أظهر بالجميل لئلاً

-

والكمال[1] جميعهما.

اسمع: الرحمن هو وجود مرتبة إلهية إذا ظهر بها الحق الناطق أتى من العلم والحكمة كشفًا وبيانًا بما لا تستقل به قوة مدركة دون هذه المرتبة.

اسمع: إذا ظهر الرحمن في الإنسان أحقَّ الحق، وأبطل الباطل بجمعه وفرقانه.

اسمع: إذا ظهر الجليل الجميل عصم مظهره وكمّله.

اسمع: من لا عاصم لَه من الله فهو في ذلةٍ، فمن ظهرت فيه مرتبة إلهية تقتضي عصمته فهو عزيزٌ بحسب مقامه، ألم تسمع: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً﴾ [يونس: 27]، فنور الوجه القلبي والجسماني في العصمة، وهي المكنة الجلالية الحافظة للمملكة الجمالية من التلبُّس والتغيُّر.

اسمع: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [يونس: 47]؛ لأنه ناطقٌ بالحق الظاهر فيه الإله بقيوميته القسطية.

اسمع: المراتب كلها تعيُّنات الناطق؛ لأنه مبدأ الترتيب، فكلها كلمات.

اسمع: ﴿وَيُحِقُّ اللهُ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [يونس: 82]: أي يظهر حقيقته بمظاهره إظهارًا ثابتًا لا يقبل النقيض.

اسمع: ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: 28]، فما عبد أحد إلا الله إن عبد إيَّا؛ إذ لا إيَّا سواه، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ﴾ [يونس: 66]، كلا بل هو الله، فافهم.

اسمع: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [يونس: 89]: أي انظرا الأمر من مبدئه الحقيقي، وفرقا بالحكمة، واجمعا بالحقيقة، ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112]،

= يقع النفور من البعض عن البعض، وكذلك في عالم الأرواح، فلما أدرك هذا الشاهد رضوان الله عليه أرواحاً متعددة لحظ الجمال الناشئ بينهم لعدم النفور وهذه القابلية في هذا المحل قد كانت شديدة الصقال، والناظر فيها نافذ النظر حتى شهده صورة الموصوف والأوصاف، لأن الجمال صفة خافية وهمية فلا يدركها إلا من اتصف في حال شهوده بهذه الأوصاف.

(1) الكمال: هو التنزيه عن الصفات وآثارها. أي: عن كل ما يقيد ذات الحق، وحقيقته فيخرجها عن إطلاقها، صفة، وتجردها عن الاعتبارات مطلق إبقاؤها على الإطلاق الذاتي، والذي حكمه مع سائر القيود على السواء، وذلك هو الكمال الحقيقي، فافهم.

فافهم.

اسمع: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ [الإنسان: 21]، الشراب الربَّاني ما أوجد العصمة، فشاربه ذو السعي المشكور، ومن ثمَّ قال المعبرون: إن من رأى أنه يشرب من يد صالح سعى سعيًا مشكورًا، فافهم.

اسمع: مظاهر وعيونه والمتلقون عنهم بإحسانٍ هم وجوه أمره وعيونه.

اسمع: ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ [هود: 43]: أي إلا المتلقون عني بإحسانٍ؛ لأنهم عين الله يومئذٍ، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ﴾ [الحج 78]: أي هاديكم وناصركم، وهوهو في زمانه، «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه[1]»، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4]: أي عينه المحمدي، فافهم.

اسمع: قال قائلٌ: إن معلومية الممكنات لواجب الوجود هي شيئية الثبوت لها، وهي ثمَّ أعيانه وصوره، ولا يُقال حينئذٍ: إنها عالمة بأنفسها من حيث هي مراتب حدية، إنما المتعين بها هو العالم بها، وهي في غيبٍ عن أنفسها في شهادته بها لنفسه، فإذا أعلمها بأنفسها الحدية، فمعلوميتها هذه هي شيئية الوجود، يعني الكون، وهذا الإعلام هو قوله لها: (كن)، وإدراكها بحيث تتحقَّق بهذه المعلومية هي (يكون)، وحكم الشيئية الأولى أزلية، وحكم الثانية أبدية، وما حقيقة هذا إلا أن الوجود العاقل المدرك إذا ظهر بموجوده في تعقله فتلك أزليته، فإذا انكشف به في تخيله وإحساسه بروابطه التوهمية فتلك أبديته.

اسمع: علمك بنفسك الجزئية كما زعموا حركة والتعب لازمها، وغيبك عن نفسك هذه وأنت شهادة الحق الواجب لنفسه سكون، والراحة لازمته فارجع إلى حقك رجوع تحقق أوجبه التحقيق تهنأ، فلا راحة للمؤمن دون علمه بربه.

اسمع: لسان حال الضعف البشري يقول للروح الهادي كما قال القائل:

فَقُلْتُ لهَا سِيري وَأَرْخِي زِمَامه وَلاَ تبعدينا عن جناك المُعلِّل

ألم تسمع: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

---

(1) رواه الترمذي (633/5)، والنسائي (131/5)، وأحمد (84/1)، وابن ماجه (45/1).

اسمع: إذا وجدت الهادي إلى الحق بالوجد لا بالكسب فاعلم أنه الحق؛ إذ لا يهدي إليه بالوجود سِواه.

قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس: 32].

اسمع: إذا أريد بالخدّ الطريقة فالوجنة مسلك الحقيقة؛ لأن الوجنة أعلى الخد في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: الطريقة ما لها غاية تحصل لقاصدها بحركته فيها في كل مقامٍ بحسبه، فالحقيقة ما لا يقبل الاحتجاب بعد انكشافه في كل مقامٍ بحسبه، فالحقيقة ما لا يقبل فقْدًا بعد وجده، ولا نفيًا بعد ثبوته، ولا غيبًا بعد شهادته، ولا التباسًا بعد وضوحه، فافهم.

اسمع: لا يعبد إيّا إلا من عبد الحق المبين الهادي، المنعم بأنواره وصور مراتبه كشفًا وبيانًا على قابلها بالإحسان، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 5، 6]، فافهم.

اسمع: أما سمعت الناس يقولون: ما سلِمَ جاء البر، فكُنْ أنت برًا يأتيك ما سلم، ولا تحزن على ما فات، واسلم تأتِ البر، وآتِ البر تَسْلم.

اسمع: الأمر دائرٌ بين ما لا يكون وما لا بُدَّ من كونه، والجهد في كلٍّ منهما عبث، فلِمَ تهتم، سلِّمْ تسلم مِن هم بلا فائدة، فافهم.

اسمع: الله الإله هو الوجود العليم الحكيم مطلقًا، فأيما موجود ظهر لك فيه ومنه بتأثير أثر من آثار العلم والحكمة، فاعلم أنه من هذه الحيثية عين عيون الله الإله، وأنه ذلك الوجود الظاهر لك بذلك، وإذا علمت لم ترَ منعمًا من كل موجودٍ ظهر بنعمةٍ إلا الله، فإن استفدت خيرًا أو أفدته لم ترَ مفيدًا لَه إلا الله، وأنت حينئذٍ آخذ ما أخذته من الخير من الله عيانًا شاكرًا لَه حيث شكرت، ذاكرًا لَه حيث ذكرت، ناظرًا لَه حيث نظرت، وقِسْ على هذا، وذلك منه وإليه بما هو من نظام العلم والحكمة، فافهم.

اسمع: المرتبة المُسمَّاة في دائرة الإمكان بالناطق، وفي دائرة الوجوب بالمتكلم، وهي المُسمَّى وجودها بالحق المبين هي صورة الله الإله، لا صورة خاصة به سِواها يظهر فيها بجميع معانيه، وإن كثرت مظاهر ظهوره واختلفت أو اتفقت، وهذه هي التي خلق آدم عليها، فظهر بها فيه أتم من ظهوره بها فيما دونه حين ظهر بها فيه، وهذه هي

مَثَله الأعلى الذي لا مِثل له، الرحمن وجودها العقلي والروحاني، والرحيم وجودها النفساني والطبيعي، والله الإله وجودها الجمعي لذلك كله، وتعينها الجامع من ذلك هو المسند إليه كل كمالٍ وخيرٍ في كلمة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1]، فهي بالإلصاق لجميع معانيها لاسم الله الرحمن الرحيم الحق المبين، والاسم عين المُسمَّى في التصديق كما تقدَّم، فافهم.

اسمع: الاختيار هو القضاء المخصص المفارق للقضاء المشخص لما خصصه المُظهر لَه في الإدراك على ما خصصه به، ويُسمَّى القضاء الأول إرادة، والثاني قدرة، والكل واجب؛ لأن الوجود الذات يقتضي لنفسه أن يُقضى، وأن يقتضي لذاته القضاء، والقضاء يقتضي المقتضَى.

اسمع: حيث ظهر لك أن المقتضيات كلها تجريدات الوجود لنفسه من نفسه ظهر لك أنها بالحقيقة هو بلا زيادة، وأنها بالحكم والمعاملة زائدة عليه، فهو يجريها على حكم كل منها في كل مقامٍ ترتيبي بحسبه.

اسمع: القضاء المحقق والمميز هو حقيقة المراتب الفاعلة كلها، والقضاء الكاشف المرتب هو حقيقة المراتب القابلة كلها.

اسمع: القول بأن الواجب وجود مجرد، وأن الممكنات ماهيات قابلة يعلمها الواجب

على ما هي عليه في أنفسها الإمكانية، فإذا اختار الظهور بماهية لنفسها بحسب قبولها الإدراكي تعلق بها بمعناه المبين، فكان هو بذلك وجودها، وهي موجودة به وجود التعيُّن، ويُسمَّى هو في ظهوره هذا حقٌّ، وتُسمَّى هي بذلك مظاهره، وبما هي ظاهرة به تُسمَّى خلقًا، فما ظهر فيها من الأمور الوجودية التي هي كمالات وخيرات، فمن الوجود الحق وما عدا ذلك فهو الأمر الثابت لها في إمكانيتها، ليس للوجود منه إلا إظهاره، فكل من الوجود إظهارًا، وما كان منه من حسنةٍ فمنه حقيقةً وإظهارًا، وما كان منه خلاف ذلك فمن نفسه الإمكانية حقيقةً، ومن الحق إظهارًا، فهذا قول مركب من رأي الفيلسوف في الوجود الواجب.

ورأي المعتزلي في ثبوت الماهيات الممكنة قبل تعلق الوجود بها، وزائد على الأمرين بكيفية الإيجاد، وهو على ما هو عليه من البيان معنى فرقي كسائر المذاهب

النظرية يحتاج إلى بيان حال هذه الماهيات، هل هي ثابتة لأنفسها في إمكانيتها، أو الأمر سِواها، وهل لها مبدأ أم لا، وهل مبدؤها وجود أو عدم، ونحو هذا كثير، وكله فرقي مبني على إثبات التغاير الذاتي، وأما التحقيق الإحاطي بل والجمعي فوراء ذلك كله، وكل من عند الله، لا حكم إلا لَه؛ إذ ليس إلا هو، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، فافهم.

فائدة: العمل الشرعي إما أن يلتبس بما لا يستلزمه، فيحتاج إلى نيةٍ تميزه عنه، أو لا فلا، الأول كغسل لبدن لرفع الجنابة يحتاج إلى نية تميزه من قصد التبريد؛ لأنه لا يستلزم رفعها، والثاني كغسل الثوب تنظيفًا، فيكفي غسله لرفع الخبث، ولا يحتاج إلى نيةٍ؛ لأن التنظيف يستلزم رفعه، وقِسْ على هذا، فالنية لا تحتاج إلى نيةٍ، وكذلك الإيمان بالله ورسوله، فافهم.

اسمع: أيما صورة كونية تعرف إليك إلهك الحق المبين فيها فهي صورة تحول لك فيها، ومن هنا تعلم أنه ما عبد عابد إلا إلهه الحق، ما لم يعبد ما ليس له به علم.

اسمع: لقد تحول الرب الحق لقومٍ في صورةٍ جماديةٍ، وقومٍ في صورةٍ نباتيةٍ، وقومٍ في صورةٍ حيوانيةٍ، وقومٍ في صورة عنصرية، فإذا تحول لك في صورة إنسانية فاحمده على ما فضَّلك، بأن تحول لك في صورة أحسن تقويم، وشاهد المثل الذي ليس كهو شيءٌ في عوالم كيانك، فافهم.

جاء في الحديث: «**فإذا أحببته كنت هو**».

وفي رواية: «**كنت لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وفؤاده**[1]»، فإذا جالسته جالست مَن كانَه، وإذا خاطبك خاطبك من هو لسانه، وقِسْ على هذا[2].

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (265/1).

(2) قال سيدي محمد وفا في النفائس: اعلم أن القطبية على قسمين: قطبية في العلوم اللدنية، وقطبية في العلوم الدينية، والفرق بينهما أن الأولى علوم تعريفية، والأخرى تكليفية، وكل واحدٍ ينقسم إلى ثلاثة مراتب: الولاية، ثم النبوة، ثم الرسالة، وفي اللدنية بالعكس؛ لأن الأولى في الديانات: من تولى الله بأوامره ونواهيه، وفي اللدنية: الولي من تولاه الله. أما بالذات: فإذا أحببته كنت هو.
أو بالصفات: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به».
أو بالأفعال: «افعل ما شئت مغفورٌ لك»، والجمع بينهم كمالٌ لا يُدرك، والنبوة اللدنية والرسالة الدينية سارية في أعماق الروحانية بدرجة الجلالة مع الهوية السارية، والله عليمٌ بذات الصدور،

اسمع: من مشهدك يأتيك روح مددك، وعلى قدر يقينك تظفر بتمكينك.

اسمع: المملكة الإنسانية جامعة لكل مرتبةٍ، فإذا خاطبك الإنسان الكامل فشهدته شيطانًا يخاطبك أتاك مدد خطابه شيطانيًا أو ملكًا فملكيًا، أو بشرًا فبشريًا، أو رحمانًا فرحمانيًا، كونًا لك عند ظنك، فقش على هذا، وانظر ماذا ترى.

اسمع: إنما تدرك ما ظهر لك به وجودك المدرك، فانظر ماذا ترى.

اسمع: إنما هي أحكامُك ظهرت لك بها في كل مقامٍ بحسبه ما ثم سوى هذا، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، ففي فرقك تتعدَّد، وفي جمعك تتفرَّد، وفي إحاطتك تتوحَّد، والكل حقٌّ بلا ريبٍ في الشهادة والغيب، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: أيها المستفيد مهما أفادكه مفيدك من نفسه فإنه منه لك في قبولك، كمنظورك من نفسك بواسطة المرايا الصقيلة، هو أنت بالحقيقة والعلم، ومثالك بالمجاز والوهم، فأنت بما استفدته من ربك ربك على المكاشفة، وعلى صورة ربك من وراء حجاب، فبالأول أنت مليكٌ مقتدرٌ، وبالثاني أنت عند مليكٍ مقتدرٍ.

اسمع: مَن تصوَّر صورة فقد تصور بها، ولا تصوير إلا بعد تصور، فما صور مصور إلا ما تصور به، ومن ثمَّ يستحسنه ويحبه ويفرح به، ويكره ذمه، ويعجبه مدحه، فافهم.

اسمع: جاء في الحديث: «**الجمال صواب القول بالحق**[1]».

وهذا قسمان: أحدهما: تنزيل المعاني الربَّانية بالبيان العليم الحكيم على مقادير أفهام القابلين، والثاني: تأويل الأمور الحادثة إلى معنى ربَّاني حكيم عليم، ولما أُعطي يوسف تأويل الأحاديث أُعطي شطر الجمال، ولما جاء محمد بالتنزيل والتأويل المذكورين جاء بالجمال كله، فهو أجمل أهل هذا الجمال، ولذلك جاء في الحديث: «**رأيت أخي يوسف وقد أُعطي شطر الجمال**[2]».

وفيه: «**أخي يوسف جميل وأنا أجمل منه**[3]».

وإذا فهم هذا الخطاب علم الفرق بين الموسوية والخصرية، والله ولي التوفيق.

(1) تقدم.

(2) رواه مسلم (146/1)، وأحمد (148/3).

(3) لم أقف عليه، وقال سيدي محمد وفا في العروش: وبما تجلَّت المحاسن اليوسفية في حجب الكواكب الليلية بحكم الروحانية الملكية، أشار إليها إبراهيم بالربوبيَّة، وكان الإنكار عند

اسمع: جاء في الحديث: «أخي سليمان[1]».

الاستتار ولو دام الشهود؛ لاستمرت العبودية للمعبود، وبما كان بالقميص الذي ألبسه الله إبراهيم عليه السلام إكرامًا، وبه عادت النار عليه بردًا وسلامًا هو الذي أرسل به يوسف إلى يعقوب، وتعطّف به المحب على المحبوب، وإطلاع الأفهام على مكنون هذا من سرّ الإلهام، وبما هاجر إلى ربّه يستهديه في طرق قُربه؛ لمشاهد ما استتر عنه من تحجبه، واستصحب لوطًا إذ كان بسرّ التبعية مَنوطًا فأشرقت فيه ملاحظة الجمال الربّاني، والتعشُّق في البهاء الروحاني، المنفهق بكله في الحجاب الإنساني موضوع المستوى الرحماني، وتَجَزُّئه في المولد الكيواني موضوع المستوى الإنساني، فاشتاقت الروح العلمية للاستواءات القدسية في البواطن الإيمانية؛ لإظهار القوامات الألفية في الحضرات السريانية، وهنا دقيقة خفية حيث صدَّق الحالُ القال: «لكل أمة فتنة وفتنة هذه الأمة الجمال».

(1) رواه البخاري (176/1)، ومسلم (384/1) وقال سيدي محمد وفا في العروش: وبما ظَهرت العينُ السليمانيّة في حضرة جمع الأرباب الكونيّة والأفلاك الأربعة الطِّباع البسائط الكليّة، حَشرت إليه الأرباب جنودَها، وأحكمت له عقودَها وعهودها، وانتهى فيه بل له، بل به وجودُها، بل سجودُها ووعدها ووعيدها؛ فهو يومُ حشرهم المشهود وعرشُ ربهم المعبود له سجد في آدم، منهم: الساجدون، ولمسمَّاه سخَّر حقائقَهم المسخَّرون.
قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالأنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:17]، وبما مرَّ على وادي النمل؛ حيث اجتمع منهم الشمل وهو فتح رقيقة من عالم تصويره وحقائق تدوينه وتسطيره؛ فلأنه تتواضع عند تجلِّي الحق صور متكبرة الخلق وليشهد في مرآته الكلية بحكم هذا الحال، يحشر المتكبِّرون كأمثال الذرِّ في صور الرجال يغشاهم الذل، وتطوّهم الأقدار قد أحاط بهم الويل والثبور.
قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:18].
واعلم أن الجسد الذي أُلقي على الكرسي لإتمام الحكمة هو البدن الذي نجَّاه الله من غرق اليمّ، وهذه كانت نهاية الجبابرة في عزلهم من مملكة الآخرة.
وقال لسان الامتنان في موضع إجابة السؤال: لأوفينَّ عبدي عهدي.
حيث قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:35].
وبما كانت مقدّمات هذا المهاد المُلكي، وفاتحة هذا النظام المَلكي نهاية الخلافة الآدمية الأرضية في نهاية العين الداوودية، ومجمع أسمائه السماوية، وعماله الملكوتية بحيث سُخِّر له ما كان منه بالعينيّة والمثْلية في التصورات التنزُيلية لأحكام التقدير والتدبير في تطوير التصوير بالتسخير، ولم يكن إلا هو لا غير.
قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء:79]، وبما كان ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ

وجاء فيه: «أخي داود[1]»، فهو الأب والأخ، ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: 46]، فهو كل سراجٍ اقتبس منه بالحقيقة، وهو أبوهم بالنسبة الاقتباسية، وأخوهم بالنسبة الإخائية التفصيلية.

قال هو سيدي ومولاي:

كُلُّ سِرَاجٍ وجزء وَهو مقتبسٌ ... كوالدٍ أمس وهو اليوم مولود

وقال هو سيدي ومولاي:

وإِنِّي أَبُو مَنْ كَانَ قَبْل أَبَا أَبِي ... وتحقيق هَذَا مِنه حق الأخوة

وهَذَا مجازٌ فِي حقيقة حقِّه ... وبِي قد أبت كل الإباء أبوتي

يفيد فؤادِي كل قلبٍ تمثلاً ... نزيهًا عن الأمثال في المثلية

وقس على هذا، فافهم.

اسمع: ربك من نور آفاقك بإشراقه، فخلقك بأخلاقه، وانتشاك على وفاقه.

اسمع: ربك الحق من وصَّلك بجماله إلى التحقق بنور كماله، فكَانَكَ أو كوّنك مثاله، أو على مثاله، فكنت هو أو كنت من آله.

اسمع: الآل هو ظل الشخص بعد الزوال، والزوال هو الانتقال من أفق البداية إلى أفق النهاية، فمن أشهدك وجه كماله، وأفادك ما جعلك به على مثاله، فهو مولاك حقًّا، وأنت بالصدق من آله، فافهم.

اسمع: الحيُّ هو المدرك الفاعل باختياره، ولا اختيار لمغلوبٍ، فلا مختار إلا من لا حكم عليه، فلا حي إلا هذا.

اسمع: الحق عين الغيب الذي لا يتبدَّل، قال الصدِّيق الجميل: ﴿هَذَا﴾ يعني شأنه مع المظاهر الإلهية ﴿تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي﴾ [يوسف: 100] يعني سيده ومولاه الحكيم العليم الذي أوّلها أولاً ﴿حَقًّا﴾، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ﴾ [الحج: 6]، و(هو) ضمير الحقيقة، فالحق عين الله، والله حقيقة الحق، ومن ثمَّ كان النبي حقًّا،

تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص:21] من سرِّ نهاية الأحقاب وتمام دولة الأرباب، وليتبصر أولو الألباب.

(1) رواه مسلم (819/2)، والترمذي (140/3).

والولي حقًّا، والكتاب حقًّا.

وقال السيد الكامل: «من رآني فقد رأى الحق[1]».

وقال المبشرون بإسحاق العليم: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: 55]، فافهم.

اسمع: الواحد المطلق حقيقة مراتب العدد، ومنها الواحد المتعين الذي هو أولها، وانظر إذا ضربت الواحد في الواحد ظهر بنفسه، فالواحد في الواحد واحد، وإذا ضربته فيما دونه يظهر متحجبًا بحكم المرتبة، فواحد في اثنين اثنان، والواحد في ثلاثة ثلاثة، وهلم جرا، فواحد الوقت مظهر الواحد المطلق فيه بنفسه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: قالت صواحب يوسف: ﴿مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]، فنفين بشريته مرتين، وكان رفع حجاب البشرية عنه في شهودهن هو خروجه عليهن، وذلك يشهد لك بأنه بشرٌ من حيث الحجابية التي الله يكلم من ورائها بلسانها البشر، وليس هو بشرٌ بالحقيقة، فمن حصره في البشرية فهو كافرٌ به؛ لأنه واقف الشهود في ظلمة الحجاب الكثيف عن الحق النور اللطيف الخبير، ﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: 24]، فسمَّاهم كفارًا بهذا الشهود.

وأما: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ﴾ [محمد: 2] فهم مؤمنون برؤية الحق؛ إذ رأوه كما قالت زليخا عند ظهور حبيبها بريئًا من السوء، سبوحًا في مدارك منزهة عن العيب: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ﴾ [يوسف: 51]: أي ظهر بلا ريبٍ، وتعيَّن شهادة من الغيب، فافهم.

اسمع: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، فالواحد له بالأصالة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾، فهي تتصرف بحكمك ولا تحكم عليك.

اسمع: أنت لما حكم فيك وإن كانت صورته في يدك، ومن ثمَّ كان مقتني الدرهم والدينار المغلوب بحكم وهمهما، حيث أحبهما حبًّا جمًّا عبدَهما، وقِسْ على هذا، فافهم.

اسمع: الغذاء: مادة بقاء ظهور الحياة في محلِّها.

والجوع: الشوق إلى حصول الغذاء في كل مقامٍ بحسبه.

فانظر ما أجمع قوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: 4]، ومن هذه سببية أو

(1) رواه البخاري (2568/6)، ومسلم (1776/4).

ابتدائية بمعنى السبب؛ لأنه مبدأ سببه.

اسمع: السماء في اللغة عبارة عما علا، والأرض عبارة عما سفل في كل مقامٍ بحسبه، فكل مرتبةٍ أصلية سماء للمرتبة الفرعية عنها بما هي أصلٌ وتلك فرعٌ، وكل مرتبةٍ فاعليةٍ سماء للمرتبة القابلة عنها كذلك.

اسمع: الحس الجسماني موضوع للفرعية عن الخيال، كالخيال عن العقل، فمتى انعكس الأمر في دائرة صورة صار عاليها سافلها.

اسمع: المتمكن من تحصيل متخيلاته في حيّزه حسب اختياره هو، ينفق من حاصله رغدًا حيث يشاء، والمحجوب في ذلك الأمر بخلاف ذلك، فكيف يشقى ذلك أو ينعم هذا.

اسمع: الجنين والنائم والميت كلهم برازخ يرجعون في حكم تخيلهم.

اسمع: ﴿كُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: 35]، هذا النهي باب الحجر، وكأن تخصيصها بالنهي منبهًا للخليفة على تعاطيها، وتعاطيها أوجب النزول إلى الأرض حيث الحجر والحيلولة على الغير.

اسمع: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي﴾ [النور: 43]: أي يفرق ﴿سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً﴾ [النور: 43]، هكذا تفرق أنواره في أهل المراتب، ثم يجعلها في واحد الوقت، فترى الكل عينًا واحدًا جامعًا، إن تلف تلف الوجود بأسره، فافهم.

اسمع: من استدعى منك كشفًا عليمًا وبيانًا حكيمًا فقد استفتحك حضرات الله وأبواب رحمته، فإن مَنحت فتحت، وإن قبل دخل، فافهم.

اسمع: المسموع شتَّت المجموع، قال هو سيدي ومولاي:

اجتمعت بجماعةٍ يرون أفهامهم عالية غالية.

فقلت لهم: الوجود موجود أو معدوم؟.

فقالوا: موجود، وصمموا على ذلك.

فقلت لهم: البياض لون الأبيض؟.

قالوا: نعم.

قلت: فالبياض أبيض أو أسود؟.

قالوا: بل أبيض.

قلت: فكيف يكون لون نفسه؟.

قالوا: هذا تشكيك في المحسوس.

قلت: بل نحن لما سمعنا أن اسم هذا الثوب أبيض حقيقةً، وأن لونه أبيض على المجاز، ثم نظرنا إلى الثوب ولونه فأدركناهما إدراكًا متلازمًا، لم ندرك فيه فرقًا ولا تعدُّدًا، توهمنا أن البياض هو لون الثوب الأبيض إذا عرفنا الثوب بأبيض، كما قد نُسمِّي الأبيض بياضًا، وإن كان الأول أشهر؛ لأصالة المحل في الإدراك على الحال فيه.

قالوا: فالبياض أسود؟ قلت: لا، الشيء لا يتَّصف بنفسه وإلا كان غير نفسه، فاجتمع النقيضان بأنه هو لا هو، ولا يتَّصف بضده وإلا اجتمع الضدان.

فالبياض لا أبيض ولا أسود، والوجود لا موجود ولا معدوم، وقس على هذا.

قالوا: فهذا ارتفاع النقيضين.

قلت: عما لا يقبلهما، وهذا كان سببه المسموع الجمهوري مع عدم ممارسة العلوم الرياضية، فإن جمهور أصحاب الممارسات الرياضية مع مسموعهم بالنسبة إلى ما هو أعلى وأدق من علومهم كذلك، بل هم مع تحقق علاهم علومهم كذلك، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع:إذا قيل لك: العلة أما متقدمة في الوجود الخارجي على معلولها، أو مقارنة لَه، أو متأخرة عنه، الأولى كالفاعل والمادة، والثانية كالصورة، والثالثة كالغاية، فلا تصمم على أن المعلول من حيث أنه معلولٌ بالفعل يمكن تأخره أو تقدمه على علته من حيث هي علته بالفعل؛ فإن علة المفعول إنما هي الفاعل من حيث أنه فاعلٌ، ولا يكون فاعله محصولاً إلا مع تمام فعله لَه، وهو لا شكَّ حاصلٌ مع تمام الفعل فيه، فقد تقارنت العِلَّة ومعلولها، وكذلك المادة إنما هي مادته بالفعل حال تمام حصول الصورة فيه، وإذا تمَّ حصول صورة الشيء في محلها فهو مقارنٌ لعلته، والغاية إنما هي علةٌ من حيث أوجب حصولها في النفس الصورة المؤدِّي حصولها في الخارج إلى حصولها فيه؛ لأن الخاتم خاتم بالقوة قبل التختم بالفعل، وهو حينئذٍ مع التختم به بالقوة، فهما متلازمان في الوقوع.

وأما التقدم والتأخر الرتبي بين العلة والمعلول فلازم مع ذلك من حيث أن الإدراك المرتب يقضي بأن المتوقف تابع لما توقف عليه، ومن ثمَّ اختصت بالفاء المقتضية

للتعقيب والفور لغة دخولها دون سائر حروف العلة على المعلول؛ لأن مقتضاها شأنه.

اسمع: الوهم مبدأ النسب والإضافات في كل مقامٍ بحسبه، وبها حصل التغاير، وعليها انبنى الفرقان، فافهم.

اسمع: غذاء العقل كشفه وتمييزه، وغذاء الروح إدراكه وتبينه، وغذاء النفس حصول مشتهاه المستحلى لوهمه، وغذاء البدن ما ناسب مزاجه من مذوقاته، وكلٌّ إذ صحَّ استطاب غذاءه، وإذا اعتل مجّه، وكل منهم إذا غلب بحكمه على المجموع الذي هو شخص جامع لهذه المراتب شغله عما دونه، فضعف المغلوب بالنسبة ذلك الغالب فانظر في حاصلك ماذا ترى.

اسمع: إذا كانت الأنوار المستفادة ألوية مُفيديها، وظلالهم، فمن تصوَّر بها ودخل تحت حكمها فقد دخل تحت ألويتهم، وصار في ظلالهم، فهو محفوظٌ منصورٌ مما يباينهم، فانظر كم بين من شهد مفيده الله بعين اليقين عنده، فكان في ظل الله ولوائه، ومن رآه كذلك عرش الله فكان في ظل عرش الله وظل لوائه ممن شهده دون ذلك، فكان في ظل مشهوده وتحت لوائه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: المستفيد بيت مفيده، ومشكاته مستفاده.

اسمع: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: 35]، هذا نوره الفرقاني.

اسمع: بيوت النور ومشكاته رجال الحق الحاكم بالفرقان الحكيم.

اسمع: إن رأيت النور الربَّاني صورة من ظهر لك منه فقد شهدت نور ربك، وإن شهدته مثالاً منطبعًا فيه فأنت مَن شهد الأمثال، ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35]، فهو المتعين بالكل، فافهم.

اسمع: من تمكنت من إيصال العلم والحكمة إلى محل اليقين من قلبه كشفًا وبيانًا فقد ملكت مفاتحه، فلا جناح عليك أن تأكل منه، فافهم.

اسمع: الغيران هما الشيئان اللذان كل منهما مستقلٌّ عن الآخر بنفسه ووجوده، فمن ثمَّ لم تكن الصفة عندهم غير موصوفها؛ لأنها لا تقوم إلا به، فمن لم يقم إلا بك فليس غيرك، ومن قام بنفسه دونك فتلك مغايرته لك، حتى يرجع قائمًا بك، لا قيام لَه إلا بك، فهناك سقط التغاير بينكما، وقس على هذا، فافهم.

اسمع: النجم لا يحرق الشيطان إلا بنزوله عن مرتبته السمائية، هكذا الولي إذا ظهر

بما لا يليق بمقام الولاية في نفوس الجمهور هلك بذمه من هلك، فهو شيطانٌ أحرقه بنزوله عن رفعته.

اسمع: لما اتحد اللون والمتلون في الإدراك الحسّي صدق اسم كل منهما على الآخر، فيقول عن المتلون: هذا ثوبٌ بياض، ويقول: هذا ثوبٌ أبيض، ومن هنا يظهر لك أن الاتحاد سقوط المغايرة بصدق حكم المتحد على ما اتحد به، فافهم.

اسمع: الشيء مع ما يزيد عليه زائد على نفسه، لا مع ما يزيد عليه، ومن ثمَّ كان (قائم) صفة لزيد في قولك: (هذا زيدٌ قائمٌ)، وما القائم إلا زيد، متلبس بالقيام.

فانظر كيف هو معنا صفة لنفسه مجردًا، وصفاته قد لا تنحصر كثرة وكلها صفاته معًا، فهو الواحد بذاته، الكثير بصفاته، وليست غيره بل هي كما تقدَّم، واشهده في الوجود مع موجوداته، والأستاذ مع صديقيه، والمفيد مع المستفادات منه كذلك، فافهم.

اسمع: ما كان ثابتًا في غرائز النفوس فطرها فهو الثابت في اللوح المحفوظ لا تستطيع النفس محوه بتجردها عنه بقوتها، وهو المقول عنه: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ [الأحزاب: 6].

اسمع: من خلقك بما في لوحك المحفوظ فقد رحمك وخفف عنك.

اسمع: الواحد لذاته واحدٌ وإن تعدد، ألم تسمع قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]: أي لذاته.

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]، فوصف بالرابع والسادس، وما أدنى من ذلك وما أكثر وهو على وحدته.

اسمع: الصمد: الذي لا جوف لَه، والمقصود لكل محتاجٍ، فهو الغني؛ إذ كل ذي جوفٍ محل يطلب اقتضاء مرتبته ما هو محل لَه، فهو محتاج إلى مطلوبه احتياجًا لازمًا، فمن لا جوف له لا حاجة له، وبذلك اجتمع معنيا الصمد في هذا الجناب.

اسمع: الحميد هو المحمود الحامد، فهو الذي أنعم بما يجب حمده به وشكره عليه، فانظر أكمل هذا الكرم، فافهم.

اسمع: إن قيل لك المِثل بكسر الميم وسكون الثاء وبفتح الميم والثاء واحد، فكيف الجمع بين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] وبين قوله: ﴿وَلله المَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل: 60] وبين قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: 35]؟.

فقل وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: إن كانا واحدًا لغةً فالمثل قد أُثبت للحقيقة التي هي الهوية بقوله: ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى﴾ [الروم: 27]، ولاسم الجلالة بقوله: ﴿وَلله المَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل: 60]، ولنور الله بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ [النور: 35].

ونُفي عن مثل الهواية بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11].

وأثبت المثل للنور بقوله: (مثل نوره) هذا المشكاة أمرٌ وهميٌّ ليس غير؛ لأنه في الحس فراغ متوهم وخلاء، والخلاء ثابت وهمًا فقط، فهو في الحس والكون لا شيء، فلا يلزم من كونه كائنًا أن يكون ذلك الأمر شيئًا.

وإنما قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [النور: 35]؛ ليثبت أنه ليس لَه مثل حقيقي؛ إذ الظاهر منه في المظاهر هو بالحقيقة، ومثاله بالوهم ليس إلا كالذي تراه منك بواسطة المرايا الصقيلة، ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: 35]: أي يبين الله الأمثال للناس، فافهم.

اسمع: من أفادك روحًا فأنت في ظل روحه وتحت لوائه، أو عقلاً فأنت في ظل عقله وتحت لوائه، أو قلبًا فأنت في ظل قلبه وتحت لوائه، أو نفسًا فأنت في ظل نفسه وتحت لوائه في دائرة الظلال والألوية، وقِسْ على هذا في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لا تتعرَّف صفات ربك الحق وصفًا إلا من عباده المخلصين، ونزِّهه عن وصف من دونهم وإن كثر من دونهم، وأشهده كما وصفوا: ﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ * إِلاَّ عِبَادَ الله المُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: 159، 160].

اسمع: المخلص غذاؤه علمي من ربه، ﴿إِلاَّ عِبَادَ الله المُخْلَصِينَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات: 40: 42].

اسمع: لا تطلب نيل الإخلاص في كل وقتٍ إلا من صاحبه فإنه مفيده، ولا تكن كالذين يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ الله المُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: 168، 169]، ويكفرون بمفيده في وقتهم، فأعرضوا عن الوجد إلى التقليد وتمنيه.

اسمع: إذا أراد أهل وقتٍ ربهم الحق فليأتوا إليه وحده مذعنين؛ فإنه حاصل

مرادهم جملةً وتفصيلاً.

اسمع: متبوع كل زمانٍ تابع لمتبوع الزمن الذي بعده في كل مقامٍ بحسبه؛ لأنه يأتي بتمام كمالات من قبله، ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: 48].

اسمع: كمالات حقيقة صاحب كل زمانٍ لا تظهر حقائقها عينًا إلا في صاحب الزمن الذي بعده، وفي مخصوصيه بتخصيصه ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ [الصافات: 179، 180]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ * وَحِفْظاً﴾ [الصافات: 6، 7] الآية.

السماء الدنيا الربَّانية لأهل هذا العالم هي صورة كون العالم الربَّاني وزينة الكواكب نورها وهدايتها، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16]، وكفى بنور كشفهم وبيانهم الحكيم حفظًا من كل مارجٍ رجيم.

اسمع: المقام التوهمي باطلٌ، والمقام المعلوم حقٌّ، وبظهور الحق يزهق الباطل كالنور والظلمة، قال لسان الملكية الجنوية المحمدية: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: 164]، فكيف بمن فوقهم من عوالمه.

اسمع: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: 273]، فاتَّسم بسيماهم وأنت بنورها تراهم.

اسمع: كل قابلٍ لا يسأل بالحقيقة إلا مقبوله، فمن لم يسأل سوى الله فليس فيه قبول لما دونه، ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ [البقرة: 273]، من وجد الله أغناه.

اسمع: سيماهم خلاصهم لمولاهم، وقوام وجهتهم لله عند تنزله إليهم بإمامة هداهم.

اسمع: من لم يرهم فلكونه لم يتَّسم بسمتهم، فإذا قال لك قائلٌ: قد خلا الوقت منهم، فقل لَه: كما خلا النهار من نور الشمس عند الأعمى؛ لما قام به من مانع وجده لا لعدمٍ هو في نفسه.

اسمع: ربما أدخل الحق عليك سمة إخلاص فلم تُلق لها بالاً، فكتب لك بها رضوانه أن تراهم، فأشهدك إياهم بما أوجدكَ من سيماهم رزقًا أتاك به من حيث لا تحتسب.

اسمع: فضل ربك الحق ما سادت به مراتب حقه وربوبياته على مراتب خلقه

وعبودياته، ولا يمنح شيئًا من ذلك الفضل بالإفادة إلا هو عند ظهوره لأهل الإرادة بعين الإمامية والسيادة، فمن لم يجد هذه العيون لم يقدر على شيءٍ من فضل الله، ونواطقهم يد المتعين بخلائقهم.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَالله ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد: 29].

اسمع: يده التي بها ملكوت كل شيءٍ فاعليته الإدراكية.

اسمع: جاء في الحديث: «**الجمال صواب القول بالحق، فأجملهم أصوبهم قولاً بالحق، وأصوبهم قولاً بالحق أقومهم بحقِّه**[1]» فافهم.

اسمع: العقل الكلي هو يد الوجود المدبر التي بها جزئياته التي هي ملكوتيات الأشياء، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 83].

اسمع: لا ينظر في عيوب الناس إلا أطباؤهم، ولا ينظرون فيها إلا لإصلاحها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الواجب لذاته مقابل للممكن، فالأول لا يقبل الأضداد، والثاني لا ينفك عنها، وما لا يقبل الأضداد لا يصدق الحكم عليه بأحدها، واعلم أن صفات الواجب واجبة له، فليس لشيءٍ فيها منها ضد بالنسبة إليه، وإن كان لمفهومه ضد بالنسبة إلى ما يقبل الأضداد فعلم الواجب بالنسبة إليه ليس ضد الجهل، وإن كان ضد الجهل بالنسبة إلى الممكن، وقِسْ على هذا.

فإذا اتَّصف الواجب بالرضا والغضب والأول والآخر ونحو هذا، فإنه متصفٌ بها معًا؛ لأنها ليست أضدادًا في حقه، وقِسْ على هذا، وهكذا لو قلت فيه: لا هو داخل العالم ولا هو خارج العالم؛ لأنه لا يقبل التحدد ولا التناهي، فلا يقبل ما يتبعهما ولا ما يلحقهما، وقِسْ على هذا.

اسمع: وجود الكل والمتعين بالكل لا هو داخل الكل ولا خارج عنه، ها أنت ترى الذي تتصوره منك نفسك لا داخلاً فيك، وإلا لكنت ظرفه، ولا خارجًا عنك وإلا كنت غيره.

اسمع: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: 7]، فهذا

---

(1) تقدم تخريجه.

من جملة المحاسن، فقدم الإخبار بإحسانه جميع خلقه؛ ليعلم المتربي أن ابتداءه بالتذليل والتعبيد هو الحسن في حقه، كما أن ابتداء إنسان على شرفه من الطين هو الحسن في حقه الذي ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا * لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 37، 38]، فانظر هذا التدريج.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ [الملك: 3]، هو كونٌ من الرحمن وجوده العقلي الروحاني، ﴿مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: 3] بل كل نظامه محكم.

اسمع: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: 4]، من نظر من النظام الجسماني إلى النظام الروحاني، كان كالناظر من الظلمة إلى النور، ومن السواد إلى البياض، لا بُدَّ وأن يتراءى له ما امتلأ به بصره من الأول في الثاني، والعكس كذلك، ومن نظر من كلٍّ إلى الآخر كشفهما، ومن أمر كشف أمرًا تمكن من تدبيره، ومن ثمَّ حكم النظر الأول في موسى بالعدل، وقيام القسط الجسماني، وتقرير النجاة في ذلك، وشهود صلاح النظامِ الروحاني به، وحكم النظر الروحاني في عيسى بعكسه، وحكم رجع البصر كرتين في محمد بالقيومية الربَّانية في الأمرين، فأتى شرعه عادلاً فاضلاً.

اسمع: من رجع بصره من الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، كشف أن حقيقته مبدؤهما في كل مقامٍ بحسبه، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾

[الملك: 4]، فافهم.

اسمع: الوجود الإلهي واحد وإن تعددت موجوداته، فإن ظهر لك من موجود هو أنت أو سواك شأنه الإلهي، فاعلم أن الظاهر به هو وجوده الإلهي.

اسمع: الوجود الذات واحد متعين بجميع الموجودات من نفسه لنفسه، ومتجل في كل منهم بما ناسب استعداده الذي خصصه به ترتيبه من كل واحدٍ منهم.

اسمع: الوجود الخالق واحد وإن كثرت موجوداته، فمتى ظهر لك من موجود خلق فوجوده الخالق هو خالقه، وهو الوجود الخالق الحق الذي ذلك الموجود أحد موجوداته.

اسمع: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، الحُسن مطابقة الاختيار في كل مقامٍ بحسبه، ولما كان الخالق مظهرًا كل ما يخلقه على موافقة اختياره في موجوده الذي خلقه به، كان قد ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، أيفعل أحد باختياره ما لا يرضاه؟ ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 108]، فافهم.

اسمع: يا إلهي، يا وجودي، يا إلهي امحُ رذائلي بأنوار فضائلك، وأذهب سيئاتي بحسنات محاسنك، وقني شر نفسي وشحها بخيرك وجُودك، واجعلني بك مفلحًا، ما كان لي من كون فرقي مظهرًا لما ظهر به وجود الفرق من أمر خلقي أو حقي.

اسمع: إذا كان الكل تعيناته فالكل وجوهه، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ﴾ [البقرة: 115].

اسمع: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148]، بكسر اللام وفتحها، فهو الفاعل، والقابل باطن، لكل باطن ظاهر كل مظهر.

اسمع: لا يظهر بالأمور العلية والأحكام الحكيمية في موجودٍ إلا وجوده الإلهي، فإذا أتاك شيءٌ من ذلك فاعلم أن ما أتاك به إلا الله إله العالمين وربهم، في أي مظهرٍ أتاك فقد أتى كليمه في صورة شجرية.

اسمع: إذا ظهر الله فيك بشهوده حيثما شهدت لظهوره لك بما لا يظهر به إلا هو في كل مظهرٍ، فقد جعلك عنده أينما كنت، وإن ظهر فيك بألا تشهد من مظهره إلا ظهوره، فقد أخذك من كل شيءٍ إليه وجمعك به عليه.

اسمع: لما أوتي موسى كشفًا عليمًا، وبيانًا حكيمًا من شجرة طوره، قال الحق المبين بلسانه المحمَّدي: «**إن الله ربه كلمه في الشجرة**[1]»، وذلك من الغيب الذي ما كان الله الحق المبين ليطلع الناس عليه قبل ظهوره بمظهره المحمَّدي.

اسمع: لا يشهد موجود إلا ما ظهر لَه به وجوده متصلاً شهده، أو منفصلاً في كل مقامٍ بحسبه ما ثمَّ سوى ذلك، فانظر ماذا ترى.

اسمع: انظر حيثما نظرت إلى الله، واحذرْ أن تعامله في كل مظهرٍ، وتلقاه إلا بما يحبه منك ويرضاه، ولا تتوهم أن ذلك رياء، فإنما الرياء مع رؤية الغير والسوى، وأما والعبد شاهدٌ مولاه فمن يرائي وما ثمَّ سواه.

أخلص شهودك لله من شوائب ملاحظتك لغيره تكن مخلصًا لَه الشهود الخالص، ومن أنت وأنت حيث لا سوى الله.

قال فرعون تلبيسًا على قومه أمر موسى: ﴿**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**﴾ [الشعراء: 27]: أي متحجب المقام عنكم؛ لأنه كان أعرفهم به، ولكن أضله الله على علم، ألم تسمع قوله: (آمنتم به)، فقال موسى كاشفًا لبسه عن نفسه:

﴿**قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الشعراء: 28]، فلا يعرف الله عند تحوله له في لَبس الخلق الجديد إلا موقن.

اسمع: ليكن اعتقادك أن الذي ظهر اختيارًا فيما تراه شجرًا بالثمر، لو شاء أن يظهر فيما تراه حجرًا بالثمر، وليكن عرفانك أنه لو ظهر في الحجر بالثمر لصار الحجر شجرًا، فهو لا يظهر بالثمر إلا في الشجر.

اسمع: ﴿**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ**﴾ [فصلت: 37]؛ إذ تعين بهن تعينًا تقديريًا، فكان حقًّا مخلقًا للشمس والقمر.

اسمع: أنت إن نظرت في الغير نظرة فأنت سقيمٌ، وإن لم ترَ إلا ربك الحق حيث نظرت، فقد جئته بقلبٍ سليمٍ، فاشهد الحق إن هو في الخلق ظهر، وقل: ﴿**لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾ [الأنعام: 76]، ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ**﴾ [الأنعام: 79]، ﴿**وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [الأنبياء: 56] تكن خليله، فافهم.

اسمع: ﴿**إِنَّ الأَرْضَ للهِ**﴾ [الأعراف: 128]، فيها يظهر آثار معانيه الفرقانية جميعًا،

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

فيظهر عرفانًا من حيث يظهر عيانًا.

فغاب تنزيهًا، ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [غافر: 64].

اسمع: أيها العبد متى ظهر الحق في خلقيتك بالمكنة من كشف أحكامه الحكيمة في الأرض، وبيانها تصريفًا وتعريفًا ربَّانيًا ديانيًا، فقد أورثك الأرض، وجعلك خليفة فيها على من كماله في نظامك، ولا يراك من حيث أنت إلا عبدًا.

اسمع: الكثافة التي تقابلها الشفافة التلون، فكل متلونٍ كثيف بهذا المعنى، وكل ثابتٍ على أمره الذاتي لطيف يقابله في كل مقامٍ بحسبه، والشفاف ما صان ما حل فيه، ولم يحجبه ولم يباينه في العيان في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: انظر ترَ كل ذي معتقدٍ لا يخلو من إثبات معتقده بما يعجز خصومه عن إبطاله بقاطعٍ، وحينئذٍ فإن تركت الكل وقعت في خسفة التعطيل ما لم تتحقق بتجريد الوحدة الذاتية، وإن قبلت الكل وقعت في تيه الحيرة ما لم تتحقق بوحدة القيومية الوجودية.

اسمع: لما لم يكن في محال القوى المدركة النفسانية من البدن إلا استعدادات خاصة، فكل محل لا يستعد لسوى القوة التي هو معروف بها الآن كالعين للقوة الباصرة فقط، والأذن للقوة السامعة فقط، لم يبقَ للنفس أن تدرك بكل محل إلا الإدراك الخاص بالقوة الخاصة باستعداده، ما دامت مقيدة الإدراك بتلك الآلات المحلية، فإذا تحلل وثاقها من البدن الذي هذه حالة أعضائه بموتٍ أو نومٍ أو رياضةٍ، أو مهما اتفق اجتمعت لها جهات إدراكها في كل جهةٍ من جهاتها، فصارت تدرك الشيء فتدرك شخصه وطعمه وصوته ومسه وريحه، وكذلك تسمعه فتدرك كل ذلك، وكذلك تذوقه فتدرك كل ذلك، وقسْ على هذا؛ لأنها غنيت عن الآلات التي لا يمنعها من ذلك إلا احتياجها إليها، فافهم.

اسمع: لكل دائرةٍ من دوائر مراتب الفرق إدراك بحسبها، فلها لذة وألم بحسبها، المجردات لهم ذلك بحسبهم، والمفارقات لهم ذلك بحسبهم، والماديات البسيطة لها ذلك بحسبها، والمركبة لها ذلك بحسبها، والملك بحسبه، والجان بحسبه، والبشر بحسبه، والبهيم بحسبه، والجماد بحسبه، والنبات بحسبه؛ لأن مراتب الفرق متمايزة بالتماثل والتقابل والتناسب والتباين، فتلزمها اللذة بالتناسب والضد بالضد.

اسمع: إذا كان الخاص هو العام وزيادة، فلوازم العام كلها ثابتة للخاص وزيادة، فالخاص أوسع وأجمع من العام في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: صدق الطلب ضامن لحصول المطلوب فحصلْه، والزم مطالبته به تظفر في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: صدق الطلب هو السلوك الجد بمحبة المطلوب في الطريق الموصل إليه، والجد ينافي الالتفات في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: العناية عند الفيلسوف هي العلم بكيف ينبغي أن يكون نظام الأمر حتى يكون واقعًا على الوجه الأكمل علمًا موجبًا لتحقيق ذلك النظام، وعند المتكلم هي إيقاع الشيء على الوجه الأنفع لَه، والكل صواب؛ لأن الموجب والمختار واحد متعين بكل المراتب منه وإليه.

اسمع: الولادة نسبة واقعة بين ماهية الوالد وماهية الولد، تُسمَّى في الأول أبوة وأمومة، وفي الثاني بنوة، لكنها لازمة للولد، عارضة للوالد غير لازمةٍ، فالنسبة متوقفة على الماهيتين، فهما علتها، وهي علة مفهومي والد وولد معًا، فالنسبة متأخرة عن الماهيتين، متقدمة على المفهومين، واللازم يجب أن يكون مع ملزومه، فمفهوم ولد مع ماهيته المتقدمة على الولادة، وما هو مع المتقدم على الشيء هو متقدم على ذلك الشيء، فيكون مفهوم ولد متقدمًا على الولادة، وقد كان متأخرًا هذا خلف، وحله أن كون هذا لا يتصور إلا بعد تصور هذا؛ إذ هنا لا ينافي كون هذا يوجد إلا قبل هذا خارجًا.

اسمع: لما كمل نوح دورة ألف سنة، ولم يؤمن به إلا من قد آمن علم أن من لم يؤمن به متى بقي إلى الدور الثاني لم يلد إلا فاسدًا مثله؛ لأنه لا صلاح لنظامه، ولا كمال لقوامه إلا في نظام صاحب زمانه، وما لا يبدأ لا ينشأ، فمتى فات نفسًا مدد صاحب زمانها حتى انقضى زمانه، استمرت على ما انختم زمانها عليه، فمن انختم زمانه وهو حبة فاسدة ومقدمة لم يثمر، ولم ينتج إلا فاسدًا، ولما كان الزمن المحمدي زمن الختم النبوي في أوله قال: «**عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يُوحده**[1]»، يعني: ذريتهم الذين يأتون في زمن ختم الولاية.

---

(1) رواه مسلم (1420/3)، والبخاري (1180/3).

واعلم أن صاحب الوقت هو صورة إحاطة وجود موجوداته جميعًا، فمن نفسه يعلم مراتب الكل وأحوالهم، فانظر ماذا ترى.

اسمع: زمن ختم الدور كآخر وقت الصلاة؛ لأنه آخر وقت إمكان صلة أهل ذلك الدور بربهم الحق، فهو وقت اضطراري لا اختياري، ودعوة أهل الصلاة فيه مجابة لا محالة، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

اسمع: وجودك الذي هو ذاتك من حيث وجوبه حققك وميزك وتعيَّن بك، كما أنك ترى معلومك هو عينك، وأنت ذاته المتعين به، فلما ظهر فيك هذا الوجود بتميزك لنفسك بحيث قمت عندك بنفسك كان ذلك وجودك الزائد الممكن، وهو بالقياس إلى الأول وهمٌ؛ لأن الحكم بأن المعلوم مع كونه معلومًا في نفسه، مستقلاً عن علمه بنفسه ووجوده وهمٌ، ومن هنا يأتي التعب والنصب فيما ميلك بالخاصة المرتبية الحقيقية إلى التجرد عنه، وبذلك تحن النفس إلى التفاني، وهي في إمكانها فانية لم تكُ فيه شيئًا حقيقيًا على ما تقدَّم.

اسمع: من وجوبك يأتي المدد لإمكانك، كما يأتي المدد من شخصك إلى ما تراه منه بواسطة الأجرام الصقيلة.

اسمع: لما بطن حكم حقيقتك الوجوبية في حكم حقيقتك الإمكانية بطون أنك أنت مرئيك، بواسطة المرآة عنك في توهمك أن ذلك المرئي مثال مغاير لك بانطباعه في المرآة.

قلت: إن الحكم الباطن في ذلك الظاهر لك منك موجود لك بالقوة، أو كامن فيك، فإذا ظهر كما تظهر لك حركاتك في المرآة فترى ما ترى أنه مثالٌ منطبعٌ فيها منك، متحركًا حركة متفرعة عن حركاتك، وما هي بالحقيقة إلا حركاتك رأيتها بلا زائد ما كان لي بالقوة، قد حصل لي بالفعل، أو ما هو كامن فِيَّ قد برز.

ثم إذا بطن قلت: قد زال، فكان ولم يكن، وزال ولم يزل، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3]، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 83].

اسمع: الممكن يقبل العدم والوجود لا يقبله علمًا، فالوجود الممكن وهمي لا علمي، قال هو سيدي ومولاي:

فَكَيْفَ انعِدَام الْوَهم وهُو وجودنَا   وَكَيْفَ وجود وهُو أمرٌ لما يُبْنَى
يفـــرقنَا عَـــنَّا ويجمعـــنَا بِـــنَا   فيكذبـنا صِـدْقًا ويـصدقنَا مَيْـنَا

اللهم خلصنا واستخلصنا، وقربنا واقرب منا، وخذنا من كل شيءٍ إليك، واجمعنا بك عليك، وعافنا من كل علةٍ، وطهِّرنا من كل دنسٍ، آمين.

وقد فعلت فاكشفه كما حققته.

اسمع: أنت بممكنك عبد مخلوق لواجبك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ*وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 98، 99]، فتتجرَّد عن وهمك، فافهم.

اسمع: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود: 40]، هؤلاء عرائس الزمن التالي لزمن نوح عليه السلام لتحصل ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء: 3].

والضمير في (إنه) عائدٌ إلى لفظ (من) في قوله: (من حملنا)، و(إنه) مضاف ومضاف إليه، و(إنه) منصوب بحملنا بمعنى، ولمعنى آخر هي (إن) المؤكدة، فافهم.

اسمع: الشيطان صورة الوهم البهيم، قيل: إنه أتى السفينة متشكلاً في ذنب حمار؛ لأن الحمار مثله في البلادة، والحجبة برؤية الظواهر عن شهود المعاني المرادة، والأذناب صور الذنوب، وهي ألوية القذر التي تنصب على أستاه الغادرين يوم قيامتهم، لا يتلبس بأنكرها ويتشكل فيها إلا شيطان سبق عليه القول لا له، ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]، المعلنين المجاهرين برذائلهم، فاغضض صوتك.

اسمع: صورة الوجود الواجب في الإمكان هوية مطلقة، متصفٌ صفاته أضلاعه، العلم في الواجب عقل فيه، والحياة في الواجب روح فيه، وفروع العلم ووجوهه في الواجب قوًى إدراكية فيه، وفروع الحياة ووجوهها في الواجب قوى فعلية فيه، وظله العقلي شخصه البسيط عرش الوجود العالم، وظله الروحاني شخصه اللطيف كرسي الوجود الحي وعينهما، المستوي على هذين المستويين هو الرحمن الرحيم الحي القيوم.

وحملة الأول والثاني قواهما القابلة، وأركانهما قواهما الفاعلة، وسيقانهما قواهما الرابطة بين أركانهما وحملتهما، والعمود ما عليه قام ذلك كله، فهو مبدأ تعينه الترتيبي

في كل مقامٍ بحسبه، وصورة الإحاطة من ذلك كله في غاية الأزل، وأول العلل الله، وفي غاية الأبد ومعلول العدد صورة آدم، عرشه التعقل، وحملته وأركانه الحفظ والذِّكر والفكر والخيال، والوهم عمود بين حملته وأركانه فعلاً وانفعالاً، وكرسيه الحس، وحملته وأركانه السمع والبصر والشم والذوق واللمس عمود بين حملته وأركانه، وكلها مبادي تعقلاتها، وهي سائر العوالم المثل الممكنة المعلقة بمبادئها، فأعيان المستوي على العرش حقائق، وأعيان المستوي على الكرسي حقوق، وأعيان الأركان أمر، وأعيان الحملة خلق، وأعيان العمودين أكوان لأعيان الحملة، وأعيان الحملة حدود وشهادات لأعيان الأركان، والناطق منه عمود حملته التي هي مبدأ محيطه، وقد ظهر لك هذا النظام بكثرته ووحدته على التمام، إن كنت من حملة هذا الكلام.

اسمع: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ [النساء: 34].

فحواء صورة منخلعة عن الحافظة التي هي أحد أضلاع آدم، وذكره صورة منخلعة عن الذاكرة الفاعلة في الحافظة، وحقهما هو المصور الحفيظ، ولعزتهما سُترا، وكان ظهورهما لمن غاير محلهما عورة، وفي انتهاك حرمة كل منهما باجتماعهما في البساط العبداني بغير مدد شهود ربَّاني عقوبة كعقوبة وإدراج في الوهدات الجمادية.

اسمع: إذا فرضت القوى الفاعلة أقلامًا فالقابلة ألواحها، أو آباء فتلك أمهات، وقِس على هذا، ورُبَّ قابل عن هذا فاعل في هذا، بل كل قابل عما هو أعلى منه، فاعل فيما هو دونه، صغار قوم، كبار قوم آخرين، وفي الأمومة الأبوية من مريم لعيسى تصريح بذلك لمن سمع ووعى.

اسمع: صفات المعاني الثبوتية الواجبية مفاتح الغيب الأزلي وصفات الفعل التي هي أكوانها الأزلية مفاتح الشهادة الأبدية، وظل الأولي المشاعر الباطنية العاقلة، والمتصرفة، والمفكرة، والحافظة، والذاكرة، والمتوهمة، والحساسة، وظل الثانية المشاعر الظاهرة الباصرة والسامعة والذائقة واللامسة والغاذية والمولدة والنزوعية، الأولى مفاتح الملكوت الأمر، والثانية مفاتح الملك الخلق.

اسمع: مفاتح الغيب في الحواس الخمس لا يعلمهن إلا الله، فأعرفها بعلامته إذا كشفها لك وبيَّنها، فإنه لا يكشفها ويبينها بعلمه إلا هو، كما جاء في الحديث:

«مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلا الله[1]»، وله معانٍ هذا أحدها.

اسمع: الضرب في اللغة معناه البيان، ومنه: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: 35].

انظر كيف الواحد المطلق هو حقيقة الأعداد كلها، والواحد الأول حقها، فهو مميز المراتب العددية كلها، فلولا الحقيقة ما تحقَّق شيءٌ، ولولا الحق ما تميَّز شيءٌ، لولا الواحد المطلق ما كان لا واحد أول ولا سِواه، ولولا الواحد الأول ما كان ثانٍ ولا سِواه من المراتب العددية، وإذا ضربت الواحد في العشرة ظهر عشرة، أو في التسعة ظهر تسعة، إلى الاثنين يظهر اثنان، وقِسْ على هذا، فما يتبيَّن في كلٍّ منها إلا بصورة مرتبته إلا في الواحد الأول، فإنك إذا ضربته فيه بنفسه، فالواحد في الواحد واحد.

وانظر كيف قولك: واحد في واحد يقتضي القسمة، وقولك: هو واحد يقتضي نفي القسمة، فما ضربته من هذه الجهة إلا في نفسه، فالواحد الأول هو جامع نظام الوجوب والإمكان بقسمته ووحدته، وهو المتعين في كل دور زماني صاحبًا لذلك الدور، وعلامته أن الواحد المطلق يظهر بنفسه ومراتبه في ناطقه كشفًا وبيانًا لكل قابل بحسب استعداده، فلا يكون ذلك إلا لواحد الوقت، فافهم.

اسمع: والجزاء من نسبة العمل، فمن تقرَّب بنفسه جازاه بنفسه في كل مقامٍ بحسبه، ألا ترى كيف الشهيد اسمٌ من أسماء الرب، والاسم عين المُسمَّى، ولم يسمِّ به من المتقربين إلا من تقرَّب إليه بنفسه، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26].

اسمع: ظهر منه بك لك عبدًا لله، وظهر فيك منك لنفسه ربًّا لك، ففيه وصلك بنفسك إذا أراك، وفيك اتصل بنفسه إذا رآها بك فيك، أسريت لك وبك أُسري لَه هو أنت، وقد رآك عبدًا وأنت هو، وقد رأيته ربًّا، فسبحان من أُسري إليه بعبده كالنقطة للخط، والآن للزمان بسيلانه بفعله، بل كالنفس الفظي للحروف اللفظية، وتعينه الأول منها هو كالألف.

اسمع: إذا رأيت ربك فاعلاً مختارًا لكل ما ترى، وشهدته أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، أحاط بكل شيءٍ علمًا ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9]، بلا مراء فقد لزمك أن تشهد ألا ترى كائنًا إلا وهو على ما يختار ويرضى، وحينئذٍ فمتى أحل

(1) رواه البخاري (1693/4)، والنسائي (411/4).

عليك رضوانه بكل كائنٍ فتنعمت به؛ لأن الرضا سبب النعيم، والضد بالضد، ومن ثَمَّ قيل: إن غارس الجنان اسمه رضوان، ويتمنن الرب على عباده ببقائهم آمنين في النعيم المقيم، فيحل عليهم رضوانه كما تقدَّم، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 27، 28]: أي اشهدي الكل منه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾.

فمن رضي فله الرِّضا، كيف لا يرضى عنك فيما منك إليه إذا رضيت بما منه إليك برضوانه، والأول من جملة الثاني، ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]، فافهم.

اسمع: عبد تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لم يدرِ آخذها أن العبد معطيها لَه، فمتى سُئل الآخذ: من أين لك هذه؟ قال: هذه من عند الله، والله ما أعرف من أعطانيها إلا الله، ويشكر الله وحده مع دعائه للمحسنين، وآخر تصدَّق بصدقةٍ فأظهرها فنُسبت إليه، وشُكر عليها، ودُعي له وحده، الأول مظهر ذكر فيه ربه وشكر، وكان هو فانٍ في ربه عن نفسه، باقٍ بربه لربه، رفعت عن أفعاله النسبة الوهمية الخلقية، وتعيَّنت بالنسبة العلمية الحقية تقرب إلى ربه بنفسه في محو آية ذكره، فجازاه ربه بنفسه.

ألا ترى كيف يقول الآخذ منه: ما أعطاني إلا الله، فيذكر الله ويشكر، ويريد الذي أعطاه بخلاف الثاني، وليس المظهر كالحجاب، وقِسْ على هذا أمر العبد كله، فإن صح لَه في إظهاره ما أنتجه إخفاؤه فالخصوصيات لا تعلل:

﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105].

اسمع: إذا تقربت بنفسك الخلقية تقربت بوهمٍ لم يكن، وإذا جازاك الله بعينٍ من مراتب حقه جازاك بحقٍّ لم يزل، فأين الجزاء من نسبة العمل، نعم هو من نسبته من أن تقربت بك فجازاك به.

اسمع: تدري ما مثال جزائك بما لم يزل على تقربك بما لم يكن، أن عليَّ ثوبًا يعجبني في اليقظة، فرأيت في المنام أن ذلك الثوب لك وعليك، وهو قد أعجبني فأهديته إِلَيَّ فسرني ذلك، فلما رجعنا إلى اليقظة إذ هو عليَّ، فخلعته عليك جزاء على ما سررتني في المنام، فتقرَّبت إِلَيَّ بما لم يكن، فجازيتك بما لم يزل، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الروم: 23]، و«الناس نيام فإذا ماتوا

انتبهوا[1]».

«موتوا قبل أن تموتوا[2]».

اسمع: أنا وأنت جائعان، وقد تشخصتُ دواء أعرضه عليك، ليس لي إلا الوقت الذي أنا فيه، وليس لي فيه إلا سد جوعتي وستر عورتي، فإن كفيت ذلك فيه فلا فرق بين أن تكون الدنيا كلها في يدي أو في يد غيري، إلا أنها إذا كانت في يدي تمتعت منها بنسبة موهومة، لو صالحت نفسي على أن كل ما في يد غيري منها إلَيَّ، وصممتُ على ذلك لساوت هذه النسبة تلك هذا، مع ما أتضرَّر به من العداوات بسببها، والغبون في المعاملات فيها، وألم الخوف عليها، والهم بحفظها، وهل بعض هذا فضلاً عن أضعافه، يساوي ذلك التنعم الموهوم، فإذا وجدت منها في الوقت الكفاية فكأنما وجدتها بحذافيرها، وأنا خفيف من أثقالها، طليق من أغلالها، سليم من أعلالها، ولن أعدم الكفاية غنيًّا كنت أو فقيرًا، ﴿فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ [النساء: 135]، فافهم.

اسمع: الناطق مبدأ الكشف والبيان وهما النطق في كل مقامٍ بحسبه، والمنطوق كله أسماء بماهياته، وإن كان أسماء وأفعال وحروف بنسبته، فالنطق العقلي كلام، والنطق الخيالي قول، والنطق الحسِّي حديث، والنطق اللساني لفظ، والكل كليم، مفرداته المفيدة كلمات، فالأسماء اللفظية تدل على الأسماء القولية فقط، والقولية على الحديثية والكلامية، كل منهما يدل على الآخر بوجه، والدال اسم والمدلول مسمَّاه، فإذا دلَّ المتخيل من المحسوس فمفهوم اللفظ اسم المحسوس، وهو عينه في الخيال، فالاسم عين المُسمَّى بهذا الاعتبار، غير المتخيل، وغير المحسوس المتعين به في الخيال، فإذا أدل فالاسم عين المُسمَّى، وقسْ عل هذا.

اسمع: الاسم العقلي يدل على ذات مجرد في غيب الوجود، حاصل في شهود ذات العقل حصول الوجد الذي لا يستطاع إظهاره ولا إنكاره، فإذا قبل التعقل عن العقول عند العقل غير ذلك، فهذا المعقول اسم الذات الحاصل لوجدان ذات العقل، وأول أعيانه المُسمَّى حقيقة، والاسم حقيقة ثم ينخلع مثاله في الخيال، وضده في الحس، فيصير الاسم مسمى، والاسم عين المُسمَّى مطلقًا، ويأتي الوهم بالأسماء

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (52/7).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (384/2)، والقاري في المصنوع (198/1).

النسبية، فتقع تلك الأسماء أسماء مشتقة أو جامدة، أسماء ذوات أو صفات أو حروف، ويكون لكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: جاء في اللسان الشريف الوفوي الإحاطي:كل الموجودات لا تخرج عن أمورٍ ثلاثة: موضوع مقدمة صغرى، ومحمول مقدمة كبرى، ونتيجة دلالة على مطلوب خبري، فلا تقل: كيف هذا وكل مقدمة؛ فإنها لا تتألف من موضوع ومحمول؛ لأن كل مقدمة وإن كانت في الصورة كما قلت إلا أن المقصود منها ليس إلا أحد جزئيها، وهو المذكور في النتيجة، والجزء الآخر متكرر في المقدمتين، واسم الحد الأوسط وهو غيرهما، فالمقدمة ليست بالحقيقة إلا ذلك الجزء المقصود.

فإن قلت: إن كل إنسانٍ حيوان، وكل حيوانٍ جسم، ينتج كل إنسانٍ جسم، فليس حاصل الصغرى هنا إلا موضوع صورة النتيجة، ولا الكبرى إلا محمولها، وما النتيجة في الحقيقة إلا إثباتهما للمطلوب، وهو تصديق أن كل إنسان جسم، فافهم.

اسمع: على قدر المحبَّة يكون الشوق، وعلى قدر قوة الشوق يضعف الرمق على البقاء مع تحجب المحبوب في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: مهما شهدت واسطة بينك وبين الحق فهو حجاب تحجب به عنك، ومهما شهدت صورة أتاك وتحول لك فيها فهو وجه واجهك به، أو حضرة حاضرك فيها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لما لم يكن عند أبي بكر قوة على البقاء مع التحجب بواسطية رُفعت عنه، رحمه محبوبه بذلك، فكان يسمع الله يقول ما يسمعه ممن يراه بشرًا رسولاً، ويخبر عن ملك عن روح القدس عن الله، فطويت تلك الشقة، وعوفي مما في البعد من المشقة.

انظر كيف دخل عليه وهو صائمٌ فقال لَه: «**كُلْ، فأكل، فقال لَه وهو يأكل: ألست يا أبا بكر صائمًا؟ قال: بلى، قال: فما هذا؟ قال: الذي نهاني أمرني**[1]»، فأقره على ذلك فهو حقٌّ وصدقٌ، انظر كيف رأى أمره بالأكل وأمره بالإمساك واحدًا، أرأيت لو قال الرب الحق لعباده الذين يأكلون في كل يوم أكلتين: أوجبت عليكم أن تصوموا والصوم عندي أن تأكلوا في كل يوم ثلاث مرات، أما كانوا عند أكلهم ثلاث أكلات بأمره صيامًا مأجورين، وعند تركهم الأكل جملةً بخلاف ذلك، فما الاعتبار إلا بأمره، فلذلك أكل

(1) رواه أبو يعلى في مسنده (15/3).

بأمره، ورأى نفسه مع ذلك صائمًا بأمره على نيته الأولى، وذلك أولى بذلك ممن نسي وهو صائمٌ، فأكل أو شرب، «**فإنما أطعمه الله وسقاه**[1]» من حيث يسمعه ويراه.

اسمع: جاء في الخبر النبوي: «**إن الأمة إذا بقيت في موقف القيامة وفيها منافقوها، أتاهم الله ربهم الحق في صورةٍ فيقول لهم: أنا ربكم فاسجدوا لي، فيستعيذون بالله منه، ويقولون: لست ربنا إنما أنت شيطانٌ، فيتحول لهم في صورة يعرفونه بها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ويخرون لَه سجدًا**[2]».

فانظر كيف لما أتاهم من حيث لا يعرفون عذرهم بإنكارهم؛ لأنه مراده بهم، ولما تحول لهم من حيث يعرفون أوقفهم عنده، ولم يبين لهم ما أخفى عليهم منه؛ لأنه وجود الكل، ما عرفوه وما أنكروه، إنما أخفي عليهم لمقتضى الإخفاء النفاقي الذي فيهم، والذين أظهر لهم هذا هذا اللسان، أو كيف أظهره لهم ليسوا من أهل هذا الإخفاء، بل هو وهم، كما قال لهم: ﴿**وَلله المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله**﴾ [البقرة: 115]، فافهم.

اسمع: إذا تنزل في المرتبة المُسمَّاة بالتصور كان إنشاء، أو في المرتبة المُسمَّاة بالتصديق كان خبرًا في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الكلام صفة المتكلم في كل مقامٍ بحسبه، فالمكوِّن الذي الكائن كلمة كانت بقوله هو المتعين بالكائن؛ لأن الكلام صفة المتكلم، ﴿**وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ**﴾ [النساء: 171]، ﴿**مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله**﴾ [لقمان: 27].

اسمع: كلمات الحق هي نظامه الوجوبي أسماؤه الوجوبية، وفي نظامه الإمكاني أسماؤه الإمكانية، وتُسمَّى الأولى أسماء عُلا، والثانية أسماء نزول، والكل أسماء حسنى لمن أحسن كل شيءٍ، وهو بكل شيءٍ عليم.

اسمع: الفرقان الربَّاني إنمّا هو نورٌ مبينٌ في الأذهان، ما خفي في الأعيان عن العيان من الحكم والتعرفات والتصرفات المصلحية التي تجلَّى بها الرحمن، وقام بها الديَّان، فالكون فرقان كياني، والبيان كون فرقاني.

---

(1) رواه البخاري (682/2)، ومسلم (809/2).

(2) رواه البخاري (2704/6)، ومسلم (164/1)، بنحوه.

اسمع: قال الناطق المحمدي: «**قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن**[1]»، والأصابع هي مبادئ، ولذلك يُقال في لغة العرب: لفلان على رعيته إصبع حسنة: أي أثر، ويريدون مبدأ الأثر، وكل ما ظهوره من نتائج الظهور الآدمي ظهورًا توليديًا خلقيًا، فهو ابن آدم في المعنى، وقال عن آدم: «**خُلقت بيدي**[2]»، وهما النظام الجامع للأصابع.

فدائرة الوجوب اليمين الأقوى، ودائرة الإمكان اليمين اليسرى، وذلك بما لآدم من العين الذي هو في مرآة الإمكان مثال الواجب في إحاطية الخالق لآدم بذلك على صورته هو، فظهر بذلك عالم الأسماء، وسجد لَه ملك الأرض والسماء، ولما تحقق العين المحمَّدي بالحق الذي آدم على صورته ظهر بأنه روحه وسر حياته، فسمَّى حقَّه نور السموات والأرض، وقال كليمه لسميعه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: 10].

ومن تحجب عنه بمثاله الآدمي تسمَّى لَه بأسماء نزوله عينًا واسطةً في تعليمه أسماء عُلاه غيبًا، وهذا هو الاسم الأكبر، والروح هو الاسم الأعظم الأول حقيقة الثاني، والثاني حقه، والاسم عين المُسمَّى، والباء الداخلة عليه في قوله: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة: 1]، إما زائدة يتم المعنى مع حذفها فيكون اسم خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنا، أو نحو هذا، أو للسبب، فالتقدير: أستفتح، أو أبتدئ، أو استفتاحي، أو ابتدائي، أو نحو هذا فكلٌّ صحيح، فهو عين.

(الله): وجوده الإحاطي بعلمه وحياته.

(الرحمن): وجوده العقلي الروحاني.

(الرحيم): وجوده الفعلي النفساني، ومن خزائن الأول أفاض خلع المعارف، ومن خزائن الثاني أفاض خلع الحكم، ومن خزائن الثالث أفاض خلع الأحكام وفيضه، بيديه كشفه وبيانه على القوابل الفهمية تبيينًا، وعلى القوابل الفعلية تكوينيًا، فعلم فكوَّن، فعلم فردَّ الكون إلى أصله، فتأويل تكوينه في تنزيل تبيينه، فمن نفر من حجابه الجاني سمعه وقال: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً**﴾

(1) رواه مسلم (2045/4)، والنسائي (414/4).
(2) رواه البخاري (2696/6).

[الجن: 1، 2].

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي، يا واحد، يا مولاي، يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78]، التبارك: تكثر الواحد القدوس بتجلياته القدسية، والاسم عين المُسمَّى في العلم، والرب هو المصلح، والجلال هو الاتصاف بنفي النقائص، والجمال هو الاتصاف بثبوت أضدادها، والإكرام: إفادة رقائق الجلال لكل مقامٍ بحسبه، والكاف للمخاطب مطلقًا، فالرب رب العالمين، والعالم كل ما سوى الله، فهو عين هو جملة إمكانية، كل العيون الإمكانية تفصيلها، والعالمون تفاصيله هذه، والرب في قوله: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] بدل من الجلالة، وإنما هي بدل عن الجملة التي هي تفصيلها، فالحمد هو صورة الجميل الواجب في مرآة الإمكان، كما أن السبحات صورة الجليل الواجب، ومجموعهما: (أحمد، محمد) الوجود.

والمجمل الذي تعيَّن به الوجود المطلق الأول، فعين به الوجود المرتب المفصَّل، فهو الله الرحمن الرحيم بإطلاقه وأوليته، وهو الوسط الجامع بين الوجوب والإمكان بعينيته، وبين الأرواح والأشباح بإجماليته، وبين الأشباح والأكوان بتعينه في تفصيليته، فهو المجموع لعدديته، والواحد لأحديته، وهو الأب بفعاليته، والأم بقابليته، ومن ثَمَّ سُمِّي نبيًّا أميًّا، وسمَّى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] التي هي فاتحته البيانية

أم الكتاب، وجعلها في عنديته كما تقول: (المثل في عندية الممثل به)، ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد: 39].

اسمع: أم الكتاب ما لا يتعاقب عليه المحو والإثبات، فهو كتاب إيجاب، نفيه وثبوته في بقاء لا سلوب لَه، وليس ذلك إلا في العوالم المجددة التي لها الأولية الخلقية:

«خلق الله الأرواح قبل الأجسام[1]»، وهي عوالم الأمر، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3].

وأما المتولدات بين تحليل وتركيب فكتاب محو وإثبات، مصدر مضاف للمنفعل بهما بالتعاقب، فذو الأوليات الإيجابية الذي هو الجملة المجردة للتفاصيل الكائنة هو: الحمد، العقل، الرحمة، القلم، الذِّكر اليعسوب الأب الأم، بوجوهه في مراتب أوليائه، وهو النور المرشوش بسريانه في تفاصيله على الكائنات، فما من كائنٍ إلا وله فيه صورة تناسب استعداده بر بها عنده الأمر، ويفصل بها الآيات بحسب إدراكه المرتبي، فتلك الصورة هي الحمد الذي يسبح له بها ذلك الكائن كشفًا وتمييزًا، كيانًا وبيانًا.

اسمع: القلب كتاب: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة: 22].

والقلب بيت الرب يزين فيه عرائس الإيمان، ﴿وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:7]، والبيت سكن الساكن، فالسكينة روح كونه سكنًا، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4]، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، فالسكينة روح الخلافة الربَّانية، فصاحب البيت سلطان بيته، ولذلك ما نزلت السكينة إلا حفَّها الجنود، ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾ [التوبة: 40]، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾ [الفتح: 4] إلى قوله: ﴿وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح: 4].

فهي روح العلم والحكمة الإلهية الربَّانية، فالطمأنينة استواء القلب حتى صار مستوّى، والسكينة استواء ساكنه عليه، والاستواء هو الظهور التام في كل مقامٍ بحسبه، وباستواء الساكن يحيا السكن، حتى قيل: وإنما الناس نفوس الديار.

اسمع: المظهر بيت الظاهر به في كل مقامٍ بحسبه، حتى العقل بيت المعلوم الظاهر

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (265/1).

به علمًا، حتى العلم بيت معلومه، حتى المفهوم بيت ما صدّقه.

أترى ذلك فيه شيءً من الحلول المستحيل على الواجب في مدارك التنزيه المقيَّد.

اسمع: الحرف: ما معناه في غيره فقط.

والاسم: ما معناه في نفسه فقط.

والفعل: ما له الأمران من جهتين، فالحادثات الخلقية معناها في الموجودات الأمرية فقط، فهي حروف وهذه معناها في الأنوار الواجبية، وفي أنفسها بالأصالة التحقيقية والفرعية التمييزية، والواجبية معناها في نفسها فقط.

اسمع: الحروف كلها مركبة الصور في إسميتها، وأجزاؤها أجنحتها وهي مثنى كحا، وثلاث كعين، ورباع كقاف؛ لأن الحرف المطبق لا يتأتى النطق به إلا بعد سكون وحركة يعرضان لآلة النطق به في أوله، يقتضيان تكرره من ألقى باله بتأمل أدركه، فيصير الثلاثي بتكرار أوله رباعيًا، وأوضح من هذا الثلاثي إذا نُوِّن تربَّع.

انظر ليس في المتولدات شيء بارد فقط، ولا حار فقط، ولا رطب فقط، ولا يابس فقط، إلا مبادئ قوتين أو ثلاثًا أو أربعًا مزاجية، وقِسْ على هذا، فمفهومها المفرد الذي هو فرد من أجزاء صورته المركبة جامع لها هو ملك فلكية صورته المركبة، وأجزاؤه أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وإذا جعلت مثنى اثنين في اثنين، وثلاث ثلاثة في ثلاثة، ورباع أربعة في أربعة، صار المجموع تسعة وعشرين حرفًا وجناحًا، والتضعيف تكرار في الصورة، وسيلان في المعنى؛ لأنه بالأول منفصل، وبالثاني متصل.

اسمع: المجاز حقيقة أريد بها تحقيق مثلها المباين لها من وجه من حيث هو مثلها، فإذا قلت: رأيت أسدًا، تريد به تحقيق أن شجاعة هذا الشخص ذاتية فيه، كالشجاعة للأسد، فيجوز الذهن بهذا اللفظ القليل إلى ذلك المراد الكثير، الذي تقديره: رأيت رجلاً شجاعًا شجاعة غريزية لَه، فهو للاختصار والتقريب ما لم يغمض فيبعد، والخلق كله مجازي عن خالقه.

اسمع: تعين الوجود الذاتي المطلق بالوجود الإلهي، فأوجب العلم والحياة، وتعين الله بالوجود الرحماني ذي الصفات الثبوتية التي هي وجود العلم والحياة فأوجد العقول والأرواح، وتعين الرحمن بالوجود الرحيمي ذي الصفات الفعلية التي هي مبدئيات الصفات الثبوتية لمتعلقاتها العينية فعلاً وإدراكًا فأحدث النفوس والطبائع، وتعين الكل

بالوجود الحق المبين المتكلم الناطق فرتب وولد كيانًا وبيانًا، ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 64]، وتعين الحق بآدم، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، للعوالم والمراتب، ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

اسمع: الاسم عين المُسمَّى، وقولهم للشيء وجود في اللفظ وفي الكتابة، كما لَه وجود في الذهن والحس، الأول وهمٌ، والثاني حقٌّ، ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاًّ﴾ [يوسف: 100]: أي حسية، ولأن الحيز باطل فعكسه حقٌّ، إما واجب لذاته، أو ممكن موجود، فواجب بغيره والوهمي عدمي، فثَم أسماء عدمية كالأسماء التي لا عين لها إلا في الوهم، كالحدوث والتكيف والتحيز، وسائر الأمور التي ترجع إلى نسب وإضافات لا حاصل لها سوى ذلك، فبهذه العدمية تميز الوجود الحق المحض المجرد الذي لا يقبلها عمن قبلها، فيحتجب بها عن حقيقته وحقه الذي هو هو من حيث هو هو، ويشعر به مغايرًا له بها، فبها ينكره في عين معرفته وعكسه، ويجده في عين فقده وعكسه، ويشهده في عين حجبه وعكسه، فهو جامعٌ بين الضدين، فاتح عن عيون عدمية، وهم عن مثله.

وحيث الكل مراتب العلم والحياة تحقيقًا، أو تقديرًا، أو إدراكًا، أو فعلاً، كانت كلها مراتب حقية لتصريفات خلقية، ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1].

انظر كيف بعلمك الناقص عرفت علمه الكامل، وبعجزك عرفت نفوذ قدرته، وبفقرك عرفت غناه، وبحياتك الناقصة عرفت كمال حياته، فما دلَّ فيك بالولائية فأصله هو نفس مدلوله، ومميزه أمر عدمي، وما دلَّ منك بالمخالفة فأمر عدمي، كله قدر ليدل فيكون لمدلوله كالوجود اللفظي أو الكتبي، فالعلم والحياة واحد لواحد في جميع المراتب التي هي آحاده، والنقص كالعجز والفقر أمور عدمية، وقس على هذا، فسبحان من جعل لا شيء مظهرًا كالمرآة لما هو شيء، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 83].

اسمع: ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ*الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 6، 7].

وجنة الرب مطلع النفوس المطمئنة، والقلوب متقلبة بينهما، فالجنة تخلدها بموافقات أمر الله فتجددها بأخلاق الرب، ونار الله تجردها عن مغايرة الله، فتوجدها بالله، والبقية تطلب البقاء من حيث تراه؛ لأنها قابلته، فبقية الخلق تطلب الجنة ليبقى

الرب حقًّا، وبقية الله تطلب نار الله ليبقى الله حقيقةً، ففي الجنة جحيمها، وفي هذه النار نعيمهما عكس الأول.

اسمع: حرقة المحبة والشوق والوجد والطلب ونحو ذلك رحمة الله المؤصدة في لفحات نار الله الموقدة، ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 7].

وهي على السالكين بالكسب على صراط التحسين والتقبيح إلى كمال حصول ما تشتهي أنفسهم بما لهم، ومقامهم مؤصدة، «**حفَّت الجنة بالمكاره**»، وهي نار الخلق، «**وحفت النار**» التي هي نار الله «**بالشهوات**»[1]، وهي الجنة، فالجحيم حجاب جنة الرب، والجنة حجاب نار الله، ومن لم يتجرَّد عن الحجاب وينفذ عن حكمه لم يحصل فيما حجبه، فانظر ماذا ترى.

اسمع: ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 28، 29]، اللوَّاحة: فاعلة اللوح، وهو المظهر المادي اللوحي بقوة؛ لأن فعَّال صيغة مبالغة، واللام هنا إما لاختصاص اللواحة بالبشر على أنها قواه التي يفعل بها، أو على أنها القوى التي تفعله، أو زائد للتأكيد على الوجهين المذكورين، ومن فنيت مبدئية ظهوراته البشرية لم تبقَ له بقية عالمية، ومن تجرَّد وجوده عن المراتب العالمية ومبادئها، «**كان الله ولا شيء معه**[2]» و«**كان الله ولم يكن شيء غيره**[3]»، فهذا فوق ما «**لا خطر على قلب بشر**» فوق «**ما لا أذن سمعت**»، كما أن هذا فوق «**ما لا عين رأت**»[4]، فافْن به تبقَ في أرفع المراتب، من كان في الله تلفه كان على الله خلفه[5].

اسمع: إن تجردت من حجابية ذات خلقيتك ظهرت بوجه حقيتك.

اسمع: القابل التام مستوي مقبوله الظاهر به ظهورًا تامًّا في كل مقامٍ بحسبه، فإن كان ظهورًا إجماليًّا فالمستوي عرش، أو تفصيليًّا مفارقًا فالمستوي كرسي، أو ماديًّا

---

(1) رواه مسلم (2174/4)، والترمذي (693/4)، وأحمد (153/3).

(2) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (104/4).

(3) رواه البخاري (1166/3) نحوه.

(4) رواه البخاري (1185/3)، ومسلم (2174/4).

(5) قال سيدي محمد وفا في العروش عقب الحديث المتقدم: كل هذا من أسرار التنزُّلات والتمثُّلات والتصوُّرات المتخلِّعات بالتنزُّلات في التجلِّيات، ولما يتخلَّق به المؤمن من أخلاق الله العلي، ويحصي من أسمائه الحسنى؛ يكون بها فعَّالاً لما يريد، قادرًا على ما يشاء.

فالمستوي لوح، فإن كان بسيطًا فالمستوي لوح محفوظ، أو متولدًا يتعاقب عليه التحليل والتركيب، فالمستوي رق منشور للمحو والإثبات، وذلك كله في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: مستوي وجودك الإلهي من موجوديتك عرش عظيم وكرسي، كذلك والرحماني عرش كريم وكرسي، كذلك والرحيمي عرش مجيد وكرسي، كذلك والإحاطي من ذلك كله، وهو مُسمَّلا الهو منك عرش محيط، وكرسي كذلك.

الأول يُسمَّى: فؤاد في الظهور بالحكم العرشي، ورح بالحكم الكرسي.

والثاني: قلب، ونفس كذلك.

والثالث: صدر وجسد، وهو القوى الروحانية الحاصلة في الجسم.

والرابع: سر وعقل ناطق كذلك.

فكل ما في نظام الفؤاد واجب مجرَّد، وجوده عين موجوده، وكل ما في نظام الروح ممكن كذلك، وكل ما في نظام القلب واجب متعين بالزيادة، وكل ما في نظام النفس ممكن كذلك، وكل ما نظام الصدر مادي ثابت، وكل ما في نظام الجسد مادي متحرك، وكل ما في نظام السر ذات مطلقة لكل مما تقدَّم، وكل ما في نظام العقل ذات محدودة كذلك، فافهم.

اسمع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورا﴾ [يونس: 5]، والضياء النور الذي هو صفة الشمس، فجعل الشمس أثر صفتها إيذانًا بأن الموصوف يكون نفس متعلقات صفته وذاتها.

اسمع: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5]، والقمر قابل والشمس فاعل فيه، فالصفة قابل ظهور الموصوف فيها بمتعلقها، كما يعلم نفسه فيكون ظاهرًا لنفسه في علمه، وعلمه متعلق به، والقمر للشمس كالمرآة للناظر فيها وجهه، والحاصل فيه هو هو الشمس بالحقيقة، وهو ضياء نور الشمس انبسط على القمر وتشكَّل فيه وهمًا، فبذلك تكون الشمس ضياءً والقمر نورًا منه ظهر للناظر.

اسمع: أما من حيث الصناعة اللسانية فقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ [يونس: 5] وصف بالمصدر المسبب عن وصف الموصوف به، وذلك لأن المسبب كماله أن يكون سببًا بالفعل، وذلك لا يكون إلا مع حصول المسبب، وإذا كَمُل

المفعول إلى الغاية لم يتميز عن مصدره لعلو رتبة المصدر.

فقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ [يونس: 5]: أي مضيئة لعلو الإضاءة، وضوءه غاية الضياء، وما هو كذلك فنوره أكمل وأبهر مما ليس كذلك، وأما القمر فنورٌ، ولا يلزم من ثبوت النور قوة الإضاءة، كما يلزم من قوة النور كمال الضوء الذي هو سببه، فالوصف بالضياء مبالغة دلَّت بالالتزام على كمال نور الموصوف به، وتلمح بالذي ذكرناه من المعاني والحكم والمعارف والحقائق، فمن أجلها ذكرناه.

اسمع: قيل للسيد: متي وُجبت لك النبوة؟ قال: «**كنت نبيًّا وآدم منجدلٌ في طينته**[1]».

وفي رواية: «**إني عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لبين الروح والجسد**[2]».

فانظر كيف نبوته موجبة لا محدثة، بإقراره إياهم على قولهم: (وُجبت لك النبوة)، وإتيانهم باسم الجنس محلى بالألف واللام اقتضاءً؛ للاستغراق يدل على أنه موصوف نبوة كل نبيٍّ، ومن ثَمَّ قيل لَه منه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ﴾ [النمل: 6، 7].

وقال: ﴿إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ﴾ [ص: 70، 71].

وخاتم ذلك لإبانة حقيقة كل نبيٍّ من حيث إنه نبيٌّ، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]: أي المحيط بهم كإحاطة الخاتم بالإصبع، وزينتهم الحافظة لنظامهم كزينة الخاتم لليد، وحفظه لما يُختم به يشير إلى أنه هو الذي ﴿عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، وأنه الذي كلف الملائكة بالسجود لآدم، وشرعه لهم؛ لأنه نبيٌّ ذلك الوقت، ويؤيد ذلك إضافة الرب إليه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وتيسير خطاب البسط بلسانه في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ [البقرة: 34]، وقِسْ على هذا.

اسمع: الرحم قابل مثال الصورة الرحمانية؛ لقوله: «**خلق الله آدم على صورة**

(1) رواه الحاكم في المستدرك (2/453).

(2) رواه الترمذي (5/585)، وأحمد (4/66).

الرحمن[1]»، والرحم قابل تولده في دائرة التولد، فهو قابله في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الرحمن هو صاحب الأسماء المتعينة بمتعلقاتها، وآدم على صورته في الخلق، فهو صورته حقًّا.

اسمع: ما ثَمَّ إلا الأسماء وتعيناتها، فما في العوالم إلا الحق وحقيقة الرحمن، وقابل هذا هو الرحمة، وقابل مثاله هو الرحم.

اسمع: إمام الهدي في كل زمانٍ ناطقه، هو الرحمة الرحمانية التي وسعت حقيقة كل شيءٍ معينةً، كما وسعها العلم متجردًا، وهي الرحم الرحماني الذي عنه تظهر صور الرقائق الرحمانية، وتسري في العوالم بأحسن تقويم، فمن وصل إمام هدي زمانه بمحبته وموافقة اختياره وصله الله، ومن قطعة بضد ذلك قطعة الله، كيف لا ووجدك الله عبارة عن معرفتك به وتعرفه إليك، حتى تجده وصلة لك، وضد ذلك فقدك وقطعه، ولا يتعرف إليك حتى تعرفه إلا بإمام هدي زمانك، وقسْ على هذا.

اسمع: جاء في الحديث أن السيد الكامل صلوات الله وسلامه عليه قال: «**إن الرحم شجنة**»: أي شعبة من الرحمن متعلقة بالعرش، «**تقول: يا رب إني قُطعت، يا رب إني أُسيء إلَيَّ، فيجيبها: أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك**[2]».

إنما ذلك حين قطعه المعرضون عن ذكر الله وأساءوا إليه، فرأى بعين اليقين أنهم إنما أضروا أنفسهم حيث انقطعوا عن الله بذلك، وظهر شرفه هو بأن ظهر لكل ذي إدراك صحيح صلة أتباعه بربهم الحق بما شهد من سيماهم الحسنى، وقطيعة من قطعه عن الرب بما شهد من سيماهم السوء، فهو المرسل رحمته للعالمين، ورحمًا رحمانيًّا، من أطاعه منهم نجا، ومن لا فلا.

---

(1) **حديثٌ رجاله ثقاتٌ:** رواه الطبراني في الكبير (430/2)، (13580)، والدراقطني في جزء الصفات (45)، (48)، (49)، بتحقيقنا، وابن خزيمة في التوحيد (ص38)، وابن أبي عاصم في السنة (517)، والحارث في مسنده كما في زوائد الهيثمي (831/2)، عن ابن عمر، وأبي هريرة مرفوعًا.
قلت: أما حديث ابن عمر فرجاله رجال البخاري، وقد ضعَّفه بعضهم لعلة عنعنة حبيب بن أبي ثابت وتدليسه، وكذلك الأعمش.
وأما حديث أبي هريرة فرجاله ثقاتٌ غير ابن لهيعة؛ فإنه سيء الحفظ.
وبالجملة: فهو صحيحٌ عند أهل الكشف رضي الله عنهم.

(2) رواه أحمد (383/2)، والحاكم في المستدرك (173/4)، وأبو نعيم في الحلية (220/3).

اسمع: جاء في الحديث: «**لن يدخل أحدٌ الجنة بعمله**[1]».

وجاء في الكتاب: ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: 32]، فهي كانت أعمالهم في شهودهم الدنيوي، فلما جاءهم من ربهم اليقين في أخراهم علموا أن تلك أعمال ظهر بها فيهم ربهم ومولاهم، كما قال: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ**﴾ [الأحزاب: 43]، ومن ثَمَّ فرض الصلاة.

وأيضًا كانوا يظنون أن ليس لهم إلا ثواب أعمالهم، كما يتوهمون، فلما كُشف لهم الغطاء ورأوا من فضل ربهم ما لا يحصره التمني كلّوا عن أعمالهم، وتوجَّهوا إلى وجهه الكريم المنَّان، فلا زالت أعمالهم عندهم أعمالهم، وما برحت معهم إلى حينئذٍ، ففارقوها تحقيقًا واستغناءً على المعنيين كما تقدَّم، فدخلوا الجنة لا بأعمالهم، وقيل لهم: ﴿**ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: 32]، وفيه أيضًا بيان أن أعمالهم فضلت بهم؛ لأنهم الداخلون بها إلى جنة ربهم، فلولاهم ما دخلت هي مداخلهم.

اسمع: الرحمن وسع كل شيءٍ علمًا بنفسه، ورحمةً بخليقته، فلما ظهر في مرتبة الأصالة عين الكل علمًا، ولما ظهر في مرتبة الخلافة عين الكل حكمًا، ولما شهده الملائكة بخصوصية تروحنها، وقدسها في المرتبتين، قالوا: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً**﴾ [غافر: 7]، فلم يروا معلمهم، وإن تسمَّى بآدم إلا مسمى الرب بالحقيقة، كما قالوا: ﴿**لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾ [البقرة: 32]، فعيل بمعنى فاعل ومفعل، ﴿**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ** ﴾ [البقرة: 33]، فهو في مقام النبوة ظاهر، ﴿**فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [البقرة: 33].

فهو في مقام الربوبية باطنًا، فهو آدم النبي الخليفة إمكانًا، والعليم الحكيم وجوبًا، ﴿**قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ**﴾ [التحريم: 3].

اسمع: جاء في الخبر المحمدي قال الله:

«**أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي**»، يعني مثاله الذي قال فيه أنه على صورته، «**فمن وصلها وصلته ومن بتها بتته**[2]». رواه الترمذي وصحَّحه،

---

(1) رواه مسلم (2169/4)، وأحمد (473/2).

(2) رواه الترمذي (315/4)، والحاكم في المستدرك (174/4).

وابن حبان في صحيحه من حيث عبد الرحمن بن عوف.

فانظر هذه المناسبة بين اسم الراوي والمروي، وجاء في الخبر: «**إن الله اشتق اسم محمد وأحمد من اسمه حميد**»، أو نحو هذا.

فانظر كيف هو الرحم الذي اشتق لها من اسمه، وقال: فمحمد فرق بين الناس، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار: أي نار الناس التي ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [البقرة: 24].

وقال: «**كل نسبٍ وسببٍ منقطع**»: أي من الحق الديان، «**يوم القيامة إلا نسبي وسببي**»[1] وكذلك ورثته الذين هم آله ومنه وهو منهم.

اسمع: إمام الهدي الإلهي في كل زمانٍ إذا انفتح ناطقه بالكشف والبيان، وإنتاج صور الرقائق الرحمانية، وأعيان الأمور الربَّانية في مدارك الإيمان، فتلك رحمة حققها وفتحها الله العليم الحكيم، ورحم اشتقها ومنحها الرحمن الرحيم، فمن وصلها بما يُبقي مودتها وصله، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُداً**﴾ [مريم: 96]، ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: 21]، ونعوذ بالله من العكس والضد، ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد: 22].

اسمع: الكسب اختيار منعوت بالحدوث يوجد متعلقه بواسطة مختاره، فيكون لَه بوجه متعلقه ارتباط لذلك، وعلى هذا الارتباط رتب الثواب والعقاب الشرعي في دائرة التكيف، والرب يفعل في ملكه وعباده ما يشاء.

اسمع: فاعلية الكاسب وهمٌ، وفاعلية الموجد حقٌّ، فإذا كُشف غطاء الوهم عن ساق الحق ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ**﴾ [آل عمران: 154]، ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: 96]، وهو ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ [السجدة: 7]، أوجده في حده، وأحكمه في صنعه، وأقامه بالقسط في وضعه، وإنما أتاه كونه معصية وقبيحًا من النسبة الكسبية، فصاحبها أولى بذلك.

فمتى عاملك ربك على شاكلة نسبة الأمر إليه انقلبت سيئاتك حسنات، ومتى عاملك على شاكلة نسبة الأمر إليك حاسبك، ووزن بميزان النقص والرجحان عليك.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (153/3)، والبيهقي في الكبرى (64/7).

اسمع: إذا زهق كسبك بحق إيجاده رأيت عملك كله في نظام قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: 71].

فكانت نسبة الصلاة إليك في: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 43].

والزكاة والنفقات كلها في: ﴿الله لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: 19].

وجهادك في: ﴿يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14].

وصيامك في: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: 2].

وحجك في: ﴿أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: 128].

وشهادتك في: ﴿شَهِدَ الله﴾ [آل عمران:18].

وقسْ على هذا، فتبيَّن لك أن عملك لَه لا لك، فإذا أدخلك الجنة أدخلكها بما كان عملك كسبًا، وليس بعملك كشفًا.

اسمع: العلم مبدأ التمييز، والإرادة مبدأ تخصيص معلومٍ ببعض المعلومات الممكنة لَه دون بعض، والكلام مبدأ نسبة بعض المرادات إلى بعضٍ، بحيث يصير أحدهما دالاً على الآخر، فكل ما في التمييز ماهيات مجردة، وكل ما في التخصيص ماهيات محددة هي أعيان، وكل ما في الكلام ماهيات دلالية هي أسماء.

فإذا تصورت مثلاً: (زيد قائم) فذلك علم من حيث التمييز، وإذا خصصت (زيدًا) بالقيام حتى كان قائمًا، فذلك إرادة من حيث التخصيص، فإذا حكمت بأن زيدًا قائم حتى ميزه العلم كذلك، فذلك كلام، وحينئذٍ (زيد قائم) في العلم من حيث التمييز، و(زيد قائم) في الكلام من حيث الحكم، لا يختلفان إلا بالتعلُّق العلمي والكلامي، وهو بالأول مُسمَّى للثاني، وبالثاني الاسم للأول.

فحقيقة الاسم والمُسمَّى واحدة، والتعلُّق الذي يكون به الاسم عين التعلُّق الذي هو به مُسمَّى، فهنا يختلف النظر باعتبار وجهته في أن الاسم عين المُسمَّى أو غيره، فمن نظر إلى التغاير النسبي بتغاير التعلقين قضى بتغايرهما، وصحَّ لَه ذلك، ومن نظر بحقيقتهما الواحدة قضى بوحدتهما، وصحَّ لَه ذلك، والثاني أقوى مأخذًا، والأشعري لما رأى زيدًا في الكلام النفساني اسم حُكمي، يتعين ماهية علمية تكون به مُسمَّى في التمييز، حَكَم بأن الاسم عين المُسمَّى، ولما كانت عنده الصفات والتعيُّنات ليست غير من قامت به؛ لأن المغايرة عنده استقلال كل من شيئين عن الآخر بنفسه ووجوده،

حكم بأن الاسم عين المُسمَّى لا غيره، يعني في العلم، ولما رأى العلم متعلقًا بالمعلوم الخارجي نفسه مع ذلك؛ إذ المعدوم عنده ليس بشيءٍ، والمعلوم شيء، فهو الموجود حكم بأن الاسم عين المُسمَّى الخارجي، ولكن من حيث هو حكم علمي على ما تقدَّم لا أن لَه ماهية غائبة، زائدة على ماهيته الخارجية، منفصلة عنها، يُسمَّى بها معلومًا، فتأمَّل.

اسمع: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]، لهذا الخبر معنى بحسب الحشر والجمع، وهو أن يجمع لك في يومٍ ما لا يجتمع لغيرك إلا في ألف سنة، ومعنى يقابله، فينشر لك المجموع في يوم في ألف سنة، الألف في يوم لصاحب ليلة القدر ويوم الجمع، وعكسه لمن دونه.

اسمع: الأيام الروحانية هي أنوار الكشف والبيان في كل مقامٍ بحسبه، فمنها أيام الله، ومنها يوم الرب، ويوم قيامة، ويوم تلاق، ويوم فرقان، ويوم فصل، ويوم مرجع إلى الله، وقِسْ على هذا الحكم الحاضر المبين في الوقت والماضي أمس، والمستقبل الآتي غدًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: مراتب العدد أربعة: آحاد وعشرات ومئون وألوف، فأبعدهم عن الواحد أطولهم مكثًا ولبثًا، فدولات أولي العزم كانت ألوفًا، فلا يتم نشر وجد يومية ناطق كل منهم إلا في ألف سنة زمانية، وذلك زمانه، والحاكم فيه سلطانه، ليس فيه إلا جنوده ورعاياه، ولا سداد لخلة أحد منهم إلا في عطاياه، والدولة المحمدية بما هو منهم، وألفة مئون، فله على رأس كل مائة مظهر وارث خليفة مجدد لأمته وللناس هداهم حتى إلى المائة الثامنة تكون عشرات، يظهر صاحبها في كل عشرةٍ بحكمٍ جديدٍ حتى إلى العشرة الخاتمة تكون آحادًا، ففي كل عامٍ منها يظهر بحكم جديد حتى إلى واحدٍ، هذه الآحاد يظهر في نفس بها كل ما تقدم منظوم في جملة نظامه، فالألوف في المئين؛ لأنها تكرارها، والمئون في العشرات كذلك، والعشرات في الآحاد كذلك، والآحاد في الواحد كذلك، فالكل في الواحد، قال هو سيدي ومولاي:

علـومٌ خفـتْ لـم يـدْرِهَا غيـر واحِـدٍ وآحـــاده لمـــا تَـــنَاهُوا عَـــنِ النكـــرِ
وواحـدُهُ المخـصوصُ فِـي سِـرِّ سِـرِّهِ يوحد غيبَ الـذَّاتِ مِنْ حيث لاَ يَدْرِي

فهو الذي من وجده وجد كل شيءٍ، قال هو سيدي ومولاي: تجلَّى وهذا وقته

وأوانه.

اسمع: ما دام زمان صاحب الزمان في سعةٍ، فوقت صلتك بربك اختياري: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [المزمل: 19]، فإذا حضر ختامه صار اضطراريًّا، ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [محمد:18]، استبق قبل أن يفوت زمان الغنيمة.

اسمع: أنت تعلم أنك متى شهدت شيئًا من ربك الحق لم تشهده إلا خيرًا محضًا، وحسنًا جميلاً، وإن كان ما كان فتهنأ وتتنعم، ومتى شهدته من غيره كنت تارة وتارة بحسب مناسبته لكونك وطبعك ووهمك ومباينته، فمهما تألمت فقل: ألمي هذا عقوبة رؤيتي لغير الله، ونسبتي الأمر لسواه، فإن العذاب لازم الحجاب، والنعيم لازم التوحيد.

اسمع: إذا أراد بك ربك خيرًا جعل كسبك موافقًا لإيجاده، في مطابقة رضوانه، إن كان لا بُدَّ لك من رؤية كسبك.

اسمع: جاء في الخبر أن الحق: «**يكتب لأهل الجنة كتابًا عنوانه: من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت**[1]»، هذا الكتاب كونهم الذي كوَّنهم فيه، وعنوان حفظه بحيث لا يقبل التغير.

اسمع: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً﴾ [آل عمران: 169]، ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ ﴾ [البقرة: 154]، إنما نهاه الفرد عن حسبان موتهم؛ لأن نفي الحسبان للشيء عن نفسه لا يتمكَّن منه إلا من علم ضده، وليس ذلك إلا للأفراد، وأما العموم فلا يملكون الكف عن حسبان ذلك؛ لتوهمهم استحالة حصول الحياة فيما يرونه ميتًا، ولكنهم يملكون السكوت عن ذلك، فكلفوا بما يمكنهم، فجاء: ﴿وَلاَ تَقُولُوا﴾ [البقرة: 154].

اسمع: حالك في منامك كحالك في مماتك، لا تقل: منامي خيال؛ لأنا نقول: دعْه خيالاً، فإنما أوردناه مثالاً، والمثال إنما هو تخيل يتوصل به إلى تحقق هذا، على أن المنام والممات ونحوهما شأنٌ واحدٌ في كونه برزخي، وإن تفاوت الإدراك في مراتبه، أليس أهل المنامات متفاوتين في صدق رؤياهم كتفاوت أهل اليقظة في إخباراتهم ونحو هذا.

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

اسمع: البرزخ وسط حاجز، وحِجر محجور بين الدنيا والآخرة، ينتهي بالحصول في آخرها، وأول الأول خيره في حق كل أهل مستقر حصولهم في مستقرهم.

اسمع: القدرة النفسانية لا تقوى على الإيجاد إلا مع الحياة التي لا تقبل الفساد، فإذا دخل أهل الجنة باب الجنة حيث يُسمُّون بالحي الذي لا يموت، رُفع عن قدرتهم الحجر البرزخي، وجاءهم الحي الذي لا يموت بالمكوِّن، كما أحل عليهم رضوانه، فلا يقولون: (كن) لشيءٍ إلا كان.

اسمع: ﴿قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78]: أي في حال رمامتها: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79]، فيوجد الشيء في باطن ما يُرى أنه ضده، ثم ضرب المثل لذلك بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: 80].

اسمع: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: 30]، فإن شئت ذلك فلك الأمر كله، ﴿وَنَحْنُ﴾ عبادك ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30]، مع جعلك فيها ذلك، فكيف وأنت لا تجعل فيها خليفة، إما منك فيما تفعله من خلف حجاب سببيته، وإما منا ونحن عبادك الذين فطرتهم على طاعتك، وليس بخليفة إلا من قام بحكم مستخلفه.

فكلامهم هذا تفويضٌ وتبرؤٌ من الاعتراض الذي أشعر به إخبارهم، قبل إظهار المخبر به، كما يفعل بمن توطَّن على حصول ما لا يختاره، فمن فهم من هذا الخطاب اعتراضًا أو تعجُّبًا أو نحو هذا، فليرجع عنه لما ذكرنا، فهو أولى بحفظ حرمة المكرمين، ويمكن أن يكونوا تعرضوا بذلك؛ لأن يُجعلوا جنود هذا الخليفة المنوَّه بذكره، ويؤذن لهم في النزول معه عن مصافهم السمائية إلى محل خلافته، تعظيمًا لمن عظمه ربهم، فكأنهم قالوا: ما ثَمَّ من يكون جندًا لَه موجودًا إلا الجن الشياطين، وهم مفسدون سُفَّاكٌ للدماء، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

فتجعل أولئك جنده، أو تجعلنا نحن جنده، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، فخلق لَه جنودًا مضافة للفريقين.

وعلى كل تقديرٍ فهم لم يصفوا خليفة ربهم بالإفساد وسفك الدماء، وإنما وصفوا به من يتأتى ذلك منه، وفي الخلافة كف إفساده، وقطع الخصومة الحاصلة بسبب فعله،

وكيف يذموا من وقعوا له بأمر الله لهم ﴿سَاجِدِينَ﴾، وأنبأهم بأسمائهم التي بها صار لكلٍّ منهم مقام معلوم.

اسمع: تسمية الصنفين زوجين في قوله تعالى: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود: 40]، يفهمك أن المحمولات من كل حبات بذر الأشخاص هي أنواعها في الزمن الثاني، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء: 3].

اسمع: النفي الإضافي لا يكون إلا عن ثبوت ما أُضيف إليه، والتسبيح والتقديس بمعنى التنزيه والإزالة التي هي الطهارة، ونحو هذا من النفي الإضافي، فلا يحصل إلا عن ثبوت ما أضيفا إليه، فالذي يستحيل ثبوت ما أُضيف إليه لَه فعلاً لا تقديرًا، لا يصدقان عليه حقيقة، فالمستحيل عليه شيء مما لا يُلحق إلا بمن ليس كماله ذاتيًا لَه، يوصف بأنه يسبح ولا يقدس حقيقة، فمسبح الله ومقدسه إنما يسبح نفسه ويقدسها، عما يمكن أن يعرض لها من توهم ثبوت شيء من المستحيلات عليه، سبحانه سبحانه هو وبحمده، ولهذا أكثر ما تعدى إليه تعالى بحرف بخلاف الحمد.

اسمع: المرشد الهادي بالحق إلى يسبح الخلق يسبح الخلق ويقدسهم بإرشاده وهدايته من توهمات النقائص، والمستحيلات على الحق التي من عرضت لَه وشابته شانته هو، ولن يضر الله شيئًا، ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]، والمؤمن لا ينجس، ومن ثمَّ سُمِّي يونس وإخوانه الذين هو منهم مسبحين في قوله: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: 143]، والتسبيح أيضًا التسليك، ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40] يجرون، سَبَحَ في الأرض.

وفي الماء: سَلَكَ، وقدس في الأرض أيضًا: ذهب فيها فأبعد، فالمسلكون العباد إلى ربهم الموصلون لهم إلى غوامض قربه، هم المسبحون المقدسون لَه، بهذا المعنى أيضًا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: 166]،

قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

واعلم أن نفي النقائص بإثبات الكمالات أبلغ النفي؛ لأنه نفي واجب لموضع وجوب ما يستحيل حصول منفيه معه، والتسبيح بالحمد من هذا القبيل، أو هو هو في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: المشتق ما أفاد نفسه وما اشتُق منه، والجامد ما أفاد نفسه فقط، مثال ذلك:

(قائم) إذا كان مشتقًّا من القيام، أفاد شيئًا متصفًا بالقيام، لا يصدق عليه حقيقةً إلا حال هذا الاتصاف، فإذا جُعل علمًا، وقطع النظر عن اشتقاقه صار جامدًا، فلا يدل إلا على شيءٍ، ويطلق عليه سواء اتصف بالقيام أو بضده، أو لم يتَّصف بواحدٍ منهما إطلاقًا واحدًا، فالدال بعينه على ذاته علم، والدال بعينه على نفسه، وأمر زائد عليها اسم صفة، فهو للسوى الذي تعلَّق به ودلَّ عليه، فانظر أي العارفين بالله علم معروفه.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقيق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو، سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 7]

فما وكَّلكم في محبته، وزيَّنه في قلوبكم إلى نفوسكم، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [يونس: 100].

اسمع: العلم مبدأ التجرُّد وصبغته، والإدراك مبدأ التحدُّد وصبغته، الأول: صفة نفس الواجب الوجود، والثاني: صفة نفس الممكن الوجود، أو لازمه، والإدراك في العلم من جملة متعلقاته المجردة، والعلم في الإدراك من جملة متعلقاته المحددة، فلا معلوم إلا مجرد بما هو معلوم، ولا مدرك إلا مشخص بما هو مدرك، وكل مجردٍ واجب، وكل مشخصٍ متحدد من حيث أنه مشخصٌ، والوجود الذات واحد يجرد من نفسه لنفسه بنفسه أمورًا يحققها ويتعيَّن بها، فهي موجوداته، وثم يرتبها فتدور دوائر وجوباته ودوائر إمكاناته واستحالاته في مشاهد نفيه وإثباته، ودوائر إمكانه أصل

شهودي لدوائر وجوباته في دائرته النظرية والخبرية، وهما إدراكيان، ودوائر وجوبه أصل وجودي لدوائر إمكاناته في الإدراك والعلم، فالواجبات تتعلّق بالممكنات تعلُّق اليقين، والممكنات لا تتعلَّق بها إلا تعلُّق الظن؛ لأن الأولى عالمة بذاتها، ومدركة بإدراكٍ مجرَّد، والثانية مدركة بنفسها، وعالمة بعلم مشخص يحتمل النقيض بالتجرُّد عن ذلك التشخص؛ إذ التشخص بقاؤه في حفظ تشخصه، وإمداده بذلك إبقاؤه، والمجرد مستغنٍ عن ذلك.

اسمع: الماهية مجردةً تُسمَّى حقيقة، وصورتها اللازمة التي هي في التصور حدها هي حقها في كل مقامٍ بحسبه، والتعين الزائد على هذا شهادة، والمتعين به غيبه، مرآة الأول العلم، ومرآة الثاني الإدراك، وما ظهر فيه غيب أمرٍ من المدارك فهو مشهد الغيب، والظاهر فيه هو شاهد الغيب وما ظهر فيه منها بعينه، فهو شهادة ومشهود بظاهره ومظهريته.

اسمع: إذا ظهر الوجود العلمي بمتعلقه في مرآة الإدراك ظهور العقل بمعقوله في النفس العاقلة، فمتعلقه حقيقة متمثلة في مرآة الإدراك بما ظهر في الإدراك منها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ما في نظام العلم حقيقة إلا وفي نظام الإدراك قبول لتمثلها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: القبول الخاص في الإدراك بالحقيقة التي هي أحدية جمع الإلهية في العلم، هو المرتبة الناطقة المعبر عنها بروح الله، وهي التي متي ظهرت في مدرك بحكمها فذلك نفخ الله فيه من روحه، ولا تظهر إلا ظهر فيها مقبوله التي هي خاصة به بحسب استعداد المدرك الذي ظهرت فيه، وبظهورها في المدرك المُسمَّى بآدم علَّمه الله الأسماء كلها؛ لتعينه بها فيها.

اسمع: المرتبة الناطقة لها أربع قوى: قوى تقبل المجردات، متعينة بقوتها فقط تعيُّنًا يستلزم تعلقها، وهذه المقبولات هي الأسماء حكمًا، والمسميات تمييزًا، وقوى تقبل المسميات بشواهدها الغيبية، وقوى تقبلها بشهادتها العينية، وقوى تقبلها مركبة، الأول كلام، والثاني قول، والثالث حديث، والرابع لفظ في البيان بحسبه، وفي الكيان بحسبه، وفي كل مرتبةٍ إدراكية بحسبها.

اسمع: المدرك مفارقًا كان أو ماديًّا فيه إما مركب أو بسيط، فالمركب أصله الذي ينبني عليه جوهره الفرد، وهو على قسمين:

الأول جوهر صفة نفسه: الجوهرية والفردية، وقبول التحيز والاتصاف بأمور وجودية تحل فيه وترتفع منه، وسيلانه يصنع مقدارًا ذا أبعادٍ يُسمَّى الجسم، والإدراك المتوقف على التجسم هذا هو أصل الأجسام.

والثاني جوهر صفة نفسه: الجوهرية والفردية، وامتناع قبول التحيز، وامتناع الاتصاف بالعوارض الوجودية التي تحل في موصوفها وترتفع منه، وامتناع السيلان الصانع للجسم، والإدراك المستغني عن القيام بالجسم، وهذا هو الجوهر المفارق الذي يُسمَّى الروح الحيوان، وهو أصل القوى المُسمَّاة صورًا نفسانية، وقوى جسمانية حيوانية.

والجوهر الأول هو حقيقة الماء، والجوهر الثاني هو حقيقة العرش الكائن عليه إذا تعلَّق به، وهذا هو الذي يُسمَّى إدراكه تعقُّلاً وتوهمًا وتخيلاً، وإدراك الأول يُسمَّى إحساسًا.

والاستواء هو التجلِّي التام، ومنزلة الناطقة من هذا الجوهر الروح منزلة قواه من الجوهر الجسم، فإذا نفخ الروح الحيوان في الجسم، ونفخ الحق الناطق في الروح الحيوان، استوى الرحمن على العرش، وتعلَّق كل منفوخٍ بمحله كما تقدم، لا يتصل بذلك المنفوخ فيه أمر إلا اتصل بالمنفوخ، فلا يحس الجسم محسوسًا إلا أدركه الروح الحيوان تعقُّلاً وتخيلاً وتوهمًا، وأدركه الروح الناطق عقلاً وخيالاً، واتصل بالرحمن كشفًا وتمييزًا، وهذا عروج إلى الرحمن على المدرجة التي نزل من عنده عليها، فلا يظهر محسوس إلا عن تجلِّي الرحمن في الناطق، وبالناطق في العرش، وظهور ذلك المتجلى به في القوى.

فما من جسمٍ إلا وللروح به تعلق بحسبه، وللناطق بالروح تعلق مناسب لذلك، وللرحمن في الناطق ظهور مناسب لذلك، وما كان كل محسوسٍ إلا بأن ظهر الرحمن به في الناطق، فظهر به الناطق في العرش، فظهر به العرش في القوى الجسماني، فظهر في الحس الذي هو مرآته، هذا حكم هذا النظام في هذا المقام.

اسمع: الوجود الذات المقتضي لنفسه أن يعلم كل ما هو به موجود، فعلمه معه،

وموجوداته مع علمه معية، تلازم على ما هي به من تجرد وتشخص وثبوت وانتفاء وتجوهر وعرضية وحفظ وتحلل وتركب ومقارنة ومفاوتة، وقس على هذا.

فالوجود والموجودات كلها على ما هو عليه الحاصل واجب، هو عالم متعين بمعلوماته، وهي لَه منه به، وشهود بعضها لبعضها متقدمًا، وبعضها متأخرًا، وبعضها مقارنًا، وبعضها مماثلاً، وبعضها مقابلاً، وبعضها مناسبًا، وبعضها مفاوتًا، ونحو ذلك دائمًا أو تارة وتارة، هو من جملتها واجب كذلك ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3] على ما هو به، الزماني في زمانه، والمكاني في مكانه، إما بسيطًا في بساطته، لا يعرض لَه سواها، أو يعرض له سواها، وإما ألا يعرض له تعين، أو يعرض لَه، والمركب كذلك والمفارق في مفارقته كذلك، والإمكاني في إمكانه كذلك، والمفعول الاختياري في حدِّه كذلك، والمعلول في معلوليته كذلك.

ولكل نظام واجب بالوجود الذي هو ذات الكل، وواجب له على ما هو عليه، وما الكل إلا أمور جرَّدها الوجود الذات من نفسه لنفسه في كل مقام علمي بحسبه، كما يجرد العالم من نفسه أمورًا بيانية في صنعة الشعر ونحوه، وذلك المجرد زائد عليه حكمًا ومعاملةً وشهودًا، وما هو بالحقيقة إلا هو وجودًا، فهو كما قال سيدي ومولاي: ما تريد غير ما ترى.

وقال هو سيدي ومولاي:

الله غـيبُ كـل شَـيءٍ ... وكـل شَـيءٍ عيـنه

وقال هو سيدي ومولاي:

مَـا خَفِـي شَـيءٌ وَلاَ ظَهَـرَا ... خـل عَـنْكَ القَـالَ والفكـرَا

وقال هو سيدي ومولاي:

أنـتَ الوجُود وأنـتَ هُو الموجُـود ... والعِلْـمُ فِـيكَ الـشَّاهِد المـشهود

وما الحصول لشيءٍ عند محصِّل إلا ظهوره لَه، وما قابله إلا مقابله، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3]، والحق واحد أحد حتى فيما هو كثرة عدد، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 91]، واللام لام التأكيد في تجريد التوحيد، كما قال بلسانه المحمَّدي: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49] على قراءة من قرأ برفع لام (كل)، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: 2].

والتجريد البياني تقدير، وحيث ليس إلا الله فلا حكم إلا لله، ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [الرعد: 41]، فلا تبديل لخلق الله، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: 3]، حتى تبديل المتبدلات وحركة المتحركات، ومن ثَمَّ حقَّت الشرائع، ولم يبقَ للمكلفين من قبول ما جاءت به الأنبياء غير الخذلان مانع، وتميزوا في السعير معرض منازع، وفي الجنة مقبل متابع.

وتفننت ألسنة البيانات، فعينت في الأذهان مما غاب عن العيان عجائب وبدائع حتى يكون منها في أعيان مقابليها اطّلاعات وطلائع، وقس على هذا، فإن التفصيل واسع، و﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [النساء: 78]، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [الحديد: 5]، ﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 73]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، إنه إياهم أو سمعهم وبصرهم وقواهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

اسمع: قد ترى وجودًا تامًّا قائمًا بنفسه بلوازمه وخواصه ولواحقه، غير معللٍ في ذلك بمنفصل عنه، بل ولا بزائدٍ عليه، وأنه علم نفسه هكذا فصار لَه مرتبتان:

مرتبة ما هو فقط، ومرتبة ما هو عالم ومعلوم، وهو بالأول مفهوم للثاني، وبالثاني للثالث، وهو بالحقيقة (الكل واحد)، وبالحكم المرتبي بالاعتبار كما ترى فاسمه بالأول (هو)، وبالمرتبة الأولى (الله)، والثانية (الرحمن)، وهنا تميزت الآثار والأحكام بتمايز المراتب، فالهو ذات لا يحيط به العلم؛ إذ العلم مما هو، والجلالة ذات عالم بنفسه، والرحمن ذات معلوم عالم بعلم هو معنى لَه، وكذلك باقي المعاني هي للجلالة بالذات الهو، وللرحمن بالزيادة، والجلالة تجلِّي الهو والرحمن تمثل الجلالة، وأوجب الرحمن لنفسه في الإمكان قابلاً يظهر فيه ظهور العقلِ في النفس إيجابًا يُسمَّى الناطق، فهو متعين بالناطق تعينًا لازمًا لَه، وهو في تعينه هذا يُسمَّى الرحيم، وبهذا التعيُّن يُسمَّى الناطق الحق، وشأن الرحمن العلم والحياة، ووجوههما المسماة بالصفات الثبوتية، وشأن الرحيم تعلقاته لنفسه، وهي الجوهر الفرد والجوهر المفارق المتقدم ذكرهما، وهما قابلان فقط، ولكن لكلٍّ منهما قبولات مساوية لتجليات موجبه الذي أوجبه قابلاً لنفسه، وكل موجب فإنه متعين بما أوجبه كما تقدَّم، فكما أن الناطق ذو قبولات للرحمانية ونظامها على ما هو به، فكذلك الجوهر المفارق ذو قبولات للناطقية

ونظامها، وكذلك الجوهر الفرد ذو قبولات للحيوانية ونظامها، وعند تجلِّي الناطق بالجوهر المفارق يُسمَّى إنسانًا، وعند تجلِّي الحيوان بالجوهر الفرد يُسمَّى آدم أو نحو هذا.

فإذا شهدت ذلك بتأمل رأيت الناطق حيًّا عليمًا مريدًا متكلمًا قديرًا سميعًا بصيرًا إلى باقي الأسماء بالرحيم عن الرحمن، ويُسمَّى العلم لَه عقلاً، والحياة روحًا، ووجوه العلم قوى العقل، ووجوه الحياة قوى الروح، وما جرده العلم هو فيه معقولاً، وماهيات عقلية فعالة، وما عينته الحياة هو فيه مدركات معنوية، وأعيان روحانية متصرفة، ورأيت الجوهر المفارق مدركًا بالناطق، وصورة العقل فيه تعقل فكر، والروح تخيل خيال، ومتعلقات الأول عقول مؤثرة، ومتعلقات الثاني نفوس مدبرة، وتُسمَّى في الأول كليات، وفي الثاني أشخاص منحصرة في كلياتها، ورأيت الجوهر الفرد متوهمًا حساسًا بالحيوان، وصورة الفكر فيه توهم وهم، وصورة الخيال فيه حس إحساس، ومتعلقات الأول أشباح مصورة هي طبائع، ومتعلقات الثاني أشخاص هي صور فيها، وكل ذلك يتنزل بالقوى المميزة، ويرجع بالقوى الكاشفة.

فمهما ظهر بالرحيم في الناطق عَقَلَه، وتعين عنده، ومهما ظهر بالإنسان في الحيوان تصوره وصدق به، ومهما ظهرت به الآدمية في الجوهر الجسماني توهمه، وأحسه كل ذلك تمييز فعلي، ومهما أحسه الجسماني كشفًا انفعاليًا تخيله الحيوان كذلك، فتعيَّن في الناطق كذلك، والله الرحمن الرحيم بكل شيءٍ عليم، وهو مطلع على ما عرج إليه كما هو عالم به حل تنزله وقبله، وإنما لم تتساوَ الأجسام والمدركون كلهم، وإن كان الإدراك لازمًا لكلٍّ منهم كما تقدم في إدراكاتهم؛ لأن كلا من الكل ليس بذي نسبة واحدة في النظام الرحماني إلى كل من الكل، بل هو ذو نسبٍ متماثلة ومتقابلة ومتناسبة ومتباينة، بحسب تماثلهم وتقابلهم وتباينهم، فهو في كل قبول ناطقي بمقبوله منه فقط، وكذلك هذا في الحيواني، والحيواني في الجسماني، فإذا انكشف بنسبة كذا في هذا الشخص الفاعلي، وهذا الشخص القابلي، أدركاه سواء، وإن انكشف في كلٍّ بنسبة اختلفا في إدراكه، والنظام الرحماني حقيقة ما يتفرَّع عنه بالتجلِّي، وجملته وما يتفرَّع عنه بالرحيم في الناطق حقه وتفصيله، وهكذا كل نظام لما يتفرع عنه بتجلِّي قيومه في قابله، والفاعل دائمًا أزل قابله، والقابل أبد فاعله.

قال هو سيدي ومولاي: «الجلالة: تجلِّي الهو، والرحمن تمثل الجلالة، والرحيم تعين عين الرحمن في مرآة الإنسان».

واعلم أن الرحمن وجود الإنسان، والرحمانية بالإنسانية وجود العقول والأرواح والرحيم وجود آدم، والرحيمية بالآدمية وجود النفوس والطبائع والجلالة وجود الكل بما هي ذات العلم والحياة وحقائقهما، وما ثَمَّ موجود إلا وله بوجوده كل ما هو للوجود؛ لأنه الوجود في كل موجودٍ، وإن كان لا يظهر مما لَه في كل موجودٍ إلا بما يناسب ما خصص به ذلك الموجود من الخصائص المُسمَّاة بالاستعدادات هذا هو الأصل، وكل ما تفصَّل فمن فروعه، ولكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ فيه رجال، فافهم.

اسمع: قال قائلٌ: ما الفرق بين العلم والإرداة والكلام والقدرة؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: العلم مبدأ التمييز، والإرادة مبدأ تخصيص متميز بمتميز، بحيث يكون أحدهما دالاً على الآخر.

قال: فمثِّل لي ذلك.

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: إذا تصورت زايًا وياءً ودالاً وتميزت لك، فذلك العلم، فإذا خصصت الزاي بالياء والدال، وخصصت كلا منهما بكل على ترتيبٍ خاصٍ صرن به صورة واحدة، فذلك الإرادة فإذا خصصت هذه الصورة بشيءٍ بحيث يستلزم تصوره لدلالته عليه فذلك الكلام، والقدرة مبدأ إظهار المخصص في مرتبة إدراكية على ما هو عليه من عينه التخصيصي إظهارًا اختياريًا، بعد أن لم يكن ظاهرًا فيها.

قال: فما وجه الخلاف في كون الاسم عين المُسمَّى أو غيره؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: وجهه أن زيدًا المركب من زاي ياء دال إذا تصورت به شيئًا، فزيد المركب تسمية، والحاصل في التصور بتصوره من ذلك الشيء دلالةً، هو اسمٌ لما حصل ذلك الحاصل في التصور منه، وذلك الشيء مُسمَّى من حيث حصل في التصور مدلول لذلك، فالاسم حينئذٍ هو المُسمَّى من حيث هو حاصل في الذهن، والمُسمَّى هو ما صدق ذلك الحاصل في الخارج من حيث هو مدلول.

فإذا سمعت لفظ (محمد) فتصورته تصورًا لزم منه تصورك لإنسانٍ معينٍ في الخارج اسم، وذلك الإنسان المعين في الخارج مُسمًّى من حيث تمييزك لَه بواسطة الاسم، وقس على هذا كل مُسمًّى وإن كان اعتباريًا أو كيف كان.

وإذا تحرَّر هذا فالخلاف في هل المتصوَّر من الشيء مثال مغاير لَه، منطبع في نفس المتصور من ذلك الشيء، أو هو ذلك الشيء تعلَّقت به النفس المدركة لَه تعلُّقًا خاصًّا يُسمَّى تصورًا تفرَّع عليه الخلاف في هل الاسم بعينه عين المُسمَّى أو غيره.

اسمع: إذا كان العالم متعين بمعلومه، وكل شيءٍ معلوم ربك الحق، فهو متعينٌ به، فكيف لا تراه حسنًا جميلاً، لا يسعك أن ترى خلاف ذلك إلا مع حجابك عن تعين ربك به، قال هو سيدي ومولاي:

إنْ غِبتَ أبْدَى الغَيرُ كُل قَبِيحةٍ وعَلَى الوجُودِ إِذَا ظَهرت محاسِن

اسمع: كل ما وضع للدلالة بالذات على شيءٍ فهو اسمه، وذلك الشيء مُسمًّى ووضعه كذلك كلام في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: المدارك أنوار يظهر بكشفها ما تعلَّقت به من بطونه في كل مقامٍ بحسبه، كما أنها بتمييزها تحقق مرتبته الشخصية، والإدراك منه المقيد، وهو القاضي في محله القابلي على التعلُّق بما ناسب استعداده الطبيعي فقط، كالباصر القاصر الإبصار على الأضواء والأشكال والألوان المتحيزة بشرط المقابلة للمقلة على الوجه الذي يحصل به الإبصار عادةً.

ومطلق: وهو ما ليس كذلك، ومن ثَمَّ يرى ذي المدارك المطلقة ما لا يراه مقيدها، وحتى أنه يجد بكل حاسةٍ ما يجده بباقي حواسه، وذلك ممتنعٌ على المقيد.

اسمع: هذه الحواس الظاهرة وحسها المشترك بينها، وهو الذي لَه قوة مرسلة في هذه ظاهرة، وقوة سارية مع الحواس الباطنة، فهي من حيث هي أنوار هي الأيام الستة التي خلق فيها السموات والأرض وما بينهما وسائر متعلقاتها؛ لأنها منكشفة بكشفها، وفيه كما تنكشف المنكشفات وهمًا عاديًا بنور الشمس، وفيه والأيام الحواس الباطنة، وسادسها الخيال المشترك بينها، وهو الذي لَه قوة مرسلة فيها، وقوة سارية مع القوى العقلية، هي أيام روحانية لتلك الأيام الحواس الجسمانية الأولى، وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس والحس المشترك، نظام عوالم الملك، والثانية وهي الحافظة

والمتوهمة والذاكرة والمفكرة والمتصرفة، والخيال المشترك نظام عوالم الملكوت، الأولى خلقه، والثانية أمره، والحصول في هذه الأيام مفصلاً، فرع الحصول في اليومين المشتركين مجملاً، تنزلاً بالتميز، والحصول فيهما جميعًا فرع الحصول فيها متفرقًا بالكشف والتبدل والتغير، إنما هو بحسب البطون والظهور النسبي، وأما الحقائق فلا تنقلب.

اسمع: العلم ما أوجب تمييزًا لا يحتمل النقيض، وإذا كانت ذات شيء كافية له في هذا الإيجاب سميناها علمًا باعتباره، وعالمًا باعتبار ثبوت العلم لَه، وإذا كان موجب ذلك كله صفة قائمة به، فصفته هذه علمه، وهو عالمٌ بما هو موصوفها.

اسمع: العلم إما فعلي، وهو الموجب لمعلومه بتمييزه، وإما انفعالي وهو التابع لمعلومه بكشفه، والأول لا يغايره معلومه بل معلومه عينه، والثاني يغايره معلومه لاستقلاله دونه، فالعالم بذاته لا بمعنى زائد عليه يُسمَّى العلم، وإنما هو يعلم بذاته، فذاته عالم وعلم باعتبارين، وواحد بالحقيقة، والعين علمه الفعلي وعالمه ومعلومه واحد، وهذا حكم نظام الجلالة، والعالم بعلم زائد عليه علمه الفعلي ومعلومه واحد بالعين، وهما زائدان على عالمه بالحقيقة لا بالعين الظاهرة؛ لأن معنى العلم والعالم به واحد بحسب التعين، فالمعلوم المتحد بعلمه كذلك، وهذا حكم نظام الرحمن، فالنظام الأول ذوات للثاني، والثاني صفات للأول، وحيث كمُلت الأشياء بذواتها وصفاتها لم يبقَ للعلم بها تعلُّق آخر إلا تعلُّق الكشف، وهو التعلُّق الانفعالي المتغاير علمه ومعلومه، وهذا حكم النظام الرحيمي.

اسمع: الوجود الواجب المحض المُسمَّى بالجلالة هو بإيجابه لمتعلقاته التي لا تحقُّق لها إلا به، فلا يتعيَّن بها سواه، فلا تزيد عليه معانٍ واجبة ممتنعة الزيادة عليه إلا من حيث تعتبر معانٍ متعلقة، وما تلك المعاني إلا هو بالحقيقة والعين، وهذه المرتبة تُسمَّى هوية سارية.

وأما المرتبة الرحمانية فهوية مرسلة، الأولى تميز تمييزات اعتبارية ليس إلا كالفصول السلبية، والثانية تميز تمييزات وجودية، وتقريب هذا في المجسمات غرفة ماء مجتمعة، فهي واحدة بتعينها الوجودي، فإذا وضعت في كل إناءٍ جزءًا كانت أكثر من واحدٍ بالفراغات الفاصلة بين تلك الأجزاء، وقِسْ على هذا.

اسمع: من ظهر الإله الواحد فيه بالإلهية ظهورًا تامًّا في زمانٍ، فهو الإله الواحد بالحقيقة والأنية والهوية، وهو مخصوص الإله الواحد بالمجاز والمرتبة الإمكانية والقبول المظهري، ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19]: أي وهو: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78].

فهو إنه فمن شهده من هذه الحيثية حال محاضرته لَه ومعاملته إياه واهتدائه به فإنما هو محاضر الإله الواحد، معامل لَه، مهتد به، ومن يهده الله فلا مضل لَه، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 30]: أي أُشهدوا وعُرفوا به، فيا سعد من دخل بهذا الشهود في مسلك الخواص قبل أن ينادي لسان الفوت: ﴿وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: 3].

اسمع: الهو ذات الذوات، والجلالة ذات الذاتيات، والرحمن ذات الصفات، والرحيم ذات الأفعال.

واعلم أن الذات فقط مقوم كل علمٍ ومعلومٍ، وإدراكٍ ومدرَكٍ، وحكمٍ ومحكومٍ، في كل مقامٍ بحسبه، فلا يُتقوَّم بشيءٍ من ذلك، فالذات فقط لا يُعلم ولا يحكم عليه ولا يُدرك، وهذا الثبوت السلبي يعبر عنه بامتناع إثبات النفي والإثبات، واسمه الهو، وتعين هذا الامتناع ثبوته، بحيث يعبر عنه بأنه ما يَعلم ولا يُعلم، ويَحكم ولا يُحكم عليه، ويُدرِك ولا يُدرَك، فتعيُّنه إثبات امتناع النفي والإثبات.

واسمه الجلالة، فالجلالة لاهوت الهو من حيث اعتباره متعينًا بها، فالجلالة هوية مرسلة للهو، وهو لها هوية سارية، فالهو والجلالة ذات في وحدة مطلقة غيبًا وشهادةً، والرحمن تعين الجلالة بمبادئ معلوماته ومدركاته وأحكامه، فهو للجلالة هوية مرسلة، والرحيم تعين الرحمن بتمايز متعلقات معانيه تمايز الاستقلال، الأول شأنه امتناع إثبات النفي والإثبات، والثاني إثباته، فالرحيم للرحمن والجلالة للهو.

اسمع: إذا ظهر معنى عن ذات بواسطة فذلك الواسطة حجاب ظهر المعنى من ورائه، مثال ذلك قوله: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22].

فالهوية الرحمانية الرحيمية ظهرت عن الهوية الجلالية بواسطة الوحدة الإلهية، ولذلك جاء بالاسم الموصول، فالرحيم تجلِّي الرحمن من وراء حجاب امتناع إثبات

النفي والإثبات، والرحمن تجلِّي الجلالة من وراء حجاب إثبات امتناع النفي والإثبات؛ لأنه شاهد غيب اللاهوت، والرحيم شهادة شاهد الرحمن.

اسمع: الماهيات هي المراتب القابلة لتجلِّي الهويات بما فيها وعليها، لا بحكم الزيادة في كل مقامٍ بحسبه، والمادة كهي لكن بشرط الزيادة، فهي قابلة لهويات عارضة لها تُسمَّى الصور والهيولي استعداد قبول المادة لمقبولاتها، وهي قائمة بالمادة لا بحكم الزيادة، فالمادة ماهية الهيولي، والهيولي هوية المادة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: إنما وضعك الله أيها الإنسان لنفسه الرحيم الرحمن، فمهما شغلت نفسك عنه بما تراه غيره، فأصابك منه ما تكره فلُمْ نفسك على قلة أدبك، فتلك من عقوبتها، ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15].

إذا كانت متعلقات القدرة كلها دلالات بوضعها على واضعها دلالة لازمة، وبموجوديتها على وجودها وموجودها، فكلها أسماؤه، وكلها كلماته، وإذا كان شيء منها وصفًا عنوانيًا لشيءٍ فذلك الشيء كلمة، وعنوانه مصدقه في كل مقامٍ بحسبه، فافهم.

اسمع: قال قائلٌ: كيف يصح حصول العالم في ذرةٍ منه؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: أليس المركز الحقيقي نقطة نقطة لا ينقسم، فافرض العالم كله دائرة، وقد أخرجت من كل نقطةٍ منها خطًّا واصلاً بالمركز، أليس نهايات أنصاف الأقطار التي هي تلك الخطوط كلها تجتمع في المركز متحدة؛ لتجردها عن تمايز أوضاعها، فقد اجتمع العالم كله في أين نقطة لا ينقسم.

اسمع: ما ثَمَّ إلا الوجود الذات، يحكم بنفسه على نفسه ولها، فيتعيَّن بأحكامه ويتصرَّف فيها وبها، أما ترى كيف يحكم بالتغاير ويتعيَّن به، فيتصرَّف فيه بالنفي والإثبات والتوجيه والإيعاب، ويتصرَّف فيه حتى يألم، وينعم بنفسه المتعيبة بالمغايرة تألمًا وتنعمًا أصله المغايرة، فبواسطة المناسبة تنعَّم، وبواسطة المباينة تألم.

يا سبحان الله، كيف يناسب من ليس إلا هو نفسه أو يباينها، وحيث ثبت لك هذا بالوجد اليقين علمًا وعينًا، فلا يبعدن عليك أن جميع الأحكام وإن كانت عدمية، أو أعدامًا للذات بها وفيها تصرفات، وهل كل ما ثَمَّ من لواحق التغاير إلا نسب وإضافات وآثارها.

ما الوجوب؟ ما الواجب؟ ما ضده؟.

ما التجرُّد؟ ما المجرد؟ ما ضده؟.

ما الطرف؟ ما الوسط؟ ما الإشارة؟ ما المشار إليه؟ ما ضده؟.

ما الجزئي؟ ما الكلي؟ ما التعيُّن؟ ما ضده؟.

ما الوجود الزائد؟ ما العدم؟ ما موصوف كلٍّ؟.

ما الحدوث؟ ما الحادث؟ ما ضده؟.

وقِسْ على هذا، إن هي إلا أسماء سمَّى بها الوجود الذات نفسه، فتسمَّى بها عند نفسه حكمًا ومعاملةً، ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [الرعد: 41]، فافهم.

اسمع: حقيقة الشجرة هوية تجلَّت بماهية، فصار بها ما هو مشتقٌّ منها، كما تقول: الإنسانية مصدر حقيقة هذا الإنسان، الوجوب حقيقة الواجب، وتعريف الماهية قد تقدم، وتسمى هذه الماهية دقيقة، والحاصل لها مشتقٌّ من الحقيقة رقيقة.

اسمع: المراتب المبادئ الكلية ثلاثة: فاعلة وحقيقتها علم فعلي، وقابلة وحقيقتها علم انفعالي، ورابطة وحقيقتها إدراك لَه جمع بين القوتين، الأول فيه تمييز، والثاني تعيين كشف وانكشاف، ولكل مرتبةٍ خاصية مرتبية لا يكون شئونه إلا بحسبها، وذلك في كل دائرةٍ بحسبها.

اسمع: التحيُّز والتمكن ونحو ذلك إنما هي خواص مرتبية، وتظهر في الكشف الاعتباري بموضوعاتها، فيُقال أنها فيها، ومن ثَمَّ ينكشف المتخصص بها متحيزًا في حيِّزٍ، ومتمكنًا في مكانٍ، وحالاً في محلٍّ، وحاصلاً في فراغٍ، ومفارقًا في خلاءٍ، ونحو هذا، وكل ذلك إنما هو صور حكمية لخواص مرتبية، ولها آثار ولواحق بحسبها.

اسمع: الوهم مبدأ تصور الأمور النسبية صورًا عينية متخيلة ومحسوسة أيضًا في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: كيف يتحقق بتحقق تكرار أو تماثل مع ظهور أعيان النسب والإضافات في مدارك التحقق والضرورة.

اسمع: الأحكام الخبرية أوصاف، وما صدقها صفات.

اسمع: إذا ثبت أن الماهية المجردة عالمة بذواتها استحال عليها الجهل المناقض

للعلم؛ لاستحالة اجتماع الضدين، وثبت أن العلم لازم لكل شيءٍ لزومًا أصليًّا؛ لأن التجرد أصل، والتشخص عارض بعده، وزوال أثر هذا العارض شرط في ظهور ذلك لازم لا في ظهور أثره؛ لأنه حاصل في غيب الشخص، فيؤثر من حيث حصوله، فلا جهل في البواطن وإن عرض للظواهر.

اسمع: ما لا يُعلم لا يُجهل وإن تُوهِّم؛ لأن الجهل يقابل العلم لا الإدراك الذي التوهم من مراتبه، والمتقابلان إنما يتواردان على محلٍّ واحدٍ، وكل مراتب الإدراك الأربعة قد لا تستلزم تمييزًا لا يحتمل النقيض في نفس الأمر إلا التعقل، فليس فيه ما يتوقف على العلم دائمًا سواه، وأما الحس فإنه وإن لم يحتمل النقيض في الحال إلا أنه في نفس الأمر قد يحتمله، كما إذا قارنه التمييز الوهمي، ألا ترى أنه عندما ينكشف فيه ما أثبته الوهم في

التخيل يقطع المدرك به في الحال، كمحسوسات المسحور حتى إذا جاءه بالتعقل لم يجده شيئًا.

قال هو سيدي ومولاي: المعجوز عنه ما لا يُتصوَّر، فليس هو موجودًا ولا معدومًا لتصور الوجود بنفسه، والعدم بتصور نقيضه، ولا هو معلوم؛ لأن التصور أول مراتب العلم، ولأن كل معلومٍ منحصر في تمييزه، ومحاط به لعالمه، وامتناع التصور ينافي ذلك، ولا هو مجهول؛ لأن الجهل لا يرد إلا على ما يرد عليه العلم؛ إذ هو ضده، والعلم لازم لمحله، فلا يعرضه الجهل، فما لا يتعلق العلم به في محله لا يتعلق الجهل به فيه، وإلا اجتمع الضدان هذا إن كان الجهل التصديق بالخلاف، وإن كان عدم العلم عما شأنه أن يعلم فهو نقيضه، ولا يجتمعان ولا يرتفعان، لكن عما من شأنه أن يتعلقا به، وليس من شأن العلم أن يتعلَّق بالممتنع التصور، فليس من شأن الجهل الذي هو عدم تعلق العلم بما من شأنه أن يتعلَّق به أن يتعلق بالممتنع التصور، فالممتنع التصور لا معلوم ولا مجهول، و﴿**وَقَالُوا الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا الله**﴾ [الأعراف: 43]، سيدنا ومولانا.

اسمع: الشيء تارة يُستعمل مساوقًا للموجود بمعنى التمييز، وتارة يُستعمل أعم منه، فيكون المراد به الشعور به على أي وجهٍ اتفق، ومن هذا يُقال: أيُّ شيء هو العدم؛ لأنه متصور بتصور نقيضه، ويُقال: أي شيء هو المعجوز عنه؛ لأنه مشعور به توهمًا

عليه، ترتب الحكم السلبي في قولك: (المعجوز عنه لا يُتصور) وقِسْ على هذا.

اسمع: النفس هي الجوهر الفرد المتوقف التأثير على تعلقه بجسمٍ، وإن توقف في تحققه وقيامه بنفسه عليه، والعقل جوهر مفارق غير متوقفٍ على تعلقه بجسمٍ ولا جسماني.

اسمع: الجوهر في اصطلاح العقلاء يستعملونه بإزاء أربع معانٍ:

1- الموجود الغني عن المحل والمجردات جواهر بهذا المعنى.

2- الماهية التي متى وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، والموضوع عندهم هو المحل المقوم للحال فيه، الثاني أخص من الأول، وما صدق عليه الأعم صدق عليه الأخص.

3- القابل للصفة، وهذا اصطلاح القائلين باستحالة قيام العرض بالعرض.

4- ما يكون موردًا للصفات المتعاقبة. وهو أخص من الأول.

اسمع: الوجود المشترك المحيط هو ذات المعاني المتعلقة التي تغاير متعلقاتها، والتي لا يغايرها، وهو بالأول وجود حاصر جامع نوره البياني يُسمَّى قرآن، وبالثاني هو وجود فارق نوره البياني، فرقان علم الأول فعلي، وعلم الثاني انفعالي، استواء الأول رحماني، ومستواه عرش، والثاني رحيمي على كرسي، وصورتهما إنسان نور بيانه يُسمَّى ذِكْر، ومستوى كل وجود عينه الخاص القبول بتمام تجليه في كل مقامٍ بحسبه، وعرش العرش إذا استوى لوح محفوظ، والعرش قلم يُكتب في اللوح المقدَّر، وكرسي الكرسي إذا استوى رق منشور، والكرسي قلم يُكتب في الرق ما هو كائن.

اسمع: الجلالة إحاطة، والرحمانية قرآنية، والإنسانية ذِكرية، والآدمية لوحية.

اسمع: الواحد للعدد، والألف للحروف، والجوهر للجسم، والنقطة للخط، والآن للزمان، وهي سواء في كونها مبادئ متعينة بما يصنعه سيلانها من صور المراتب النسبية، فالأعداد كلها بالحقيقة آحاد، والحروف ألفات، والجسم جواهر، والخط نقط، والزمان آنات، فالكل مبادئ لما حالها معها كحالها مع أصولها، فالكل في كلٍّ من الكل غيبًا وقوةً وحقيقةً كما ترى.

اسمع: الموجودات كلها أسماء موجودها، وكلماتها مفردات حدودها، ومعانيها وأعراضها المشخصة والمخصصة حروفها في كل مقامٍ بحسبه، فالعالم كله كتاب.

اسمع: الألف مبدأ تحقق الحروف بحقيقته، ومبدأ تعينها بعينيته، ومبدأ قوامها بتعينه، والخط المستقيم أصل، والمستدير وما دونه من الأشكال فروعه، بل وعوارضه، والباء خطٌّ مستقيمٌ راقدٌ، ولا يستدير القائم حتى يرقد، فالباء الميل الأول، والميل الثاني وصلة الخط القائم بالخط الراقد لام هكذا هو الرسم العربي، فهي حرف التعريف، وأما الهاء فدائرة مجرَّدة بحقيقتها، منقسمة بمبدئيتها لما بعدها، ولذلك تقع في الرسم عند انفرادها عما يتوقف تعينه على تعينها هكذا (ه)، وتقع عند اتصالها هكذا (هـ)، والميم دائرة متصلة بعين الألف اتصال التعيين لَه، وهي منه بمنزلته من جميع الحروف، فتعيينها لَه شهودًا لا وجودًا، كتعيين الدليل للمدلول، فهي الدائرة العالمية الدالة بالوضع على واضعه دلالة لازمة، فشكلها في الرسم العربي صورة معلول تعيَّنت به علته هكذا (م)، ولذلك لا تقع في أسماء الحروف والجموع إلا آخرًا هكذا لام ميم، حتى في اسم نفسها ميم، فالألف لام ميم (ذلك الكتاب) بجبروته وملكوته وملكه بمجرده ومفارقه ومجسمه، أو فقل: وبسيطه ومتولده.

اسمع: الألف مجرد، والباء منقوط، فهو مجسم لكنه لما اتحد رأسه بقدم الألف حتى تعيَّن بالتئامه به لامًا مجردة خلص من حكم جسمانيته، فمتى كنت لكامل كالباء للألف اللامي صدق عليك بحكم كماله، فجردك عن حكم مرتبتك النقيصية في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الجبروت التحقيق، والملكوت التدبير، والمُلك التصوير في كل مقامٍ بحسبه، فالجبروت مجرد موجب، والملكوت مفارق موجد، والملك متشخص محدث، فقد ظهر بذلك مرتبة كل عالم منها.

اسمع: الحروف إما مجردات غير محتاجة في تمييزها إلى نقطة زائدة عليها، أو بخلاف ذلك، والأولى منها ما هو حقيقة شيء من الثانية، «**خلق الله آدم على صورته**[1]»، ﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً**﴾ [مريم: 17]، ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: 21].

وهذه كعالم الأمر القائم بعالم الخلق قيام التدبير، وهذه في الرسم العربي سبعة هكذا: (ح د ر س ص ط ع)، ومن الأولى ما ليس كذلك، وهذه كعالم الحقائق المطلقة

---

(1) رواه البخاري (2299/5)، ومسلم (2017/4)، وابن حبان (18/13).

التي عينها وجودها العلمي، ليس إلا وهذه في الرسم العربي سبعة هكذا: (ا ل م ك ولا ه)، والتي تخالف المجردات، ولا يظهر شيء منها في عينها، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ﴾ [البقرة: 210].

وهذه في الرسم العربي سبعة هكذا: (ب ت ث ف ق ن ى)، الأولى حقائق واجبة، والثانية عقول مجرَّدة، والثالثة نفوس متعلقة بالقوى الجسمانية، والرابعة صور جسمانية.

اسمع: قال قائلٌ: ما الأربعة؟

قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: الأربعة آحاد مرتبة ختمها الرابع.

قال: وما الرابع؟.

قلت: الواحد الواقع تلو الثالث بلا واسطةٍ.

قال: وما الثالث؟.

قلت: الواحد الواقع تلو الثاني بلا واسطةٍ.

قال: وما الثاني؟.

قلت: الواحد الواقع تلو الأول بلا واسطة.

قال: فما الأول؟.

قلت: الواحد الواقع متلوًّا لا تاليًا.

قال: فلِمَ سميت الجملة أربعة وما الرابع إلا خاتمها؟.

قلت: لأن بما هي مرتبة ثبتت رابعيته، فالرابعية لم تأتِه إلا على مدرجتهم، فصار لها في كلِّ أثرٍ.

قال: فلو صفقنا أربعة، أليس أيها قلنا أنه رابعها صدقنا، وأيها قلنا ثالثها أو ثانيها أو أولها صدقنا في ذلك؟.

قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه إنما يصدق إذا رتبت، فلا يكون أحدها رابعًا حتى يكون تلو ثالث تلو ثان تلو أول ليس تلو شيء، وقس على هذا.

قال: فلو أسقطنا أيها شئنا أليس تسقط الأربعة لسقوط الرابع فلِمَ ذلك؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: بلى، وذلك لأن ثبوت الأول شرط في ثبوت الثاني، وثبوت الثاني شرط في ثبوت الثالث، وثبوت الثالث شرط في ثبوت الرابع الذي هو الواحد الواقع تلو الثالث، وهلم جرًّا كما تقدَّم، فإذا صنفت آحاد مرتبة خاتمها رابع، وأسقطت منها واحدًا سقطت الأربعة كلها؛ لسقوط شروطها وحصل لها

ترتيب آخر بحيث صارت ثلاثة، فإن أسقطت واحد سقطت لسقوط شروطها، وحصل لها ترتيب آخر بحيث صارت اثنين، وقِسْ على هذا.

قال: فقول الناس: الأربعة واحد وواحد وواحد اثنين وواحد صحيح؟ قلت: نعم لأنها واحد هو أول، وواحد هو ثان، وواحد هو ثالث، وواحد هو رابع.

قال: وقولهم: إن الأربعة جامعة للعشرة؛ لأنها أربعة وثلاثة واثنان وواحد صحيح؟ قلت: هو توسع في العبارة، واعتبار إمكان ذلك بأن يؤخذ من الأربعة واحد فتصير إلى ثلاثة، ويؤخذ منها واحد فتصير إلى اثنين، ويؤخذ منها واحد فتصير إلى واحدٍ، ألا ترى قولهم: واثنان وواحد، ولم يقولوا: واثنان وأول؛ لأن الأول لا يثبت إلا متلوًّا بأحدٍ إذا تلاه كان ثانيًا.

قال: فكيف يكون حتى لا يكون دورًا؟

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: إذا تلا واحدٌ واحدًا لم يتلُ شيئًا صار المتلو بكونه متلوًّا غير تالٍ أولاً، وصار تاليه ثانيًا بكونه تاليًا للأول بلا واسطة، فلا دور لاختلاف جهة ثبوت الأول وجهة ثبوت الثاني، وتحت ذلك كله أسرار تظهر بالتوفيق، فافهم.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾ [سبأ: 1]، ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾

[الأنعام: 1].

ذكر الأرض بعد السماء حيث وقع إنما هو من باب الترقِّي، وحيث أفرد ذكر السماء فلأن الأرض وطن الباعث على ذكرها، كقوله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: 144].

وانظر كيف ذكر السموات أولاً ثم الأرض آخرًا، ثم قال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: 1]؛ لأن عظم الحمد على قدر سعة البيان، وأوسع بيانات العالم بيان الإنسان الآدمي، وموطنه الأرض، وقد ذكر السموات والأرض ثم قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69]؛ لأن السماء مشرقة بنور الكواكب، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: 6]، والأرض مخصوصة بخليفة من ليس بمحيز بسماءٍ ولا أرضٍ، كما قال: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن[1]».

وهو الذي قال للملائكة عنه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: 26]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11].

فليس انحمالها في الجو بأعجب من انحمال الأرض في وسط الأفلاك على أنها العنصر المطبوع على غاية الثقل، ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ [فاطر: 41]، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾ [الأنبياء: 32]، وإنما يحفظ السقف ويُحمل على القرار، ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [غافر: 64].

والإنسان الذي خلق كل شيءٍ من أجله، وخُلق هو من أجل خالقه على صورته قراره الأرض، وقد يُستغنى بالقرار عن السقف في التوطن من غير عكس، ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ [الذاريات: 48]، وبساطًا، والفرش على السرير من غير عكس، والاستواء عليه بالذات وعلى العرش والكرسي والسقف بواسطته، وهي مضافة إلى الله، موصوفة بالوسع كرحمته، ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: 56]، ﴿وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ﴾ [الزمر: 10]، ولم يأتِ في السماء ذلك.

﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16] في الليل، وجاء في الخبر المحمَّدي:

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (496/2)، والعجلوني في كشف الخفا (431/2).

«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم[1]» دائمًا ليلاً ونهارًا، تلك تهدي بنور جسمها، وهذه تهدي بنور ربها المشرق في قلبها، كما قال العارف:

أمُرتَقَب النجومِ مِنَ السَّمَاءِ ... نجوم الأرضِ أبهرُ فِي الضِّيَاءِ
فَتِلْكَ تَبِين وقْتًا ثُمَّ تخفَى ... وَهَذِي لاَ تكدر بالخفَاءِ
هِدَايةُ تِلْكَ فِي ظلمِ الليَالِي ... هِدَايَةُ هَذِه كَشْفُ الغطَاءِ

فنور تلك وإن عظم بالنسبة إلى نور هذه ظلمات، ومن هنا تفهم لطيفة تقديم ذكر: ﴿جَعَلَ الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: 1] على النور، كما تقدَّم ذِكر خلق السموات على الأرض، وقابل الجمع بالجمع، والإفراد بالإفراد، وجعل ذكر السموات ملاقية لذكر الخلق، وحجب بها بينه وبين الأرض.

كما فعل في ذكر: ﴿جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1].

﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ [الزمر: 67].

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: 104]؛ لأن الأرض مستوى عرشه يومئذٍ، يوم يتكفا الرحمن الأرض بيمينه، فيجعلها كالدرمكة نُزلاً لأهل الجنة، والخبز رأس الأمر سيما إذا تضمَّن كل الأمور، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: 10]، فيظهرها بالفعل يوم تكون نزلاً لأهل الجنة، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22] في دنياكم، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: 20].

فبحق سجد الشمس والقمر والكواكب لمظهر الحفيظ العليم يوسف، ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1] حتى سجد على الأرض يقظة بقلبه لمحمدٍ، كما سجد ليوسف بقالبه منامًا، وكفاك بيانًا لشرف الأرض بساكنها أنه ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

معلم البيان وهو على صورة الرحمن، متى طلبت رشدًا مما دونه في الأكوان نادى لسان كليم الفرقان: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ [الأعراف: 148]، فلا يهديك إلا المتكلم العليم، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ﴾ [آل عمران: 5] التي جعل فيها خليفته وأعينه، ﴿وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5] التي ليسوا فيها.

اسمع: «مَن تواضع لله رفعه الله[2]».

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (120/7)، والبيهقي في الشعب (297/6).

انظر لما قال النسوة: ﴿حَاشَ لله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: 51]، فقال هو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53].

﴿قَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: 54].

اسمع: من استخلصه الملك لنفسه صار لديه مكينًا أمينًا، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 20، 21].

اسمع: ناطقة الحفيظ العليم مناط استخلاص الملك مطهرها لنفسه، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54].

اسمع: ناطقة الحفيظ العليم هي روح الملك وصواعه، وسقايته ومتاعه، لا يجدها إلا من وضعها في سرائره سرًّا عن الأغيار.

اسمع: لا يستخرج ناطقة الحفيظ العليم فيك من القوة إلى الفعل، ومن الغيب إلى الشهادة إلا مخصصك بوضعها في سرائرك، ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: 76]، ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 12].

كعلي لمحمدٍ.

اسمع: ناطقة الحفيظ العليم سر سورته لا يخصص بها إلا من هو على صورته.

اسمع: لا يأخذ الحفيظ العليم صفيًّا إلا من وجد متاعه عنده، ومن لم يجده عنده إيمانًا وحبًّا ردَّه.

اسمع: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: 6].

وزيَّنا الأرض بجمال الحبائب، فأضاءت السماء بكواكبها:

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69].

جاء في الخبر المحمدي: «**الجمال صواب القول بالحق**[1]».

اسمع: إذا طلعت الشمس، وظهر عينها للعين خفيت الكواكب، وقد جاء في الخبر المحمَّدي بلسان ختمه النبوي، وفتحه الولائي، «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**[2]»، وذلك أن عين شمس حقيقته غربت يومئذٍ في حجاب الفرق، فلا تطلع من هذا المغرب إلا بكشف خاتم الولاية وتعيينها في عينه.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

اسمع: مبادئ الكشف والبيان أنوار الذات العياني النهاري منها شموس، والليلي الاستدلالي منها بالذات نجوم، وبالاستمداد من الشموس أقمار، ومظاهر الأنوار مشارق.

اسمع: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ [الأنبياء: 19]، فالذين عنده ليسوا في السموات ولا في الأرض بالحصر، وإن كانوا فيها بأكوانهم؛ لأن الذين هم عنده لا يحصرهم حيز وهم مع كل المخاطبين أينما كانوا، ترى منهم هؤلاء هم خلفاؤه في أنه في السموات والأرض حيًّا قيومًا، وهو منزَّهٌ عن حصرهما.

ألم تسمع قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13]، فليس في السموات والأرض إلا ما سخر لهم لا هم، فهم عنده، ألم ترَ كيف تجول بنظرك وبصيرتك فيما وراء الكرات كلها وبدنك في جوفها!.

جاء في الخبر: «**إن عبدًا نام وهو ساجدٌ فباهى الحق به الملائكة، فقال: انظروا إلى عبدي جسمه بين يدي وروحه عندي**[1]»، فكيف بحقيقته المقومة لروحه:

﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

اسمع: كل مخلوق لغاية فإنما هو بالروح عند غايته، وإن كان بصورته الكونية حيث كان، فكل شيءٍ إنما غايته الآدمي الإنسان الذي إنما غايته الله الرحمن.

قال عيسى لأصحابه: «**اجعلوا لكم كنزًا في السماء، فإن قلب الرجل حيث يكون كنزه**»[2].

وأنا أقول: كنز كل أحدٍ غايته، قال الله تعالى: «**كنت كنزًا**[3]».

اسمع: لا تجد في جنتك إلا صور ما رُسم في جوهر نفسك البشرية بقلم الفرقان الربَّاني الحكيم من المحاسن والمكارم والمحامد.

اسمع: خيالك المرتسم بصور المحاب الحكيمة الربَّانية هو سوق الجنة الذي لا يُباع فيه إلا الصور، ولا تُباع إلا بالمحبة، فمن أحبَّ صورة التبس بها.

اسمع: المُدام ما أوجد الدوام، ولا دوام إلا في عندية الحق، والراح ما به الراحة،

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (232/7) بنحوه.

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (103/7) بنحوه.

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا (173/2)، والقاري في المصنوع (141/1).

«ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه[1]»، ولما خلع ظاهر هذين الاسمين على بواطن المسكرات بانكشافها فيها لبواطن النفوس المدركة البشرية من حيث لا تشعر؛ لغلبة حجابية الوهم البهيمي، والطبع الرميمي عليها أطربها ذلك وأنشأها وعارضها حكم حجابها، فاغتالها وأغشاها، ولو كانت مدامة وراحة حقيقة لزادت في قوة مدارك شاربها، ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 47].

اسمع: جاء في الحديث: «مَن شرب الخمر في الدُّنيا لم يشربه في الآخرة [2]».

معناه أنه من أُشرِبَه قلبُه من حيث ما هو خمرٌ حاجبٌ عن مظهر المدبر الحكيم، وهو العقل، ارتسم في خياله على صورة هي من أكْره الصور إليه يوم يُكشف عن ساق العقل حجاب الوهم البهيمي، فلا يدخل بها في سوق الجنة، ولا يحبها لو رآها، فلا يلتبس بها إنما يلابسها أهل الجحيم الذي تُباع صور سوقهم بالسخط الحاضر، ويكون حبها الدنيوي البهيم سبب التباسهم بها يومئذٍ، فيشربونها طينة خبال على ما ارتسمت عندهم عليه من تخيلها لهم في دنياهم.

اسمع: المُدام من الكرم، «والكرم قلب الرجل المسلم[3]»، المسلم فاعل السلامة، المؤمن معطي الأمان.

اسمع: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: 143] غيرك؛ لأنك مظهري وصورتي التي بها أتعرف لأهل زمانك، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143] بموسى ﴿جَعَلَهُ دَكاً﴾ [الأعراف: 143].

انظر كيف عرف الجبل مظهر الله فاندكَّ لمشاهدته، وقد كشف المظهر المحمدي ذلك حين طلع صديقه وشهيده على الجبل فتحرَّك من تحت أقدامه، فثبّته؛ كي لا يندك فيظهر للعموم ما لا ينبغي أن يشهده إلا الخواص.

فقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيد[4]»، فجعلها ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي

---

(1) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (156/1)، وذكره الذهبي في السير (290/1)، والعجلوني في كشف الخفا (225/2).

(2) رواه النسائي (195/4)، وأحمد (21/2)، وابن ماجه (1119/2)، والحاكم في المستدرك (157/4)، وبنحوه: البخاري (2119/5)، ومسلم (1587/3).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (25/5) بنحوه.

(4) رواه البخاري (1344/3)، والترمذي (624/5).

عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: 28]، وقال: «**هو جبلٌ يحبنا ونحبه**[1]».

فلا يرى مَن إذا تجلَّى للجبل جعله دكًّا إلا حبيبًا، **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾** [طه: 39]، فكنتُك أو كنت سمعك وبصرك وقولك، ولولا ضعف قوة البشر لظهر من هذه المظاهر ما استتر، **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** [الشورى: 51].

«**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: كنزٌ من كنوز الجنة**[2]».

اسمع: جاء في الحديث: «**مَن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة**[3]»: أي لم يشربه في الدنيا إلا لأمر غير الأمور النافعة في الآخرة؛ لأنه لا يتأتى التعبد النافع في الآخرة به وهو يخبل، وفي قوله: (في الآخرة) سببية للتعليل، فافهم.

اسمع: جاء في الخبر: إن السيد الكامل اتكأ في بيته كاشفًا عن وركه، فدخل أبو بكر فلم يغير ذلك، ثم استأذن رجلٌ أخر فجلس وغطى وركه حتى خرج؛ ذلك ليفهم أن أبا بكر منه بمنزلة أن يريه من نفسه بعين اليقين ما لا يراه منه أجنبي؛ لأنه إذا أراه منه ما أُمر بستره عن الأجانب فكيف لا يريه منه دون ذلك.

وجاء في الخبر: إن السيد الكامل أوصى ألا يغسّله إلا علي؛ إشارة إلى أنه بحيث يرى منه بعين اليقين ما بطن وما ظهر، فلما حضره ما أوصاه به قال عليٌّ: «**لا يُغسَّل رسول الله ﷺ إلا في ثوبه**»، فغسَّله في قميصه إشارة إلى بقاء خلافته؛ لأنه سمَّى الخلافة لعثمان قميصًا حيث قال لَه: «**إنَّ الله سيقمصك قميصًا فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه**[4]»، **﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾** [المدثر: 4]، ولو جرَّده لتجرَّد فلم يبقَ لَه كون، ولو حصل ذلك لم يبقَ لعالم الكون باقية، ولم تقم لَه قائمة؛ لأنه خاتم مظاهر قيومه، ولما غسَّله في قميصه قال: «**طبت حيًا وميتًا**[5]» فجاء بواو الجمع، وحقق قوله: «**لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينًا**[6]».

---

(1) رواه البخاري (539/2)، ومسلم (1011/2).

(2) رواه البخاري (2437/6)، ومسلم (2076/4)، بنحوه.

(3) تقدم تخريجه.

(4) رواه الترمذي (628/5)، وأحمد (149/6).

(5) رواه البخاري (1341/3).

(6) رواه أبو نعيم في الحلية (203/10).

اسمع: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ﴾ [الصافات: 5]، هم مظاهر أنوار الإلهية الواحدية، وليسوا من السموات والأرض ولا ما بينهما، إنما هم من عنده، ونعم عطف هذه المشارق الخواص على السموات والأرض عطف الخاص بالخصوصية على العام، لا كالذي تفهمه العوام، ألا ترى كيف عرَّفهم وجمعهم وأفردهم بربوبيته، ترقَّى من ذِكر ربوبية السموات والأرض وما بينهما إلى ذكرها، فافهم.

اسمع: الواحد ما بتجلياته يصنع العدد، والأحد ما هو عن كل عددٍ مجرد.

اسمع: واحد الوقت نوره أصل أنواره، فعنه يتعينوا في مراتبهم، فيكون بدرًا بين نجومه بما هو مستترٌ بمرتبة الأول عن ظهوره بما هو الكل إلى زمن ختم دائرته، فهناك يظهر تعينه الذي هو الكل، فتعود الأنوار إلى مبدئها، وتقوم نورًا واحدًا، ولتعين مراتبهم لا يرجعون إلى محض وحدتهم، فيكونون لَه كأعضاء الآدمي لَه، فمتى شرب شرب الكل، وما شرب إلا هو وحده، لكن سرى فيه مشروبه حتى رأى الذي يسري في أظفاره، كما أشار إليه السيد الكامل، ومن ظفر به فهو من أظفاره، فلما شرب وحده شرب الكل بشربه.

اسمع: الكامل من عمَّر جميع المراتب المتقومة به في كل نفسٍ، ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3].

جاء في الخبر أن: «**العرش على كاهل إسرافيل ورجلاه قد مرقتا من الأرض**»، فعمَّر مراتبه العلوية والسفلية معًا.

جاء في الحديث: «**أنا سيِّد الناس ولا فخر**[1]»، فقام بحكم سيادته وعمَّر مرتبة عبوديته معًا، ألا ترى أنك إذا مشيت أو قمت مستقيمًا كانت رأسك في العلو ورجلاك في السفل معًا، لا تستطيع أن تمشي وأنت مضطجع منسطح على الأرض، ولا وقد شددت رجليك إلى رأسك.

اسمع: جاء في الحديث: إن السيد الكامل خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا سيدًا محضًا، أو عبدًا نبيًا معمرًا للمرتبتين، فاختار أن يكون عبدًا نبيًا، فما كان عبدًا نبيًا إلا باختياره؛ لأنه بالحقيقة فوق ذلك.

---

(1) رواه أحمد (144/3)، والحاكم في المستدرك (83/1)، والدارمي في السنن (41/1).

اسمع: المرتبة الناطقة هي الخط القويم، وصراط الله المستقيم، وصورة الرحمن الرحيم في أحسن تقويم، صفاتها كلها وسط لا إفراط ولا تفريط، وذلك كله إنما هو أحوال الخطوط المائلة عنه، ألا ترى أن الآدمي متى ظهر في أمر بإفراط أو تفريط تحجَّبت عنه بذلك مرتبته الناطقة، فلم يظهر فيها كشفها العليم، ولا بيانها الحكيم، حتى يتجرَّد عن ذلك ويخلص من غلبته، ومن ثَمَّ نُهي الحاكم أن يحكم وهو غضبانٌ، ولا مع تعصب وحمية، ولا هو جيعان، ولا هو تخمان، ونحو هذا.

اسمع: الأعداد مراتب الواحد، والحروف مراتب الألف، والجزئيات مراتب كلياتها، وقِسْ على هذا كل متعينٍ وتمايزاته في تعيناته التي يتعيَّن بها.

اسمع: نظام المراتب دائرة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: كما أن لكل مرتبةٍ حقيقة كلية جامعة لجزئياتها، ولتلك الحقيقة شخص جزئي كلي من جزئياتها، وهو مطلق الجزئي لتلك الحقيقة من حيث ما هي مطلق الكلي لجزئياتها، فهو جزؤها الخاص لما في كليتها جميعًا، فهي بتشخصها به نوع منحصر في شخصه، كذلك لكل دائرةٍ حقيقة هي لحقائق المراتب كحقيقة المرتبة لأشخاصها، فانظر ماذا ترى وسبِّح الواسع العليم.

اسمع: الإنسان الكامل موجودُ الوجودِ الحق في إحاطته، هو شخص حقيقة الدائرة الرحمانية الرحيمية، الظاهر ظله في مرآة كل استعداد زماني بحسبها، فيكون صاحب ذلك الزمان.

اسمع: الحق شمس نواطق أئمة الهدى، أنوارها المرسلة منها على قوابلها، كما قال بلسانه المحمَّدي: ﴿جَاءَهُمُ الحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 29]، والمبين صفة الحق وهو الرسول، فالرسول صفة مرسله وموجوده، ومرسله موصوفه ووجوده، فهو الحق بوجوده ورسوله بموجوديته الظلية.

اسمع: من خاف شيئًا غير ربه فقد سلَّطه على نفسه فعاقبه بذنبه، انظر ذو المال يخاف أن يوسع على نفسه وعياله وسُؤَّاله فيفتقر، فيضيق بحسبانه بعد سِعة حاله، فيقتضي لَه ذلك الخوف أن يمسك ويقتر، وذلك هو الذي خافه وقع فيه بخوفه منه قبل الزمن الذي خاف وقوعه فيه، كالذي رأى سبعًا فاتحًا فاه فخاف أن يراه فيأكله فتخبأ منه في فمه.

اسمع: جاء الحق بموسى لقومه، فنظروا للحق بنظرهم إليه جهرة وهم به جاهلون فلم يبصروه، فقالوا: ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153]، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون، كما قال: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198]، النظر للحسبان، والبصر للعرفان، فافهم.

اسمع: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الحجر: 45] بالله عن مشاهدة سواه ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: 45]، ظهر لهم بها السر المصون، ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [الذاريات: 16]، وعلامة أخذ العبد من ربه رضاه بما حصل، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: 16]، يعبدون ربهم كأنهم يرونه، ولا زالوا كذلك حتى جاءهم اليقين، ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: 20].

وهؤلاء أهل أنوار القلوب، لا يدرون المسترزقين إلا على عندية الله، يقولون: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: 17].

وأما أهل النفوس ففي السماء رزقهم وما يوعدون، فهم مطمئنون ما دامت السموات والأرض.

وأما الأولون فمطمئنون بدوام الله.

كما قال الأستاذ أبو الحسن الشاذلي قُدِّس سرُّه العزيز:

«لو أن السماء طبقة من نحاسٍ، والأرض طبقة من حديدٍ، والخلق كلهم عيالي ما حملت للرزق همًّا».

بهؤلاء يرزق الله أهل السموات والأرض وما بينهما، ولذلك تبكي لفقد أحدهم البلاد والعباد والسموات والأرض، فهم المراد بقوله: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: 19]، وهو يشاء العالم كله، فبهؤلاء العباد يُرزق العالم كله، قال السيد الكامل: «فبهم تُرزقون[1]»، فافهم.

اسمع: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، فسع ما شِئت.

اسمع: من امتلأ بمولاه فلم يبقَ فيه وسع لغيره لم يكلفه الله بسواه.

ما كلَّفَ اللهُ نَفْسِي غَيْرَ مَا وَسِعَتْ وَلَـيْسَ فِـيْهَا لغيـر الله مُتَّـسِع

اسمع: العلم والإدراك وجميع المعاني إنما هي معاني الوجود، فلا يظهر بها في

(1) رواه الطبراني في الكبير (65/18).

كل موجودٍ إلا هو.

اسمع: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]؛ لأنه الوجود العالِم، وكذلك باقي المعاني ليست إلا لَه بالحقيقة، وإن انتسبت أو شيئًا منها إلى الموجود، فلظهور الوجود بذلك فيه.

اسمع: «**إنَّ الله خلق**»: أي قدَّر «**الخلق في ظلمة**»: أي في محو اليقين، «**ثم رش عليهم من نوره**» بما ظهر به فيهم من معانيه، «**فمن أصابه ذلك النور**»، وحصل فيه على الخط القويم الناطقي وصوابيته، «**اهتدى ومن أخطأ ضَل**»[1].

اسمع: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4]، بما ظهر به فيكم من معانيه، فهو يراكم بأبصاركم التي تبصرون بها؛ لأنها تجلياته بما هو البصير، ويسمعكم بأسماعكم التي تسمعون بها؛ لأنها تجلياته بما هو السميع، وقِسْ على هذا.

وإن قلت: حينئذٍ هو معكم بعلمه، فصدقت.

وإن قلت: بحياته، صدقت.

أو قلت: بأمره، صدقت؛ إذ لا حياة لهم إلا حياته، ولا علم لهم إلا علمه، وقِسْ على هذا.

ولما لم تكن معانيه غيره قال في الذين أصابهم نوره: «**كنت سمعه وبصره**[2]»، ومن انكشف فيه له بأنه وجوده فقد أحبَّه، فكانه شهودًا كما لم يزل له وجودًا.

اسمع: إذا كان الوجود واحدًا هو وجود كل موجودٍ، فما من موجودٍ إلا وفي نظامه الوجودي كل موجود، وإن لم يظهر لَه من ذلك متصلاً ولا منفصلاً إلا ما ظهر به لَه فيه وجوده.

اسمع: علم الله عينه، ومعلومه عين علمه، ومن ثَمَّ كانت صورة النظام العلمي الإلهي ثابتة في كل شيءٍ، قال هو سيدي ومولاي: وصورة علم الله في كل ذرةٍ.

اسمع: الحس يدٌ ربَّانيةٌ، أصابعها الحواس الخمس والخيال، يد أصابعها المشاعر الخمس، وقِسْ على هذا باقي الأيدي.

---

(1) رواه الترمذي (26/5)، وأحمد (176/2).

(2) تقدم تخريجه.

اسمع: «إنكم لترون ربكم كما ترون الشمس[1]».

انظر كيف الشمس ترسل نورها لازم لها بالبيان والإنعاش ومدد الحياة، فيملأ الأقطار وهو قائمٌ بها لم ينفصل، وإذا أصاب شيئًا فقلت: إن الشمس أصابته صدَقت، وكما نزل ولم ينفصل عنها كذلك هي نزلت به، ولم تتغير بانتقال عن مرتبتها العلية، ومن ثَمَّ جاء: «**ينزل الله في كل ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا** [2]».

وقد قال الحق بلسانه المحمدي: ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ**﴾ [المائدة: 15]، ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً**﴾ [النساء: 174]، فهو صفة الحق المبين بما هو مبين، وهو بما هو موصوف المبين، ﴿**جَاءَهُمُ الحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ**﴾ [الزخرف: 29].

انظر كيف سمَّى ﴿**الشَّمْسَ سِرَاجاً**﴾ [نوح: 16]، وسمَّى المرسَل ﴿**سِرَاجاً مُّنِيراً**﴾ [الأحزاب: 46]، فافهم.

اسمع: الدُّنيا صورة مادية ليس في استعدادها أن تظهر الحقيقة المدركة المفارقة المتعلقة بها فيها، إلا بإدراك إحساسه الاختياري غالب على تخيله الاختياري، وممد لَه، فلا يتخيل المتصور بتلك الصورة ما لا يُحس، والبرزخ صورة مادية ليس في استعدادها أن تظهر الحقيقة المدرِكة المفارقة المتعلقة بها فيها إلا بإدراك عكس الدنيوي، والآخرة المقابلة للدنيا صورة مادية ليس في استعدادها أن تظهر فيها الحقيقة المدركة المفارقة المتعلقة بها إلا بإدراك كل من إحساسه، وتخيله ملازم للآخر، غالب عليه، ممد لَه، فالمتصور بهذه الصورة مهما تخيله أحسه، ومهما أحسه تخيله، فأمره

---

(1) رواه البخاري (7434)، (7435)، (7436)، (554)، (573)، ومسلم (439/1)، وأبو داود في السنن (4729)، والترمذي (2551)، والنسائي في الكبرى (176/1)، وأحمد في المسند (360/4، 362، 365)، وفي السنة (37، 38، 183)، وابن ماجه (177)، والحميدي في مسنده (799)، وابن أبي عاصم في السنة (446-450)، والطبري في تفسيره (233/16)، وابن خزيمة في التوحيد (ص167، 169)، والآجري في كتابي الشريعة (258، 259)، والبيهقي في الاعتقاد (50)، وذكره المصنف في مختصره لاعتقاد البيهقي -بتحقيقنا- والسنن الكبرى (464/1)، والخطيب في تاريخ بغداد (11/ 466)، والبغوي في معالم التنزيل (232/4)، والطبراني في المعجم الكبير (296/2-297)، والمعجم الأوسط (194/2)، (90/8)، والدراقطني في الرؤية (106)، وكذلك (137)، (149)، (155)، (163)، (165)، بتحقيقنا. قلت: وألفاظ هذا الحديث وطرقه كثيرة.

(2) تقدم تخريجه.

دائم بهذا الإدراك المتلازم.

اسمع: سماء الصورة المادية مجمع استعداداتها الإدراكية مكانًا، منها كالرأس من البدن الحيواني، ومكانة كالقلب منه، والصورة المادية لا إدراك لها من نفسها المادية، فهي ليلة ظلمانية أرضية؛ لأن الإدراك نور بكشفه وبيانه وتمييزه، وسماؤها مسكن الأنوار الإدراكية التي بها يرتفع حكم الظلمة عنها.

اسمع: جاء في الحديث: «ينزل»: أي يتجلَّى بأنواره المرسَلة منه على قوابلها الموضوعة بالاستعداد لحملها، «ربُّنا»: أي وجودنا المدرك الحكيم، «**في كل ليلةٍ**»: أي صورة مادية، «**إلى سماء الدُّنيا**»: أي إلى مجمع مداركها، «**في ثلث الليل الأخير**»[1]؛ لأنها ثلاث أثلاث: الدائرة الرأسية للنفس النفساني فعلاً وانفعالاً، والدائرة القلبية للنفس الحيواني كذلك، والدائرة الكبدية للنفس النباتي كذلك، فمن أيّها ابتدأت العدد وثنَّيت بآخر كان المبتدأ به ثلثًا أول من ليل الصورة، والثاني ثلثًا أوسط، والثالث ثلثًا أخيرًا.

وقد ورد التنزيل الربَّاني في الأثلاث الثلاثة، وذلك الدهر كله، ومن ثَمَّ قامت الأنوار الإدراكية فعلية وانفعالية بجملة الصورة وجهاتها الناطقة والحيوانية والنباتية، هذا حقيقة هذا الخبر من حيث التنزل الإمدادي الوجودي، وأما من حيث التنزل الزماني فلا مانع من ذلك؛ لأن هذا التجلِّي لا تغير له ولا زوال باعتبار نفسه، وإنما التفاوت والتغير بحسب استعدادات القوابل، فلعل هذه السموات الأثيرية الجوية يقتضي لها تغير استعدادها بحسب أوضاعها الحركية، أن يحصل لها عند ثلث من أثلاث الليل الزماني تنزلات تستمر عليها أحكامها وإشراقها إلى مثل ذلك الوقت من الليلة الزمانية الثانية، فإن الصور المادية كلها متهيئة لذلك، سواء سميتها أفلاكًا أو بسائط أو متولدات، أو مهما شِئت نحو هذا.

اسمع: النفس النفساني يفيض في النفس الحيواني قوى تعقلية ربَّانية، والحيواني يفيض في النباتي قوى إحساسية حركية تخيلية وهمية اختيارية، والنباتي يفيض في النفس الجمادية التي صورتها البدن قوى هي مبادئ ما تمسَّك البدن على نظامه، وتظهر بها مختارات القوى الحيوانية في صور بدنية، ولو أنها حركات مرئية والرب وجود

(1) رواه البخاري (384/1)، ومسلم (521/1).

الناطقة الحكيم، المتنزل بأنواره في الليل، وإن ترتب ظهورها فيهن بترتبها، فيكون في الناطقة بالفيض الأول اللازم، ثم في الحيوانية بالتنزل عن الناطقة، ثم في النباتية بالتنزل عن الحيوانية، ثم في الجمادية بالتنزل عن النباتية.

اسمع: إنما الآثار العالمية للنسب والإضافات، انظر كيف مقابلة المقلة الواحدة لقوتها المدرِكة تقتضي إدراك النفس كون مقابلها وضوءه وشكله، أو أنه ساذج ويحكم بحسنه وملاءمته، أو ضدهما، ومقابلة الأذن الواحدة لقواتها المدرِكة تقتضي إدراك النفس صوت مقابلها، وحكمها بمثل الأول، وإدراكها لَه إذا كان لفظًا مستعملاً مرادًا لمتلفظٍ به، ونحو هذا في باطن الحواس.

اسمع: جاء في الحديث: «**يُنصب لكل غادرٍ لواء عند أسته، يُقال: هذه غدرة فلان**[1]»، الأدنى من هذه الأولوية، فإنه لا ذنب إلا عن ذنبٍ، والغدرة قد يكون قبحها ظاهرًا فيظهر معه العورة، وقد لا فلا، ومن ثَمَّ غطى ذنب عورة طال عليها دون غيره، ولما لم يحمل الأمانة في الأكوان إلا الآدمي الإنسان لم يكن لكونه ذنب ظاهر، بل كان له عجب الذنب من كمال الأمانة؛ لأن بضدها تتبيَّن الأشياء، وصورة هذا هو الذي لا يبلى من كونه إذا بلي، فهو وجهه الذي كل شيءٍ منه هالك إلا هو، وما يُعرف المتوسم ذي مرتبةٍ إلا بسماته، فاستدلَّ بأخلاقه على خلقته النفسانية التي هو بها آدمي أو غيره.

وأما التخطيط البدني فقد يتشابه فيلتبس، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].

أتدري ما الأمانة المنافية للظلم والجهالة؟ هي الحكمة التي كان الإنسان ظلومًا جهولاً قبل أن يحملها بظهور روحها فيه، وهي التي تُسمَّى صورتها عجب الذنب الذي منه خُلق الإنسان بظهور صورته الناطقة عنها، وفيها تركب: أي يوصل فيها وهي صورة أحسن تقويم، فإنه لا تقويم لشيءٍ أحسن من تقويمه بالحكمة؛ لأنها ما فيه وبه صلاح النظام وكمال القوام، فهي الصورة الناطقة الآدمية كالنواة للنخلة.

اسمع: من تعرف إليك بما يوجب معرفتك به فهو كمن فتح بصرك الصحيح في وجهه فلم تستطع ألا تراه، فمن وجدت منه ذلك فاعمل على شاكلة معرفتك به

(1) رواه ابن حبان في صحيحه (338/16).

وشهوده جَهدًا، فإن حجتهما قد قامت له عليك.

اسمع: عبادتك ربك كأنك تراه هي عبادتك على معرفة يقينية به.

اسمع: الحجة البالغة قائمة على قدر الكشف والبيان.

اسمع: الحكمة صبغة الحسن، والضد بالضد.

اسمع: يُحكى أن بعض الناس راهن صاحبه على إغضاب بعض الأكابر، ثم تعرَّض لذلك الكبير وهو في محفله، فأمسك بلحيته وبصق في وجهه وصفعه، فهمَّ حفدته بقتله فمنعهم، ونظر إليه مبتسمًا وقال لَه: «إن كنت راهنت غلبت».

فاحذر أن تظن بهذا الكبير أنه ترك الحكمة في عقوبة هذا السفيه؛ فإنه لو أظهر الغضب منه بسبه أو ضربه أو شيئًا ما كان قد بلّغ ذلك السفيه مراده، فإنه ما فعل فعلته حتى وطن نفسه على العقوبات كلها ليغلب صاحبه، فلما فوّته ذلك بإعراضه عن عقوبته كان ذلك أبلغ عقوبة منه له، فذلك عين الحكمة.

اسمع: المراودة في قولهن: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: 30] كهي في قوله: ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ [يوسف: 61]، فراودته بأن أرادت منه أن يمنّ عليها بصورة ما يريده من نفسه القوية العبدانية من الصدق والإخلاص، والنزاهة عن السوء والفحشاء ونحو هذا، كما أرادوا منه ولده الذي يريده لنفسه، وقولهن: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30] كقولهم: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: 95]،

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ [يوسف: 24] أن تأخذ صورته ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: 24] أن يمن عليها، ﴿لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: 24]، كذلك يظهر بأن يُتهم ويُسجن، وتظهر لصاحبي السجن كرامته، وتظهر بالذي نجا منهما للملك نزاهته وإبايته، ويظهر وجه الأمر بقول الكل: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: 51]، فما كان ثم مراودة عن مكروه إنما ﴿حَصْحَصَ﴾ [يوسف: 51]: أي ظهر لها ﴿الْحَقُّ﴾ [يوسف: 51] فيه، وهو منها عند الناس بحيث يُسمَّى فتاها، فأرادت أن يفيدها صورة عبودته، ويقوم عليها بحكم سيادته، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: 38]، ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

إذَا ظَهَرَت سِيَادتكم بذلي فَذَاكَ عليه لَمْ أبرح حريصًا

اسمع: من له الأمر كله لا ملام عليه فيما كان منه، فليس للملام توجه على أحدٍ إلا

إن اختار من لَه الأمر أن يفعل ما يختار ويلوم عليه، فإن ذلك من جملة ما هو لَه:

﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾ [آل عمران: 154]، ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: 41]، ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23].

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم، أستغفر الله له الحمد والسبحان.

اسمع: ما ثَمَّ إلا الوجود الذات يلزمه لذاته علمه وإدراكه، وعلمه فعلي يوجب معلومه، ومعلومه حاصل لَه من نفسه على طريقة التجريد البياني عند تحقيقها، فهو متعين بجميع معلوماته بالذات، ومدرك لها كذلك بعلمٍ محيطٍ، وإدراك محيط، ثم إنه مختار في إيجاد تلك الأعيان وإعدامها، وفي تخصيص بعضها ببعض، وحقيقة هذا الإيجاد وهذا الإعدام إظهار وإبطان، فإذا اختار إيجاد زيد مثلاً لنفسه مجردًا أو مخصصًا بمعلوم آخر ظهر فيه بحكم إدراكه الجزئي لَه، فأدرك نفسه، فذلك ظهوره لَه، وهو على ما هو عليه به في إحاطة علمه، لا تبدل ولا تغير ولا حدث فيه إلا نسبة ظهوره لنفسه ليس إلا، فإذا اختار إعدامه أبطله عن نفسه بأن يبطن فيه بحكم إدراكه الجزئي له، كما تجد أيها المدرك من نفسك أن تدرك بإدراكك الاختياري إذا اخترت، وتكف إدراكك إذا شئت، وهكذا إذا أراد إظهار زيد لغيره على صورة خصصه بها بإرادته، ظهر في ذلك الغير بحكم إدراكه الجزئي وعلته بزيد، فأوجد زيدًا عند ذلك الغير، وقِسْ على هذا كل إيجاد وإعدام، وكل شيءٍ في إحاطة علمه المحيط وإدراكه المحيط على ما هو عليه، لا تبدل ولا تغير.

وهذا هو حقيقة قوله باللسان القائل أنه يعلم الأشياء كلها بعلمٍ واحدٍ، وأنه يعلم ما في الأبد بعلمه به في الأزل، لكن هو يعلمه ويدركه من حيث إحاطة علمه وإدراكه، بلا نسبة شيء من علمه وإدراكه سوى بمجرداته، ويعلمه ويدركه في الإبطان والإظهار بعلمه وإدراكه من حيث هو المتعين بهذا التعين الثابت لَه في إحاطته علمًا وإدراكًا، مصدر أثره وتعلقه عمن هو لَه بالذات ذلك العين كحال الأرواح من الأجسام في تصرفها بها مع شهود تعينها بها، وهذا المثال من جملة الممثَل، ويسمى وجودها بمعنى تعينها للوجود الذات الذي هو ذاتها بالحقيقة (وجوبٌ)، ويُسمى وجودها بمعنى تعينها لأنفسها بحكم المغايرة لما هو ذاتها بالحقيقة (إمكانٌ)، وقد يُسمى قبولها لتعينها

الإمكاني إمكانًا، والأصل ما قد سمعت فيما تقدم، فما ثَمَّ إلا الوجود الذات متعين بالموجودات، ومعيّن ما شاء منها لما شاء منها، ما ثَمَّ سوى هذا، فالأصل نظام إيجابي، والتخصيص والإبطان والإظهار نظام اختياري، والكل من واحد وإليه وفي الحقيقة هو ما ثَم إلا هو، قال هو سيدي ومولاي:

اللهُ غـيبُ كُـلِ شَـيءٍ ... وَكُـلِ شَـيءٍ عيـنهُ

فَـلاَ تَطْلُبه مِـن شَـيءٍ ... غَيْـر مَـا تعـيَّن مِـنْهُ

قال هو سيدي ومولاي:

أَنْتَ الوجُود وَأَنْتَ هُو الموجُود ... وَالعِلْـمُ فِـيْكَ الـشَّاهِدُ المـشْهُودُ

إنْ غِبْت عَنْكَ فَفِي مَرَاتِبِكَ الَّتِي ... فِـيْهَا تحكـم وَهْمُـكَ المعـبُودُ

ربما تقول: لو كان هو المتعين بالكل لما خفي عن نفسه أنه الكل في شيءٍ من الكل، فاعلم أنه لَه عينًا هو فيه عالم بذلك، مدرك لَه لا يخفى عليه، فإنه مُظهر لنفسه ذلك، ظاهر لنفسه به في ذلك العين، وعين آخر بخلاف ذلك.

كما إذا جردتْ نفسُك لنفسك بأن محبوبك لم يغب عنك قط، فيقوم في خيالك مشهودًا لنفسك بأنك عين قائم شاهد لذلك المحبوب أبدًا، ثم تجرَّد مع ذلك نفسك لنفسك بأن ذلك المحبوب عزَّ عنك، أو أخذك حبه عن التفرغ لشهوده حتى كأنك لم تشهده أبدًا، فيقوم في خيالك مشهودًا لنفسك بأنك عين قائم، لم تشهد ذلك المحبوب أبدًا، وتعامل نفسك في كل من ذينك العينين على شاكلته في محل ثبوتهما منك، وأنت في ذلك لا باعتبار تعينك بواحدٍ منهما محيط بهما، ولك شأنٌ لا يكدِّر عليه بشأنك من حيث تعينك بهما، هذا وهما مع قيامهما وتعينك بهما وتعددك باعتبارهما في محل انكشافهما لك منك ليسا في الحقيقة الوجودية سواك، ولا زائد عليك، فما ثَم إلا أنت وجودًا وإن تعددت وتغايرت شهودًا، وإلى ذلك أشار الحق المبين بلسانه المحمدي، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]: أي هو الكل وجودًا، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]: أي هو المتعين بالكل، والمتمايز في تعيناته شهودًا، وأشار إلى ذلك مع بيان أن تلك التعينات كلها أمور تقديرية تجريدية، كما تقدم بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، على قراءة من قرأ برفع لام (كل)، فتكون خبر (إن) ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1]، فهو أمر حكمي ليس إلا، فبتميزاته الترتيبية

صار لكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ فيه رجال، ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ [الأنعام: 57]، ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: 41].

والحمد لله أستغفره وأستعينه وأستهديه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأثني عليه الخير كله، ولا أحصي ثناء، ولا أدّعي كفاء، ولا أدعُ وفاء، هو كما أثنى على نفسه، وأسأله من فضله ما للعبد إلا مولاه.

إلهي وسيدي ومولاي انظر بعين رحمتك ولطفك ومنتك إلى عجزي وضعفي وهواني ونقصي، وما أنا فيه، وأنت أعلم به مني إن لم أكن أهلاً أن أنال رحمتك، فرحمتك يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، أهل أن تنالني فأنا أكسر المكسورين، وأحوج المحتاجين، وأضر المضطرين، ما ثَم سواك، فلا تكلني إلى ما لا ثَم وأنت الجواد، يا سيدي ومولاي حسبي من سؤالي علمك بحالي، وقدرتك على آمالي.

إلهي وسيدي ومولاي قد أفرطت حيرتي، وليس إلا في جودك الوفي خيرتي إلهي، كيف أقول جُد عليّ، وأنا كلي قطرة من فيض فائض بحار جودك، أم كيف لا أقول: اضطررت ومسني ضر نفسي وأنت أرحم الراحمين، ما للعبد إلا مولاه، قد انقطعت بي الأسباب كلها إلا سبب بابك، وغُلِّقت دوني الأبواب كلها إلا باب جنابك، ونأى عني كل ذي جانبٍ بجنابه إلا كريم وفائك، فكيف لا أُحمى من كل سوءٍ وأنا في حماك بين عبيدك وإمائك، أم كيف يتعذَّر عليَّ ما أنعمُ وألذُّ وأنا تحت لوائك، وكيف يلبث عندي تشويش وأنا في ولائك:

حَاشَا جـنَابكَ أن يُـضَامَ نـزيله ... حَاشَا مهَابك أنْ يُهَانَ مَن استجَاركَ
فاخترْ بلطفِكَ كُـلَّ مَـا تَرْضَـاه لِـي ... واجعـلْ رِضَـاي مـوفقًا اختـيارَكَ
هَـذَا مقـامُ المـستجيرِ بمجـدِكَ ... الأعلـى القديـر فبالوفاءِ لَـهُ تَـدَارك

آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور الُمتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: ما من دائرةٍ من دوائر الإمكان وإن لطفت، وبمقارنة حكم مراتب ما يُسمَّى دائرة كونٍ وفسادٍ شُرِّفت إلا ولوجودها علم لازم يُسمَّى الإدراك، هو ظاهر به في كل موجودٍ من موجوداته ظهورًا مناسبًا لاستعداده الذي خاصية خصصه بها وجوده الترتيبي، فبذلك يكون لكل موجودٍ ممكن إحساس يملي عليه وهمٌ، وتخيلٌ يملي عليه فكرٌ، وتعقلٌ يملي عليه عقلٌ، ومظهر الأول منه جسمه الفلكي، والثاني جسده الملكي بفتح اللام، والثالث روحه الإلهي الربَّاني الملكي بكسر اللام، وللأول حركة وضعية بسببها حركة الثاني في الأحكام الجملية والوضعية، بسببها حركة الثالث في ظهور الصور الفرقية عن حقائقها الجمعية.

ومن هنا يُقال: إن الأفلاك تتحرك تشبيهًا بعقولها المفارقة في إيصال الخير إلى الكائنات، وما الخير إلا وجوده وكماله، وأنت تجد من نفسك أنك تتعقل أمرًا فتتحرك نفسك لترتيبه ذهنًا، ثم لتحريك قواك البدنية في إظهار مثاله خارجًا محسوسيًّا، أو تضمنه بحركة بدنية، وصورة هذه الحركات الثلاث واحدة بالحقيقة المعنوية، ومتخالفة بالصورة البدنية، فهذه حركة عقلية، وهذه نفسانية، وهذه جسمانية، فالكشف والبيان المتنزل بحكم الحركة الأولى من غير مغلوبية؛ لحكم ما دونها وإن نزل لمرتبتها، هو الوحي والإلهام النصي والمحكم[1]، والمتنزل بحكم الثانية، كذلك هو المؤول والمحتمل والمتنزل بحكم الثالثة، كذلك هو المتشابه؛ لأن الأول مرتبة الحركة

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنّا به في «المقامات السنية»: الإلهام هو وحيٌ يلقيه خاطر الحق لكل قلبٍ ألقى السمع وهو شهيدٌ، وحقيقته: خطابٌ يُخاطب به صاحب الذوق الصحيح، وغايته: لسانٌ يتكلَّم بالكلام الذي لا يجوز على مثله الكذب اهـ.

الحقيقية، والثالث مرتبة الحركة الشبهية، والثاني متردد الحركة بين الأمرين.

اسمع: الوجود ذات كل موجودٍ، وكل موجودٍ عينه، وهو يظهر في كل موجودٍ بمعاينه، بحسب استعداد ذلك الموجود، فذو المعاني كلها واحدٌ وإن كثرت ظهوراته بكثرة مظاهره، فلا تُنكر ظهور الخالقية في فلان ولا تشهد خالقًا إلا الله الرحيم الرحمن، وقس على هذا.

اسمع: لا إله إلا الله نفيًا لمغايرة من وُصف بالوصف الإلهي لله، وإثباتًا لظهور الله في موجوديته بذلك الوصف الوجودي.

قال هو سيدي ومولاي: **لا إله إلا الله**، كلمة نفي وإثبات تنفي كل شيء من قيد الوهم، وتثبته بإطلاق الحقيقة، وما ثبت بالحقيقة لا يُنفى بالمجاز.

اسمع: وحدة الموجودات بوحدة وجودها حقيقية، وتغايرها بتمايز استعداداتها مجازية، وما ثبت بالذات لا ينتفي بما ثبت بالعرض.

اسمع: الذات مستند كل علمٍ ومعلومٍ، وحكمٍ ومحكومٍ، وإدراكٍ ومدرَكٍ، فلا يُعلَم ولا يُدرَك ولا يُحكَم عليه، ولا بهذا أيضًا ولا بما بعده، وإن تسلسل دفعًا للتحكم؛ لأن ذلك كله مما يستند إليه لا هو بما هو فقط، وإن كان هو بما هو هو متعينًا به، والوجود هو الذات المتصف والتعين صورته المرتبية، والعدم هو الذات المجرد عن الاتصاف، والتجرد هو صورته المرتبية الأول معجوز عنه، لا يُقال عليه ولا هذا أيضًا إلا للتقريب والعجز عن البيان؛ لاستحالة شرطه كما تقدم، والثاني الحق المطلق، وصورته نظام الحقوق، والثالث الحقيقة المسبوقية، ففي الوجوب امتناع التغير، وفي الإمكان امتناع لزوم أحد النقيضين لما هو، وفي الاستحالة امتناع قبول الوجود الزائد أو مطلقًا، وقس على هذا.

فالعِز هو المرتبة الذاتية في كل مقامٍ بحسبه، ولذلك لا يذعن شيء للذل إلا بتصور العز فيه بالذات أو بالعرض، حفظًا أو حصولاً، عاجلاً أو آجلاً.

اسمع: متى ظهر أمر بطن فيه ما امتنع ظهوره في محله مع ظهوره في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الظهور على قسمين: ظهور بالعين، وظهور بالأثر.

اسمع: الأزل مبدأ الإيجاب، وهو وجود واجب والأبد مقابله[1].

اسمع: كل متقابلين فلا بُدَّ من جامع لهما بجهتين بحيث لا يجتمعان.

اسمع: الأزل نظام ظهور ما هو بالثبوت أولى بالعين، والأبد نظام ظهوره بالأثر، فالأبد ظهور مقابل الأزل بالعين، والأزل نظام ظهوره بالأثر في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أيها العبد الممكن: شأنك الموت والفوت ما دمت واجدًا أثر الحياة والغنى، فاقدًا لعينهما، فإذا ظهر عليك أثرهما أعني: الموت والفوت، وبطن عنك عينهما ظهر عليك عين الحياة والغنى، فحياتك وغناك في أن تكون عن الأثرين ميتًا فانيًا.

ومن ثَمَّ جاء: «**إنكم لن تروا ربكم**»: أي عينًا لكم «**حتى تموتوا**»[2]، حتى يبطن فيكم عين الموت، وتظهر عليكم آثاره، فتعلمون أنكم الحي القيوم الذي لا تدركه الأبصار الأبدية، كذلك عزله عن ذلك.

اسمع: أيها الناطق الجامع الفارق أنت مجمع شمل الأزل والأبد، ومسقط رأس الوجوب والإمكان بما توجهت إليه بقبوله منك، فانظر ماذا ترى.

اسمع: القابل يطلب فاعله لثبوت ذاتيته به، فهو يطلبه طلبًا ذاتيًا، والفاعل يطلب قابله لظهور مرتبته به، فهو يطلبه طلبًا عينيًا، ومن ثَمَّ وقع التحابب بين المتقابلات، وتفاوتت محباتهم بتفاوت ما غلب عليهم من أحكام فاعلياتهم أو قابلياتهم.

اسمع: كيف لا يحبك ربك وأنت مَظهره، بفتح الميم، وكيف لا تحب ربك وهو مُظهرك، بضم الميم.

اسمع: لا بُدَّ لكل أزليٍ أن يتنزل بظله إلى أبده، ولا بُدَّ لكل أبدي أن يرجع بحقيقته إلى أزله.

اسمع: جاء في الحديث: «**ما ترددت في شيءٍ أنا فاعله**»: أي وهو قابلي، «**كترددي**»: أي ظهوري مرة بعد مرةٍ، «**في قبض روح**»: أي كون «**عبدي المؤمن يكره**

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ: الأزل في الأبد سر في علن، ومعنى في الكلام الذي ما ورد في الأسماء الحسنى لأنهم في نظامه، والمسميات في نظام قيوميته قيامه في كل كلمة من كلامه على كل نفس من تجلياته أقام فيه دوائر وجوه حضرات عين إجماع مرأى قوابله، وهذا هو الوجه الباقي في العين القائم عرش الإحاطة مربع بوجوه الحضرات.. وانظر: كتاب الأزل لسيدنا قدس سره (ص84).

(2) رواه النسائي (419/4)، وأحمد (324/5)، وابن ماجه (1360/2).

الموت»: أي لظهوري في محل المحبة منه بالحياة، فيقتضي ذلك، **«وأكره مساءته به ولا بُدَّ لَه منه»**[1]؛ لأنه إن لم يظهر عليه أثره لم يبطن بعينه في الحياة؛ لظهور الحياة عليه بعينها، وهذا هو لقاؤه لربه بأن يظهر فيه بعين ما هو الرب، فيبطن هو في ربه بعين ما هو العبد رجوعًا إلى بدنه، فافهم.

اسمع: كما أن الأرواح باطنة في الأشباح، والماهيات باطنة في الأرواح أبدًا، فالأمر بعكس ذلك أزلاً، فإذا ظهرت الأجسام استحالت ولم تستقر على حالٍ؛ لأن ذلك أثر الروح الذي لا ينحصر إدراكه، فإذا انقلب إلى ربه فبطن في عين الروح ثبت الروح بأثر ثبوته جسدًا، لا يتحلل ولا يتغيَّر[2].

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (218/7)، والديلمي في الفردوس (168/3).

(2) قال الصدر القونوي: قاعدة كلية تتضمن التعريف بكيفية تدبير الأرواح الأجساد وصورة الارتباط بين كل منها مع الآخر:

اعلم أن الارتباط الذي بين الروح الحيواني، وبين المزاج الطبيعيُ الإنساني ثابت بالمناسبة، كما أن الارتباط بين النفس الناطقة وبين الروح الحيواني إنما صح وثبت أيضًا بالمناسبة، ولو لا ذلك ما تأتي للنفس تدبير المزاج البدني لما بينهما من المباينة من جهة بساطة النفس، وتركيب البدن، وفرط كثرة أجزائه، واختلاف حقائق ما تألَّف منه.

فالبخار الذي في تجويف القلب، وإن كان جسمًا فإنه ألطف أجزاء بدن الإنسان وأقربها نسبة إلى الأجسام البسيطة؛ وهو كالمرآة للروح الحيواني.

والروح الحيواني: من حيث اشتماله بالذات على القوى الكثيرة المختلفة المنبثَّة في أقطار البدن، والمتصرفة بأفانين الأفعال والآثار المتباينة تناسب المزاج البدني المتحصِّل من العناصر، وما يتبعه من الخواص المعدنية والنباتية والحيوانية، ومن حيث أنه قوة بسيطة متعلقة غير محسوسة مجعولة في ذلك البخار القلبي الذي قلنا أنه كالمرآة له تناسب النفس الناطقة؛ وإنه أيضًا كالمرآة لها: أي للنفس.

ونسبة النفس الجزئية الإنسانية إلى النفس الكلية، نسبة الروح الحيوانية إليها من جهة الافتقار إلى المادة، والتقيُّد بها وملابسة الكثرة، ومن جهات غير هذه المذكورة كخواص إمكانات الوسائط من الأفلاك والنفوس والعقول والشئون المعبر عنها بالأسماء.

ونسبة النفس الكلية إلى القلم الأعلى المسمَّى بالعقل الأول، والروح الكلي؛ نسبة النفس الجزئية إلى النفس الكلية، ونسبة الروح الكلي المشار إليه إلى جناب الحق سبحانه نسبة النفس الكلية إليه؛ بل أقل وأضعف هذا وإن كان هذا الروح الكلي الذي هو القلم أشرف الممكنات، وأقربها نسبة إلى الحق، وأنه حامل الصفات الربانية، والظاهر بها علمًا وعملاً وحالاً.

فالسير، والسلوك، والتوجه بالرياضة، والمجاهدة، والعلم، والعمل؛ المحققين المتأصِّلين بأصولِ الشرائع والتعريفات الربَّانية يثمر بعناية الله ومشيئته انصباغ القوى المزاجية بوصفِ الروح الحيواني في الجمع بين خاصية البساطة والتجريد، وبين التصرُّفات المختلفة بالقوى المتعددة
=

في فنون الأفعال، والتصريفات الظاهرة في بدنِ الإنسان بالقوى والآلات.
والروح الحيواني كماله الأول انصباغه بأوصاف النفس الناطقة، والنفس الناطقة الجزئية كمالها الأول تحقُّقها بوصفِ خازن الفلك الأول المسمَّى في الشرائع بـ «اسماعيل»؛ وعند أهل النظر بالفعال، وكمالها المتوسط ظهورها، وتحققها بوصف النفس الكلية، واكتساب أحكامها على وجهٍ يوجب لها التعدي منها إلى المرتبة العقلية والروح الكلي.
ثم الاتصال بجناب الحق والاستهلاك فيه بغلبة حكم الحقية على الخلقية، وزوال الخواص الإمكانية والتقييدية بأحكام الوجوب، وبقهر حكم الحق الواحد القهار كل حكم، ووصف كان يُضاف إلى سواه، وهذا القهر يرد على كل ما امتاز من مُطْلق الغيب الكليّ الربانيّ، وتلتبس بواسطة الأحوال الإيجادية بأحكام الإمكان والتقييدات الكونية المتحصِّلة من الشروط الوسائط.
فيستهلك الجزء في كله، ويعود الفرع إلى أصله، مستصحبًا خوص ما مرَّ عليه واستقر فيه مدة، ووصل إليه؛ كماء الورد كان أصله ماء فسرى في مراتب التركيب والمواد، واكتسب بسرايته ما صحبه بعد مفارقةِ التركيب من طعمٍ، ورائحةٍ، وخواص آخر، ولا يقدح شيء منها في وحدته وبساطته.
وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه يتحصَّل بين كيفيات المزاج الإنساني وبين ما يكون قلب الإنسان وذهنه مغمورًا به من المقاصد والتوجهات وغيرهما كانت ما كانت، وبين ما ارتسم أيضًا في نفسه من العلوم، والعقائد، والأوصاف، والأخلاق في كل وقتٍ؛ هيئة اجتماعية. تلك الهيئة مع ما ذكرناه أولاً في القاعدة بالنسبة إلى جناب الحق من جهة عدم الوسائط، وبالنسبة إلى سلسلة الحكمة والترتيب، وما أودع سبحانه من القوى، والخواص، والأوامر، والأسرار في السماوات العُلا وما فيها من الكواكب والأملاك، وما يتكيَّف به من الأوصاف والتشكُّلات؛ كالمرآة يتعين فيها من تجلِّي الحق، وشأنه الذاتي، وأمره الترتيبي الحكمي العلوي، وما يتبعه جميع التصورات والتصرفات الإنسانية وما ينضاف إلى الحق من الأسماء والصفات والشئون والآثار.
فمنها: أي من الأمور المتعينة المشار إليها: ما هي دائمة الحكم ثابتة الأثر.
ومنها: ما يقبل الزوال؛ لكن ببطء.
ومنها: سريعة الزوال والتبدُّل من حالٍ إلى حالٍ.
ومنها: ما نسبته إلى الحق أقوى وأخلص.
ومنها: ما نسبته إلى الكون أو الإنسان جمعًا وفرادىً من حيث ظاهر المدارك غالبا أحق وأنسب.
ومنها: ما يفيد معرفة الاشتراك بين الحق وما سواه من إنسان وغيره.
ومنها: ما يقضي بالاشتراك بين الحقِ والإنسان فقط.
ولست أعني بالإنسان هنا نوع الإنسان؛ بل يُعنى به الإنسان الحقيقي الذي هو بالفعل إنسانٌ كاملٌ الذي من جملة مناصبه مقام النيابة عن الحقِّ، وكونه واسطة بين الحق وما سواه في وصول ما يصل من الحق إلى الخلق في عصره، هكذا كل كامل في كل عصرٍ.
وهذا المشهد لما أريته عرفت منه سرَّ التجدُّد بالأمثال، وبالأضداد، والمتخالفات، وأعني بالتجدد تجدُّد وجود الكون، والخواطر، والتصورات ونتائجها في كل زمان، وظهور الخلق الجديد الذي الناس منه في لبسٍ كما أخبر تعالى. وقوله الحق: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]

ورأيت تعين الوجود المطلق بصورِ الأحوال؛ وهي ذات وجهين، فكلها إلهية من وجهٍ، وكونية من وجهٍ، وصادق على الجهتين باعتبار آخر.
ورأيت تعين الأسماء، والصفات الإلهية والكونية بحسب تلك الأحوال.
ورأيت كيف ينتج بعض الأفعال، والعقائد، والأحوال الإنسانية سخْط الحق ورِضَاه، وأحكامه وتعدد أثره الوحداني مع عدم تغير أمر في ذلك الجناب الأقدس؛ بل رأيت بعض الأفعال والتصورات العلمية والاعتقادية من الإنسان، إذا اقترن بحالٍ مخصوص من أحواله؛ استجلب بحكم علم الله السابق فيه، وتقديره اللاحق؛ تعينًا جديدًا من مطلق غيب الحق يظهر بحسب تلك الهيئة الاجتماعية المتحصلة كما قلنا من التصورات العلمية الروحانية، أو الاعتقادية الذهنية الظنية، والكيفيات المزاجية، والنقوش والتعشُّقات النفسية، والأوصاف والأخلاق الشريفة والدنيئة.
فإن كان أثر ذلك الأمر الظاهر التعين شيئًا موافقًا لما سبق به التعريف الإلهيّ بلسان الشريعة، وما تدرك العقول، والفطر السليمة وجهِ الملائمة والحسن فيه؛ أضيف إلى الحق؛ بمعنى أن ذلك أثر رضاه ورحمته، وإن كان الأمر بالعكس أضيف إلى الحق بمعنى أنه أثر غضبه وقهره، سلمنا الله منهما.
وإن كان الغالب على مزاج تلك الهيئة المتحصلة من اجتماع ما ذكرنا؛ حكم حال الإنسان؛ أعني: الحال الجزئي الحاكم عليه؛ إذ ذاك كان ذلك السخط أو الرضاء أو الحكم الإلهي المتعين في الإنسان بحسب حاله الحاضرة؛ قابلاً لزوال بسرعة، وكان قصير المدة.
وإن كان الغالب على الشخص، والجالب ما ذكرنا حكم العقائد، والعلوم الراسخة، والأوصاف والأخلاق الذاتية الجبلية، والمكتسبة الثابتة؛ ثبت الأثر والحكم أو تماديًا المدد الطويلة شرًّا كان أو خيرًا.
وكذلك إن كان الغالب فيما ذكرنا من الإنسان حكم صورة مزاجه، وقواه البدنية الطبيعية، والأوصاف والأحوال اللازمة للبدن وقواه؛ انقضى الحكم بمفارقة هذه النشأة العنصرية.
وإن كانت الغلبة للأمور الباطنية النفسانية، وما بعدت نسبته من عالم الشهادة؛ بقيَ الأثر، والحكم مصاحبين إلى حين ما يشاء الله.
وإن كان الغالب فيما ذكرنا الأمور الذهنية الخيالية الظنية؛ تمادى الحكم في النشأة البرزخية أيضًا حتى يشاهد ما قُدِّر له أن يشاهده ممَّا كان يتصوَّره على خلافِ ما كان عليه، وإليه الإشارة بقول الله تبارك تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] وحتى تظهر غلبة أحكام الروح، وعلمه، وحكم صحبة الحق بالمعية الذاتية، وسره على حكم المزاج، وتخيلات صاحبه التخيلات الغير المطابقة لما عليه المتصور.
وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 30].
ثم اعلم أن كل نشأة ينتقل الإنسان إليها بعد الموت، فإنها متولدة عن هذه النشأة العنصرية، وإن في ضمن هذه النشأة ما يدوم ويبقى، وإن تتنوع ظهوره، واختلفت كيفياته، وتراكيبه؛ وفيه ما يفنى بالموت، وفيه ما يصحب الروح في البرزخ من الفاسدة والتصورات الرديئة، والمقاصد القبيحة المستحضرة، والباقي من لوازم ما ذكرنا من صور الأفعال، والأقوال الإنسانية بموجب

القصد والاستحضار المذكورين.
وأما النشأة الحشرية فإنها باطن هذا الظاهر فيبطن هناك ما ظهر الآن، ويظهر ما بطن على وجهٍ جامع بين جميع أحكام ما بطن الآن، وظهر وما نتج من هذا البطون والظهور، والجمع والتركيب.
ثم عند الصراط يفارق السعداء ما يبقى فيهم من خواص هذا المزاج، والدار مما هو عنصريٌّ غير طبيعيّ، وتبقى معهم أرواح قوى هذه النشأة وجواهرها الأصلية المتركِّبة بالتركيب الأبدي الطبيعي الغير العنصري، وصورة الجمع والتأليف الغيبي الأزلي.
وأهل الشقاء ينفصل عنهم ما قد كان يبقى فيهم من أرواح القوى الإنسانية والصفات الروحانية، وتتوفَّر في نشأتهم صور الأحوال المزاجية الانحرافية والصفات الرديئة والكيفيات المردئة الحاصلة في تصوُّراتِهم وأذهانهم، والتي ترتبت عليها أفعالهم في الدار الدنيا وأقوالهم.
وينضم إلى صورهم ما تحلَّل من أجزائهم البدنية في هذه النشأة، فإن كل ما تحلَّل من أبدانهم يعاد إليهم، ويجمع لديهم بصورة ما فارقهم عقلاً، وعلمًا، وحالاً، وعملاً، وما يقتضيه ذلك الجمع والتركيب الذي يغلب عليه حكم الصورة على الروحانية.
وأهل الجنة بالعكس، فإن أكثر قواهم المزاجية، والصفات الطبيعية، وما تحلَّل من أبدانهم ينقلب بوجهٍ غريبٍ شبيه بالاستحالة صورًا روحانية مع بقاء حقيقة الجسم في باطن صورة السعداء، فالباطن هنا مُطلَقٌ، والظاهر مقيَّدٌ، والأمر هناك بالعكس؛ حكم الإطلاق في ظاهر النشأة الجنانية، وحكم التقييد في باطنها؛ وغالب الحكم والأثر فيما ظهر هناك لما بطن هنا وبالعكس.
والنشآت المشار إليها هنا أربعة:
أولها: هذه «النشأة العنصرية»: وهي كالبذرة لباقي النشآت؛ ولها الإدماج والجمع الأكبر.
وبعدها: «نشأة البرزخ»: وإنها متنشئة من بعض صور أحوال الخلق، وبعض أعمالهم، وظنونهم، وتصوراتهم، وأخلاقهم، وصفاتهم، فيجتمع مما ذكرنا أمور تحصل لها هيئة مخصوصة؛ كالأمر في المزاج المتحصِّل من اجتماع الأجزاء التي منها تُركَّب ذلك المزاج كان ما كان، فتقتضي تلك الهيئة ظهور النفس في الصورة المتحصلة من تلك الهيئة، وذلك الاجتماع، وصفة الصورة بحسب نسبة الصفة الغالبة على الإنسان حين مفارقة هذه النشأة.
فيظهر بعضهم في البرزخ؛ بل وبرهة من زمان الحشر في صورة أسد وذيخ وطير؛ كما ورد في الشرّ، وشهد بصحته الكشف والتعريف الإلهي، وليس بالمسخ والتناسخ المستنكر، فإن القائلين بذلك زاعمون أنه في الدنيا، وهذا إنما هو في البرازخ بعد الموت، فافهم.
ومن غلبت عليه الأحكام الروحانية وإفراط إعراضه عن هذه الدار وهذه النشأة؛ كالشهداء المقبلين في سبيل الله للجهاد بطيبِ قلبٍ، وصحة إيمان؛ تظهر نفوسهم في صور طيور روحانية؛ كما أخبر ﷺ : «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصل طَيْرٍ خُضْر تَعَلَّق مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ».
وورد في المعنى في الحديث الصحيح:
إن في غزوة أُحُد قال بعض الصحابة لبعضهم معاتبًا له: «أتقعد عن جنةٍ عرضُها السَّماوات والأرض، والله إني لأجد ريحها دون أُحُدٍ».
وهذا من بكرة نور الإيمان، وفرط استفراغ الهمَّة حال التوجُّه مع الإعراض التام عن هذه النشأة

كما قال: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 14]، و﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: 7]، إنما هو بطون وظهور.

اسمع: مبادئ الكشف والبيان الإلهي هم شهداء غيوب الله، وحقوق حقائقه، وبراهين مطالبه، فمتى نُزع من أمة شهداء الله فيها لم يبقَ لها برهان، ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ للهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: 75]، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً﴾ [النحل: 89]، ﴿قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾ [النساء: 174].

اسمع: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: 41].

هذه الأرواح العلمية إذا فارقت أجسامها وردت على من استعد لظهورها بأحكامها فيه من النفوس البشرية، وورود الخواطر الباعثة لموردها على تحريك قواها في تحصيل مطالبها، فإذا تمكنت منها بحيث صار حالها مع تلك النفس كحال تلك النفس مع البدن الذي هي متعلقة به، ظهرت في تلك النفس بخاصية طيرانها، أو مشيها على الماء، أو مهما كانت خاصيتها تقتضيه، فانعملت قوى ذلك البدن بما انفعلت به نفسه، فظهر فيه ما ظهرت به تلك الروح في تلك النفس، فطار ذلك البدن البشري في الهواء، ومشى على الماء، وقامت به تلك الأمور التي هي صور أحوال نفسه التي قامت بها، من ظهور الروح المتعلقة بها فيها.

-

وهذه الدار، واستشهد صاحب هذا القول يومه ذلك ﷺ.
والمتوسطون من الأولياء المفرطين في الانقطاع عن الخلق والمجاهدات البدنية أيضًا كذلك، وأما الكُمَّل فإنهم لا ينحرفون إلى طرفٍ من الوسائط، بل يوفون كل مرتبة حقها؛ فمنهم تامُّون في عالم الطبيعة، وتامُّون في الحضرات الروحية؛ كربِّهم سبحانه الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه، فلا تغلب عليهم الطبيعة ولا الروحانية.
ومن سواهم؛ إمَّا: «مغلوب الروحانية، مستهلك الطبيعة».
وإما: «مغلوب الطبيعة المستهلك قواه الروحانية في عرصة طبيعته»؛ كما هو حال جمهور الناس.
و«الكُمَّل المقرَّبُون في حاق الوسط»؛ برازخ بين الطبائع والأرواح؛ بل بين المرتبة الإلهية والكونية، فافهم. وأما الباقيان من النشآت: فأحدهما: «النشأة الحشرية».
وثانيهما: «النشأة الاستقرارية في إحدى الدارين».
وانظر: النفحات الإلهية (ص93) بتحقيقنا.

فمن هنا جاءت الأمور الحسية التي يسميها المقيدون بمداركهم الكونية كرامات، وأحوال أصحاب الولايات، وإنما هي كما قد سمعت وهي محفوظة على محلها ما دامت تلك الروح متعلقة بتلك النفس، وذلك التعلُّق مستمر ما دام ذلك الاستعداد العلمي الروحاني محفوظًا في تلك النفس، فمتى تغير ذلك الاستعداد بأعلى منه أو أدنى زال ذلك، فيقول العموم إن ذلك سلبُ كرامةٍ وحالٍ ونحو هذا، وما هو إلا كما قد سمعت فيما تقدَّم.

أيُّما أفضل: الآدمي أو ما دونه من العوالم؟ وإنما يكرم المفضول بالتحاقه بفاضله لا العكس، لكن الآدمي متى انقطع عنه المدد الرحماني باحتجاب الوجه الإنساني عنه بالارتفاق في التعلُّق الأكواني صار ما دونه مما ليس بمنقطع المدد من غايته أفضل منه، قال السيد الكامل: «**وأعوذ بك أن أُغتال من تحتي**[1]».

اسمع: القلب شأنه أن يقلب المتنزلات إليه من المعاني أعيانًا، والمرتقيات إليه من الأعيان معانٍ، وهو بين وجه النظام الأزلي ووجه النظام الأبدي برزخ، ونقطة وسط متقلب بين أصابع الرحمن بين الإدراك العقلي والعلم العقلي، يُسمَّى العقل باعتبار الأول عقلاً طبيعيًا، وباعتبار الثاني عقلاً إلهيًا.

اسمع: الكلمة صورة جمعية بأفراد متعينة هي حروفها، ورُبَّ حرف كلمة إذا انفرد مستقلاً كان كلمة، مثال ذلك: (زيد) صورة جمعية محيطة بأفراد متعينة هي: زين ياء دال، ومعنى (زيد) أيضًا: شخص هو صورة جمعية محيطة بأفراد متعينة، هي رأس ووجه وعنق وظهر وعضد وذراع ويد، وقس على هذا.

والزين إذا استقلت كانت كلمة أفرادها: زاي ياء نون، كذلك الرأس كلمة أفرادها بطونها ودورها وقواها، وقس على هذا نظام الغيب والشهادة في كل دائرةٍ بحسبها.

وجوامع الكلم هي الكلم التي لا يشملها كلمة مشمولة، والكلمة التي لا تشملها كلمة أصلاً، هي أحدية جمع الكلم، وجامعة إجماع جوامعها.

فنقول من ذلك: الجلالة كلمة الهو، ومفرداتها معانيها التي لا تزيد عليها، كما تقول: الجلالة ذات أوجبت لنفسها تمييزًا لا يحتمل النقيض فهي علمٌ، وأوجبت لنفسها إدراكًا وفعلاً فهي حياة، وأوجبت لها التخصيص فهي إرادةٌ، وأوجبت لها إظهار

(1) رواه أبو داود (318/4)، والنسائي (466/4).

المخصص المراد في الإدراك فهي قدرةٌ، وقِسْ على هذا.

والرحمانية كلمة الجلالة، مفرداتها المعاني الثبوتية بحكم الزيادة المتحدة، فلا تغايرها وهي العلم والحياة والكلام والإرادة والقدرة ونحو هذا، وهي للرحيم معان وجودية هي مبادئ تعلقات اختيارية، تلك التعلقات تُسمَّى صفات الفعل، وهي مفردات كلمة الرحمن المُسمَّاة بالرحيمية، وكل كلمةٍ فإنها عين ما هي لَه جامعة، وكلمة هذه الكلمات كلها هي الإنسانية، معنى بسم الله الرحمن الرحيم، والعوالم كلها مفرداتها، وهي أعين هذه المفردات متعلقات المعاني جميعًا.

فكل ما في نظام كلمة الجلالة اسم ذات، وفي الكلمة الرحمانية اسم صفة، وفي الكلمة الرحيمية اسم فعل، وفي الكلمة الإنسانية اسم حرف، والحرف محيط بما هو مجموع الكلمة، والذات محيطة بما هي حقيقة الحرف الحقيقية المطلقة، وصورته نظام الحقائق، والحق ذات ظهر بتعينه في تجرده، والحقيقة ذات ظهر اتصافًا بما بطن فيه بالذات، فهو بباطنيته عدم، وبظاهريته وجود، قد جاءك العجب، فاعلم أن سوى هذا ما ثَمَّ.

اسمع: البيان العقلي كلامٌ، والخيالي قولٌ، والحسِّي حديثٌ، والبيان الأول إيجاب، والثاني إيجاد، والثالث تكوين.

اسمع: من تصوَّر شيئًا فهو صورته من حيث تصوره، ولا يبين أحدٌ إلا ما تصوَّر، فلا يقول قائلٌ إلا ما كانه، فلولا ما كانها ما قالها، لكن فرق بين القائل والناقل، فالأول واجد، والثاني كرجع الصدى من المخاطب، حاكٍ بالوهم، ساكتٌ بالكشف.

والحاصل أن المبين لا بالاستفادة من غيره، مخبر عن وجده، وإخباره دليل لازم على وجدانه، ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَآئِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، والمبين بالاستفادة عن غيره مرآة ظهر ذلك الغير بواسطتها، أو حجاب تكلم من خلفه، فنسبة الصورة للمرآة والخطاب للحجاب وهمٌ، وما ترتب عليه مثله، ونسبة ذلك للظاهر المتحجب دون المرآة والحجاب حق، وما ترتب عليه مثله، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102].

اسمع: المشعور به على قسمين:

مشعورٌ شعرت به بالوجود من حيث هو ذاتك، فهذا لا يتميز لَه عندك مرتبة أصلاً،

مع أن وجده كذلك لازم لوجودك.

ومشعورٌ شعرت به بتعلق صفتك التي يكون بها شعورك العارض به، وهذا هو الذي لَه عندك مرتبة يتميز بها، ويمكن عزوبه عنك.

الأول تعلُّق الذات بالذات، والثاني الصفات بالصفات، وعلى قدر ثبوت المتعلِّق يثبت التعلُّق في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثَمَّ إذا تعيَّن وجودك بموجوديتك شعرت بوجودك شعور اللزوم الذاتي، ولذلك لا يتأتى لك تمييزه بمرتبة حقيقية، فإذا ميزته بالنسب فذلك تمييز وصفي، وتشعر بموجوديتك بصفتك الشاعرة فيتميز عندك بمرتبة.

اسمع: إذا تحققت في إدراكك بأنك موجود غاب وجودك عن تمييزك، وهو أحق عندك من وجودك، وكذلك فاعرف جميع المراتب.

قال هو سيدي ومولاي: إذا شاءك شياؤك كشف لك عن شيئيتك، فإذا تحققت بشيئيتك أفنتك عن شيائك:

كَـــيْفَ غِبْـــنَا وحَـــضَرْنَا   إِذْ عَدِمـــنَا مَـــا وَجَـــدْنَا

المشهد بتمامه فافهم.

اسمع: حضرة الوجوب الذاتي حضرة تلازم ثبوت الخصائص، ونفي النقائص لنفسها، وحضرة الإمكان حضرةٌ لا هذا التلازم لنفسها.

اسمع: إما أن يظهر فيك وجودك بأنه ليس إلا هو، وما منه إلا وهو إليه، فتلك وحدة، أو يظهر فيك بأنك ممكن قد ظهر فيك الواجب ظهورًا لم يبقَ لحكم إمكانك فيك مع حكم وجوبه عينًا ولا أثرًا، فذلك اتحاد، أو يظهر فيك بأنك ممكن قدَّس الواجب استعداداتك بأن ظهر فيها بمعانيه ظهورًا لائقًا به لا بك، مع ثبوتك عينًا لا أثرًا، فهذا حلول.

قال هو سيدي ومولاي: أدب حضرة الشهود الإلهي لا أنا ولا أنت ولا هو هي، أدب الحضور الربَّاني إثبات واحد ولا ثاني، أدب الحضور الروحاني تقديس الأواني بتنزيه المعاني، الأول بالوحدة، والثاني بالاتحاد، والثالث بالحلول، فمن حلل عقود هذا التركيب فهم هذا السر العجيب.

اسمع: (العزُّ) في اللغة هو الامتناع، والامتناع لا ينضبط، ولا بهذا، وإلا انقلب فهو المرتبة الذاتية في كل مقامٍ بحسبه، فنقول في المعجوز عنه مرتبته التي تُستشعَر به

امتناع تصور ما هو، وفي الوجود امتناع النفي، وفي العدم امتناع الثبوت، وفي الفرد امتناع المماثلة، وفي الواحد امتناع التركيب، وفي الأحد امتناع التعدُّد، وفي القدم امتناع المسبوقية.

اسمع: كل لازم شيء لذاته فإنه واجب لَه بذاته، وكل واجب شيء لذاته فإنه لا ضد له بالنسبة إليه؛ لامتناع خلوه عنه المصحح؛ لعدم معاقبة خلافه عليه، وإنما الضدان المتعاقبان على محلٍّ واحدٍ بينهما غاية الخلاف، وامتناع الجمع، ومن هنا يفهم أن صفات الواجب التي أوجبتها لَه ذاته لا أضداد لها بالنسبة إليه، وبذلك باينت الصفات الممكنة لثبوت الضدية فيها حيث يجوز رفعها عن محلها لحلولها فيه.

اسمع: قولهم: إن الواجب لذاته حيٌّ لا يموت، ليس معناه أن للحياة ضد لكن لا يعرض له، وإنما معناه أن حياته لا ضد لها كما تقدَّم.

اسمع: قول منكري علم الواجب بالجزئيات التي لا يتعلَّق بها عندهم إلا علم يقبل التغير، لا يستلزم القول بالجهل الذي هو ضد العلم؛ إذ علمه لا ضد لَه، ولأن الجهل عدم تعلق العلم بما من شأنه أن يتعلَّق به، وهذا ليس كذلك كما تقدَّم.

اسمع: قولهم: إن العلم يتبع المعلوم، معناه أنه لا يتعلَّق بالمعلوم إلا على ما المعلوم به لا على خلافه، فإن كان علمًا انفعاليًّا فظاهر، وإن كان فعليًّا فأظهر؛ لأنه لا يوجبه إلا على ما يكون عليه.

اسمع: العدد إما زوج أو فرد، فهما بالنسبة إليه ضدان، والمنقسم بمتساويين ليس إلا زوج، فلا ضد للزوج بالنسبة إليه، وكذلك المنقسم الذي لا ينقسم بمتساويين فرد ليس إلا، فلا ضد للفردية بالنسبة إليه كما تقدَّم[1].

---

(1) قال سيدي محمد وفا في الشعائر: واعلم أن الإضافات الذاتية، وأعني بالذاتية التي لا يفرق فيها بين المضاف والمضاف إليه، على قسمين: نفي تنزيه، ونفي تجريد.
الأول: سلب التسمية عن الاسم الحقيقي الذي هو علم للمسمى، كقولك:
سبحان الله، وهذا من فناء الخلق في الحق، والاستدلال على الصانع بالصنع.
والثاني: وهو سلب التجريد، وهو تجريد الأحد عن العدد، كقولك: لا إله إلا الله، وهذا ليس بنفي عين ولا تجريد صفة، وإنما هو نفي توهم الغير ولا غير، وهذان المقامان بداية البار ونهايته.
وأما القسم الثاني فهو إضافة إثبات، وهو على قسمين: إضافة إمكان، وإضافة وجوب.
الأول: الثناء المطلق وهو الحمد، روح الطاعة والسمع، وهو في كل شيء يثني على الله بعين
=

اسمع: التدبير[1] توجيه الوسائل إلى تحصيل المقاصد، فتوجيهها على وجهٍ يؤدي لذلك بلا تعذرٍ ولا تعسرٍ، هو التدبير الحسن في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ما ثَمَّ جازم بأمرٍ إلا ولَه حجة عنده لا يدفعها خصومه بردٍّ صحيحٍ عند الإنصاف وتدقيق النظر، فهو بالنسبة إليه حقٌّ وإن بطل بالنسبة إلى خلافه، كالذي أتاهم الحق في صورةٍ لا يعرفونه فيها، فاستعاذوا به منه وزعموا أنه شيطانٌ، وأبوا أن يسجدوا لَه، فلم يرد عليهم ذلك؛ لأنهم لو سجدوا لم يحصل لهم من ذلك إلا ما تحصَّل لهم من سجودهم لشيطانٍ؛ إذ هو عند ظن العبد به، فلما تحوَّل لهم عن صورته في صورةٍ يعرفونه بها سجدوا وقالوا: أنت ربنا، فأقرَّهم على ذلك، وكلا الصورتين حق في نفس الأمر، وحق وباطل بالنسبة إلى العارف والمنكر، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: 148] إلا الكامل، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: 115]، فليس لتعرفه تنكُّر، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7]، ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ [النساء: 78].

اسمع: قضايا العقل لا تنحصر؛ لأنه صورة العلم فلا يعتريه جهل، كما أن الروح

وجوده المضاف إليه، وما من الله إلا وإليه.

والثاني: وهو إضافة الإيجاب كقولك: قدرة الله وإرادته وعلمه، وما أشبه ذلك وهي إضافة تحصيل الذات المطلقة في القوة المدركة بوجود الإطلاق، لا أنها مقيَّدة لها فإذا نعت إطلاق بالذات بالحقيقة ثبت المضاف إليها كمالاً بالإطلاق، ثبت ما تُوهم بالقيد مطلقًا بالحقيقة، وما نعت بالنقص كاملاً بالكشف، قل الله ثم ذرهم، وهذان المقامان للمقرب بداية ونهاية، فافهم.

(1) التدبُّر: نعتٌ للحق من حيث تجليّه في باطن الرُّتبة الإنسانية، وفي الإنسان الكامل، فإن نَظَرَ الكامل بربه، وإن شئت قل نَظَرَ الحق بالكامل في المزجة الوجودية الحاصلة من انبساط الوجود على التعينات العلمية المسمَّاة معلومات وممكنات؛ لتمييز أحكام المراتب بعضها عن بعضٍ، وإضافة كل فرع إلى أصله؛ لتبقى بعد الامتزاج الوجودي متميزة الأحكام والإضافات كـ «هي»؛ باعتبار تجرُّدها عما تلبَّست به من الصور الوجودية تسمَّى تدبُرا، فهو توجُّه إلهي بسرِّ عبدانيٍّ، وتوجُّه عبداني بحقيقة الألوهة نحو أمرٍ مشهودٍ حالاً، معلومٍ مشهودٍ أزلاً وآنًا؛ توجُّهًا كليًا إلى أصلٍ جمليٍّ؛ ليَفُكَّ ختام تفصيله؛ حبًا في إكمال إيضاحه وتبيينه وتوصيله.

وليس هذا شأن الفكر، فإن الفكر هو توجُّه نفساني بصفة افتقارٍ واستعانة بموادٍ معلومة من قبل؛ مستفادةً من الحسِّ والأوليات وترتيبها على نحوٍ خاص؛ طلبًا لأن يقتنص بذلك كله ما شَعُرَت به نفسُ المتوجِّه من خلف حجابِ الطبع، ومن حيث صفةٍ من صفاتِه، أو لازم أو عارض مما ليس بمعلومٍ عنده؛ ليصير معلومًا. وانظر: النفحات الإلهية للصدر القونوي ﷺ (ص97) بتحقيقنا.

صورة الحياة فلا يعتريه موت، فلا تقل هذا القول من وراء العقل مطلقًا، ولكن من وراء عقل من لم يعقله، وفقدان الشيء لا يستلزم عدمه في نفسه، فلا تقل: هذا لا يُعقل حتى تحيط بالعقل المطلق، وهيهات ومتى أحطت به وجدت ذلك معقولاً، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح: 16]: أي وجعل النور الذاتي بحيث يستفاد منه مثالاته بحسب استعدادات المستفيدين في كل مقامٍ بحسبه، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: 45، 46].

اسمع: شمس الحقيقة الإلهية تعني سراجًا رحمانيًا، وشمس الحقيقة الرحمانية تعني سراجًا إنسانيًا، هو العقل العلي عن الرحمن العقل المطلق، كما هذا عن الله العليم المحيط.

اسمع: العلم مبدأ التميز والكشف، والحياة مبدأ الإدراك والفعل، والإرادة مبدأ التخصيص، والكلام مبدأ كون المراد مقيدًا بالدلالة في كل مقامٍ بحسبه، والقدرة مبدأ الإيجاد، وهو إظهار المراد في الإدراك، والسمع مبدأ التصورات، والبصر مبدأ المصوِّرات، والبقاء مبدأ الثبوت مع النسبة إلى المتعاقبات.

اسمع: المراتب الإلهية خمس:

المرتبة الأولى: مرتبة الذات التي لا يُشعر منها بسوى أمور امتناعية، كما تقول: ممتنع الحاجة إلى زيد على ما هو ممتنع التعدُّد ممتنع المماثلة ممتنع التركيب، وقس على هذا، وهذه المرتبة علمها لفظه المعبر عنها بأنه ضمير غيبة، فهو وَجد في فقد، وثبوت في سلب، وتعين في تجرد.

المرتبة الثانية: كون هذه الذات كافية لنفسها في اقتضاء ما تقتضيه المعاني الثبوتية كلها، فهي علم بما أنها تقتضي لنفسها أن تدرِك وتفعل، وقس على هذا.

المرتبة الثالثة: معلومها من نفسها الذي لا تزيد عليه زيادة استقلال بتعين، وهو أنها ذات معانٍ، حيث تعينت بما هي علم وحياة ونحو هذا كما تقدَّم.

المرتبة الرابعة: تعينها بأنها عالِم بعلم متعلق بمعلومات هو ميّزها وكشفها، وحي بحياة متعلقة بإدراكات وأفعال هو أدركها وفعلها.

المرتبة الخامسة: ظهوره بذلك كله في إدراكه تعين مبدأ بيانه للكل في كل مقامٍ

بحسبه.

وعلمه في المرتبة الثانية: الله، وفي الثالثة: الرحمن، وفي الرابعة: الرحيم، وفي الخامسة: الحق المبين، وأحرف الجلالة في اللغة العربية خمسة هي: ا ل ل ا ه، فالألف المهموز الذي هو أول عين خارجي، وهو مع ما بعده آلة التعريف للمرتبة الحق، واللام الأولى للمرتبة الرحيمية، واللام الثانية التي هي مع ما بعدها آلة النفي للمرتبة الرحمانية، والألف الهاوي الثانية، وهي ذات الحروف كلها، فكلما مرَّت بمنقطعٍ كانت عينًا يقتضيه استعداده هي للمرتبة الجلالية، والهاء للمرتبة الذاتية.

اسمع: الظهور بالإدراك هو المعبر عنه بالحصول في الخارج في كل مقامٍ بحسبه؛ لأن الإدراك مبدأ التشخيص، والعلم مبدأ التجريد.

اسمع: الظرف محيط بالمظروف، فهو أوسع منه في كل مقامٍ بحسبه.

فإذا قلت لشخصٍ: البركة عليك، كانت هذه البركة أوسع منها حيث تقول لَه: البركة فيك، وقسْ على هذا.

ومن هنا شُرع السلام عليك، وعدى الاستواء الذي هو التجلِّي التام بـ (على) كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، فالعرش ونحوه مما يُقال: إن مخصصه بنفسه استوى عليه، هو موجود مستغرق الحكم في حكم وجوده، وعين هو في المتعين به كذلك، وعبد هو في مولاه مثل ذلك، وقسْ على هذا.

اسمع: الضمير هو المشعر بما لا يُتحصَّل كنهه، وهو على قسمين: ضمير غيبة وهو المشعر بما لا يُتحصل إلا باعتبار تعينه، وضمير حضور وهو المشعر بما لا يتحصَّل كنهه، لكن مع ملاحظة تعينه، والهاء موضوعة في لغة العرب للأول، والنون للثاني، كيف تصرَّفت وما معها من ألف وتاء ونحو هذا.

فزوائد لتمييز مقامات دلالاتها بدليل حذفها وتبدلها مع ثبوت النون، وباقي الضمائر أبدالها، ألا ترى إنك إذا قلت: (إياي) أكدته بـ (أنا).

أو قلت: (إياك) أكدته بـ (أنت).

وإما إذا قلت: (إياه) فإنك لا تؤكده إلا بنفسه، فتقول: إياه هو، وهو أعني ضمير الحضور على قسمين: ضمير متكلم، وضمير مخاطب الأول، كـ (أنا) و(إني) و(نحن)، والثاني كـ (أنت) و(أنتم).

فإذا قلت: إن زيدًا قائم، فزيد إما مضاف إليه في المعنى، أو بدل من إن، وإن قال النحاة اصطلاحًا إنه: إن واسمها، فانظر كيف جعل (إن) مُسمًّى و(زيدًا) اسمها، فافهم.

اسمع: الأمور الوجودية كلها توابع الوجود وأموره لذاته، والوجود واحد هو ذات كل موجودٍ، فكل الأمور الوجودية لازمة ذات كل موجودٍ، وإن لم يظهر على موجوديته إلا بحسب خاصيته المرتبية القبولية المُسمَّاه بالاستعداد، وبهذا يظهر تفاوت ظهور المعاني الوجودية في الموجودات، ولا تفاوت فيها بالنسبة إلى الموجود من حيث استعداد موجوديته كما تقدَّم.

اسمع: الموجود الإلهي هو الظاهر بمعاني العلم والحكمة وأحكامها حيث ظهرت، فهو واحد بوحدة الوجود، وإن كثرت مظاهره بكثرة الموجودات، وكذلك كمال معانيه بالنسبة إليه، وتفاوتها بالنسبة إلى استعدادات مظاهره، والحكمة ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام في كل مقامٍ بحسبه، فقواك الحكيمة كلها قواه، وأفعالك الحكيمة كلها أفعاله، وقصورك من جهة استعدادك لا لقصور معانيه، ولأنها في غيرك أظهر منها فيك بحسب استعداده، فلا يريبنك قصورك عن أمرٍ، في أن قواك التي من شأنها أن تتعلَّق بذلك الأمر على وجهٍ حكيمٍ، ليست إلا قوة وجودك الإلهي؛ إذ القصور ليس إلا من جهة القبول، لو ثبت أن ثَمَّ قصورًا؛ لأنك إذا حققت لم تجد ثَمَّ قصورًا؛ إذ القصور عبارة عن عدم تعلُّق المعنى بما من حقِّه أن يتعلَّق به، والمعنى في كل استعدادٍ ليس من حقِّه أن يتعلَّق إلا بما يناسب ذلك الاستعداد تعلقه به، وذلك أمر حاصل لزومًا، ورفع الموانع من جملة كمال الاستعداد.

ولتعلم أن كل معاني الوجود لا يظهر بها إلا هو في موجوداته، فهي بذلك معانٍ محيطة؛ لأنها معاني كل ذي معنى، كما أن الوجود محيط بأنه وجود كل موجودٍ، قال هو سيدي ومولاي:

وأَمَّا صِفَات الذَّات نُور كَمَالِهَا إِحَاطَتها فِي كُلِّ نَفْسٍ محيطةِ
وأَمَّا كَمَالُ الذَّاتِ سِرّ كَمَالِهَا إِحَاطَة تحقِيقٍ بِكُلِّ حَقِيقةِ

ومن هنا يعلم أن الله مع كل موجودٍ؛ لأنه وجوده الإلهي، وأن لا حول ولا قوة عليمةً حكيمةً إلا بالله العليم الحكيم؛ لأنه الظاهر بذلك في كل موجودٍ ظهرت فيه، وأن لا إله إلا الله؛ لأن الإلهية وهي الاتصاف بالصفات المحيطة التعلقات الحكيمة ليست

إلا له، وأنه واحد أحد وإن كثرت مظاهره بكثرة موجوداته، وتنوَّعت أسماؤه وأوصافه بتنوع ظهوراته ونسب تعلقاته، وأنه لم يُعبد ولا يُعبد إلا هو، وإن وقف وهمٌ مع صورة مظهرية ظهر فيها فأنكره فيها تنزيهًا مقيدًا، أو أثبت لها ما هو لَه محجوبًا بها عنه، فإن الوهم الذي هو مبدأ إنكار الحق في عين تعرفه هو مرتبة غيرته على نفسه من الظهور لغير مراتب اطِّلاعه على نفسه في كل مَظهرٍ، وإن كان الكل مراتبه.

اسمع: إن لم تعرف أنه جملتك بالحقيقة؛ لأنه الوجود والموجود في التحقيق، فلا تنكر أنه الظاهر فيك بقواك، وكمالية معانيك، فهو العالم بما فيك من علمٍ، والعاقل بما فيك من عقلٍ، والحي بما فيك من حياةٍ، والمدرِك بما فيك من إدراكٍ، والفاعل بما فيك من فعلٍ، وقسْ على هذا، وكل هذا على وجه كماليته، وما سوى ذلك من نقصٍ فمن عدمية قبولتك، لا من وجوديته الفاعلية، وإن كان الكل لَه من جهة إحاطته، ولكن لكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: أيُّها العبد كيف يخفى منك عن ربك الحق خافية، وهو يسمعك بسمعك، ويبصرك ببصرك، ويدركك بجميع مداركك، ويعلمك بجميع جهاتك العليمة.

انظر كيف تكون في جميع أحوالك، فإنه مطلعٌ عليك باطلاعك على ذلك، يا أكرم الأكرمين، يا أرحم الراحمين، سبحانك ولك الحمد يا سيدي ومولاي وحسبي آمين.

اسمع: المراتب كلها سواء في أن الوجود يظهر في كلٍّ منها بما قد لا يظهر به في سواها، فتفضل على سِواها بذلك، فكلٌّ فاضل من وجه ومفضول من وجه إلا مرتبة تجليه لنفسه، بأنه الأحد المحيط الذي هو الكل، وكل من الكل، والقيوم بكل ما قوَّم به كلا من الكل، فهذه مرتبة لا يخرج عن نظامها أمر، فلا يفضلها مرتبة، ولا يجد خاصية إحاطيتها إلا هي، فلها الفضل على كل مرتبةٍ، وهذه المرتبة هي التي يظهر الوجود بها في نظام وجوبه الفرقي، يُسمَّى بالواجب الأكبر، وفي نظام إمكانه بالإنسان الأكمل، وكلاهما واحد بالوجود الذات والمرتبة الوجودية، وهما اثنان واجبهما غير ممكنهما أزلاً وغيبةً وأبدًا في الفرقانات الفرقية الشهودية.

اسمع: من ظهر فيه وجوده بإحاطته شهد الكل هو منه إليه حق اليقين.

اسمع: أستاذك من كمالك في نظام تكميله.

اسمع: صاحب الوقت هو مَظهر الله رب العالمين فيه، فمهما عاملته به فإنما

عاملت به الله، انظر كيف يصرح بأن كلامه كلام الله رب العالمين، وفعله فعله، وحكمه حكمه، وأمره أمره، وحتى يده يده، وهو هو، وما صرَّح إلا بالصدق، وجاء بالحق لقومٍ يعلمون.

وانظر كيف قال موسى بلسانه الإلهي في توراته: (مثل موسى ما قام في بني إسرائيل ولا يقوم)، فلما جاء عيسى قال: (من أجلي صُنع السبت، وأُنزلت التوراة، وأُرسل الأنبياء وأنا قبل إبراهيم).

وجاء محمد السيد الكامل وجامعهم وحقيقتهم فقال: **«أنا سيِّدُ الناس، آدم فمن دونه تحت لوائي[1]»**.

---

(1) رواه الترمذي (308/5)، وأحمد (381/1)، والحاكم في المستدرك (83/1)، والبيهقي في الشعب (2/181)، وأبو يعلى في مسنده (215/4)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (16/1)، والمناوي في فيض القدير (364/6).

قلت: اللواء: علم أجلّ من يتقدَّم بالجيوش من نبيّ في زمان النبوة، أو خليفةٍ في حضرة الخلافة، أو أميرٍ في موقع الإمارة، أو ملكٍ في زمن الملك، وهو ما يرجع إليه الاتِّباع من علمٍ مشهود بجمعهم إلى واحدٍ من أعلامٍ متفرقةٍ، فهو علم الأعلام الذي تجتمع إليه الأعلام الجامعة، فهو ﷺ في ذاته لواء حمد ربِّه، واسمه أحمد ومحمد لواء الأسماء، وهو صاحب اللواء يوم القيامة كما قال ﷺ: «أنا صاحب لواء الحمد يوم القيامة، ولوائي يبلغ المشرق والمغرب، والأنبياء والمرسلين كلُّهم تحت لوائي، ولا فخر».

وإنما اختصَّ ﷺ بلواء الحمد بما أشهده الله من كلية أمر الله وخلقه جمعًا، لا مذمَّة فيه، ولا عيب يلحقه، ولا نقص يتطرق إليه من حيث إنه ينظر إليه من هو قائمٌ بقيوميَّة الله حمد في جمعه وبفضله ورتقه وفتقه ووصله وفصله، وإنما يفقد الحمد من ينظر إلى التفضيل والتفريق غير ناشئٍ عن وحدة جمعٍ، ولا مفروج عن جمع إحاطةٍ، وأصل منفرد واحدٍ، فيتفضَّل له الكون في مدحٍ وذمٍّ من حيث ينحجب عن مجرى القيومية فيه وسوائها في تكوينه، فلا يكون ذا حمدٍ ولا يزال صاحب مدحٍ أو ذمٍّ مفترقٍ ولا منفرجٍ.

واعلم أن نباء المعاد نباءٌ بواسطة ملكوتي بين بادية كائن يوم الملوك وغاية مما وراء عالم الملك والملكوت جمعًا، فهو ﷺ صاحب الحمد في الدنيا، وصاحب لواء الحمد في يوم المعاد، ومشهد الحمد لأهل الحمد، الذي إليه الانتهاء شهادة اللواء للجمع في عقبى نهاية العود إلى الله، الذي إليه المنتهى وليس وراءه مرمًى، فذلك كمال الحمد الآلي في يوم الملك، ولمن شاء الله أن يلحق بهم فيما وراء ذلك إلى أن يرضى ﷺ الرِّضا الموعود الذي قيل له فيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:5].

وروى أحمد في المسند، والترمذي وقال: حسن صحيح. عن أبي سعيد الخدرى مرفوعًا: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر».

ولما نازعه في وقته بعض المتعصبين لعيسى عليه السلام قال لسان عزه من يملك من الله شيئًا: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

وجعل لإحباط العمل سببين الكفر بعد الإيمان، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: 5].

والإخلال بالأدب معه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2].

ثم أردفها بالآية الثانية، ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: 154].

اسمع: المنافق همه دنياه، والمؤمن همه أخراه، والمخلص همه الله سيده ومولاه، وكلٌّ إذا تَمَّ له همه لا يلتفت لسواه، ومن وجد الأعلى كان ما دونه تحت لِواه بلا عكس.

اسمع: من كان همه الدُّنيا فليُذْمِن لرؤسائها ذلاً، ومن كان همه أخراه فليوسع لعلماء الفرقان الدياني الحكيم بذلاً، ومن كان همه الله فأهلاً به من أهله المخصوصين به وسهلاً.

اسمع: العبد ذو مرتبةٍ قابلة، والرب ذو مرتبةٍ فاعلة، فشأن الرب الاستبداد عن عبده بالفعل والاختيار، وشأن العبد الاستمداد من ربه الفاعل فيه ما يختار، وقد ظهر أن قول القائل العبد يستبد بخلق أفعاله تناقض وتهافت في حكم دائرة الفرق، كما لو قال: العبد

-

وذكر الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية في الباب الثالث والسبعين في الجواب عن السؤال السادس والسبعين من أسئلة الحكيم الترمذي وهو: ما لواء الحمد بعد أن ذكر أنه حمد الحمد وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة وإنه سمى لواء لأنه يلتوى على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد، وإنه لا يكون إلا بالأسماء، وآدم عليه السلام عالم بجميعها كلها في المقام الثاني من مقامه ﷺ ما نصه:

فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه بجوامع الكلم، والأسماء كلها من الكلم، ولم تكن في الظاهر لمحمد ﷺ عينًا، فيظهر بالأسماء؛ لأنه صاحبها، فظهر ذلك في أول موجود من البشر، وهو آدم عليه السلام، فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد ﷺ؛ لأنه تقدم عليه بوجوده الطيني فمتى ظهر محمد ﷺ كان أحق بولايته ولوائه، فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة، فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ، وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمن آدم فهم في الآخرة تحته، فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله ﷺ على الجميع انتهى.

هو ربه، كيف والحقائق لا تنقلب، والضدان لا يجتمعان في جهةٍ واحدةٍ، وإن اتَّصف متَّصف بضدين فمن جهتين، وهو كل منهما من حيث اتصف به لا من حيث اتصافه بالآخر، وله بكل مفهومٍ حكم ونظام خاص به، فليس هو باعتباره إلا هو فقط، وذو البصيرة الصافية لا تخفى عليه خافية، نعم هذا يصح مجازًا في النظر الفرقي كما يصح حقيقة في الكشف الإحاطي.

اسمع: في خاتم المهديين يظهر الحق المبين بشهدائه من الأمم كلهم، فهو عين جمعهم، وبمجيء الحق به يجيء بالكل، وذلك مرتقب ظهوره في عام 813، كما شهد به عدد قول الحق بلسانه المحمدي، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: 41].

اسمع: حقائق الحروف أرواح ملكوت الخيال ومخارجها 702110.

تدل على مراتبها وعمالتها الروحانية طبق عمالاتها اللغوية في جميع اللغات، وإن كانت عمالاتها العربية من دائرتها الرحمانية ذات الاشتقاقات المعنوية، ولذلك اختصت العربية بعجائب الاشتقاقات اللسانية.

اسمع: الحقائق لا تتماثل؛ لأنها في تجردها آحاد لا تتعدَّد، وإن تماثلت جزئياتها إن ثبت لها جزئيات لتمايزها بمشخصاتها، فشاهد الكل حقائق حقائق ليس لشيءٍ من شهوده مِثل.

اسمع: الحقيقة الكلية متميزة بنفسها، والحقيقة الجزئية متميزة بمشخّصها الزائد على نفسها، والأولى متعلقة بالثانية، وهي حقيقتها لكن في مرتبة تشخصها، فالأولى للثانية كحرف (ع) لحرف (غ)، لا فرق بينهما إلا النقطة الزائدة، فإن تجرَّدت عنها كانت هي هي، والحقيقة المجردة عن التعليق مفردة لا كلية ولا جزئية، متميزة بنفسها، ولا تعلق لها بتميز بزائد، فهي كحرف (ال)، والحقائق المبهمة لا تتميز إلا بزائدٍ، فمتى فارقته تلاشت أو تناسخت، كحرف (ب) وحرف (ت)، الأولى صفات ذات، والثانية صفات فعل، والثالثة أعلام ونحوها، والرابعة فضلات.

اسمع: كل متميزٍ بزائد على نفسه فإنه مفتقر في تحققه إلى ذلك الزائد، فهو ممكن، فالواجب لذاته متميز بنفسه لا بزائد، وما هو كذلك لا مِثل له كما تقدَّم.

اسمع: إذا شهدت الوجود نعمة من الواجب على الممكن فاشهده نعمة في ضمنها

كل نعمةٍ، فللواجب على الممكن نعمة لا تحص سابغة، كمالَه عليه حجة لا تُقضى بالغة، وله فيه رحمة واسعة كماله فيه حكمة بالغة، فنعمه لا يحصيها سِواه، ولا تُحصر، وألسنتها عن حمده وشكره لا تفتر، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44]، أمر على طول المدى لا يقصُر.

اسمع: ربك مدبر أمورك أحسن تدبير بالنسبة إليك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: التدبير توجيه الوسائل إلى تحصيل المقاصد، فإن كان على وجهٍ يتم به حصول المقصود وِفْق الاختيار الحكيم، ومن كل الجهات فهو التدبير الحسن.

اسمع: حقائق الملكوت هي مبادئ التدبير، وحقائق الجبروت هي مبادئ التقدير، وحقائق الملك هي مبادئ التصوير في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: كل ما دون ربك الحق فهو فَضْلة بالنسبة إليك، والفضل في ترك الفضول في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الفَضْلة متى نازعت لانفصال ضر حبسها في كل مقامٍ بحسبه، فمهما طلب مرافقتك دون ربك فلا تطلب مرافقته فيك ببعض الألسنة الطلبية:

ولاَ تحبسْ الفَضَلاَت عِنْدَ دِفَاعِهَا   وَلُو كُنت بين المرهفات الصوارم

وافهم الإشارة في قوله: «لا صلاة بحضرة طعام[1]»، ولا وهو يدافعه الأخبثان.

اسمع: هُداتك ومرشدوك إلى ربِّك، ومعينوك على مرضاته، إنما هم وجوهه وأعينه وأيديه، فاعمل على دوام إقبالها عليك، ونظرها إليك، وأخذها بيديك.

اسمع: انظر إلى الشمس حين تخفى تبدو على صورة النجم، فهي قوابل مقابلها لها في اختلاف حركاتها على وتيرةٍ واحدةٍ إلا القمر، فمن ثَمَّ تفاوت مقبوله هو، فبالقوابل تكثرت، وبمظاهر كثرتها تسترت؛ لأن الوحدة شأنها إذا هي بعينها ظهرت فهي بالأول مشهودة مجحودة، والثاني مشهودة موجودة، «إنكم لترون ربكم كما ترون الشمس[2]».

اسمع: القائل: «أصحابي كالنجوم[3]» كأنه قال أنا الشمس: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾ [نوح: 16]، ﴿وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: 46].

(1) رواه مسلم (393/1).
(2) تقدم
(3) تقدم.

اسمع: ما ألطف إشارة العليم الحكيم إلى حقيقة الأمر، انظر في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، والحظ إشارة ضم همزة وصله هنا وفتحها، حيث صرَّح بأن السبيل سبيله فقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، ولو أثبت ثنوية لم ينفِ الشرك بالكلية.

اسمع: جاء في الحديث الشريف: «**أكون أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي**[1]».

وجاء فيه: «**إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا، قيل: ما رياض الجنة؟ قال: حلق الذِّكر**[2]»، وما يحركها إلا ذكرها بمذكورها.

اسمع: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: 39، 40]، فجزاؤهم مولاهم، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ﴾ [الصافات: 41، 42]؛ لأنهم حينئذٍ يتمثلون بروح حقهم في ماهيات علمية الغالب عليها حكم عقليّها من حيث إدراكها الظاهر، والغذاء من نسبة المغتذي كما جاء: الحكمة غذاء القلوب، والفاكهة غذاء لا يفتقر إليه المغتذي به في قوامه وتمام حياته، وكل من غلب عليه حكم مرتبة فغذاؤه من نسبتها.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقَّق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

---

(1) رواه الترمذي (587/5).

(2) رواه الترمذي (532/5)، وأحمد (150/3).

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: الوجود ذات يقتضي لنفسه أن يقضي، وما ثَمَّ إلا هو فيقضي بنفسه لنفسه، وعليها على طريقة التجريد البياني، فيحقق قضاياه ويقدرها، ويُسمَّى قضاؤه بهذا الاعتبار علم فعلي، هو مبدأ التحقيق والتقدير، ويقضى بانكشافه لنفسه متعينًا بقضاياه، فهي موجوداته، وتُسمَّى قضاياه بهذا الاعتبار حياة وعلم انفعالي، هو مبدأ الإدراك والفعل، وهما الانكشاف والتعيين، وصورة علمه وحياته في قضاياه تُسمَّى عقلاً باعتبار ما هي صورة العلم، وروحًا باعتبار ما هي صورة الحياة وقوتها العقلية في المراتب الجسمانية، وهي القضايا المُسمَّاة أجسامًا تُسمَّى نفس، وقوتها الروحانية تُسمَّى طبيعة في كل مقامٍ بحسبه، والنفس للتدبير، والطبيعة للتصوير، والصورة الجامعة للقوتين هي الحقيقة المقومة للصور الجسمانية، فما من صورةٍ جسمانية إلا ومقومها حقيقة مدبرة مصورة لها عقل وروح وعلم وحياة، هي وجوه قضاء هو لازم الوجود الذات الذي هي به موجودة له به منه هو.

اسمع: الاستواء هو الظهور التام في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ما من قابلٍ إلا هو مستوى فاعله بمقبوله بحسب قبوله.

اسمع: الذرة الصلبية مستوَى القوة النفسانية بوجهها التقديري، والذرة القلبية مستوى هذه القوة بوجهها التحقيقي، والذرة الكبدية مستوى القوة الروحانية بوجهها الفعلي، والذرة الرأسية مستوى هذه القوة بوجهها الإدراكي، وربما سُمِّي ما سميناه قلبًا رأسًا وعكسه، وهذه حاصلة في كل جسمٍ بحسبه.

اسمع: الرحمة مبدأ الحِكمة، والحكمة ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الوجود الإلهي هو ذات المعاني المحيطة التعلقات، الحكيمية بالذات في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الروح الحكيم المعبَّر عنه بالروح القدس واللاهوت ونحو هذا هو مبدأ القضايا المُسمَّاة في الفرقان الإلهي فضائل ومحاسن ومحامد ومكارم في كل مقامٍ

بحسبه، والوهم البهيم ضده، ومبدأ أضداد قضاياه.

اسمع: غاية النفس أن تكون عقلاً نظريًّا إلهيًّا، وغاية الطبيعة أن تكون روحًا معيشيًّا إلهيًّا.

اسمع: العقل النظري من الروح الحكيم هو نور الأنوار الملكية، والملائكة صور أحكامه المدبِّرة والمصورة، والتوهم من الوهم البهيمي ضد ذلك.

اسمع: وجود الوهم البهيمي بما يُحكم نظامه، ويكمِّل قوامه، هو وجوده الإلهي، والذم اللاحق بالوهم إنما هو من قِبل آثاره الصادرة عن موجوديته، فيما يغلب عليه لا بوجوده ولا بآثاره فيه.

اسمع: وجود الروح الحكيم هو الهادي بنفسه، ووجوده ووجود الوهم البهيم هو المضل بموجوده، ولذلك لا يُسمَّى الله مضلاً مع أنه ﴿**يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾ [الشورى: 13]، ويُسمَّى الشيطان الذي هو صورة موجودية الوهم البهيم: ﴿**مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**﴾ [القصص: 15].

اسمع: صورة موجودية الوهم البهيم إذا تعاطاه النظر العقلي لبس هيئة ملكية، فإن وجد من وجودها مددًا استغرق به حُكم مرتبته في حكم مرتبته، قلب عينه ملكًا أو ملكيًّا بحسب قوة ذلك الاستغراق، وإن لم يجد ذلك فتلك الهيئة تمويه يذهب عند السبك، وذلك المدد هو المعونة، «**أعانني الله عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**[1]».

اسمع: لكل مرتبةٍ موجودية خاصية ترتيبية تُسمَّى استعداد، والاستعداد الجسماني لظهور الحقيقة المقومة لَه فيه بحكمها يُسمَّى المزاج، وهو بوجهه الصلبي يُسمَّى مبدأ ترابيًّا، وبالكبدي مبدأ هوائيًّا، وبالقلبي مائيًّا، وبالرأسي ناريًّا، ولما كان التحقيق أصل الكل في النظام الأصلي كان الماء أصل الكل في النظام الفرعي، والأصل محيط بفروعه إحاطة البحر بأمواجه، والكلي بجزئياته، والكل في الحقيقة ما يختلف باختلاف استعداداته، فإن استوت القوى على هذه المستويات بحكم المضل فهذا الماء بحر أسود مقبل بالخضرة، وهي لون غير أصلي فيه، إنما هو عارض، فلا يُقال فيه أنه مطلق، ولا طَهُور إلا عند الضرورة، وإن استوت عليها بحكم الهادي، فقد أشرقت بنور الحكيم الخبير، ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**﴾ [هود: 7].

---

(1) رواه مسلم (2167/4).

المطلق رواء الظمآن، طَهور الطالب، وحيث ظهر في مقابلة كل مظهر للهادي مظهر للمضل لم ينزل من علو مكانة الأول حق بإصلاحه وإرشاده، إلا قابله من سفالة الثاني باطل بتلبيسه وإفساده، وإذا بهر النور لم تقم للظلمة معه قائمة، ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: 81].

اسمع: الديان هو الحكيم الحاكم بمراتبِ ربوبيةٍ وعبوديةٍ، فأحكام القاضي كلها ليس إلا بمستحق، أو مستحق استلزمه حكمه بالاستحقاق المحكوم به بالذات، أو بلازم حكمه بعدم استحقاقٍ، كحكمه في الشخص أنه حرٌّ، لا يستحق غيره منافعه، فيستلزم من ذلك الحكم بأنه مستحقّ منافع نفسه، والدين هو حكمة الحكيم في مراتبه هذه، وهو إما أن يراعي شهوده رجوع آثار المراتب إلى أعيانها، ودينه بهذا الاعتبار دين عباده، وهو دائرة التكليف، سواء تسمَّى الآثار بالنسبة إليهم خلقًا لهم أو كسبًا، وإما أن يراعي شهوده آثار مراتب العبودية إلى مراتب الربوبية، ودينه بهذا الاعتبار دين عنده، وهو دائرة التعريف، وبالأول يقول: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: 95].

وبالثاني يقول: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقد يُسمَّى الشهود الأول فرقًا، ودينه شريعةً، والثاني جمعًا ودينه حقيقةً، وإما أن يراعي شهوده رجوع الأمر كله إليه لكونه قيوم هذه المراتب كلها، أو المتعين بأعيانها، ولو بأنها معلوماته الثابتة لَه أزلاً، فليس شيئًا معه وهو في الأبد على ما هو به في الأزل بالحقيقة، فما ثَمَّ إلا هو متعينًا بمعلوماته، ودينه بهذا الاعتبار دينه بلا قيدٍ، فإلى الأول الإشارة بقوله: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾ [النور: 55]، وإلى الثاني: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: 19]، وإلى الثالث بقوله: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾ [النصر: 2].

وهو توحيد الذات في جميع الصفات.

والثاني توحيد الصفات في الأفعال.

والثالث الذي هو للأول فيما تقدَّم توحيد الأفعال في الربوبية فقط.

والمتحقق بدين الله معمِّر بالوجود كل دائرةٍ بحكمها، وقائم فيها بدينها، لا يتأتى منه سوى ذلك، فهو في مراتب العبودية عبد عابد بالوجود، وفي الأخرى بحكمها في الوجود، قال هو سيدي ومولاي:

نَسختُ بِدِيْنِ اللهِ دين عِبَادِه فَدَانَ بِدِيْنِي فِيْهِ ربّ الأدلَّة

يا من دينه التوحيد المطلق.

اسمع: ما دمت في قيود مرتبة فهي من حيث أنت في قيودها شاكلتك، فاعمل عليها اختيارًا تكن حكيمًا، فإن أبيت عملت عليها اضطرارًا باقتضائها، وفاتتك مَحمدة الحكمة.

اسمع: من ترك التدين بدين مقامه اختيارًا وهو في رياض جنة الرِّضا والشكر دان به اضطرارًا وهو على شفير جهنم الذم والسخط.

اسمع: ديان العالَم في كل زمانٍ من ظهر فيه الوجود الإلهي بشمول حكم إلهيته لأهله.

اسمع: أمر كل زمانٍ محيط بأمر ما قبله، فمن ثَمَّ يكون مظهر الربوبية في كل زمانٍ من جملة مظاهر عبودية ديان الزمن الثاني منه.

اسمع: لما قابل اليهود الحق المحمدي بالضد انتصارًا لأنفسهم، متسترين بالتعصب لموسى.

قال السيد المحمدي: «**رأيت موسى ليلة أُسري بي، فسلّم عليَّ فلما جاوزته ذمر، فقلت لجبريل:**» يعني روح فكره الربَّاني «**ما له؟ قال: يذمر، قلت: على مَن؟ قال: على ربه**».

يعني وجوده المحمدي، «**قال: ثم رجعت إلى موسى فردني إلى ربي أسأله التخفيف لأمتي**»[1].

فكان ذلك فتح باب ظهور موسى خليفة عنه في أمته عنده، فظهر ذلك بعمر فقال لَه: «**مثلك في الأنبياء كمثل موسى**[2]»، ولا زال حكم ذلك التذمير حتى ظهر لموسى موافقة ربه لَه بما قال عمر عنه: «**وافقت ربي في ثلاث**[3]»، وذلك من سرِّ قول السيد المحمدي: «**فقال لي موسى: إن أمتك لا تطيق ذلك، وإني بلوت الأمم قبلك، ارجع**

(1) لم أقف عليه هكذا، ويقال: ذمر يذمر، كقتل يقتل، إذا غضب، وإذا تكلم بالغضب.

(2) رواه أحمد (383/1) بنحوه.

(3) رواه البخاري (157/1)، ومسلم (1865/4).

إلى ربك فاسأله التخفيف، فرجعت ثم رجعت ثم رجعت[1]».

اسمع: أراد عيسى تروحن الأتباع وحل نظام التكليف كذلك؛ لأن زمنه كان يوم قيامة معنوية أخراها البعثة المحمدية القائل صاحبها:

«**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**[2]»، فمن استعمل زمانه في غير مراده وعند غير اقتضاء زمانه فقد فاته مدد إرشاده وفَهْم لسانه.

اسمع: الإسلام التجرد عن موانع القبول، وهو أيضًا إعطاء هذا القبول في كل مقامٍ بحسبه، ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ [آل عمران: 85].

اسمع: الإسلام الوجودي دين الله السلام وصفة نفسه.

اسمع: دائرة الفرق بحر أحكامها أمواجه، لا ينجو منها إلا سبَّاح أقيم بسبحه وجه الأحدية المحرقة مراتب العددية، سبوح بالوجود لا بالعرض.

قال تعالى: ﴿**وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: 108]، فافهم.

اسمع: لا يقوم بدين الله في كل زمانٍ إلا دَيانه.

اسمع: جاء الحق المبين بمظهره موسى ديانًا بدين عباده، فسُمِّيت شريعته عادلة، وبمظهره عيسى ديانًا بدين عنده في دين عباده، فسُمِّيت شريعته فاضلة، وبعينه محمد ديانًا بدين الله في الدين عنده، فسُمِّيت شريعته كاملة، ﴿**مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ**﴾ [الرحمن: 19، 20]، وشأن الكل في مراتب عبودياتهم الإخلاص بحسب مراتبهم ودينهم الإسلام.

اسمع: إنما الأعمال الدينية بالنيات، والنيات ثلاث بحسب المقامات الدينية، فاختيار العبد فعله موافقة لاختيار ربه إيَّاه تعظيمًا له وإجلالاً، وإن صحبه مع ذلك خوف عقاب أو رجاء ثواب هو نية الدين التكليفي، وأخذ العبد فعله من ربه شاهد إيجاده فيه، وإمداده وظهوره به فيه هو الصدق، وهو نية الدين التعريفي، والقيام من الرب بمراده في كل مرتبةٍ بحسبها في شهوده بالمرتبة المُسمَّاة بالعبد حين العمل هو الإخلاص، وهو نية الدين التوحيدي دين الله.

فالأول مكتسَب للمكلف.

---

(1) رواه مسلم (146/1)، وأحمد (148/3)، بنحوه.

(2) رواه البخاري (1168/3)، ومسلم (1305/3).

والثاني موهوب من المعروف لعارفه.

والثالث شأن الواحد الموحّد لنفسه، لا مكسوب ولا موهوب، فمن؟ ولمن؟ وقد أحرقت الأغيار سبحة وجه الوحدة.

ومن ثَمَّ قال السيد الكامل: «قال الله تعالى: الإخلاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي».

يعني: شأن متحجب بالعبودية عن شاهد الربوبية بعين الفرقان التجريدي، «**أُودعه**»، وما قال: أُكسبه ولا أهبه، «**قلب عبدي**»، وقلب العبد عين تحققه بالرب شهودًا، كما هو حقيقته وجودًا، «**لا يطَّلع عليه ملكٌ**» فيكتبه في لوح التعريف، «**ولا شيطانٌ فيفسده**»[1]، بعزوبه عن نظام التكليف، ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: 5]، فهو دينه، ﴿**فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ * أَلاَ للهِ الدِّينُ الخَالِصُ**﴾ [الزمر: 2، 3]، من شهود رؤية نسبته لسواه، وعنده يقول لسان ربوبيته:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [الأعراف: 206].

ويقول لسان عبوديته: ﴿**إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: 162].

ولما كان محمد ﷺ أولَ من فتح دين الله فتحًا مبينًا قال: ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: 163]: أي بالإسلام الذي هو دين الله.

اسمع: العبد في حال إخلاصه إنما هو في شهوده عين علمي لربه، فهو في أبده بما هو في أزله فني منه فما فني منه ما لم يكن، وانجلى ما لم يزل.

اسمع: ما في دائرة التكليف إلا مأمور أو منهى الأول وفق الاختيار، فهو حسن، والثاني عكسه، والمسكوت عنه على الأصل، فإن كان الأصل رِضَا الرب به فهو من الأول، وفي السكوت معنى الإذن، وإن كان الأصل خلاف ذلك فهو من الثاني، وفي السكوت معنى النهي.

اسمع: الخلق التقدير، وهو إما مرادي، وإما إيجادي، الأول تخصيص في النفس لما يقبل تعلق القدرة به بمقدار، والثاني إظهار المخلوق الإرادي في الخارج على مقداره، فهو خلق من بعد خلق بعدًا رتيبًا.

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (187/3)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (109/4).

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1]: أي خلقًا إراديًا إجماليًا، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: 1]، وهي بعض تلك الجملة: أي خلقًا إيجاديًا تفصيليًا.

اسمع: التتالي وقوع أمر بعد أمر، والتشافع اجتماعه معه في الحصول كيف كان.

اسمع: قهّارك من أوجدك فيما لا يمكنك التحول عنه بحيلةٍ في كل مقامٍ بحسبه، فإن أوجدك كمالك هكذا قهارك الواحد الرحمن.

اسمع: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الأعراف: 156].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

«عافيتك أوسع لي[1]»، وفسّر بعض العارفين العافية الحقيقية بالنظر إلى الله وصدق، فإن ذلك يزيل كل ضيرٍ، ويسع كل رحمةٍ، وإذا كانت المصائب الظاهرة قد تكون كفّارات وحسنات ورفعة درجات، فليس البُرء منها بعافية حقيقية عند أهل النظر الدياني.

اسمع: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:133].

قال قائلٌ: لا مغفرة إلا حيث الذنب، فالأمر بالمسارعة إليها أمرٌ به.

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه:

هذا لا يقوله إمام هدى دياني إلا على معنى أنه أمرٌ بأن يرى العبد نفسه مذنبًا وإن أطاع جهده؛ لتحقق عجزه عن قيامه بتمام حق ربه في كل حالٍ، وأما على أنه يأتي الذنب فلا؛ لأن المأمور به لا يكون ذنبًا، ولأن المغفرة إنما هي ستر أمر بما هو أعلى عند المستور عنه وأحب إليه منه، ومن ثَمَّ سأل المغفرة المعصومون من الذنوب، ولأن الأمر بالمسارعة والمسابقة إلى المغفرة إنما يكون عند تهيؤ حصولها، ولا يتهيأ حصولها إلا بعد الذنب إن توقفت عليه، فلو كان الأمر بالمسارعة إليها أمرًا به لكان دورا؛ إذ لا يؤمر به قبل وقوعه المتقدم على تهيئتها.

اسمع: الظواهر مثالات وشواهد للبواطن، والمثالات سُلّم يرتقي فيه إلى ممثلها ومشهودها، فمن وضعها تحت قدم همته رقى، ومن لا فلا، وما يُربط مع السلم إلا معاقب، اللهم إنا نسألك العفو والعافية.

اسمع: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً﴾ [نوح: 19]، فتواضع تنبسط.

---

(1) رواه الضياء في الأحاديث المختارة (181/9).

اسمع:

بَـدَا لِـي مَـن أغـار علـيه مِنِّـي فَـلاَ عجـب لقولـي مَـا بـدا لِـي

اسمع: المفعول بالاختيار وإن كان متأخر عن الفعل المتأخر عن الاختيار المتأخر عن الفاعل المختار رتبة، فإن ذلك كله قد يقع في الوجود معًا، فلا يلزم من تفسير القدرة بالعلم الشخصي، أعني المتعلق بالشخص من حيث أنه شخص سبق الجهل به وجودًا، وقس على هذا.

اسمع: ما دام الحكم الغالب في المدرِك لخيالاته وأوهامه، فهو في أحلامه ومنامه، وإن سُمِّي مستيقظًا أو ميتًا.

ومن ثَمَّ جاء: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم: 23].

وقال المبعوثون من قبورهم: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: 52].

اسمع: من غلب على خيالك بروحه الحكيم، وعلى وهمك بعقله العليم، فقد أفاض عليك من فضل حيه القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ما صبغك بحكمه:

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: 138].

اسمع: العقل المعيشي صاحب التدبير والتصريف في الترتيب والتأليف، مَن فقده توحش، واختلَّ نظامه وتشوش، ومن وجده تأنس، وأعجب ترتيبه من تحسَّس.

اسمع: ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: 109]، الألف واللام فيه للجنس أو الحقيقة مدادًا لكلمات: أي ﴿مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ [الكهف: 109]، الألف واللام فيه للعهد، ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: 109]؛ لأن ثبوته ونفاده وماهيته التي هي موردهما من جملة الكلمات.

اسمع: من إذا تكلَّم كانت سكتاته عن منطوقاته من جملة كلماته، فإنه لا يزال متكلمًا أبدًا.

اسمع: الخمر تعطي في الإدراك حُجْبة لماهيتها، فهي لأهل الجنة حاجبة عما يباين لذتهم وفرحهم في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: صورة الدُّنيا هيكل جسماني ليس في استعداده أن تنكشف فيه الحقيقة المدرِكة بتخيل وإحساس اختياري، إلا وذلك الإحساس غالب على ذلك التخيل ممد لَه بلا عكسٍ، والإدراك الذي هذا شأنه هو حقيقة الدنيا ومتعلقاته كلها دنيويات من

حيث هي متعلقاته، وصورة البرزخ هيكل جسماني ليس في استعداده أن تنكشف فيه النفس المدرِكة، إلا بإدراك تخيله وإحساسه عكس الدنيوي، وهذا الإدراك حقيقة البرزخ، وصورة الأخرى هيكل جسماني ليس في استعداده أن تنكشف فيه النفس المدرِكة إلا بإدراك تخيله وإحساسه، متكافئان متلازمان، وهذا الإدراك هو حقيقة الآخرة، ومظهر كل صورةٍ من هذه الصور زمانها ومكانها.

فالدنيوي مهما أحسه تخيله بلا عكسٍ، والبرزخي عكسه، والأخروي مهما تخيله أحسه، ومهما أحسه تخيله، فأمره دائم لهذا التلازم، ومتعلقات كل إدراكٍ هم بحكمه من حيث هي متعلقاته، فإدراك النبات والجماد والأجنة والنوام والموتى، وأصحاب المكاشفات الكونية كلها إنما هو إدراكٌ برزخيٌّ، وأما الإدراك النبوي المحمَّدي حيث أظهر لجلسائه في إحساس ما ظهر في إحساسه من الأشباح الملكية فكان أخرويًّا، وأما من أحسَّ شيئًا من ذلك بنفسه فكشفه برزخي، ولولا انتقال استعداد مَن أحسَّ ما لا يحسه جلساؤه إلى الحكم البرزخي لم يكشف ذلك، ومن هنا يطَّلع المتبصر على الأسرار، فافهم.

اسمع: من الوجود لعلمه لصورة علمه المُسمَّاة بالعقل، لصورة حياته المُسمَّاة بالروح للخيال للحس ينزل المحسوس، وبالإحساس إلى التخيل إلى التعقل إلى العلم إلى الوجود يترقى، الأول ضروري، والثاني اختياري.

اسمع: القلب بيت الرب، وربك مربيك، ومكملك بكشفه وبيانه، فاعرف منزلة أستاذك منك أيها التلميذ.

اسمع: إذا نطقت بكلمةٍ ولم تتحقق معناها، ثم وجدت محقِّق معناها، فاعلم أنها كلمته، وأن الحاصل عندك منها صدى تكلمه بها، فما في نواطق المريدين إلا كلمات أستاذيهم الممدين.

اسمع: الزمان كون ثبوت إدراك الشيء ذا أول وآخر، والدهر كونه ذا أول بلا آخر، والسرمد كونه مسلوب الطرفين.

اسمع: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50]، ومن ثَمَّ حيي أهل السفينة النوحية والخضرية بأثر الرحمة العندية التي لهما، فقد قال عن الخضر حقه: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: 65].

وقال نوح عن حقِّه: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود: 28].

ولما قال فتى موسى عن حوته الميت القديد أنه ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ﴾ [الكهف: 61] عجبًا أو سربًا حيث الخضر.

قال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: 64]؛ لأن الحوت حي بعد طول موته بحياة مبدئية وهو الماء، وإنما أراد متبع الخضر أن يحيي إنسانه بحياة رحمانه، فمطلبه بالنسبة إليه كالحاصل للحوت بالنسبة إليه.

وقد قال مظهر الله وعين رحمته في زمانه: ﴿لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إِلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ [هود: 43].

اسمع: القابل أرض لمقبوله، وأرض الله واسعة.

اسمع: طينة كل شيءٍ مادته القابلية.

اسمع: الحصول الظهور، والدوام استمراره، والتحصيل التجلِّي الموجب لظهور القابل متعيّنًا بالمقبول، والإمداد استمراره في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: مَن شهد معلمه مستمدًّا من غيره، واتبعه معلولاً ولو بتعليمه فقد مهد لاعتراضاته عليه سبيلاً، ومن شهد معلمه ربه الحق المبين فقد محق مادة الاعتراض بسبحة: ﴿وَالله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

اسمع: مَن علمك وأحياك بروح جمعه الإلهي فهو لك، ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن: 4] بالحقيقة، وإن أتاك في مثل صورتك بين الخليقة.

اسمع: اللسان قلم المعاني، والقلب قلم المباني، والأواني أصول للثواني، فلذلك وضع اللسان باطنًا في الفم بين المشاعر الوجهية والرأسية، وبين القوى القلبية والصلبية، إشارة إلى أنه لا ينزل شيء من الغيب إلى الشهادة إلا بالحقيقة الناطقة، التي هي مبدأ التعين والترتيب الوجودي، وهي المُسمَّى وجودها الإلهي بالحق المبين، فهي حقيقة الكشف والبيان في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الحقائق الناطقة هي مجمع شمل العقول والأرواح في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: النواطق الديانية هي وجوده الديان في كل مقامٍ بحسبه، فالنواطق الفقهية الديانية وجوده الديان في دائرة التكليف، والصوفية الديانية وجوهه في دائرة التعريف،

والنواطق الديانية القائمة بالمحققين وجوه الديان في دائرة التوحيد، دين الأولى دين عباد الله، والثانية دين عند الله، والثالثة دين الله.

اسمع: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِالله إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]؛ لأنه لا يتعرَّف إليهم إلا بحكم التغاير، وما يؤمن أقلهم بالله إلا وهم مشركون؛ لأنه لا يتعرَّف إليهم إلا بحكم المظاهر للتظاهر، وما يؤمن واحد بالله إلا وهو وحده؛ لأنه لا يتعرَّف إليه إلا بالوحدة المستغرقة لحكم التكاثر، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

اسمع: قلب عين العبد ربه أجل مراتب غفرانه، ومن ثَمَّ قال واجد الناقة:

«أنت عبدي وأنا ربك»[1]، وقد فرح بوَجْد ضالته؛ إذ قُلبت عينه فغفر لَه ربه نفسه بنفسه، وإن الله يُنزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه؛ لأنه وجوده بالحقيقة وإن تمايزت المراتب بشئونها.

اسمع: إذا أباح لك ربك الحق أن تتسمَّى باسمٍ، فاعلم أنه أراد أو علم تحقق معناه لك؛ فإنه لا يبيح باطلاً، فإذا تسمَّيت باسمٍ حسنٍ فلا ترغب عنه لما دونه، سيما إذا لم يؤذَن لك فيه كألقاب العجمية، وكيف يرغب خادم عن محمدٍ إلى فلك الدين، وعن أحمد إلى شهاب الدين، مع الأدب في الأول لا الثاني، فافهم.

اسمع: العدد إما زوج أو فرد، والزوج ما قبل القسمة بمتساويين، والفرد ما لا يقبلهما، فلا عدد إلا ما ينقسم، والواحد وحدة معنوية كيف كانت لا تقبل القسمة أصلاً بما هو واحد، فلا عدد، وقولهم واحد مجموعي إن أرادوا به وحدته بحسب التعين الواحد فهو لا ينقسم بهذا الاعتبار، وإن أرادوا إطلاق الواحد عليه مجازًا مع ملاحظة قبول القسمة فلا عبرة باللفظ، وكل مرتبةٍ من مراتب العدد ولو كانت أمرًا واحدًا لم ينقسم، فلم يكن زوجًا ولا فردًا، وإن لم تكن واحدًا فليس الثلاثة واحدًا وواحدًا وواحدًا؛ إذ هو أيضًا يكون واحدًا، والشيء لا يكون لَه فصلان، كل منهما مستقل بتمام ما هو، وقِسْ على هذا.

فما الثلاثة إلا عدد آخر أفراده ثالث، والثالث واحد مسبوق بواحد هو ثان، والثاني واحد مسبوق بواحد هو أول، والأول واحد بعده واحد هو ثان، وليس مسبوقًا بشيء،

---

(1) رواه مسلم (2104/4).

وقس على هذا.

فالواحد مقوم المواد العددية كلها، فهو لها كالألف الهاوي الذي هو نفس مطلق للحروف، يتعيَّن في كل مقطعٍ من مقطعات الحروف بتعين خاص به هو الحرف الخارج من ذلك المقطع، ومن ثَمَّ جُعل الواحد للألف، وإنما الاثنان للباء؛ لأنها آخر الحروف مَخرجًا، والعدد لا نهاية لَه إلا وإليه، فإذا أردت عددًا ليس بعده عدد ختمت بالاثنين، فلما وُضع الواحد لمثاله في الإطلاق وضع الاثنان في النهاية الختامية.

اسمع: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْماً﴾ [الأنبياء: 74]: أي كلامًا، ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ [الشعراء: 83]: أي كلامًا (وعلمًا) قابل الحكم بالعلم؛ ليفيد أنه البيان الحكيم عن الكشف العليم.

اسمع: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84]، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياً﴾ [مريم: 50]، منصوب بجعلنا لا بالحال، و﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: 50]، مفعول ثان فحقق له ما طلب.

اسمع: الحقائق واحدة وإن اختلفت أحكامها وآثارها بحسب اختلاف مراتب ظهوراتها، وإذا كان الوجود واحدًا والأمر هو المبدأ الحكيم في كل مقامٍ بحسبه، فالأمر كله لله سبحانه وله الحمد.

اسمع: من مشهدك يأتيك روح مَددك، وعلى قدر يقينك تظفر بتمكينك، وليس من مشهده المغايرة لله، فأمره إلى الله كمن مشهده الوحدة لله فأمره أمر الله.

اسمع: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: 46].

هو اختلاف حال إدراك الفريقين بحسب اختلاف استعدادهما العام، فالاستعداد العام لأهل الخير هو الاستعداد للروح الحكيم، والعام لضدهم ضده.

اسمع: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 5] بما يلقي عليهم من روحه الحكيم، وبذلك يدخلهم الجنة حيث دخلوا، ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: 6]، فأئمتهم أعراف عليها نواطقهم، التي وجودها ربهم الحق الديان صاحب الفرقان.

اسمع: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133]، هي ملؤهما، وحلول الرِّضا الإلهي في الإدراك بالتجلي الوجودي بجميع الأفعال والموجودات هو صبغة النعيم بالكل، وحلول الضد فيه بالضد.

اسمع: جاء في الحديث: «**إن الله وتر يحب الوتر**[1]»، فالوتر الجامع بين أمرين متساويين، كالثاني من الثلاثة، فالحبيب من جمع بين آدمك ومَن خلقه على صورته.

اسمع: جاء في الحديث: «**لا وتران في ليلةٍ**[2]»: أي لا حبيبان لعبد هذا من جملة معانيه الربّانية.

اسمع: الخير كل الخير في الغيبة عن شهود الغير.

اسمع: إذا رأيت المنكرين فلا تشغل بذمهم، ولا تحمل همهم، فإن ذلك من الدخول تحت حكمهم، ولكن قلْ: هؤلاء من حُجب غيرة الله على ما أنكروه، أن يناله من وقف معهم، فحكموا عليه فمنعوه من الوصول.

اسمع: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [المائدة: 93]، هذه تقوى أهل دين عباد الله، ﴿**ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا**﴾ [المائدة: 93]، والعمل خلق الله هذه تقوى أهل دين عندية الله، ﴿**ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا**﴾ [المائدة: 93]، فعبدوا الله كأنهم يرونه من حيث أن من يراه لا يرى غيره؛ إذ رؤياه لا باطل معها، وأن ما تدعون إليه الباطل، وهذه تقوى أهل دين الله:

﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: 134].

اسمع: كان في وصف من لم يزل بمعنى ظهر كجاء ونحوه.

اسمع: المستغرق لا يفر.

اسمع: الملال نفور مما يُرى أنه إخلال، فاقتضى الميل لما يُرى أنه كمال، فعمالته التجريد عن الحاصل تهيئة للواصل في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أين مَن إذا سمع مثل قوله: «**إنَّ الله لا يمل حَتَّى تملُّوا**[3]»، فهم منه الوحدة أو التظاهر ممن إذا سمعه فهم منه السببية المبنية على ثبوت التغاير.

اسمع: غيرك ما استقل عنك بنفسه وتعينه، وسِواك ما استقل عنك بنفسه فقط كلونك، أو بتعينه فقط كزيد من حيث هو مثلك، وقد ظهر بذاك من ليس هو غيرك ولا سِواك.

---

(1) رواه البخاري (2354/5)، ومسلم (2062/4).

(2) رواه أبو داود (67/2)، والترمذي (333/2)، وأحمد (23/4).

(3) رواه البخاري (386/1)، ومسلم (540/1).

اسمع: مَن حدَّد لأستاذه حدًّا أتاه منه إمداده، ومن لا فإن الله يرزق من يشاء بغير حسابٍ، جاء في الحديث: «**لا تزن يوزَن عليك، ولا تكلْ يُكَل عليك**[1]».

اسمع: إن كان لا بُدَّ من وزنٍ فزن أستاذك بما يرجح عليه عندك فتنتفع، ولا تزنه بما ينقص عنه عندك فتندفع؛ جاء في الخبر: «**وُزِنت بألف من أمتي فرجحتهم**[2]».

اسمع: ليس من رأى نفسه على براق فكره يخترق الآفاق، كمن رأى كونه على براق حسه مخترقها، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: قال الحق تعالى: «**الإخلاصُ سرٌّ مِن سرِّي أودعته قلب عبدي**[3]»: أي جعلت قلب العبد متحققًا بربه في شهوده، كما هو في الحقيقة وجوده أمرًا مودعًا في الإخلاص، فالإخلاص مستودِع قلب العبدِ ربه، كما أن التوكل على الحق خزانة حصول المرادات، ولو من غير مظناتها، وهكذا كل سببٍ مستودع مسببيه.

اسمع: رضوانك الإمكاني لَه ضد، فأنت خال منه بالإمكان، فإذا أحلَّ ربك عليك رضوانه صار وجوبيًا لك، لا ضد لَه، فلا تخلو منه هكذا من حل غضبه بعكس ذلك.

اسمع: الحق مختار في أفعاله، فكلها مرضى الإيجاد عنده من حيث هي واقعة بإيجاده، فمن أحلَّ عليه رضوانه رضيها جميعًا برضاه، فتنعَّم بها جميعًا؛ لأن الرضوان معنى يقتضي التنعُّم بالمرضي، فهو قيم الجنان في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الملائكة أشخاص أنواع المعاني؛ فكل أثر لازم لخاصيته اللازمة لَه، فمن ثَمَّ جاء في الخبر: «إنَّ لله ملائكة راكعون أبدًا، وملائكة ساجدون أبدًا»، هي أشخاص أنواع الركوع، وأشخاص أنواع السجود، وقِسْ على هذا.

اسمع: الإخلاص محض التوجُّه إلى الحق في كل مقامٍ بحسبه، فهو في دين الله خلوص شهود الله من شائبة شهود أن شيئًا غيره وسواه، وسورة هذا الإخلاص: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: 1]، وسورة إخلاص العبد بعبادة هذا الدين، ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون: 1]، وكذلك إخلاص كل عبدٍ بعبادة دين حق بالنسبة إلى غيره عنده.

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

(2) رواه البزار في مسنده (457/9).

(3) تقدم.

اسمع: أهل دين العباد هم الأكثرون، وإشراكهم شهودهم لأنفسهم أفعالاً مع شهودهم أنهم غير الحق الفاعل المختار فيهم استقلالاً، وأهل دين الإيجاد هم الأقل، إشراكهم شهودهم الآثار نتائج عن مقدمتين متغايرتين، هما الفاعل والقابل، فالفاعل عنه (كن)، والقابل عنه (يكون)، فيقوم الكائن وأهل دين الله آحاد.

اسمع: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: 6] دين العباد، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] دين الله؛ لأنه عنه ألم تسمع قوله: ﴿قُلِ الله أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: 14]، وقدَّم الضمير للاختصاص، فكأنه قال: ليس ديني إلا لَه وهو ديني، فأنا هو، فهذا لا يرى إذا عبد ربه أن العبادة إلا لَه، ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

اسمع: ما الموت إلا مفارقة القيد الهيكلي.

اسمع: كلام المنزه عن الحرف والصوت نفساني سمعه الفهم.

اسمع: الحاكم بالكون حكمًا هو المتعين به؛ لأن حاكمه هو المكوِّن، وتكونه قوله: (يكون)، وتكوينه قوله: (كُنْ).

اسمع: الجنة دائرة المحاسن الفرقانية، فهي في نظام الروح الحكيم، وأهله أهلها، وجهنم ضدها عن ضده، وهو الوهم البهيم وأهله، وهم عيونه المُسمَّاة بالشياطين المردة، هم أهلها الذين منها خُلقوا، فلذلك لا يخرجون منها قط.

اسمع: حكم الوهم لا ثبوت لَه، فهو إلى زوال عن محله، وإن لم تتلاشَ صورته في نفسه، وحكم الروح ضده.

اسمع: إذا قال الحق: إن من مات على كفره بالحق خُلد في جهنم أبدًا، فالمعنى ما انطبع بطابع كفره، وذلك الكفر أمرٌ وهميٌّ، فيقبل الزوال، فإذا زال عن الكائن به في جهنم خرج منها، ولم يكن ذلك خلفًا لقوله: «**إن الكافر مخلدٌ فيها** [1]»؛ لأنه بعد زوال الكفر ليس بكافرٍ، ومنَ هنا جاء: «إنَّ جهنم يأتي عليها يومٌ تخلو من الناس وتصفق أبوابها»، وما أقرب ذلك في زمنِ الإمام الذي لا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام، فيسلم لَه الكل تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: 83]، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11].

---

(1) لم أقف عليه.

وُلد سيدي أبو الخير محمد هو ابن سيدي أبي الطاهر محمد ابن كاتبه على الوفويين آخر ساعة من ليلة الخميس سادس عشر جمادى الأولى عام ثمانمائة.

اسمع: دين التكليف دين عباد الله التابعين للاختيار في الاختيار، ودين التعريف دين السابقين الأبرار، ودين الله دين السابقين المقرَّبين الأحرار.

اسمع: تدبير الله لمخصوصيه كحركات الشخص لما يُرى منه في المرآة الصافية، انظر هل يمكن بينهما تخالف وهذه العصمة الخاصة.

اسمع: الوجود الإلهي يقوم في الموجود المخصوص بالله مقام الروح المدرِك من البدن في الانفراد بالإدراك والتدبير، بل مقام المتمثل من مثاله في ذلك، هذا وهو ذاته الوجود الذي هو به موجود.

اسمع: النظام العالمي نسخة النظام العلمي وآدم شرح نسخة العالم، والشرح محتوٍ على النسخة مدللة معللة موصلة مفصلة.

اسمع: الذي هو الواجب بحكمه بلزوم تعينه لَه، هو الممكن بحكمه بخلاف ذلك، والذي هو المجرد بحكمه بأن تعينه حقيقته بلا زيادة ثبوتية، هو المشخص بحكمه بخلاف ذلك، والذي هو الوجود بحكمه باتصافه، وتصوره اللازم هو العدم بحكمه بخلاف ذلك، ولكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ رجال:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ﴾ [الحج: 62].

اسمع: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

و﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ [الأنعام: 57]، فانظر نتيجتهما.

اسمع: عجبًا لمن لخَّص لنفسه بجاهاتها جميعًا منه مثالاً، فسمَّاه خليفة، ومثلاً سماه ربًّا، والأول عينه فيما سمَّاه منه خليفة.

والثاني عينه فيما سمَّاه منه حقيقة، وعامل نفسه في الأول معاملة غيره، وإن أمدَّه بمحاسن خيره، وعامل الثاني شهودًا بما هو منه وجودًا:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقَّق به عينًا وأثرًا، ولكل

مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: الأصل أضيق صورة من الفروع، وأوسع معنى في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الواحد هو العدد كله؛ لأن المراتب كلها تعيناته.

اسمع: الآحاد أصل العشرات؛ لأنها تكرارها، والعشرات أصل المئين؛ لأنها تكرارها والمئون أصل الألوف.

اسمع: وانظر كيف يكون ولدك أول ولادته مستعدًّا بالوضع؛ لأن تناغيه بالمناغات وبالمناغاة يستعد؛ لأن تخاطبه مخاطبة الأطفال، وبذلك يستعد لمخاطبة الصبيان، وبذلك يستعد لمخاطبة الرجال، وقِسْ على هذا.

وأنت جامع لكمالاته كلها، لكنك لا تعامله في كل مرتبةٍ إلا بحسب استعداده، فمعاملتك لَه في كل مرتبةٍ جامعة لكمال معاملتك في المرتبة التي قبلها هكذا، فاعلم أن الحق المبين هو الوجود المتعين بالنواطق الإلهية، فأعيانها عروشه الكريمة التي يستوي عليها بإفادات كمالات العوالم الزمانية، ولما كانت معانيه التي هي مبادئ الكمالات كلها سبعًا: العلم، والحياة، والإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر، كل منها في دائرة كل منها لكن بحكمة الوحدة، وجودها وعينها الجمعية المُسمَّى وجودها باعتبارها الرحمن، اقتضى ذلك تسبيع تجلياته الحقية الناطقية الإفادية، وتسبيع الدوائر الزمانية لذلك، ولما كان استعداد الزمن الآدمي لإفادات الربَّانية كالاستعداد الوضعي للوليد تعين الحق المبين فيه بالناطق الآدمي، واستوى على عرشه الكريم آدم بإفادات كمال ذلك الاستعداد، واستعد الزمن الثاني بذلك المستفاد استعدادًا أتم من الأول، فتعيَّن الحق فيه بناطقه النوحي، واستوى على عرشه الكريم نوح، بإفادات كمال

ذلك الاستعداد، وكان هذا التعين والاستواء محيطًا جامعًا للأول.

وقِسْ على هذا زمن العرش الكريم، إبراهيم بعد نوح، وزمن العرش الكريم موسى بعد إبراهيم، وزمن العرش الكريم داوود بعد موسى، وزمن العرش الكريم سليمان بعد داوود، وزمن العرش الكريم عيسى بعد سليمان، وزمن العرش المحيط بهذه العروش كلها للتعين الجامع لهذه التعينات كلها بالحقيقة الجامعة لهذه الحقائق كلها محمد.

وانختم أمر التجلِّي الفرقاني الذي افتتح به هذه التنزلات الرسالية، وانفتح الأمر القرآني في تنزلات ولاية بهذه الأعيان الأُول بظاهر الحقائق المعنوية وفرقها، والثاني بباطنها وجمعها، وانقسم زمان الأُول ألوفًا، فانقسم زمان الثاني مئينًا، فلبث نوح في قومه ألفًا، وقال محمد: «**يبعث الله على رأس كل مائةٍ رجلاً يحيي به هذا الأمر ويجدده**[1]»، وكان ذلك من يوم قوله: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**[2]».

وقال: «**لا يبقى بعد مائة ممن هو على الأرض أحدٌ**[3]».

فالأول زمن ولاية آدم، والثاني لولاية نوح القائل: ﴿**لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾ [نوح: 26]، وإنما عني بقوله: «**بعد مائة لا يبقى ممن هو على الأرض أحدٌ**»: إن بعد مائة يكون الزمن النوحي، وقِسْ على هذا.

فإذا كان المائة الثامنة كان وليها بالولاية المحمدية المتنزل فيها الرحمن بباطنه وجمعه وقرآنه، ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: 18].

فالسبع المثاني هي المعاني[4]، وتثنيها تنزلها بما يناسب الاستعدادات، والقرآن

---

(1) رواه أبو داود (109/4)، والطبراني في الأوسط (324/6)، بنحوه.

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه البخاري (55/1)، ومسلم (1965/4).

(4) قال الشيخ محمد وفا في «العروش» في كلامه على السبع المثاني وأرواح الأواني والمعاني:
اعلم أن هذه الأرواح والحقائق والدقائق، كانت للإسرائيليات بالإرسالیّات والنبويّات وهي في المحمّديات بالقطبيات والولايات، وبما كان عصره ﷺ كله جمعيات، فكل مائة في زمانه جمعة من جمعه وعصر من عصوره مطلعه.
وبما قال ﷺ: «استدار الزمان كهيئة يوم خلقه الله»، فكانت كل جمعه من هذه الجُمع الجامعة سبعة أيام كل يوم مشرق شمس من شموسه الطالعة؛ وهى سبع جُمع في كل أفق ومطلع، والجمعة الثامنة مصلاها جامع إجماع جوامع جمعاتها، ومنارة منارات منابر عروش إحاطات
-

رحموتيات رحمانياتها، وهذا هو العصر المقسَم به في نص الذكر.
حيث قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:1، 2]؛ ولأنه يومٌ فيه يُختم على كل قلبٍ بما فيه، فإن كان حقًّا ختم عليه بحق، وإن كان شكا ختم عليه بشك.
قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139].
ولذلك قال: ﴿إِلَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:3].
وهذا هو اليوم الذي يرفع فيه ظاهر القرآن لَمَّا رُفع باطن القرآن أولاً؛ ولأن الربح والخسران متعلِّقات فيه بالإنسان لا بآدم الأعيان؛ ولأن في عيسى ختمت الدورة آدمية والأزمان الدنيوية وفي الزمن المحمَّدي؛ تجلَّت الأزمان الأخروية والدورات الإنسانية، ولذلك أخَّر نزول عيسى عليه السلام إلى آخر الزمان حتى يرتفع الإنسان بحضرة الرحمن، ويكون القيام على الآدمية والأبدان، وتحقُّق الأديان بين يدي الديَّان وهذا يوم الفرقان وهو ظاهر القرآن.
وبما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [القصص:85].
وحقيقة المعاد تكرار منارة الأنوار على كل دائرة دار، فلما انقضت جمعة الخلافة الأولى التي كانت بجَمعه الأبهى وصدره الأزهر الأزهى.
وبما قال ﷺ: «لا يبقى في المائة الثانية ممن على وجه الأرض اليومَ أحد».
فبيَّن ﷺ انقضاء كل عصرٍ من عصوره بما فيه من حكم وأحكام وعلماء أئمة أعلام؛ ولأن الزمان الثاني يأتي بحكم المثاني، ولكن في خِلع علوم معارف وأحوال، ومظاهر أحكام وحِكمٍ وأقوال، وظواهر رسوم وأفعال وأعمال.
وبما قيل: لكل زمانٍ دولة ورجال، وهذا من حكم النسخ والتبديل بالتخفيف والتثقيل.
قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].
وقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:106].
وهذا النسخ نسخ بطون، وجَمْع لا نسخ إعدام ورفع، فلا يزال ذلك العين العلم المغلم والمعنى العالم المعَلِّم المحْكم، يتطلَّع في مطالع كل جمعةٍ من جمعه بعين أعيان مطالع طلعته في خلعة من تكوينات خِلع خلعته، حتى ينتهي إلى ثامنه، وجامع سبعته فتكون هذه العين الطالعةُ بالطلعة، وجامعُ سبعة الجمعة هو الرجل الذي يبعثه الله على رأس كل مائة يجدد لهذه الأمة دينهم، وهو تجديد في بطانيات الحياة وإمساكات القوى، وهذا هو الجامع الربَّاني والعين المحمَّدي الرحموتي الرحماني، وله في وقته سبع من المثاني وهم أيام الجمعة، وحقائق البطانات السبعة فأسَّهم وأساساهم ورئيسهم ورأسهم؛ هو القطب الأسنى والسرُّ الأخفى والنور الأجلى والولي الأوْلى في الآخرة والأولى؛ وهو القائم بين يدي العين المحمَّدية والطلعة الأحمدية.
وهو الذي قال ﷺ: «ورجلٌ من أمتي على قلبي».
فهو القائم تجاه الوجه الأعلى بحكم المسامتة على خط الاستواء، وهذه حقيقة المرافقة والمطابقة كالبدر المستفيد من نور الشمس إذا كان معها على خط الاستواء، وإنما هذا لا ينحرف أبدًا، شديد القوى لا يضلُّ ولا ينسى، وهذا هو الواحد الغريب والمقرَّب الحبيب وسيد الغرباء ونائب حضرة البهاء محمد المصطفى إذا ترقَّى إلى غيب بطانة بطانيته، وتجلَّى في

حجاب رحمانيته، فيكون هذا بين يديه في مقام نيابته بتحقيق محمَّدية سيادته؛ وهو بخاصية المثالية الجبريليَّة الدحيَّة التي كان فيها الملك رجلاً يكلِّمه كفاحًا وعن شماله الفرد والمحقق والعارف، فالفرد له العلم الخاص في الزمان الذي لم يعلمه قبله عقل، ولا خطر في جنانٍ، ولا فاهِ به فم، ولا نطق به لسان، وهذا وهو الهويَّة المرسلة مع الهويَّة السارية، والمحقق هو المستهلك في التوحيد بالكليَّة والفاني في الوحدة الإلهية؛ وهذه درجة الجلالة.
والعارف هو القدم المكين والروح الحافظ الأمين وهو درجة الرحمانية، وبما قلنا في العروش الأربعة الذين هم مستويات المحمَّدية ولا يزالون معه بالمعيَّة وبما ذكرنا من الخاصيات الثلاثة في العُلوية، وهم على عيسى ويحيى، وكلٌ تثليث عرشى الأول بالخاصيَّة والثاني بالخاصة والثالث بالخصوصية ففي هذه الحيطة العرشية علي بخاصية الفرد وعيسى بخاصية المحقق والعارف بخصوصية يحيى.
وبما قال ﷺ: «ورجلٌ من أمتي على قلب عيسى».
وهؤلاء عن يسار القطب وعن يمينه الغوث والخليفة والإمام.
فالغوث: هو موضع الصدِّيقية وحامل التجلِّيات الربانية والمختطف عن العوارض البشرية بالكلية، وهو السميع المطيع بالذات لِمَا يتجلَّى عليه من انفهاقات الأسماء والصفات وهذه حقيقة الغوثيَّة؛ إذ لولا حقائق الصدِّيقية وقوابلها الراضية المرضية، ما تفتَّحت الأبواب الغيبية، وتنزَّلت الإخبارات الصادقية بالعلوم اللدنيَّة.
والخليفة: هو خزانة الأمانة وحرز الوفاء والصيانة، والحكم بالعدل والعدالة؛ فهو مصرف القسم العرفانيَّة في البواطن الإيمانية، والمشاهدات الإحسانية، والشواهد الإسلامية.
والإمام: هو وجه مواجهة القلوب بمطالبها، والعقول بمذاهبها، والإدراكات بتصوراتها فهو حضرة قُرب القربين، وإليه تنتهى أقدام السابقين.
وهذا هو العرش الأبي بكري فالغوث بالخاصية الأبي بكرية، والخليفة بالخاصية الآدمية، والإمام بالخصوصية الإدريسية، وهذه السبعة وجوهٌ كرام وبدورٌ تمام وحضرات سلام بين يدي العين المحمَّدية والحضرات الوحدانية الأحمدية، ولكل واحد من هذه السبعة العلا مائة من الأسماء الحسنى، فهي حضرات تجلِّيه، وقُدس تدلِّيه وتدنِّيه، ولكل اسمٍ من المائة اسم مائة اسم هي له تسمية كُنى، بحيث يتحقق الهو والأنت والأنا؛ وهي درجات نزوله في تمثُّلاته وعيون ظهوره في تطلُّعاته، فمجموع هذا الجمع الأوفى، والنور الأظهر الأخفى سبعون ألفًا.
وبما قال ﷺ: «سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب».
ثم وصفهم فقال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربِّهم يتوكَّلون»، ثم وصفهم في دخول الجنة، وقد شبَّه وجوههم بالبدر نورًا ونوعًا.
ثم سُئل في الحديث الآخر: «هل نرى ربَّنا، فقال: أتُضَامون في رؤية الشمس، أتضامون في رؤية البدر».
فأشار ﷺ إشارة موقَّرة مقدَّسة مطهَّرة إلى هذه الحُجب الوجهية القمرية الشمسية؛ وهم حُجب ربانية وتجلِّيات رحمانية، كما تقرر في التمثُّلات الجبريلية في الصورة الدحيَّة وهو أنه إذا انكشف غطاء البشرية، وانفك طابع طباع الفخارة الطينية، ظهرت أسرار هذه الحقائق القدسية؛ ولأنها كلها أسرار إلهية وأرواح رحمانية وأفئدة ربانية وقلوب أحمدية، وعقول محمَّدية، وأنفس

ملكية جبريلية، وإدراكات ميكائيلية.
وعلى الجملة والتفصيل؛ كلها أسرار إلهية وأنوار رحمانية في تجلِّيات ربانية، وتمثُّلات روحانية رحموتية جبروتية ملكوتية مُلكية، وقد ضُرب لنا مثلاً عظيمًا ونبأ كريمًا بما ينزل روح التأمين وسكينة التسكين بإيضاح فصاحة التبيين؛ ولأن جبريل عليه السلام كان في ضمن قوّته، وتصور علميته صورةُ دحيَّة في بساطةِ قُدس غيبة الإحياء، فلما تمثَّل أخرجَ للفعل ما في القوى، فإن قلت: ذلك المثال نفس جبريل؛ فهو الحق فإنه لا ينفصل عنه انفصال الاستقلال، ولا يباينه مباينة الأجسام من الأجسام والأجرام من الأجرام.
وإن قلت: هو غيره فبوجه ما ينطوي في القوى إذا رجع إلى إحاطته الأولى، وإن كان عن إحاطته ما نَزلَ، وعن مملكة كرسي قدسه ما انعزلَ؛ وإنما هو كتموج الموج في الماء.
قال تعالى: ﴿وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل:60]، فإن ظهر هذا فنقول على وجه البيان: إن جبريلَ الحقيقةُ وصورةَ دحيَّة في القوي؛ هي متعلِّق القوى كما تقدَّم فيما مضى، وهذه هي العلة والمعلول اللَّذان لا يفترقان أبدًا كما تقدَّم في معلوم العلم.
كذلك تقول في مقدور القدرة ومراد الإرادة ومسموع السمع ومبصور البصر وكلمات الكلام وأرواح الحياة: كل هذه غيوب لاهوتيتها، وقُدس بواطن إحاطيتها، فإذا تجلَّت كانت هذه المعلولات لها صور تمثُّلات وأشكال تنزُّلات، وتجلِّيات متَّصلة لا منفصلة؛ وهي الأقلام الكاتبة وكل قلمٍ منها هو أمرٌ.
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82] وألواحها منخلعة عنها كانخلاع حواء عن آدم، كما تقدَّم وتقادم، وتكون الكائنات بعد هذا مشتركة بين الألواح والأقلام كما يشترك السمع واللسان في الكلام، فافهم حقيقة هذا التنزيل، قال تعالى: ﴿وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].
فهذه الشموس والبدور تجلِّيات ونور وحضرات حضور، وتمثُّلات أسرة أسرارِ سرور، وألواحها المنخلعة عنها منابرها وكراسيها وأسرتها في جبروتها وملكها وملكوتها، فإن فهمت هذه الحقيقة اللدنية فلنرجع إلى كمال القطبية بعد ما تفصَّلت أسرار العين المحمَّدية بالعرشية العَلويَّة، والعرشية الأبي بكريَّة، ولنتنزَّل من هذه الجبروتيَّة إلى الملكوتيَّة بحيث العرشيَّة العُمَريَّة العثمانيَّة؛ وهي الأنوار الوتديَّة وبما كان الاثنان اللذان بقيا من الصحابة العشرة رضي الله عنهم أحدهما بخاصيته الكبير الكفهي، والنور الأزهر المستخفي في كهف القطب الذي على قلب محمد ﷺ وشرّف وكرّم وعلى آله هؤلاء الطيبين الطاهرين وأصحابه المؤمنين الآمنين.
وكان هذا الكبير الكفهي؛ هو الوتد القائم بين يدي القطب، كما أن القطب محمد ﷺ وهذه القطبية الوتدية هي موضع تثبيت الفرقان وسكينة تقلُّب قلب مسكن الإيمان، وبما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح:4].
مع قوله ﷺ: «القلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء».
ثم قال ﷺ: «اللهم مُثبت القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك»[4] فتحقق بهذه أن ثَمَّ تقلُّبات قلوب بمقلِّبات غيوب، وأن ثَمَّ سكينة إيمانٍ وتأييد روح أمان.
كما قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:22].

وهذه الروح السكينة القدسيّة؛ هي حقيقة القطبية الوتديّة الخاصية الصحابيّة والكهفيّة وهذا الوتد عن يمينه النقيب والنجيب والحافظ.
فالنقيب بخاصية حق اليقين؛ وهو حصول عين الخبر في المخبَر له.
والثاني: النجيب بعين اليقين؛ وهو تحقيق الخبر في عين المخبر.
الثالث: الحافظ بعلم اليقين؛ وهو حصول الخبر قطعًا بتصديق المخبِر، فهؤلاء عن يمين القطب الوتدي، وهو بخاصية عمر وإبراهيم وإلياس، وعن يساره البدل والخفير والصالح وهم بالإحسان والإيمان والإسلام، فالبدليّة انتقال من غيب إلى شهادة ذوقًا، وهذا هو الإحسان.
حيث قال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه»، وحقيقة بطون البشرية في الروحانية البدليّة.
كما قال تعالى:﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ*وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: 19، 20].
وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ [إبراهيم:48]؛ فهذا تبديلٌ بالصفات لا بالذات، ولولا حقائق البدليّة ما ترقَّت القلوب في الدرجات، ولا عرجت القلوب إلى الحضرات، وهذا هو الإحسان بتحقيق الإنسان.
وأمّا الخفارة؛ فهي تحقيق الإيمانية بما فيها من صدِّيقية غيبية عارضة ربيّة ودقيقة حالية وهذه حقيقة الخفارة؛ ولأنه بنور تصورات إيمانه يغفر شائبة الشرك الخفي، ويستر بستر إخلاصه النير الجلّي.
ولذلك قال ﷺ: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم تُعرض عليَّ صحائف أعمالكم، فما كان فيها حسنًا حمدت الله عليه، وما كان فيها غير ذلك استغفرت الله له»، والغفر الستر فبنور إيمان الخفير، يستر شرك القاصر الخفي اليسير.
وبما قال ﷺ لحارثة: «كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: لكل حقٍّ حقيقة، وسأله عن حقيقة إيمانه، فقال: أعرضت نفسي عن الدنيا فتساوى عندي ذهبها ومدرها».
وجعل الذهب بدلاً عن الدنيا؛ ولأنه يقول ﷺ: «تَعس عبد الدينار والدرهم والخمصية إن أعطي منها رضي وإن لم يُعطَ لم يرضَ».
وفي الحديث الآخر: «تَعس وانتكس وإن شيك فلا انتقش».
ثم قال ﷺ لحارثة بعد أن قال: «تساوى عندي ذهبًا ومدرها، فكأني أرى أهل الجنة في الجنة ينعمون، وأهل النار في النار يُعذَّبون، وكأني أرى عرش ربي بارزًا».
والفرق بين هذا الإيمان والإحسان أنه قال ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه»؛ فهذه رؤية الله مع نفي الأغيار.
وأمّا الحافظ فبخاصية الإسلام وحقيقة الانقياد والتسليم والتفويض في الأحكام، وبما جعل الله التسليم للقضاء شرطًا في الإيمان.
فقال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء:65]، فأكَّد الإسلام بالتسليم وحقَّق التخصيص في التعميم، وهذا حقيقة الحفظ؛ ولأن الأبشار لا تصبر تحت تصرُّفات الأقدار، ولولا الأخيار لهلكت الأغيار.
وبما قال ﷺ: «يقول الله: لولا أطفال رُضَّع، وبهائم رُتع، وشيوخ رُكع، لصبت البلاء عليكم

العظيم جامعها، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: 1] الذي ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 2]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، ولما جعل السنة الأخروية الجمعية الولائية ثلاثمائة

-

صبًّا».

وهذا الحافظ المسلم موضع نظر الحق عند تنزيل الأرزاق للخلق، فالبدل بخاصية عثمان والخفير بخاصية موسى. وبما قال ﷺ: «ورجلٌ من أمتي على قلب موسى».

والحافظ بخصوصية الخضر، فالعُمريَّات أقطاب في العلم اللدني والعثمانيَّات أقطاب في الحال، وهؤلاء يتزايدون في العدد، ويتكاثرون في المدد حتى يكون مع كل واحدٍ من السعبين ألفًا المتقدِّم ذكرهم سبعون ألفًا من هؤلاء.

كما قال ﷺ في دخول الجنة بغير حساب: «سبعون ألفًا ومع كل واحد منهم سبعون ألفًا».

كلهم شموسٌ عُلا وأقمارٌ بَها ونجومِ هدى، وهذا هو المشهد الكبير في الجمّ الخفير، وهو عالم الملكوت ظهارة بطانة غيب الجبروت، فهم سبعمائة ألف ألف.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:261]، وهذا تنزيل العروش الرحمانية والحقائق الربانيَّة.

وأمَّا الكراسي الأربعة التي تقدَّم ذكرها في الصحابيات وهي ظواهر على الغيوب العرشيَّة وبطائن للظواهر الملكية في السماويَّة والأرضية؛ بَل هي أعيان عيونها وموازين أحكام ترجيح ظنونهم، وتبيين موجودات أوهام أفهامهم في فنونهم، وهم أئمة الاجتهاد ومؤصِّلوا أصول الفرق بين الصلاح والفساد، وحقائقهم عقول الترجيح والتجريح في التحسين والتقبيح؛ كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد أُولي المناصب المنيفة والمراتب الحفظة الشريفة؛ هم أئمة الدين وحفظة المسلمين وخزنة العقد الثمين والسرِّ المكين، جعلهم الله حُماة لحمى عدم أمانه، وحفظة لخزائن أسرار إيمانه وإحسانه، وحافظهم وجامعهم وقطب دائرتهم الواحد الباقي من الصحابة العشرة الكرام البررة، فجر ليالي المحمَّدية الطالع، وإبصار نور برق سرِّه اللامع ﷺ أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهذا هو الجمُّ الأعم والأكثر الأكبر، والعِلم الأعلم المعَلِّم فمنهم المتكلِّم والأصولي الفقيه، والفقيه الفروعي هذا بالنمط الواحد.

ومنهم: المحدِّث والنحوي والمفسِّر؛ هذا بالنمط الثاني وهذه أيضًا سبعة بخاصية الوسط الصحابي، ولكل علم من هذه العلوم الستة قطب في الزمان، تكون فيه النهاية ويأخذ منهم الغاية.

والنمط الثالث من الكراسي منهم: العامل المجاهد، والصابر المكابد، والمقتصد القاصد وهؤلاء أيضًا أقطابٌ في الزمان وذخائر أسرار في الأوان.

والنمط الرابع: الصوفي المحقِّق، والصوفي المتخلِّق، والصوفي المصدِّق.

فالأول: بجمع الجمع نحو ما تقتضيه علوم الصوفية، والثاني: بالجمع، والثالث: بالسمع فرُبَّ حالٍ، وصاحب حالٍ، وعبد حالٍ وهؤلاء؛ هم أنوار الحضرات وأبواب أسماء سماء سماك النُّهى، كما أن الكرسيين الأولين مفاتيح أبواب جنة الجزاء، وديوان حساب العطاء وهذا في كل أيام سبعة في يوم جمعة من الجُمَع السبعة، تتكرر تكرار الصلوات، وكما مضى يكون ما هو آتٍ حتى إلى يوم الميقات.

وستين يومًا حيث يقول: «**مَن صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال فكأنما صَامَ الدَّهر كله**[1]»، «**الحسنة بعشر أمثالها**[2]».

الشهر ثلاثون بثلاثمائة، وستة بستين، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا، والثواب إنما هو أخروي، والآخرة يوم الجمع، ﴿**هُنَالِكَ الوَلايَةُ لله الحَقِّ**﴾ [الكهف: 44].

وجب أن تحسب كل مائة سنة بهذا الاعتبار، فلا ينقضي الزمن الثامن إلا بعد أن يمضي من القرن التاسع الهلالي مقدار تفاوت السنة الهلالية، عن سنة من ثلاثمائة وستين في مدة الثمانمائة.

واعلم أن الزمان مثل ما انتقل في القسمة في الختم النبوي من رتبة الألوف إلى رتبة المئين، كذلك الثامن ينتقل في الختم الولائي من المئين إلى العشرات، فتكون المائة الثامنة ثمانية أزمنة، ويكون القسم الآخر منها في مرتبة الآحاد، فكل سنةٍ يحصل ظهور خاص بحكم جمع الجمع.

وقد أشار المحمَّدي إلى هذه العروش إجمالاً بقوله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ إلى قوله: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾ [الإسراء: 70، 71].

وبقوله: ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ [الأنبياء: 26].

وتفصيلاً بقوله: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**[3]».

وقوله: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً**﴾ إلى قوله: ﴿**فَتَعَالَى الله المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون: 115، 116].

وقال حارثة في تحقيق إيمانه الحقي: «**رأيت عرش ربي بارزًا**[4]».

يعني الصورة المحمَّدية، وقال هو: «**إنَّ الله كتب كتابًا فهو عنده على عرشه: إن رحمتي تغلب غضبي**[5]»، وعنى ما تأصَّل عنده من غلبة رحمته على غضبه في صورته المحمدية، فكان لو أغضبه أحد ما عسى أن يغضبه، ثم أراه بعض انكسار رحمه رحمة

---

(1) رواه مسلم (822/2)، أبو داود (324/2)، والترمذي (132/3).

(2) رواه البخاري (24/1)، ومسلم (812/2).

(3) رواه البخاري (1237/3)، والترمذي (293/5)، والنسائي (369/6).

(4) رواه الطبراني في الكبير (266/3)، والبيهقي في الشعب (362/7).

(5) رواه البخاري (2694/6)، ومسلم (2107/4).

عزيزية، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 28]، ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17] بيانه نور مرسله، ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

اسمع: الجوهر المفارق المتعلق بالأجسام الآدمية تعلق التدبير في النظر الفلسفي لَه جهتان: جهة إحساسه وتخيله وتوهمه، وانبعاث قوى هذه المراتب منه في الاستعدادات الجسمية، وجهة تعلقه، فباعتبار تقيدها بحكم الجهة الأولى تُسمَّى نفس بشرية، ونفس مشكولة، وباعتبار تقيدها بحكم الجهة الثانية تُسمَّى معقولة، وإذا انصرف شهودها عن حقيقة مبدئية وجودها للكمالات إلى أن مبدأ الكمالات غيرها، فهي نفس منقولة، فإذا شهدت أن لا كمال إلا لما لها أن تدركه من حيث هي مشكولة، وغلب ذلك عليها بحكمه، فهي نفس منقولة المكان، وعلامتها ألا يعظم في نظرها إلا ما بعد عنها، وإذا شهدت أن لا كمال إلا لما تدرك إلا كالعقل، فهي نفس معقولة في المكانات، وعلامتها ألا يعظم في نظرها إلا ما بعد عنها مكانه، بحيث تعذر أو كاد أن يتعذر على قواها نيل مكانته عندها، فالمنقول لا تطمع منه أن يقبل إلا التقلبات في مقامه الذي هو فيه؛ لأن حكم المرتبة غالب على المقيد بها غلبة لازمة، وأما التي وقع شهودها بعين اليقين الوجداني على حقيقة مبدئية وجودها للكمالات، فلا يفتقر شهودها إلى غير وَجْدها بوجودها.

اسمع: جاء في الحديث: «**إن تُولُّوا عليًا سلك بكم الصراط المستقيم، اللهم أدِرْ الحق معه حيث دار**[1]».

فهذا مقام العناية ومقام المجاهدة، اللهم أدره مع الحق حيث دار.

اسمع: الروح صورة حكم الحياة، والنفس صورة حكم الإرادة، وهما الإصبعان الرحمانيان اللذان تتقلب بينهما القلوب، والإصبغ معناه في اللغة الأثر الحسن.

اسمع: انظر كيف إذا تنفست استبطنت الهواء الظاهر بانتشاقه، وعلا جسمك مع ذلك طبعًا بحسب قوة ذلك الانتشاق، ثم أظهرت الهواء الباطن في جوفك بنفحه، وتنزل جسمك مع ذلك كذلك، واستصحب سعة وراحة، فالتنفس هو استبطان ظاهر بعلو ينتج إظهار باطن بتنزل يستصحب سعة وراحة في كل مقامٍ بحسبه:

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (73/3)، وأبو نعيم في الحلية (64/1)، بنحوه.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: 18، 19].

«إني لأنشق نفس الرحمن من قبل اليمن[1]».

وكل حقيقةٍ تعيَّنت بحقها فحقها نفسها، وتعينها بنفسها، والحق المعيَّن الثابت ثبوتًا لا يحتمل النقيض في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: انظر إلى قصب السماع المُسمَّى موصولاً كيف حياة أنفاس إرادته تتصور في عيونه، فلا يصرفها إلا الأصابع الممسكة لنظامه، فهكذا النفس الرحماني العيني المعبر عنه بالقلب المتصور في الأعيان الصنعية، لا يصرفه إلا أصابع الرحمن فيها كما تقدَّم.

اسمع: الناطق صورة ذات الكلام بكشفه العليم، وصورة حكم الكلام ببيانه الحكيم، كما أن السر صورة ذات العلم، والعقل صورة حكمه، والفؤاد صورة ذات الحياة، والروح صورة حكمها، والقلب صورة ذات الإرادة، والنفس صورة حكمها، والصدر صورة ذات القدرة، والجسد صورة حكمها، والجسد عبارة عن المعنى المتعين بالصورة الجسمانية، والإنسان صورة ذات الجمع، وآدم صورة حكمه، وكل ذلك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الناطق الربَّاني في كل زمانٍ هو حفيظ الرحمن على أسرار الجمع وأنوار الفرقان، وأمين الملك الديان على كلماته التي هي خزائن الامتنان، وكشفه صواعه الذي يوفي به الكيل لمن صدق ودّه، وبيانه متاعه الذي لا يأخذ إلا من وجده بحسن قبوله عنده.

اسمع: إذا نطق بالحق أهله فمن علم الله فيه خيرًا أسمعه، وإلا فلا، من اختاره أسمعه منه، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ﴾ [طه: 13]، لسان الصدق سمعه التصديق، سمع هذا اللسان ولاية من سُلبها فهو معزولٌ.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 210: 212].

قال الجنيد: «الإيمان بطريقتنا ولاية[2]»، إذا كان سمع هذا اللسان ولاية فكيف

---

(1) رواه البزار في مسنده (150/9)، والطبراني في الكبير (52/7).

(2) انظر: الكواكب للمناوي (578/1)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (265/1)، وكتابنا الإمام الجنيد =

بفهمه فكيف بوجده، إذا سمعت بنطقك ترجمة معنى على صيغة ثم أسمعتها بنطق سواك على صيغة سواها، فلا تشتغل بتلحينها عن تلمح معناها، ولكن اشهد أن مناجيك يريد أن يمتعك بفنون مناجاته، ويوسع عليك مسالك تنزلاته، ومجالي تجلياته، ألم تسمع قول السيد الكامل حين أنزل الكتاب على حرفٍ واحدٍ: «**رب وسِّعْ على أمتي**[1]».

فوسع إلى سبعة أحرف، إذا كنت في مقام السمع فاستمع وأنصت؛ فإن الرحمة في ذلك.

ومن ثَمَّ تقول أئمة محاسن الأخلاق: «من أدب السماع ألا تقترح على مسمعك، ولا يَعِب اللسان الربَّاني لسان الوجود الحكيم»، والشيطان صورة الوهم البهيم الذي هو ضد الروح الحكيم عينًا وأثرًا، فلا يمكن تنزل الشياطين بهذا النور المبين؛ لاستحالة انقلاب الحقائق، من نزل به فهو روح حكيم.

اسمع: جاء في الحديث: «**إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ**[2]»، فظاهره قد سمعته من ألسنة العلم الظاهر ومن باطنه أن الروح المحمدي كلمة، أحرفها الأرواح التي هي أولو العزم من الرسل السبعة: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، والمسيح، وهذه التسامي بالأحرف المرادة منها هي أحرف (محمد)، فالميم الأولى منه لمن الميم أول اسمه: موسى، مسيح، وبدأ بها لموضع التشريع، والحاء لنوح، والميم الوسطى وهي الأولى من المدغمة لسليمان، والثانية منها وهي الأخيرة لآدم وإبراهيم، والدال لداود، وعلى هذه النواطق أنزل ما أنزله المتكلم بالناطق المحمَّدي الذي هو كلمة هم أحرفها، ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الشعراء: 196]، مفرقًا برقائق، وهو هنا مجموعًا بحقائق، والكلمة هي كل أحرفها، فالناطق المحمَّدي الجامع لهذه النواطق الربَّانية هو كلها، وهو الكافي الشافي في هذه الدائرة، ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت: 51]، ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر: 36] بلى ﴿**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ [الأحزاب: 25]، فافهم.

-

سيد الطائفتين (ص299).

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه النسائي (326/1)، وبنحوه: البخاري (1909/4)، ومسلم (560/1).

اسمع: النظر دائر بين معان يميزها ما تعدَّى به، فإن تعدى بنفسه فقلت نظرته فمعناه الإدراك، وإن عديته باللام فقلت: نظرتُ لَه فمعناه التدبير، وإن عديته بـ(إلى) فمعناه المودة والترقب، وإن عديته بـ(في)، فقلت: نظرت فيه فمعناه التفكر والتحرر.

اسمع: جاء في الخبر: «**إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**[1]»، يعني لا يعتبركم بظواهركم ولكن ببواطنكم، فإذا مدحك لسانٌ ربانيٌّ فاعلم أنه قال لك: إن باطنك على صورة أرضاها وأشكرها فأتمها، والضد بالضد إذا قال لك إمام الهدى بلسانه الربَّاني: إنك من أهل الجنة، وأنت ترى ظاهرك أهل النار، أو قال لك ولو بعد أن قال لك الأول: إنك من أهل النار، وأنت ترى نفسك من أهل الجنة، فصدَّقت وقلت: قال لي ما قال أولاً لما رأى من أهلية صورتي التي كنت عليها في باطني لذلك، وقال لي ما قال ثانيًا لمثل ذلك، فشكرت أولاً وثبت ثانيًا، فأنت موافق مرضى لاتباع الحق، وتلقيه بالصدق، فحي هلا بك وإن توهمت خلاف ذلك فكذبت، فليس هذا عشك فادرجي ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: 19]، وقِسْ على هذا.

اسمع: هذا القبول الآدمي مطلق لفاعله المختار، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]، فلا تيأس بحصولك في صورة نقص من زوالها لحصولك في صورة كمال، وكُنْ على حذرٍ من العكس ما دمت في حكم دائرة الفرق ممكنًا، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ [الحجر: 99] الواجب ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] بالتحقيق به، فالكامل حقًّا لا يحتمل زيادةً ولا نقصًا.

اسمع: لا تتعلَّق بغير ربك إن أردت راحة قلبك.

اسمع: التدبير توجيه الوسائل إلى تحصيل المقاصد، فإن وجهت إلى تحصيلها على الوجه الأسهل الأكمل فهو أحسن التدبير وإلا فهو بحسبه.

اسمع: الهم انبعاث اختياري في تحصيل المقصود، كأنه في سهولة على النفس وقوته ولزومه لها طبيعي.

اسمع: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة: 5]، و«كل عملٍ ليس عليه

---

(1) رواه مسلم (1987/4)، وأحمد (284/2).

أمرنا فهو رَدٌّ[1]»، فكل عملٍ بلا إخلاصٍ رَدٌّ؛ إذ ليس مأمورًا به، «**وإذا أمرتكم بأمرٍ فائتوا منه ما استطعتم**[2]»، فالإخلاص في حق كل عاملٍ بحسبه، فعامل إخلاصه اختياره بعمله موافقة اختيار ربه لَه، وامتثال أمره به، إجلالاً لَه وتعظيمًا، وإن ارتجى بذلك ثوابًا؛ لأن ذلك قدر استطاعته، وهذا هو النية، وواحد إخلاصه خلوصه في عمله من قيد حكم مغايرته لربه، ولو بغلبة حكم كونه عينًا على ما لَه في أبده، كما هو في أزله، فالعمل عمل ربه شهودًا لَه ووجودًا، وبينهما درجات، و﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]، و﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ [الطلاق: 7].

اسمع: هب لنا الإخلاص الذي لا يطَّلع عليه أحدٌ غيرك، فلا يقوم إلا بك، ولا يظهر إلا على من أخلص من قيد حكم المغايرة لك.

اسمع: الإمام الربَّاني لا يخاطب كل أحدٍ إلا بلسان الحكمة في حقِّه وإن خاطب العموم، وبينهم خاص لم يجعل ظاهر خطابه إلا بلسانهم مع ما يبطن فيه من لسان الخصوص؛ لأن الخاص لا يضره ما ينفع العام بخلاف العكس.

اسمع: الحكمة غذاء القلوب، والخواص أصحاء، والعموم أعِلاء، وطعام الصحيح قد يضر العليل في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: إذا قلت: لا أعمل العمل في الجماعة ما لم تجد فيه إخلاصًا، فبيّن مرادك من الإخلاص اللائق بمخاطبك أو بمجلس الخطاب؛ لئلا تسارع النفوس الرغبة إلى تخطئتك، أو ترك العمل سترًا بأنها لم تجد الإخلاص الذي لو سُئلت عنه لم تعرفه، أو لم تذكر إخلاص مثلها، وقس على هذا.

اسمع: حكى الغزالي في إحيائه أنه رأى بمكة شرَّفها الله تعالى رجلاً من أهل العلم والعمل، معتزلاً في بيته، لا يشهد جمعة ولا جماعة، فسأله فأجابه بأنه لا يجد الإخلاص في الاجتماع بالناس، وصوَّبه وصدَق في تصويبه لما تقدم.

فإن قال لك قائلٌ: هذا يؤدِّي إلى ترك الشرائع التي لا تُؤدَّى إلا بالاجتماع؛ لاحتمال أن تُوافق أحوال أهل هذا الزمان كلهم حال هذا الرجل.

فقل لَه: إن حصل ذلك فليس ترك ما لم يصحبه الإخلاص ترك شريعة؛ إذ الشريعة

---

(1) رواه البخاري (753/2)، ومسلم (1343/3).

(2) رواه البخاري (2658/6)، ومسلم (975/2).

هي المأمور بها، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ [البينة: 5].

اسمع: الذات مقوّم كل علمٍ وإن كان هو هو من حيث يقتضي لنفسه الكشف والتميز، وهو مقوم كل معلومٍ وإدراكٍ ومدرَكٍ وحكمٍ ومحكومٍ كذلك، فلا يصح والحالة هذه أن يُعلم ولا يُدرَك، ولا بما قيل أو يُقال، وإن تسلسل دفعًا للتحكم؛ إذ ذلك كله من المتقومات به لا هو، ثم هو الوجود بما يوجب لنفسه أن يقضي، ويجرد له من نفسه ما به يتعيَّن ويتَّصف، فيكون موجودًا به له منه، وما ثَمَّ في الحقيقة سِواه، وشأنه ثابتٌ لَه في كل موجودٍ؛ لأنه مقتضاه لنفسه بالذات أو بواسطة كذلك، ولا يُعلم أو يدرك إلا موجوداته، ونفسه باعتبارها لا بما هو ذات فقط؛ إذ ذلك لا يُعلم كما تقدَّم، وكلما نظر لنفسه في تعين رأى أنه هو لا سواه، وغاب عنه به تعينه بما عداه كتعينه به، ومن ثَمَّ لا يُعلم من نفسه والحالة هذه إلا هو فقط.

فافهم مع آخر الثمانمائة القطبانية التي أولها قول السيد الكامل: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**[1]»، وذلك يوم النحر من حجة الوداع بعد عشرة من الهجرة عام 823 هجرية هلالية؛ لأن تفاوت ثمانمائة سنة هلالية عن ثمانمائة من ثلاثمائة وستين كل سنة 13، ويُضاف عليها العشر التي بين أول الهجرة وحجة الوداع التي هي أول هذه الثمانمائة، وآخر عام ثلاثة وعشرين وثمانمائة هجرية هلالية تكمل سني ثلاثة وستين عامًا، وتكمل الثلاثة عشر سنة التي أخبرني بها، وقال لي عنها عيسى عليه السلام:

«**والله لتحكمن فيهم ثلاثة عشر سنة**»، وذلك هو آخر سني كما أخبرت في المبشرة، وقد تحامت أدلَّة كثيرة ذكرناها في مواضع مما كتبناه من فتح الحق سبحانه وبحمده على أن ظهور حكم خير الحاكمين من سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وتمكث ثلاثة عشر عامًا، وانظر كيف عدد (خير)810 بالجمل الكبير، وما هذا البؤس المذموم باللطف الذي جاء قبله، ولم يرَ الناس مثله قط إلا لأنهم في زمن ذلك الحكم تنعموا نعمة ما نعموا مثلها قط.

كما قال السيد الكامل: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109].

---

(1) تقدم.

اسمع: أخبرني أبو الضياء شهاب الدين من غلمان هذا البيت الشريف قدَّس الله أسرارهم العزيزة أجمعين، أنه كان يومًا بالحضرة الشريفة والفقير طفل صغير بين يدي سيدي ومولاي.

فقال سيدي ومولاي: يا شهاب الدين هذا قاضينا، وأخبرتني سيدتي الكبيرة وجماعة من السيدات عابدات هذا البيت الشريف، قدَّس الله أسرارهن العزيزة أجمعين، أن سيدي ومولاي قال عن الفقير: هذا يحكم على الأمراء والسلاطين، وذلك إن شاء الله عطاءً مطلقًا لا مقيَّدًا بعالم.

وأسأل الله سيدي ومولاي به منه هو بما هو عنده، ليس إلا هو آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

اسمع: الحيّز فراغ متوهم الحصول بدل الجسم بل بدل المتناهي المقدار، لو غاب بعد إدراكه في الحال والمكان هو كون الجسم بحيث لا يدرَك إلا متناهي الأبعاد والزمان، كون ثبوت الإدراك بين نفيين.

اسمع: ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ﴾ [الأحزاب: 46]، الإذن: رفع الحجاب.

قال السيد الكامل لعبد الله بن مسعود ﷺ: «إذنك عليَّ أن يُرفع الحجاب[1]»، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

اسمع: الحقائق التي تسميها الأشاعرة معاني ثبوتية للواجب سبحانه هي العلم، وهو مبدأ الكشف والتميز المجرد، والحياة وهي مبدأ الإدراك والفعل، والإرادة وهي مبدأ تخصيص معلوم بمعلومٍ تخصيصًا تمييزيًّا، والكلام وهو مبدأ تخصيص مراد بمرادٍ تخصيصًا كشفيًّا، والقدرة وهي مبدأ تخصيص أمر بأمرٍ تخصيصًا فعليًّا، والسمع والبصر وهما مبدأ كون المخصوصات صورًا في مراتب الإدراك.

فالأول مبدأ كونها صورًا منتهاها العقل، والثاني مبدأ كونها صورًا منتهاها التخيُّل، وقِسْ على هذا باقي المعاني.

اسمع: من ذاته تقتضي لَه ما هذه الحقائق مباديه، فذاته هي حقائقه بالنظر إلى ذلك؛ لأنها كذاك وهي موصوف تلك الحقائق من حيث أنها مفاهيم لها، زائدة على ما هي

(1) رواه مسلم (1708/4)، وابن حبان في صحيحه (545/15).

ذاته فقط، فذاته إذًا علم وعالم حياة حي، وكلام متكلم، ومريد إرادة، وقدرة قادر، وسمع سميع، وبصر بصير، وقِسْ على هذا.

اسمع: ثَمَّ لموصوف الحقائق أربع مراتب: مرتبة ما هو ذات لا يمتنع أن يقتضي تلك الاقتضاءات وهذه المرتبة الأولى، والثانية مرتبة ما هو ذات يقتضي تلك الاقتضاءات لنفسه، فهو هي وموصوفها كما تقدم، والثالثة مرتبة ما هو في علمه ذاتٌ متصف بهذه المبادئ مع ملاحظة زيادتها، وعلمه بنفسه لا يزيد عليه، فهو قائمٌ بذاته ذات موصوف بمعانٍ زائدة عليه، والرابعة مرتبة ما هو ذات موصوف بمعانٍ زائدة عليه متعلقة بكذا، أعني متعلقاتها على التفصيل.

فاسم الوجود الإلهي الذي لا يُعلم ولا يُدرَك إلا ملزوم هذه الحقائق سبحانه وبحمده في المرتبة الأولى هو، وفي الثانية الله، وفي الثالثة الرحمن، وفي الرابعة الرحيم، وتُسمَّى الأولى مرتبة المعجوز عنه، والثانية مرتبة الجلالة، والثالثة مرتبة الرحمانية، والرابعة مرتبة الرحيمية، وكل مرتبةٍ من هذه إنما هي تعيُّن ما قبلها، وتفصيل مجملها، وغيب ما بعدها، وجملة تفصيلها، والرحيم هو وجود العقل الجزئية، والرحمن هو وجود كلياتها.

قال هو سيدي ومولاي: الجلالة: تجلِّي الهو.

والرحمن: تعين الجلالة.

والرحيم: تعين عين الرحمن في مرآة الإنسان.

وأما الهو فلا تتصوره القوى الجزئية ولا كلياتها، ولا يُقال عليه لأنه مجرد محض لا تفصيل فيه أصلاً، فلا ظهور ثَمَّ فيه للحقائق التي لا يُعلم ولا يُدرك إلا ملزومها، فمن ثم سُمِّي معجوزًا عنه، ولأنه قبل العلم والإدراك بالذات والمرتبة، فلا يتعلقان به بما هو كذلك؛ لتقدم المتعلق على ما تعلق به من حيث هو كذلك، ولا يفيد هنا اختلاف الجهة عند من لا يرى صحة الدور؛ لأن الجهة الأولى مبدأ الثانية، فلو تأخرت عنها لزم الدور، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: 7].

اسمع: الرب المربي بكشفه وبيانه الحكيم أعلم بما ينزل، فلا يسع من عرف ذلك يقينًا إلا الإيمان والتسليم له في كل ما يفصّل أو يُجمل، ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ**

﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

اسمع: الرب لا يفاتح عباده إلا بما خبأه عن عقولهم ومداركهم، فمفاتحته لهم ذكرٌ، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21]، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ [آل عمران: 7] بالكشف العلمي، ﴿إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَاب * رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: 7، 8] باختلاف الأمور علينا، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ لنظام جمعها وإن افترقت، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ العلمي ﴿رَحْمَةً﴾، وسعت ما وسعه علمك وحكمتك، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ الذي لا تنقضي مواهبه، ولا تنفد كلماته، فلا تنفد خزائنه.

شيء لله يا سيدي ومولاي، شيء لله، هذا العبد الفقير قد مدَّ كف فاقته وذله ومسكنته، متوجهًا لوسع عطائك، متوجهًا لوجهك العزيز، الغني الكريم، الواسع المعطي.

شيء لله يا سيدي ومولاي، الله، الله، الله، ما ثَمَّ إلا الله، شيء لله، يا الله من الله إلى الله، آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام عليك يا رسول الله بفضل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1].

اسمع: الهو غيب الغيوب، والإنسان عين العيون، فهو مستقر أنبائه، فأيهما غلب بخاصيته على الآخر كان الحكم له، واعتدال الظهور بهما لا يكون إلا لكامل مطلق باختصاص لا يعلل، بل شهوده لذلك لا يحصل لشاهد إلا بذلك.

أجرى سيدي ومولاي لسان عبده بقوله:

أَحَبَّنِــي الحبِــيب فَــصَانَ ذَاتِــي ... عَـنِ الأَغْـيَارِ فِـي غَـيْبِ الغـيوبِ
فَــلاَ يَــصِلُوا إِلَــيَّ وَلاَ يَرَانِــي ... سِوَى عَـين الحَبِيب المعتني بِـي

اسمع: غذاء كل شخصٍ مادة بقائه الشخصي في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثَمَّ جاء: «الحكمة غذاء القلوب»، وغَذِّنا بلطائف أنوارك.

اسمع: عمر كل شخصٍ مدة اغتذائه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أعمار الأشخاص المفارقة كأغذيتهم عرفانية، كما أن أعمار النفوس الجسمانية كأغذيتهم زمانية جسمانية، فهؤلاء أسنهم أسبقهم زمانًا، وأولئك أقدمهم أعلمهم؛ لأنه بقي بما قبل ما يبقى به مَن دونه رتبة، كما أن ذاك بقي برتبة زمانية سابقة عن رتبة من سنه دون سنه، ومن ثَمَّ قال أناس لعيسى: ومتى ولدت أنت ونحن بإمامتك

عارفون؟ فقال لهم: أنا وُلدت قبل إبراهيم.

هم عَنوا ولادته الجسمانية، وهو أجاب بولادته الروحانية جوابًا يُسمَّى في علم البديع أسلوب الحكيم؛ لأنه نبههم به على سؤالهم لَه عن أمره الروحاني، الذي نظرهم إليه من حيثيته أوْلى بهم من سؤالهم له عن أمره الجسماني في مقام إمامة هدايته، وقال شهداء الله في الأرض لسيدهم: «**متى كنت نبيًّا؟ قال: وآدم منجدلٌ فِي طينته**[1]».

اسمع: جاء في الحديث أنهم لما كانوا في غزوة تبوك جلوسًا في حر الظهيرة، فإذا شخص يزول به السراب، فقال السيد الكامل: «**كُن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة**»[2].

فالصحابة عليهم السلام شهداء الله في الأرض، كما قال لهم السيد الكامل، وهم أهل اللسان العربي، وقد رتبوا كونه أبا خيثمة على قول السيد الكامل الذي قوله عندهم قول الله ربهم الحق: «**كن أبا خيثمة**[3]» بالفاء السببية، والمسبب لا يتقدم سببه، وبه يحصل، ومن ثَمَّ عدّوها آية: ﴿**فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [الصافات: 102].

فيها أيها المريد الحاذق، موجدك في المعاني هو موجدك في الأعيان، فصدِّقْ إن كنت صادقًا، وحدّق بعين قلبك، وكُنْ في شهود أستاذك من شهداء ربك.

اسمع: الاسم عين المُسمَّى، فمن تعيَّن وجوده الله الرحمن الرحيم بموجوده الناطقي، فهو اسم الله الرحمن الرحيم، الذي به كل خيرٍ وفضلٍ، وعلامة ذلك قيامه بالكشف والبيان الخاص بالله الرحمن الرحيم، فناطقه هو الحق الذي يدبّر الله به الأمر، و﴿**يُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾ [يونس:5]، والروح الذي ينزل به الملائكة من أمره على من يشاء من عباده.

اسمع: الأمر الشأن في كل مقامٍ بحسبه، وملائكته رقائقه التي تكون قوى وملكات لقابلها من حقائق في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الذي هو بكل شيءٍ عليم، وما علمه في الحقيقة إلا ذاته، والمعلوم لا قيام له بما هو معلوم إلا بعلمه، سيما إذا لم يكن له تحقق دون علم عالمه، هو ذات كل شيءٍ، وكل شيءٍ صفته، وغيب كل شيءٍ، وكل شيءٍ عينه، لكنه قد يظهر بخاصية

---

(1) تقدم.

(2) رواه مسلم (2122/4)، وابن حبان في صحيحه (157/8).

(3) رواه مسلم (2120/4)..

مراتبه الخاصة في الشيء ظهورًا غالبًا بحكمه على ظهور حكم خاصيات مرتبة ذلك الشيء من شأن دائرة الترتيب، وقد لا، فمن ثَمَّ تفاوتت الأشياء في مظهريتها ونسبتها العينية إليه.

اسمع: مكونك مَن تعين بك كونًا كائنًا، حيث أثبت ذلك بحقائقه، قال هو سيدي ومولاي:

قَوْلهُ التَّكْوين فِي أَكْوَانِهِ أمره بوجْدِها فِي عدم

اسمع: مرتبة المعجوز عنه المُسمَّاة منك بهو يقتضي منك وفيك وبك ولك وعنك اقتضاءً ذاتيًا، لا نظام لك إلا هو، قال هو سيدي ومولاي:

وفِي غَيْبِكَ المعجوز عَنْهُ حَقِيْقَةٌ تَقُول بقَول اللهِ إن خرس النطق

المعجوز تحت زايه خَفْضة كغيبك، وحقيقة مرفوع وهي حقيقة الكلام الذي يصل بين الإرادة والقدرة كما تقدَّم.

اسمع: المواهب الإلهية تحصل باقتضاء المرتبة الوجودية، فلا تنقضي ولا تنتهي ما وجدت تلك المرتبة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: جاء في الحديث: «**إنَّ الأرواح في كل ليلةٍ تعرج إلى ربها**[1]».

وفي رواية: «**تحت العرش**[2]».

هو العرش الخيالي المستوي عليه وجوده المدرك رب الملائكة، والروح في الجسماني.

اسمع: العروج الذي فتح بكشفه أبواب الإسراء هو الذي أدخل منها أرواح قومه، كل ليلةٍ بنور بيانه، فحقه أُسري به وهو أسرى بهم؛ لأنه حقهم.

اسمع: مَن أفادك صورة أمره فقد تمثَّل فيك بما أفادك، بل تعين فأعطاك من أحكامه وشئونه الخاصة به ما وسعه استعدادك في كل مقامٍ بحسبه، فما الحي القيوم بالمريد إلا أستاذه المفيد.

اسمع: إذا بغى حاسدك فاستعذ بربك الحق من شره، وأنصفه من نفسك ببسط عذره؛ لأنك لو استأثر عنك بمحبوبك كما استأثرت عنه بمحبوبه لقل رمق صبرك،

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (116/3) بنحوه.

(2) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (220/3).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 5]، ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ [الأحزاب: 48].

اسمع: الإنسان صورة الله الرحمن الرحيم، وهو عينه ووصفه واسمه، وموجوده الكامل الجميل الجليل في دائرة الدوائر، وهي دائرة الترتيب، وآدم عبارة عن العين الإمكاني الذي هو ظل هذه الصورة ومثالها لا مثلها؛ إذ لا مثل لها، خلق الله آدم على صورة الحق.

اسمع: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]، ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، فهو بك وجود كل موجودٍ، وأنت به ألف حرفية الكل، وواحد عدديتهم ونقطة خطيتهم.

اسمع: الذي تراه منك بواسطة المرايا الصقيلة هو خليفتك فيها، فإن أمره هو أمرك من حيث أنت هو، وتابع أمرك من حيث أنه خليفتك الأول حق مجرد، والثاني ظله المحدد بهيولاه فهو خَلقه.

اسمع: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

فورث كل قومٍ من أبنائه الحكم في عمالة من عمالات مملكته بملكات أبنائه، فهم رؤساء الصنائع والفنون، والقائلون فيها بمكنة التصرف لما يشاءون منها كن فيكون؛ لأنه هم مجملاً كما هم هو مفصلاً.

اسمع: ﴿يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: 1]، مما غلب ظهوره فيه من الحق، فهذا غلب عليه ظهور العلم من حقِّه، فهو زيادة في خلقه، وهذا غلب عليه ظهور الفعل من حقه، فهو زيادة في خلقه، وقسْ على هذا.

اسمع: الذي هو في تجرده العلمي حق هو في تحدده المادي خلق، وعقل التنزيه التحديدي إنما ينكر أن يكون للحق ما هو للخلق كما هو للخلق، وأما علميًا: كل ما يخالف عنده حقيقة الحق فلا، ومن ثَمَّ ما أول أخبار الصفات والبيانات التي هي عليه متشابهات إلى ما يخالف عنده حقية الحق، فأثبتها مجردة حقية، ونفاها محددة خلقية،

و﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ [النساء: 78].

ألا ترى كيف يعتقد للحق وجهًا وعينًا ويَدًا وعضدًا وجنبًا ورجلاً وسعيًا وهرولةَ وبسط يد، وقطع مسافة، وقولاً، ونداء بصوتٍ، ونفوذ بصر في أهل المجمع، وسِعة سمع للأصوات كلها، وغضبًا وخشيةً وخوفًا ورضا وفرحًا وبشبشةً وضحكًا وبكاءً واستنشاقًا، كما جاء في التوراة، وأشياء كثيرة من هذا الباب جاءت في كتب الأوائل، فهو بذلك أصل نسخة الصورة الآدمية بحقائقها ولواحقها بجميع أمرها.

ولكن عقل التنزيه المقيد يقول: أعتقد ذلك كله للحق على ما يليق به مع اعتقادي أنه ليس كمثله شيء، وقد قال الحق؛ لأن المثلان غيران جمعتهما حقيقة واحدة، ومَن هو الكل لا غير لَه فلا مثل له، وحقيقة المثلين ليست كالمثلين، فليسا مثلاها، وإنما هما مثالاها اللذان تمثَّلت بهما بمعنى ظهرت للعيان بهما.

اسمع: الأعيان الحقية يُقال عليها من حيث تعينه به ودلالتها عليه أسماء، ومن حيث تصرفه بها في متعلقاتها ونعتها له متصرفا صفات، فالخلق مظاهر صفات الحق وأسمائه في الدائرة الخلقية، والكل أسماؤه وصفاته في دائرة الأسماء والصفات.

اسمع: مَن قام به معنى اشتُق له منه اسم، ومن لا فلا، وإن توقف الإطلاق على ورود الإذن فذلك مانع للثبوت في نفس الأمر، فالثابت في قوله: ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ [البقرة: 138]: الصابغ.

وفي: ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ [النمل:88]: الصانع.

وفي: «أتيته هرولة[1]»: المهرول.

وفي: ﴿نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: 64]: الزارع.

وفي: «ضحك الله[2]»: الضاحك، وقِسْ على هذا.

وأما مثل قوله: «الله أفرحُ بتوبة عبده[3]»، فـ(أفرح) اسم منصوص في هذا الحديث، مثل: أكبر، وأعلم، وأطيب، وأجل، وأكثر، بالثاء المثلثة، وقِسْ على هذا.

اسمع: من كان الغالب عليه ظهور اسم (القاص) كان القص فيه زيادة في خلقه، أو

---

(1) رواه البخاري (2694/6)، ومسلم (2061/4).

(2) رواه البخاري (1382/3)، ومسلم (166/1).

(3) رواه البخاري (2325/5)، ومسلم (2102/4).

ظهور اسمه (النظيف) كان ظهور التنظيف فيه زيادة في خلقه: أي أكثر من الظاهر من ذلك في عموم الخلق، وقِسْ على هذا.

اسمع: المِثْل بكسر الميم وسكون الثاء المساوي في الحقيقة، والمَثَل بفتحهما المتعين به في الإدراك، ومن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم:27]، فاعرفه بعلامة العز والحكمة.

اسمع: إذا عرّفت الإله الواجب لذاته سبحانه وبحمده بأنه الذات المستلزم لنفسه أنه عالم بكل شيءٍ، علمًا لا يقبل الخلو عنه، فلا ضد له، وحي حياة كذلك، ومريد لكل شيءٍ إرادة كذلك، وقِسْ على هذا باقي الصفات التي هي عندك ثبوتية له، فقيل لك: الذات المستلزم لما ذكرت هو أو بماهية من فصلٍ وجنسٍ، فقل: لا هذا، ولا هذا، بل ماهية فقط.

فإن قيل لك: فالإله مفتقر إلى هذا الذات وهذا المستلزم في تحققه، قل: ليسا أمرين إنما الذات المستلزم لما ذكرت واحد هو الإله، فإن قيل لك: أليس للعقل تعقل ذات الإله مجردة عن هذا المستلزم، قل: لا؛ لأنه الذات المستلزم كما تقدَّم؛ إذ جاء في الحديث: «**إن تولُّوا عليًا ولا أراكم فاعلين، يسلك بكم الصراط المستقيم، اللهم أَدِرْ الحق من حيث دار**[1]»، هذه العناية والجذب، وأما من دار مع الحق حيث دار فللهمة والسلوك.

اسمع: القرين ظل لازم، ولا ظل إلا لشخصٍ، وللآدمي في كيانه أشخاص ثلاثة:

شخصٌ عقليٌّ به يكون مميزًا حكيمًا، وظله قرين ملك وهو روح فكره الصالح، وشخصٌ وهميٌّ تارة به يضاد حكم شخصه العقلي، فهو وهم بهيمي، وظله قرين شيطان، وهو التخيل الكاذب، وتارة لا يضاده، ولكنه لا يقبل الموافقة والمضادة، فهو وهمٌ طبيعي بشري، وظله قرين جان مستعد للالتحاق بما غلب عليه، وكل ذلك إنما يأتيه من التقيد في حدود المغايرة للحق.

اسمع: من تجرَّد عن غلبة أحكام الحدود عليه فقد قام حقًّا خالصًا، اللهم خلصنا واستخلصنا بك لك إياك كما أنت أعلم.

(1) تقدم.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:54].

وهو هو بما هو هو سيدي ومولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: حقيقة الوجود ذات يقتضي لنفسه أن يقضي، وما ثَمَّ إلا هو، فيقضي قضايا يجردها من نفسه لنفسه، ويقضي بتعينه بها، فهي الموجودات، فالوجود ذات كل موجودٍ وعينه، وكل موجودٍ صفته وعينه وتعينه وقضاؤه لازم، فهو به في كل موجودٍ بحسب ما يناسب ما خصصه به ترتيبه من خواص المرتبة قائم، وباختلافات مراتب مقتضياته بقضائه الترتيبي يُسمَّى مطلق قضائه: علمًا، وحياةً، وإرادةً، وكلامًا، وقدرةً، وسمعًا، وبصرًا، ونحو ذلك، وعقلاً، وروحًا، وخيالاً، ووهمًا، وحسًّا، ونحو ذلك مبدأ فعليًّا، ومبدأ قابليًّا، وما يتفرعان إليه ونحو ذلك، فافهم.

اسمع: الهو المطلق الذي هو الجسم المطلق له نفس هي الكلية، وروح هي الكلية، وعقل هو الكلي، وطبيعة هي الكلية، ووجوده الظاهر في نفسه وطبيعته بالأمر الإلهي تقديرًا وتصويرًا، وفي روحه وعقله بالأمر الإلهي تقديرًا وتدبيرًا، وفي الجملة بالأمر الإلهي تحقيقًا وترتيبًا هو المُسمَّى بالواجب الوجود العيني، المتسمِّي بالله الرحمن الرحيم باعتبار الظهور الثالث والثاني والأول حكمه الفاعل بالكون قوله: (كن)، وتعينه الانفعالي به هو (يكون)، والكائن حينئذٍ هو المقول لَه، فسبحان المتكلم السميع، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44]، والآدمي الإنسان عين ما هو الرحيم الرحمن في ظاهر الكيان، وهو بتفننات ظهوره في مظهره، هذا في العيان، وفي الكشف

والبيان، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29].

اسمع: التجلِّي انكشاف في كشفٍ، كظهورك على صفاء المرآة الصقيلة بحيث يراك فيها الناظر إليها ولا تخفى عليه، والمدد استمرار التجلِّي، والصورة هي المرتبة الأحدية للموجود، والتقدير هو إظهار الصورة حيث لا يتقيَّد تجليها بعددٍ دون عددٍ، ولا مددها بأمدٍ دون أمدٍ، والتصوير إظهارها بحيث يتقيَّد، والتدبير نقلها المثالي والتمثالي من حكم التقدير إلى حكم التصوير، فهو بينهما.

وحقيقة التدبير توجيه الوسائل إلى إخراج المقاصد من الغيب إلى الشهادة، من القوة إلى الفعل، وأحسن التدبيرات أن يكون ذلك التوجيه بحيث يستلزم ذلك الإخراج على أكمل الوجوه وأسهلها، والجبروت مكنة التقدير، والملكوت مكنة التدبير، والملك مكنة التصوير، ومتعلقات كل واحدٍ عوالمه، والأول يكون للموجود بوجوده، والثاني يكون لَه بمعاني وجوده.

كما يقول: العلم والحياة والأمور التي هي عند الأشاعرة، ومن قال بقولهم صفات ثبوتية زائدة على موصوفها، ولا هي غيره، والثالث يكون له بهما، وفيه يكون الأمر إيجابي وإيجادي، فظهوره التحقيقي إيجابي، وظهوره الكشفي إيجادي، وذلك كله في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: زيادة اللفظ في اللغة العربية لزيادة المعنى، ومليك أزيد من مالِك بما يعطيه فعيل من المعاني التي فاعل من جملتها، ولأنه أثقل في النطق، ومالك أزيد من ملك، الأول صاحب المكنة الجبروت، والثاني صاحب المكنة الملكوت، والثالث صاحب المكنة الملك.

اسمع: الوجود الإلهي هو المتصرف بالمعاني المحيطة التعلقات الحكمية، وهو اللاهوت في مراتب تدبيره، والحكمة ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام، في كل مقامٍ بحسبه، والرحمة مبدأ الحكمة.

اسمع: إذا عرّفت المعنى العلم بأنه مبدأ الكشف والتمييز، والمعني الحياة بأنه مبدأ الإدراك والفعل، والمعني الإرادة بأنه مبدأ تخصيص معلوم بمعلومٍ تخصيصًا تمييزيًّا، والمعني الكلام بأنه تخصيص مراد بمراد تخصيصًا كشفيًّا، فالمعني القدرة مبدأ تعيين مخصص في الإدراك تعيينًا فعليًّا، والسمع والبصر عكسه، فالمعنى بالسمع مبدأ تعيين

مخصص في الفعل تعيينًا خياليًا، والمعني البصر مبدأ تعيين مخصص في الفعل تعيينًا حسيًا، ورأيت موجودًا وجوده الذي هو ذاته مستقل بهذه المبدئيات، فهو كافٍ لَه في أن يكشف ويميز، وفي أن يدرك ويفعل، وفي أن يخصص ويعيّن كل ما تقدم تقرر عندك أن لهذا مرتبتان إحداهما:

إن ذاته ذات فقط.

والثاني: إنها ذات هي هذه المبدئيات لَه، فإذا أثبتت هذه المبدئيات معاني كانت ذات هي معانٍ باعتبار مقتضياتها، ولا شكَّ أن هذه المبدئيات مفاهيم لها، زائدة على ما هي هي فقط، فنشأ لها من هنا مرتبة ثالثة، وهي أنها ذاتٌ متَّصفةٌ بمعانٍ زائدة.

فإذا ظهرت بتعلقها بمتعلقاتها على التفصيل نشأ لها مرتبة رابعة اسمها في المرتبة الأولى: (هو).

واسم الواجب الوجود الإلهي في المرتبة الثانية: (الله).

وفي الثالثة: (الرحمن)، وفي الرابعة: (الرحيم)، وكل مرتبةٍ من هذه المراتب عين ما قبلها، وغيب ما بعدها[1].

---

(1) قال الشيخ الشعراني في الميزان الذرية (ص70) بتحقينا: الربوبية نعتٌ إضافيٌ: لا ينفرد به أحد المتضايفين عن الآخر، فهي من موقوفةٍ على اثنين، ولا يلزم ألا يكونا متساويين، فقد يكونا متباينين، وقد يكونا غير متباينين، فمَالِك بلا مُلْك لا يكون وجودًا وتقديرًا، ومليك بلا مَلك لا يكون كذلك، وربّ بلا مربوبٍ لا يصحُ وجودًا وتقديرًا، وهكذا كل متضايفين، فنسبة العالم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية نسبة المتضافين من العالم، فالعالَم يطلب تلك الأسماء الإلهية، وتلك الأسماء الإلهية تطلب العالم، كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيي والمميت والقاهر والمعز والمذل، إلى أمثال هذه الأسماء.

وثَمّ أسماءٌ إلهيةٌ لا تطلب العالَم، ولكن يُستَروَح منها نفسٌ من الأنفاس الرحمانية، كالغني والعزيز والقدوس وأمثالها، وما وجدنا لله قطُّ أسماءً تدل على ذاته خاصةً من غير تعقُّل معنًى زائدٍ على الذات أبدًا، لأن ذلك إما أن يدل على فعلٍ، وهو الذي يستدعي العالم ولا بدَّ.

وإما أن يدل على تنزيهٍ، وهو الذي يستروح منه صفات نقصٍ كونيٍ، تعالى الله عنها، ذلك ما أعطانا الله، فما ثَمَّ اسم علمٍ ما فيه سوى العلمية لله أصلا، إلا إن كان ذلك في علمه استأثر الله به في غيبه، مما لم يبده لنا.

وسبب ذلك: أنه تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء بها عليه، فمن المحال أن يكون فيها اسمٌ علميٌ أصلاً، لأن أسماء الأعلام لا يقوم بها ثناءٌ على المسمَّى، لكنها أسماء أعلامٍ للمعاني التي تدل عليها، وتلك المعاني هي التي يثني على من ظهر عندنا حكمه بها فينا، وهو المسمَّى بمعانيها، والمعاني هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية، كالعالم والقادر، وباقي الأسماء، فلله

اسمع: قيوم دائرة الهو المطلق تجلَّى فيه بمراتبه الثلاث الإلهية تجليات مناسبة لاستعداداته، ففي الاستعداد الذي لا يقبل إلا صورًا لا إدراك لها ظاهرًا إلا التعقل، فإحساسها وتخيلها تحت ملكة تعقلها قائمان متقاومان متلازمان، فأمرهما ونظامهما في الكشف والانكشاف دائمان مهما أحسه تخيله وعكسه، ظهور بتجليه الإلهي الجلالي مليكًا، ويُسمَّى في عين تعينه هذا في نواطقه الفلسفية بالعقل الأول، وفي نواطقه الصوفية بالروح الأكبر، والاسم الأعظم، ونحو هذا.

وفي كل ناطقةٍ بما يدل على ذلك مصطلح أهلها، وفتق رتق هذه الدائرة الاستعدادية بظهور أحكام معانيه الثبوتية السبع فيها إلى سبع دوائر، عبر عنها بيانه المحمدي بالسموات العلى، وعبَّر عنها في التفصيل بالعرش، فالعرش للعلم، والكرسي للحياة، والحجاب للإرادة، والقلم للكلام، واللوح للقدرة، والرفرف للسمع، والمنتهى للبصر، وهذه المعاني ليس لها أعيان زائدة بحكم الاستقلال، فلم يكن لها في هذه الدائرة الاستعدادية أعيان شخصية، إنما هي أعيان حكمية، وتجلَّى من الهو في الاستعداد الذي لا يقبل إلا صورًا إدراكها الظاهر فيها ليس إلا تخيل ممد لإحساسٍ، وغالب عليه بحكمه، فهي لا تتخيَّل شيئًا إلا أحسته بلا عكسٍ، وظهر بتجليه الإلهي الرحماني مالكًا، ويُسمَّى في عين تعينه هذا بالعقل الفعَّال فياض الصور ونحو هذا، وفتق رتق هذه الدائرة الاستعدادية بظهور أحكام معانيه السبع الزائدة زيادة عينية، كما تقدَّم إلى سبع دوائر عبَّر لسان بيانه المحمدي عنها بالسموات الطباق، يطابق ما تحتها ما فيها مطابقة الأشخاص الجزئية للأشخاص النوعية الكلية، وعبَّر عنها في التفصيل بالخُنَّس الجوَار الكُنَّس، وهي التي تُسمَّى بالكواكب السيارة السبع وأفلاكها، وتجلَّى من الهو في الاستعداد الذي لا يقبل إلا صورًا إدراكها الظاهر فيها، ليس إلا إحساسًا ممدًّا لتجلي غالبًا عليه، عكس الذي قبل هذا بتجليه الإلهي الرحيمي مَلِكًا، ويُسمَّى في عين تعينه هذا بالعقل المعيشي، وفتق رتق هذا الاستعداد لظهور أحكام معانيه السبع

الأسماء الحسنى، وليست إلا هذه المعاني لا هذه الألفاظ، فإن الألفاظ لا تتصف بالحسن والقبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها، وإلا فلا اعتبار لها من حيث ذاتها، فإنها ليست بزائدةٍ على حروفٍ مركبةٍ ونظمٍ خاصٍ يسمَّى اصطلاحًا؛ لكن لها من الحرمة ما للمسمى، والله أعلم.

فيه إلى سبع دوائر عبَّر عنها بيانه المحمدي بالسموات الطرائق والدنيا، فهي مراتب توليد، ولما كانت انقلاب ما قبلها كان ما قبلها قبلها، وكانت استعداداتها قوالب، والحاصل فيها ظل قلبه.

وعبَّر عن هذه الطرائق بفلك الأشعة، وفلك الهباء، وفلك النار، وفلك الهواء وهو الرياح، وفلك الماء، وفلك التراب، وفلك العفن، وهو أسفل سافلين لمن حبس في حكمه عن النفوذ إلى حكم ما فوقه، وهو أعلى عليين لمن شهد ما فوقه من الغيوب في عينه شهادة تحقيق شاهدها بمشهودها، وهو بالأول نار ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: 24]، وبالثاني: ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 6، 7].

وهو الأرض المفتوقة الاستعداد إلى سبع، بحسب اختلاف قبولات القوالب للصور، فهي جماد ونبات وحيوان، إنسي ووحشي وطائر وآدمي، وفي هذه الدائرة تظهر أحكام المليك والمالك والملك ظهورًا يناسبها؛ لأنها غاية مراتب تنزلاتهم، ففلك الأشعة والهباء منها دائرة جبروتية، وفلك الماء والنار والتراب والهواء دائرة ملكوتية، وفلك العفن دائرة ملكية، وصور الأولى أرواح كونية، وصور الثانية أشباح كونية، وصور الثالثة أجسام كونية، فلكل روحٍ شبح يقوم به قيام التدبير والتعلُّق الكوني في جسمٍ، فهذه الأشباح تُسمَّى قوى، وهي صور معاني الأرواح التي عند ظهور آثارها تُسمَّى أخلاقًا.

واعلم أن مبدأ الاحتجاب بالحكم العفني عن الظهور بأحكام ما فوقه من اللطافة والتروض واللاهوتية يُسمَّى الوهم البهيم، وهو مرتبة المضل، والأشباح المتصرفة به ليس إلا تُسمَّى شياطين في التصرفات الدينية، وملكات شيطانية نارية مارجية في التصرفات الدنيوية، ومبدأ ما يقابل ذلك مقابلة الضد يُسمَّى الروح الحكيم، وهذه مرتبة الهادي، والأشباح المتصرفة به ليس إلا تُسمَّى ملائكة، وملكات ملكية نورانية كذلك، والأشباح التي غلب عليها تُسمَّى جان، وملكات جانية، وهذه عند تعلق الأرواح تُسمَّى قُرناء، وبتعينها الإدراكي الجسماني بالموافق لخاصتها تحصل اللذة، وفي الضد بالضد في كل مقامٍ بحسبه، والأجسام الآدمية بالحقيقة ليست إلا أشباحًا ربانية في أي شكلٍ تشكلت، وأما التي أشباحها ملكية فأجسام طيرية في أي شكلٍ تشكلت، والتي أشباحها جانية أجسام حيوانية إنسية كذلك، والتي أشباحها شيطانية أجسام مؤذية وحشية كذلك، والقالب الذي ليس في استعداده أن تظهر فيه الروح المتعلقة بجسمانيته بتخيل

اختياري؛ لاستمداده من الإحساس الذي ظهرت به فيه، ومغلوبًا لَه صورة الدنيا التي يقابلها البرزخ والآخرة المذكورة في الذِّكر الربَّاني، وهذا الإدراك الحاصل لهذه القالبية هو حقيقة الدنيا، والقالب الذي ليس في استعداده أن تظهر فيه الروح المتعلقة به إلا بإدراك تخيله، وإحساسه عكس الأول هو صورة البرزخ، وهذا الإدراك هو حقيقة البرزخ، والقالب الذي ليس في استعداده أن تظهر فيه الروح المتعلقة به إلا بإدراك تخيله، وإحساسه الاختياري متقاومان متلازمان، هو صورة الآخرة، وهذا الإدراك هو حقيقة الآخرة، فالدنيوي مهما أحسه اختيارًا تخيله بلا عكسٍ، ومدده قاصر على السموات الطرائق الدنيا حيث وصل، والبرزخي عكسه، ومدده من السموات الطباق الوسطى، والأخروي مهما أحسه تخيله اختيارًا، ومهما تخيله أحسه اختيارًا، واختياره فيها لازم.

فأمره دائمٌ وممده من السموات العلى، وحقيقة الجنة الموعودة في الألسنة الربانية الديانية ملكة خيالية من الروح الحكيم، إذا تمَّ ظهورها في نفسٍ مدركةٍ، وانتهى تحققها بها بحسب استعدادها، اقتضت لها وجدان كلما ورد عليها أو صدر عنها حسنًا جميلاً مناسبًا مرضيًّا لها، موافقها مطابقًا لاختيارها من جميع جهاته، فذلك هو النعيم، وبحكمه الأخروي مقيم، حقيقة النار المقابلة لها ملكة خيالية من الوهم البهيم، إذا تمَّ ظهورها في نفسٍ مدركةٍ، وانتهى تحققها بها بحسب استعدادها اقتضت لها ضد ذلك، وذلك هو العذاب الأليم، وفي آخرته مقيم.

واعلم أن المقتضى دائرٌ من مبدئه الذي هو علته وسببه وجودًا وعدمًا، أعني ظهورًا وبطونًا يعبر عنهما بالنفي والثبوت، والحقائق الروحانية تحققها بقابلها اتحاد، فلا تزايله، والحقائق الوهمية تحققها بقابلها عروض، فلا يتعذر خلوه عنها، فمن ثَمَّ صحَّ الخلاص من الجحيم، ووجب الخلود في النعيم لأهل الدارين، أعني لقابلي التحقيقين بهاتين الحقيقتين، أعني حقيقة الجنة وحقيقة مقابلها، هذا كله في هذه الدائرة الهوية، كما تقدَّم، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فافهم.

اسمع: الحكمة ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام، في كل مقامٍ بحسبه، والرحمة مبدأ الحكمة، والحكمة صبغة الحسن، والحس موافقة الاختيار، والاختيار إرادة ما يُرى أنه مصلحة، فهو لا يتعلَّق إلاَّ بما تعلقت به الحكمة، لكن تارة يكون التمييز بالوهم، فيحصل الغلط في عين المصلحة، كأن يتوهم الورم سمنة فيختاره، فاختياره لم يتعلَّق في الحقيقة بالورم، ولكن بالسمنة، وإنما هو غالط في تعيين حقيقة

مختاره، وقِسْ على هذا كل مستحسن ما هو في الواقع مفسدة.

فإنما استحسنها من حيث زُينت لَه، فتوهمها مصلحة، والأخلاق مبادئ الأفعال الجزئية، وفضلها دائر مع استصحاب الحكمة وجودًا وعدمًا، فإن صحبتها الحكمة في الفعل فضلت، فكانت حسنى، وآثارها حسنات، وإلا فلا:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:68]، وبذلك ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه﴾ [السجدة:7]، ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:102]، فالقبح عارض لمن عارض بوهمه وضع الواضع بحكمه، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:39]، ومن ثَمَّ جاء النهي التكليفي، فالمتوهم صنع القبح لنفسه فيما صنعه الحكيم حسنًا لمن لم يسلط عليه ذلك الوهم، حكمة بالغة: قال هو سيدي ومولاي:

وحَيثُ الكل عني لاَ قَبِيحٌ وقبحُ القبحِ مِنْ حيثِي جميلُ

فالقبح يلحق النسبة الموهومة، وهي نسبة الفعل لغير فاعله الحق؛ إذ لا غير في الحقيقة، ولا فاعل إلا الحق، والقبح عدمي كالوهم، والحسن وجودي فمِن العلم.

اسمع: الموت حالة يبطل بها تصرف النفس المدركة المتصرفة بالبدن الذي كان لها أن تتصرف به، أو هو بطلان ذلك، فمن مات انقطع عمله بذلك البدن، إلا أن جهة التعلق بآلة يصح بها التصرف، لا تعطل من النفس المتصرفة، فإذا فارقت آلة تعلقت بآلة يقتضيها لها وجودها، كما أنها إذا فارقت بدنها بالنوم ترى لها بدنًا آخر، إما هو بمثاله أو مثله أو خلافه، فيكون لها في التعلُّق الثاني تصرفات بحسبه، وأعمال تناسب استعداده، ومن ثَمَّ يلتحق بالعقلاء من مات غير عاقلٍ، هذا شأن النفوس الحاصلة في قيوم حدود دائرة الدنيا والبرزخ؛ إذ لا موت إلا للدنيوي والبرزخي، وموت البرزخي نومي للدنيوي.

اسمع: ألسنة العارفين بالله الحق المبين هي ألسنة معروفهم، قال الله بلسان عبده: «سمع الله لمن حمده[1]»، «ولسانه الذي ينطق به[2]»، ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: 97]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3، 4] لسامعه، فمن سمعه فقد أُوحي إليه، فأحرف الشك إذا أتوا بها في خطابهم ليست لشكهم ولا

---

(1) رواه مسلم (303/1).

(2) رواه الطبراني في الكبير (206/8).

لترددهم، فيما يعبرون عنه، ولكن للتوسعة على السامعين؛ إذ فيهم من لا يسع إدراكه إلا أحد أمرين، فيقولون: الأمر كذا وكذا؛ ليصوبوا لكل مدركٍ ما وسع فهمه، قال هو سيدي ومولاي:

وَلاَ شَــكَّ أَنَّ اللهَ لاَ شَــكَّ عِــندَهُ وَلاَ شَكَّ فِي شركِ النُّفُوسِ الشَّرِيكة

اسمع: لا تكليف إلا لمن يجد الفرقان بالتقابل والتماثل في عين الوجود الواحد بالحقيقة في كل مقامٍ بحسبه، والوجد ضروري لواجده؛ لأنه مقبولها من وجودها ما استعدت له، ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، ﴿إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7].

اسمع: الإحسان إلى كل شيءٍ استعماله فيما وضعه له الديان الحكيم، ومعاملته بما رضي أن يعامل به في كل مقامٍ بحسبه، والمحسن مَن فعل ذلك شاهدًا للفعل من مبدئه الحق، شهودًا مجردًا عن شهوة الوهم وحظه، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]، وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

اسمع: الخدمة تقرب بملائم يترتب عليه النفع من المتقرَّب لَه بذلك للمتقرِّب في كل مقامٍ بحسبه، فبذلك الترتيب تميزت الخدمة من المنة.

اسمع: العبادة التذلل بالخدمة تعظيمًا للمخدوم.

اسمع: كفى بالمحبة عبادة، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم﴾ [الزمر: 15].

اسمع: من ثبت قدم حسن خدمته على صراط صدق محبته، وصل إلى التحقُّق بمحبوبه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الذي خلقك باسمه الخلاق، وكونك باسمه المكون هو الذي يهديك باسمه الهادي، وقِسْ على هذا، ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 78]، ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 2، 3]، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50].

اسمع: الاسم عين المُسمَّى، وإمام الهدى هو اسم الحق الهادي الذي تعيَّن به لمأموريه، ومن ثَمَّ تعلم أن حقيقة إمام هدايتك هو الذي خلقك وهداك، ورزقك وسواك وكونك، وهو ربك في كل حالٍ ومولاك، وإلى ذلك أشار الصدِّيق بقوله عن

إمام هداه أنه قال لأبي خيثمة: «**كُنْ أبا خيثمة فكان أبا خيثمة**[1]».

اسمع: مراد الصادق يصل إلى صدِّيقه تخصيصًا، ولو بغير عبادةٍ ولا سببٍ معهودٍ، كما تصل صورة المتجلي إلى المرآة الصافية بغير نقشٍ ولا دهانٍ، ومن ثَمَّ قال الصادق: ﴿**وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: 50].

ولم يقل: ولا أوجدكم ذلك تخصيصًا، وهل ذوق الصديق ذلك في صادقه، وهو لا يظهر للعموم إلا بوجبة العبودية إلا عن وجدٍ تخصيصي أمدَّه به صادقه.

اسمع: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ [التوبة: 114]، كلما أوقد نمروذه نارًا للحرب أطفأها الله من إبراهيم بحلمه.

اسمع: كل من ركن إلى ظالمٍ مسَّته نار الفتنة إلا من رحمه الله، ﴿**وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ [هود: 113]، وكفى بالخدمة ركونًا.

اسمع: من ركن إلى ظالمٍ، وخلص منه سالمًا من فتنته، فتلك له كرامة إبراهيمية.

اسمع: إذا قوي الوارد على قوة المورود جرى في مسالكه على غير نظامٍ، ومن ثَمَّ نظر ذائق بعين الفرق إلى توقف نفوذ فعل الفاعل على قبول القابل؛ لتوقف تعين القابل على فعل الفاعل، فقال بلسان قبوله عن فاعله: (**فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده**)، ولو كان وارده تحت مكنته لقال عن فاعله: (وأخدمه وأعبده)، كما قال لسان المكنة: ﴿**بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ**﴾ [الحجرات:17].

اسمع: المحبة شهود كمال يوجب إرادة التحقيق به بحسب الإمكان.

اسمع: المحبة صبغة الجمال كالحكمة صبغة الحسن.

اسمع: الحسن مرحوم والانكسار منه؛ لأن كلاًّ يختارك أن تنكسر لَه، فيتم لَه تعززه صافيًا من المنازعة، فلذلك استَحسن ورُحم.

اسمع: ليس الحاصل بالتعمل في مطابقة لممثلها، كالمرئي منه بواسطة المرايا الصقيلة.

اسمع: ربما يمنع الحصول التعملي من الحصول الاختصاصي، كما يمنع نقش الصورة ودهانها في المرآة من شهودها بها تجليًا.

---

(1) تقدم تخريجه.

اسمع: الفرق بين التعمل والتخصيص كالفرق بين الكسب والإيجاد.

اسمع: وَجْد الأميين تخصيص، فلذلك حافظ خواص الأئمة على أمية أممهم من رسوم العموم.

اسمع: استغناء المريد بأستاذه عما سواه عنوان فوزه بمعنى.

اسمع: التدرج تلون، والانتهاء تمكن في كل مقامٍ بحسبه، فالمتلون صغيرٌ، والمتمكن كبيرٌ.

اسمع: رأينا الصغير إذا شم وجورًا، ولم يُسقَ منه تغير مزاجه وأخذه كالسل حتى يشفى أو يموت هكذا بعض من أدرك من المعاني التوحيدية ما لا يفهمه تحقيقًا، إن وجد من يفهمه ويحققه له بكشفه العليم، وبيانه الحكيم، وإلا تغيَّر مزاج نظام فرقانه، وانسل منه قوى دينه وإيمانه من حيث لا يشعر العموم بسبب ذلك، حتى يجد ساقيه أو يهلك، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياًّ مُّرْشِداً﴾ [الكهف: 17].

اسمع: نفوس المريدين صيدٌ، والمغلوب لوجده ووارده محرِم، متى تعرض للصيد فأصابه جعله ميتة لا ينتفع به، ﴿لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 95].

اسمع: العليم الحكيم هو رب الحق، فإذا أتاك في صورته التي تعرفه فيها يعرِّفك بنفسه، ويعلِّمك من علمه، ويعاملك بحكمته، فاعرف واعلم واعمل، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] بتحققك به تغنم كل مغنمٍ، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94]، فافهم.

اسمع: النبوة مظهرية الربوبية، والروح الناطق الحكيم وجه رب الحق المبين، فمن ظهر فيه فقد أُوتي النبوة في كل مقامٍ بحسبه.

من ظهر فيه الروح الحكيم بإدراكه وفعله في دائرة التدبير والتكوين معًا فهو رسولٌ في كل مقامٍ بحسبه.

من ظهر فيه الروح الحكيم بإدراكه لا فعله فهو وليٌّ.

فالنبوة حيطة الإحاطة الربَّانية، والرسالة منها للفرقان، والولاية للجمع، في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الألفاظ عند المنطقي تابعة للمعاني بخلاف النحوي واللغوي، ومن ثَمَّ إذا مثل المنطقي القضية الاستثنائية عنده بقوله: لو قام زيد لقام عمرو، وحكم بأن استثناء

المقدم ينتج المؤخر، واستثناء نقيض المؤخر ينتج نقيض المقدم، ففهم النحوي ذلك على طريقته هو، واعترض عليه بما لا ينتج ذلك، كقوله: «**لو لم يخفِ الله لم يعصه**[1]».

فذلك لا يضره؛ لأن القضية الاستثنائية عنده ما بين طرفيها تلازم في نفس الأمر، بحيث يعبر عنها بمثل قوله: لو قام زيد قام عمرو، أو إن.

وقد قيل في العبارة تلازم القيامين، أما إذا عُبر بذلك حيث لا تلازم، فتلك عنده ليست قضية استثنائية، والنحوي واللغوي إنما يستفيدان التلازم من اللفظ لموضع الحرف الموضوع للربط عندهما، فكلٌّ على طريقته، ومن اعترض باصطلاحٍ على اصطلاحٍ فقد خلط، فليس مثل قوله: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾ [الأنفال: 63]، ﴿**لَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان: 27]، ﴿**لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا**﴾ [الأنفال: 23]، «**لو لم يخف الله لم يعصه**[2]»، قضية استثنائية عند المنطقي؛ لعدم التلازم في نفس الأمر بين طرفيها.

اسمع: أخوك من جمعتك وإياه رابطة نسبة واحدة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: المُسمَّى عند المنطقي باللازم المساوي هو أحد أمرين كل منهما لازم للآخر من وجهٍ، وملزوم له من وجه بحيث يلزم من عدم كل منهما عدم الآخر بما هو لازمه، ومن وجوده وجوده بما هو ملزومه، فإن اللازم ما لزم من عدمه العدم، ودخل في المفهوم والملزوم ما دخل في المفهوم، ولزم من وجوده الوجود، وبالدخول في المفهوم فارق الشرط إن خصصت الشرط بما ليس بذاتي، وكذلك السبب مع اللازم المساوي.

اسمع: من قبل روح ذي مرتبةٍ فهو منه بتحققه بمقبوله مع اعتبار قبوله، ولولا هذا الاعتبار لكان هو هو، ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ [إبراهيم: 36]، «**أنا من الله والمؤمنون مني**[3]»، ﴿**مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِن طَرَدتُّهُمْ**﴾ [هود: 30] ﴿**وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ**﴾ [آل عمران:84].

---

(1) ذكره ابن حجر في فتح الباري (161/1)، والعجلوني في كشف الخفا (428/2).

(2) تقدم تخريجه.

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا (237/1).

أنت مني وأنا منك اتحاد في القبول والمقبول بوحدة الروح وصاحبها، ومعناه من حيث الإرادة والسيادة: أنت مني وجودًا وأنا منك شهودًا.

اسمع: حقيقة العدم الذاتُ المجردة وتجرد الذات، والأول أصل الوجود، والثاني فرعه، وحقيقة الوجود الذات المتعينة، وتعين الذات، والأول أصل الثاني في التقويم، والثاني أصل الأول في الإدراك، والتعيين في نظام الذات المجردة غيب محض، فإذا أوجبت ظهوره بتعينها به باقتضائها لذلك كان ما هو الذات العدم بالأول هو الذات الوجود بالثاني، وما هو الغيب بمظهرية الأول هو العين بظهور الثاني، فظهور معدومك من عدمك هو تعين وجودك بموجودك وجوبًا، قال هو سيدي ومولاي:

فَالكَونُ شَيءٌ عَنْ وجُودِكَ صَادِرٌ وَعَلَـيْكَ بالمعـدُومِ غَـيْبٌ وَارِدُ

اسمع: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: 31]: أي أنهم لا يدركونهم كما كانوا يدركونهم من حيث يعرفونهم أنهم هم، وهذا سلب عموم لا عموم سلب، كقوله: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، مع أن فهم من يفقه تسبيحهم إن كان الخطاب عامًّا، وإلا فلا يمتنع شموله للمخاطبين.

اسمع: لا تدرِك ولا تعلم إلا موجودات وجودك الذي هو ذاتك، ليس إلا سواء أدركتها منفصلة عن صورتك التي حَصَرت كونك فيها، أو متصلة بها ذهنية أو خارجية، يقظةً أو منامًا، أو كيف كان، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، هذا هو الأصل الحقيقي، وما بعده تفنن في التفضيل والترتيب.

اسمع: إمام هداك هو موجود وجودك الحق المبين الهادي، تعين به في إدراكك فاعلم تغنم.

اسمع: ربك مفيدك ما فيه وبه صلاح نظامك، وكمال قوامك، في كل مقامٍ بحسبه، وهذا الوجود المصلح واحد هو هو في كل موجودٍ ظهر بحكمه فيه، وإن كثرت نسبة الموجودات فرب كل موجودٍ وجوده هذا، وإن ظهر له كيف ظهر.

اسمع: ما من وجودٍ إلا وله قبولٌ وفعلٌ لازمان لوجوده فيما هو قابل هو عبدٌ، وبما هو فاعلٌ هو ربٌّ، في كل مقامٍ بحسبه، وما يقبل الرب التوبة عن عباده إلا بما هو قابل وبما هم فاعلون، فتسمَّى بالرب هنا باعتبار ما هو الفاعل، وتسمُّوا عبادًا باعتبار ما هم القابلون، ولما كان له المرتبتان تسمَّى بهذا وبهذا.

وقال بلسان ظهوره الفاعل من مظهر قابل استفعله بجهته الفاعلية، فانفعل بقابليته: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك» في صورة: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**[1]»؛ لأن الخطاب منه إليه كيف كان، والرب حقيقةً ليس إلا الرب، والعبد ليس إلا العبد، والوجود واحد ومراتبه لا تُحصى.

اسمع: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: 60] له معانٍ من جملتها: هل الإحسان إلا أن تُنزل من أحسنت إليه منزلتك في الإحسان، فيحسن إليك أيضًا جزاء على إحسانك إليه الأول، الذي عاملته فيه معاملة من هو الذي أحسن، وذلك هو إحسان الرب لعبده، وهو أبلغ الإحسان؛ لأنه الإحسان المسلسل الدائر الذي لا ينتهي أبدًا، يحسن فيوجب بإحسانه أن تحسن، فيحسن فيوجب بإحسانه أن تحسن هكذا سرمدًا.

اسمع: العقل صورة حكم حقيقة العلم، والروح صورة حكم حقيقة الحياة، والناطق صورة أحكام حقائق المعاني جميعًا.

اسمع: الأرواح التي هي الحقائق المدبرة للأجسام هي حقائق، ومبادئ تصويرها وتدبيرها وتقديرها، فوجودها لاهوتها بتدبيره، ومصورها بتصويره.

اسمع: الأجسام بموجوديتها القابلية المُسمَّاة بالهيولى قبولاً، وبالمادة اللاهوتية قابلاً، هي باستعدادها لتجلِّي الروح المفارق فيها كالمرايا، والمنطبع فيها بذلك التجلِّي هو النفس المتجسمة، والروح المجسدة الحالة في المدارك البشرية، وهي ظل الروح المفارق والمدد، أعني استمرار التجلِّي باقيًا ما دام مانع القبول منفيًّا، فإذا وقع المانع زال ذلك الظل بزوال التجلِّي، وذلك هو الموت، ومفارقة الروح للبدن، وذلك المانع تارة يكون من طبيعة الجسم فهو كالصدأ للمرآة، وتارة بأسبابٍ خارجية كالعوارض المانعة للتجلِّي في المرآة، فمن تصور أن المانع هو الموت جعل الموت وصفًا ثبوتيًّا، ومن تصوره انتفاء التجلِّي الحاصل بذلك المانع جعله عدميًّا.

اسمع: كما أن الهواء العنصري أخص الصور الاستقصية بالهواء المحيط، كذلك الآدمي الناطق فيه أخص الصور بقيومه الحق المبين.

اسمع: مهما اشتهاه الطفل وَجَدَه إدراكه في لبن مرضعه، كما يوجد كل مشتهى في

(1) تقدم تخريجه.

خبزة الأرض وهو نُزل أهل الجنة، وكل ذلك من الوجود المدرك إلى تمييزه إلى كشفه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ترديد مربيك لك بين الأحكام التي يُجريها عليك كمخض الإناء، فإن ظهرت زبدة فهي من حسن التدبير، وإن ظهر عكر فهو من الرسوب والإناء، ومخالطة الغير المباين.

اسمع: وفي سماء الخيال: ﴿رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22].

اسمع: لما كان اشتقاق الاسم لازمًا لقيام المعنى المشتق منه بالمُسمَّى لم يكن لكل أحدٍ عندك اسم إلا من حيث المعنى الذي ظهوره بحكمه فيه أظهر عندك من سِواه، فمن ثَمَّ كان شيئًا قابلاً ليس إلا، وإن كان له فعل، وتقول: القابل مؤثر في المقبول ظهوره وتعينه، ولا يؤثر إلا فاعل، ولكنك سميته باسم المعنى الذي ظهوره به عندك أظهر من غيره، وهكذا من كان ظهور معنى الفاعلية فيه أظهر عندك من سِواه، تسميه فاعلاً دائمًا وإن قبِل أمرًا، تقول: الفاعل يقبل عن القابل كونه فاعلاً بالفعل، ونحو هذا، ولا يفعل إلا فاعل، ولا يقبل إلا قابل، وإنما الحكم للغالب، وقِس على هذا كل ما هو من بابه من المتقابلات.

اسمع: ناطق الفرقان الربَّاني هو الحق، الذي بتمييزه وترتيبه يدبِّر الله الأمر، ويفصل الآيات، بل ويخلق سائر المخلوقات المحدودات في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الملائكة عند قومٍ عقول مفارقة، وعند قومٍ أرواح قائمة بالنفوس البشرية، وعند قومٍ نفوس الأفلاك، وعند قومٍ قوى الكائنات كلها بسيطها ومركبها، وكل حقٍّ فإنه من عند الله الحق المبين؛ إذ لا حكم إلا له فلا مبيِّن سواه، وهي صورة الأحكام الحكيمة في كل مقامٍ بحسبه؛ إذ ليس ثَمَّ إلا الوجود الذات، يتعين بأحكامه ليس إلا، فتارة ذاتًا، وتارة صفة ذات، وتارة صفة كمال، وتارة صفة فعل، وتارة حقيقة، وتارة لاحقًا من لواحق حقيقة، وتارة وهمًا، وتارة حقًّا، وهكذا يتفنن في أحكامٍ بها يتعين في كل مقامٍ بحسبه.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، هو حقيقة الكل، وهو المتعين بالكل حُكمًا ومعاملةً.

اسمع: كل صورةٍ حركيَّة فَلَكٌ، ومحرِّكها الذي هو مبدأ حركتها فيها مَلك، فالعالم

الحركي كله أفلاك محرّكها أملاك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الصلاة صلة بين العبد وربِّه في كل مقامٍ بحسبه، فيا أيُّها المريد تجريد همَّتك عن التعلُّق بالشهوات، والحظوظ النفسانية طهارتك، وحسن خدمتك قيامك، وصدق حبِّك نيَّتك، والحق المبين المتعين لك بناطق أستاذك متوجِّه قلبك، وصورة كون أستاذك قبلة حركتك، وشهود جلالة أستاذك في كل حالٍ لسان مناجاتك لربِّك بلسان ربك، **﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم﴾** [النور: 63].

فإن مناجاته بلسان العوائد عمدًا وغفلةً عن لسان المحامد مُبطل للصلاة، وعلى هذه الطريقة تأتي صلاة أهل الحقيقة، وربَّ صلاةٍ لا ركوع فيها ولا سجود؛ إنما هي مناجاة وشهود.

قال تعالى: **﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾** [الطور: 24].

اسمع: الوقوف مع حكم دون حكم تقيُّد في كل مقامٍ بحسبه، فلا وقفة في حكم المحقِّق مطلقًا.

اسمع: كل مقيَّد بمرتبةٍ، فإن إدراكه لا ينكشف إلا بما ينصبغ بصبغة قيده، ومن ثَمَّ من تقيَّد بالشيئية لا يدرك مدركًا إلا وهو في إدراكه شيء تحت صبغة قيده، قال هو سيدي ومولاي:

فَمَا لِي صِفَاتٌ بالذوَاتِ تَعَلَّقَت ... وَلاَ لِي ذَاتٌ فِي الوجُودِ استقَرَّت

وتَحْسبنِي الأَشْيَاء شيئًا ضَرورةً ... فشيئيةُ الأشياءِ حسب مَشِيئَتِي

ألا ترى أن المفارق لا يدرك إلا مفارقًا، والمادي إلا ماديًا؛ لأدراك الانفعالي صبغة ما تعلَّق به بفاعليته الملازمة لقابليته، بلزومها لوجوده.

اسمع: لا بُدَّ في التمييز المتباين من نفيٍ وإثباتٍ، ومنفي وثابت، وقابلهما ومبدئهما، فالقابل والمبدأ حينئذٍ لا ينبغي؛ لأنه مفهوم يعرض لَه التلبس بالمنفي، وكذلك الثابت، لكن قولك: لا كذا، نفيٌ، وذلك لا يضر فيما تقرَّر؛ إذ ذلك في العبارة لضيقها، ولأن المحكوم عليه به معروضه، والمعروض قبل العرض، فإن شِئت أن تُسمِّي هذا الحال تجرُّدًا أو عدمًا محضًا فسمِّه، فإن سميته تجرُّدًا وسمِّيت النفي عدمًا، والإثبات وجودًا، فالمورد لهما ليس في اصطلاحك عدمًا ولا وجودًا، وإن سميته عدمًا وتجرُّدًا فالتعين إنما يرد على المجرد ويقوم به، ويكون الوجود بهذا المعنى واردًا على

العدم، وحاصلاً فيه، فهو إن سميته نقيضه نقيض في نقيضٍ، وإن لم تسمِّه نقيضًا لتحققه معه فلا، فالأمر في ذلك دائرٌ مع اصطلاحك، فالحكيم يخاطب كلا بلسانه، كما يعامله بكيله وميزانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4]، والذي قومه كل الأمم نطق لهم بجوامع الكلم المناسب لهم، فافهم.

اسمع: الاجتماع المحال بين الضدين والمثلين عند الفيلسوف هو اتحاد جهة إدراكهما، بحيث تكون عين الإشارة إلى أحدهما هي عين الإشارة إلى الآخر.

اسمع: أنت تدخل السخن على البارد فيمتزجا، فتقول: أنشأت كيفية أخرى تُسمَّى الفتور، لا هي الحرارة ولا البرودة، هذا وهمٌ أو علمٌ؟

وتدخل الصبغ الأحمر على الصبغ الأزرق فتقول: أنشأت كيفية أخرى سواهما، هذا وهمٌ أو علمٌ؟ حدِّق وانظر ماذا ترى؟.

اسمع: ما لك وللتكلف؟ إنما هو الوجود الذات يحكم ويتعين بمحكومه، ولا حكم إلا له، ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: 41]، فالكل حقٌّ، وتفرغ في مراتب كمالك عن فكرك وجدالك.

شعر:

بَسَى مِنْ همومِ وَأَوْهَامِ تقبض الخَاطِر
وَبِاللهِ نَقُومُ فِي البَاطِنِ وفِي الظَّاهِر
مَنْ رَآنِي يَدُومُ فِي سِرِّ الهنَا حَاضِر
فَحَالِي كَمَالُ مَا هُوَ شَيءٌ يُقَال
جميعُ الجمالِ مَنْظُومٌ فِي نِظَامِ سَعْدِي

اسمع: الفاعل له قبول أن يفعل، والقابل له فعل أن يفعل، والأول له تحقيق المفعول في نفسه، والثاني له تعيينه في نفسه، والوجود الإلهي سار في الجملة بحكمه هو الله الرحمن الرحيم، فالرحمن وجود المراتب الفاعلة، والرحيم وجود المراتب القابلة، والله وجود الكل في الدائرة الإلهية.

اسمع: صورة كل حكم وجودي مستوى صاحبه وعينه في دائرة الإمكان، والعقل والروح مستوى الرحمن، والنفس والطبيعة مستوى الرحيم، والناطق المدرك العليم الحكيم المعبر عنه بالإنسان الآدمي الكامل مستوى الله، والاسم عين المُسمَّى، فهذا هو

اسم الله الرحمن الرحيم الذي به كل حكمٍ حكيم في دائرة العيان، وفي دائرة البيان، لا يضر معه شيء فكيف يضره.

من وجده وجد كل ما يسره، هو القائل لمريده: إن حصُلت لك حصل لك كل شيءٍ، والمستعد مريد المدد في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أنت لا تطلب إلا ما تشعر به، فالحاصل في غيب التجرُّد هو المطلوب تعينه في شهادة التقيُّد، وفي الحقيقة هو الذي طلب تعين نفسه بنفسك في كل مقامٍ بحسبه، فالحصول الحقيقي قبل طلب الحصول الظلي.

اسمع: الطالب محمولٌ في بداية طلبه بلذة وجد الحقيقة من حيث هو عنه غيب، وفي آخره من حيث شعوره بقرب حصول المطلوب، وفيما بينهما قد يقع التعب سيما إذا طال السلوك، ورجع السالك من سكرة لذته قليلاً.

اسمع: كل مرتبةٍ تأتي بشأنها فتصبغ به صاحبها فهو وقته الحاضر، وما قبله أو بعده عنه غيب فيه وبه، في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثَمَّ لم يشعر الكائن بكون حاضر بما كان به، أو يكون في كون بعده ولا قبله، والحاصل في مرتبة النوم يغيب عنه ما هو به في مرتبة اليقظة وعكسه، وقس على هذا، فالحكم للوقت، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: إذا قلت أن اختيار الحق مرجح مختاره ترجيحًا يستلزم حصوله، فقيل لك: فاختياره واقعٌ باختياره فيتسلسل، أو بإيجابه فالحصول إيجابي.

وإن سميته اختيارًا فقل: الشيء لا يتعلَّق بنفسه، فلا يُقال: إن اختياره واقعٌ باختياره، ولا بضده، والاختيار ضد الإيجاب، فلا يُقال: إن اختياره بإيجابه.

اسمع: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، فلو أكل شخص أشخاصًا، وابتنى منها بدنه بنية غذائية، ثم مات قبل تحليلها منه، فإن الكل يعودون ويعود هو أيضًا على صورته التي بدأ عليها قبل أن يتغذى بشيءٍ أصلاً، وكذلك هم كما قال الحق تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، ولم يقل: كما تكونون بأغذيتكم تعودون.

وقوله تعالى: ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾ [يس: 79]، دال على عودة الحياة للأجسام، وعلى أن العظام تحلها الحياة دلالة ظاهرة لا نصية، وإنما بدءوا ذرًّا، فكل ذرةٍ هي للشخص الكائن عنها، كالحبة المخلفة ساقًا بعد ساقٍ، وهي المُسمَّاة بالنفس عند قومٍ،

وبالعُجب الذي لا يبلى عند قومٍ، وإذا ظهر لك هذا لم تقل بما يستحيله مستحيل عود المعدوم، ولا بما يقوله منكر بعث الأجسام، وأنت ترى الشجرة كيف تموت في الشتاء، وذلك بانقطاع مدد حبتها عنها بموانع حكم الوقت، وتحيا في الربيع باتصال مددها بها عند زوال تلك الموانع، هذا مع بقاء رسمها قائمًا، فإن تحلل خلفت الحبة الباقية بدلها.

اسمع: جاء في خبر المناجاة المحمدية: «**أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة**[1]».

النور مبدأ الكشف والبيان، والتميز في كل مقامٍ بحسبه، فالوجود نور موجوداته، والعلم نور معلوماته، والعقل نور معقولاته، والتعين نور المتعين، والإدراك نور مدركاته، وقِسْ على هذا إلى نور الكواكب والسرج، وكل ما يُسمَّى نورًا، والنور الحكيم هو وجه الرب الذي ملأ أركان عرشه، وصلح عليه وعلى نوره الذي هو معنى الفرقان، ومبدأ أحكامه منه أمر الدنيا والآخرة والبرزخ المذكورات في ألسنة الرب الديان.

اسمع: إذا قلت: إن حركات الأفلاك مثلاً لا نهاية لها في نفسها، فاعتُرض عليك بأن دورات بعضها ربع دورات بعض، ونحو هذا، فقل: قياس بعضها إلى بعضٍ، بل وعدد الدورات، بل والحكم بانتهاء الحركة إلى حد تكون به دورة، إنما هو أمرٌ اعتباريٌّ مبدؤه الاعتبار، فإن حصل تناه فهو في هذا لا في وجود الحركة التي قلت أنها لا نهاية لها، وقِسْ على هذا.

اسمع: لا يتعلَّق الإدراك إلا بما مبدؤه الوجود المدرك، فهو محققه ومميزه بفاعليته الوجودية، وقابله وكاشفه بانفعاليته، فأيما موجودٍ حصل في مرتبةٍ فإن المتعلقات الإدراكية تظهر في إدراكه عن وجوده المدرك بحسب مناسبة فاعليته وقابليته، وانفعالية خاصيته المرتبية، فيدركها وتكون هي له بحسب حكمه، فإذا فارق تلك المرتبة، وبُدل سواها فارق متعلقات إدراكه من حيث ما هي منصبغة بالحكم الأول، وبُدل ما هو منصبغ بحكم الثانية، والثانية وإن كانت هي الأولى بالحقيقة إلا أنها سواها بالصورة الصبغية المرتبية، فلهذا جاء: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48].

(1) رواه ابن عدي في الكامل (111/6).

يعني في حق من فارق دنياه، ودخل في برزخه، فبُدِّل بأرض برزخه وسمائه غير أرض دنياه وسمائها أو عكسه، أو خرج من برزخه إلى آخرته، فتبدلت أرض برزخه وسمائها بأرض آخرته وسمائها، كما يخرج من اليقظة إلى المنام، فتتبدل أرض يقظته وسمائها بأرض منامه وسمائها وعكسه، وذلك خاصٌ بالمنتقل لا يتعدَّى إلى من لم ينتقل، فمن مات أو وُلد مثلاً يُبدَّل أرض وسماء غير التي كانت له، وإن كان من لم يمت أو هو جنينًا بعد لم يُولد سماؤه وأرضه باقية عليه مثلما كانت للمنتقل عنها بالموت أو الولادة، وقِسْ على هذا، كما تُبدَّل في حق من نام دون المستيقظين وعكسه، وقِسْ على هذا، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج:40]، ﴿عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُون * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى﴾ [الواقعة:61، 62]، حتى التي تسمونها أزلية: ﴿فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: 62].

اسمع: لا يتعلَّق الاختيار إلا بالترتيب، فهو القلم ووجوده هو المقدم المؤخر في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: من قال لك: إن الآخرة تغير النصبة الفلكية إلى نصبة تقترن بها أسباب الدوام، ويكون العالم حينئذٍ قطران: قطرٌ معمورٌ بما وصفت به الجنة للناس من قصورٍ وأنهارٍ وحورٍ وأشجارٍ، وغير ذلك من الشهوات، وقطرٌ بضد ذلك، فلا تكذبه ولا تكذب أحدًا فيما لا يخرج عندك نظام حكمة ربك، فإن كلاً من عند الله، ولكن قل له: فهذه جنةٌ من جانب الفكر، فأين التي عرضها السموات والأرض؟.

اسمع: من ظهر فيه أمرٌ حكيمٌ، فإنما ظهر به فيه وجوده الإلهي، فلا يظهر بأمرٍ حكيمٍ إلا الله في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: من ظهر الله فيه بالانفراد بالغلبة فقد ظهر فيه بالواحد القهار في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: من زالت عنه موانع إدراكه لشيءٍ بمعنى ظهر، ومن لا فلا.

اسمع: من عاند الواحد القهَّار قهره في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: قال هو سيدي ومولاي: (سلم لفرسان الحي تسلم من المحارب)؛ لأن الوجود كله يجب أن يكون واحدًا قهارًا، فلا يقبل بمعنى يرضى في مرتبةٍ من مراتبه من باقي المراتب، إلا الإسلام له سيما في مراتب العقول الاختيارية:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85]، بمعنى يرضى منه.

اسمع: العرف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقيق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: قال هو سيدي ومولاي:

إِذَا جَاءَكَ اسمُ اللهِ فِي أَيِّ صورةٍ فَكُنْ شَاهد الإِطْلاَق فِي عينِ حضرة

اسمع: الاسم عين المُسمَّى في كل مقامٍ بحسبه، فالمفاهيم أسماء شهودية، وما صدّقها في موضوعها أسماء وجودية، فالوجود الإلهي هو عين الوجود المتصف به تعيينًا في الذهن شهودًا، وفي الخارج وجودًا، فهو اسمه المُسمَّى بالتسامي، واسمه المتسمَّى بالتسمية التي هي في اللغة العربية (الله) بالأول.

مثال: هذا زيد العالم، هو عين لزيد المطلق في الذهن وفي الخارج، فبما هو عينه في الخارج هو مُسمَّى عينه في الذهن، وهو بعينه في الذهن تثنية المسمَّى بالتسمية اللفظية الموضوعة له، وما من وجودٍ إلا والوجود الإلهي وجوده من حيث لاهوتيته في حقه وحق من تأله عليه بحقٍ، والتأله هو القيام بالحكمة في كل مقامٍ بحسبه، فإذا ظهر لك وجود صورة فيها بذلك فقد جاءك اسم الله في تلك الصورة، وقس على هذا باقي الأسماء.

اسمع: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ المُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: 29]: أي أنت القائل: ﴿وَأَنَا خَيْرُ المُنزِلِينَ﴾ [يوسف: 59].

فتحجب عن نفسه في مظهره النوحي، وتجلّى لنفسه في مظهره اليوسفي، وقدَّم ضمير الفصل في الموضعين لبيان الاختصاص المستلزم للوحدة، ولما بطن نوح في يوسف ظهر يوسف في الكشف المحمدي، المعبر عنه بالإسراء في السماء الثالثة، التي هي دائرة حكم روح الأمر المتنزل بخير المنزلين في النطق الربَّاني الدياني، المتعين بنوح ويوسف، وغاب عنه نوح، فلم يذكره في أصحاب السموات باسمه نوح، ولكن باسمه يوسف، وهكذا داود شددنا ملكه جزاء بما شد في صورته الهارونية عضد أخيه موسى، فداود بهارون، وسليمان بإدريس، القائم بفلك الشمس المردودة عليه في مظهره السليماني، ويوشع ثالثهما، وعلي مستقرهم، ولذلك ذكر في الإسراء آدم وعيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم، يريد النواطق الربَّانية الديانية، أولي العزم من الرسل السبعة القائمة بها أرواح الأمر السمائية السبعة المقول عنها، ﴿أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: 12].

من حيث وجودها الربَّاني الدياني، وهم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى، وهذا ترتيبهم الزمني، وذلك بحسب الاستعدادات الزمانية، ولو ترتب الاستعداد على ترتيبهم السمائي لجاء إبراهيم أولاً، ثم موسى، ثم داود، ثم سليمان، ثم نوح، ثم عيسى، ثم آدم، أو عكسه، وأما روح الفلك الثامن فبالناطق المحمدي في ختمه النبوي، وروح الفلك التاسع به في ختميته الولاية، وحاله منشد في إحاطيته، وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا.

اسمع: إذا شهدت أن واجب الوجود لذاته يستلزم معان هي المبادئ الأولى للممكنات جميعًا، وتلك المعاني إما قوى، أو كالقوى له، أو هي مفاهيم له باعتبارات اقتضائه، فنقول: هو يقتضي لنفسه أن يكشف ويميز، فهو بذلك علم ذاته عالم به، وما هو عالم إلا بذاته، وهو يقتضي لنفسه أن يدرك ويفعل، أعني أن يكون له ذلك، فهو حياة ذاته حيٌّ بها، وما هو حيٌّ إلا بذاته، وهو يقتضي لنفسه أن يخصص مرادًا بمرادٍ، ومعلومًا بمعلومٍ، تخصيصًا كشفيًا، فهو كلام ذاته متكلمًا به، وما هو متكلم إلا بذاته، وهو يقتضي لنفسه تخصيص أمر بأمرٍ تخصيصًا إدراكيًا في الفعل، فهو قدرة ذاته قادرٌ بها، وما قادر إلا بذاته، وهو يقتضي لنفسه تخصيص كلمة بأمرٍ تخصيصًا فعليًا في الإدراك، فهو سمع ذاته به سميع، وما سميع إلا بذاته، وهو يقتضي لنفسه تخصيصًا

مقدورًا، وأمرًا بأمرٍ، يشخصه تشخيصًا عقليًا في الإدراك، فهو بصر ذاته بصير به، وما هو بصيرٌ إلا بذاته، وقِسْ على هذا.

وقلت: إنه باقتضائه الفعلي المقابل للانفعال قام معلومًا من نفسه في كونه ذوات هذه المعاني، صورة قائمة بنفسها بهذا المعلوم من حيث أنه معلومٌ، والواجب من نفسه لا تزيد عليه حقيقة، هو الرحمن والمثل الأعلى في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم من حيث تميزه بالإمكان لموضع العلم الفعلي به بما هو فعلي، فقام به، هو الإنسان الحقيقي المعبر عنه بالعقل الأولي، والروح الأكبر، والمثل الأعلى في السموات والأرض، ونحو هذا، وهكذا معلوماته من مفاهيمه، هذه هي قواه الواجبة برحمانيتها، وهي العقول والأرواح المجردة الممكنة بإنسانيتها، فالدائرة الإنسانية شهادة الرحمن، والرحمن غيب الإنسان، والله ذات الغيب، والشهادة بالحقيقة، والغيوب بشهاداتها تقبل التمثل والتلون، وسائر الأمور التي تنزلت عنها في تميزاتها الفرقانية بما هي تجليات باطنة الرحمن، وبكيانه ينكشف باطن الأعيان، وما من عين كان حينئذٍ إلا وله باطنٌ، هو واجبه وحقه، وفاعله وظاهره، هو ممكنه وخلقه، وقابله وحقيقته وسطيته.

فقل حينئذٍ أن الصورة المُسمَّاة بـ«الجسم الكلي» تمثَّلت بها القوة التي اقتضتها من العقل الكلي، وهي القوة المُسمَّاة بالنفس الكلية، وظهرت فيها بحكمها مع غلبة الحكم الرحماني عليها، وتمثَّلت في الاستعداد الكائن منها بمنزلة الرأس والوجه بالفلك المُسمَّى المكوكب، وظهرت فيه بحكمها مع غلبة الحكم الإنساني عليها، فكان الأول أطلسًا، ولغيبية الحكم الغالب عليه صارت أعيانه غيبية، وهو سبع دوائر غيبية، والثاني مكوكبًا، ولشهادية الحكم الغالب عليه صارت أعيانه عينية، وهو سبع دوائر عينية، لكن إجمالها بما هو من الصورة الإحاطية، وتمثَّلت في الاستعدادات المرتبية من هذا، كترتب أعضاء الآدمي بعضها على بعضٍ بصور أقوية باقي المعاني كذلك، تمثلاً تفصيليًا عينيًا بسيطًا، وهي السبع الطباق الموحي في كل واحدةٍ منها أمرها، وتمثَّلت بسبع طرائق لها هي أمور تفصيلية تركيبية: أي من شأنها التركب كما من شأن الطباق البساطة، فكان للكل نَفْس واحدة، وعقل واحد بالحقيقة، كما هو شخصٌ واحدٌ كذلك، وكان تسعة أفلاك، أو دوائر فلكية تفصيلية وإجمالية، كما تقدَّم، ولكلٍّ منها نفس وعقل

يخصَّه باعتبارات اختصاصات الظهورات الحكمية المناسبة لتلك المراتب الاستعدادية، وكان فلك العناصر المُسمَّى بدائرة الكون والفساد، وهذا الفلك هو السموات الدنى، كالصلب فعالية، وكالرحم انفعالية لمقتضيات هذه الحقائق، ولما كان التوليد بخاصية التدريج، والنشء لم يكن أول الصور الحاصلة فيه، إلا ذرةً وجوهرًا فردًا يقبل النشء، دنس ذلك بتمثله بما في قوته إلى الفعل، فهذه الذرات هي النفوس الجسمانية من المتولدات.

ولما كانت دائرة التولد آخر الدوائر كانت مستقر آثار ما فوقها جميعًا، فما من ذرةٍ إلا وهي صورة إجمالية لسائر الحقائق بحسب خاصيتها المرتبية والاستعدادية، فهذه النفس الذرية هي بداية الكائن العنصري، فكيفما تكرَّر في مثالاته النشئية وتخصيصها بكمال كون ونهاية نشء، هو المعبر عنه بـ(كن)، فالكاف كمال كونها، والنون نهاية نشأتها.

وقد علمت أن الواجب حقيقة الأصول بالحقيقة، والأصول حقائق الفروع بالحقيقة، وحقيقة الحقيقة حقيقة، فهو الوجود الموجد لكل موجودٍ بما قد سمعته، وهو غيب كل شيءٍ، وكل شيءٍ عينه بالحقيقة برحمانه، وبالصورة بإنسانه، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] (قيوم السموات والأرض).

اسمع: أحسن تقويم هو الرحمة الرحمانية بما هو مبدأ الحكمة، وهو الحكمة الرحيمية بما هو مبدأ ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام، في كل مقامٍ بحسبه، وما من كائنٍ إلا وهو مكونه بتقويمه؛ لأنه منه كما قد سمعت، فلا ذرة فما فوقها إلا وهي صورة الكل من الحيثية التي تعيَّن وجود الكل بها منها، ولما كان الفعل بعد التصور، والتصور هو التعين بالصورة تمييزًا، كان المفعول صورة فاعلة في التصوير، كما هو صورته في التصور، فالبيت مثلاً هو صورة بانيه في دائرة تصويره له، كما هو صورته في دائرة تصوره له، وما هو فاعله تصويرًا إلا بما هو متصور به تصورًا، ومن حيث أن الواقع تصويرًا مثال الواقع تصورًا في التخيل، تسمَّى الفاعل متمثلاً بمفعوله في كل مقامٍ بحسبه، فلا يُطلب أثرًا بعد عينٍ، قال هو سيدي ومولاي:

فَــلاَ ممكِــن إِلاَّ وَفِــيْهِ وُجــوْبِه وَفِـي كُـلِّ خَـلاقٍ لمخْلُـوقِهِ خَلْـقُ

فغيبه حق فاعل، وكونه خلق مفعول، والثاني من الأول، كما قد سمعت خبر

الذرات العنصرية، وتطورها في المقادير النشئية، فإذا تطورت بطورٍ كان كل جزءٍ منه بتجزئة الوهم، جوهرًا فردًا وذرةً مستقلةً في الخيال متى تحلل، فإذا استعدت للاستقلال بأنفسها مفردة، فذلك سبب التحلل، وتقوم صورًا فلكية قواها الحافظة لها أملاكها: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4].

واعلم أن كل صورةٍ حركية بأي حركةٍ كانت من أنواع الحركات، فإنها فلكٌ، وقوتها المحركة الحافظة لها ملكٌ، وما يمسك الكل إلا الرحمن بالإنسان: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: 19].

ولما كانت دائرة القدرة قائمة في الفعل بالإدراك لم يكن ثَمَّ مقدور إلا وله إدراك، بحسب استعداد مرتبته الفعلية.

والإدراك أربع مراتب:

المرتبة الأولى: تعقُّل، وهو صبغة التجرُّد فيما تعلَّق به، فله السرمدية في كشفه، وانكشاف نظامه؛ لزوال موانع ذلك مع التجرد عن قيود المقادير الشخصية وإن حصل تشخص.

المرتبة الثانية: تخيُّل، وهو صبغة التشخص الذي لا يتدرج، فهو مفارق للفساد بعدم التدرج، وإن تقيدت مقاديره بقيودها الشخصية.

والمرتبة الثالثة: توهُّم، وهو صبغة وقوع النسب والروابط موقع الصور والحقائق في التأثير، بل وجعلها صورًا وحقائق في الخيال، وجميع الأمور الاجتماعية التي تُسمَّى صورًا، وحقائق كالجسم والعقل فهذه هي.

والمرتبة الرابعة: إحساس، وهو صبغة التشخص المتدرج وإن استمرَّ.

والتعقل والتوهم مرتبتان فاعليتان، والتخيل والإحساس انفعاليتان بها، والأوليان للتمييز، والثانيتان للكشف، وموجودات دائرة الأطلس ليس في استعدادها أن يكون الغالب من مراتب إدراكها، والحاكم على ما دونه منها إلا التعقل، وموجودات دائرة المكوكب ليس في استعدادها أن يكون الغالب الحاكم من مراتب إدراكها إلا التوهُّم، وموجودات دائرة السموات مع التعقل والتوهم في غلبة التخيل، وموجودات دائرة الكون والفساد مع ذلك في غلبة الإحساس.

وقد عبَّر لسان الشرع المحمَّدي في بيانه الكياني الحكيم عن الدائرة الأولى

بالسموات العُلى، والثانية بالسموات الطباق، والثالثة بالسموات الطرائق، والرابعة بالسموات الدنى، وسُمِّيت بذلك طباقًا؛ لأنها دائرة الأشخاص المفارقة لمادة الكون والفساد التي بمطابقة الأشخاص المادية لها تعرف مراتبها النوعية.

وهذه أربع دوائر كل دائرةٍ سبع دوائر عُلى، وسبع طباق، وسبع دنى، وسبع طرائق، تلك ثمانية وعشرون حرفًا، ومرتبة تمثلها كلمات، وهذه الطرائق قواها تطرق الدنى بآثارها، فتتولَّد فيها، وتكون عنها متولدات، فتلك آباء وهذه أمهات، والكائنات عنهما أولاد، وهم باستعداداتهم الانفعالية في كفالة أمهاتهم، وباستعداداتهم الفاعلية في كفاية آبائهم، والحكم لمن غلب، واللوح لمن كتب، والذرة التي استعدادها الحاضر لا يقبل ظهور الإدراك فيه إلا مع غلبة إحساسه؛ لتخيله الاختياري، وإمداده إياه بحيث أن صاحب هذا الاستعداد ما دام مقيدًا به، لا يتخيل تخيلاً اختياريًّا إلا ما هو، أو أصله من دائرة إحساسه، فمهما أحسه تخيله بلا عكسٍ، فهذا الاستعداد هو الصورة المُسمَّاة في الألسنة الربَّانية بالدنيا، وهذا الإدراك هو حقيقة الدنيا، وما دامت هذه الذرة مقيدة بهذا الاستعداد فهي في الدنيا، فإذا انطلقت منه خرجت من الدنيا، والاستعداد الذي يقبل ظهور الإدراك فيه إلا مع غلبة تخيله على إحساسه الاختياري عكس الدنيوي، فصاحبه مهما تخيله أحَسه بلا عكسٍ، فهذه الاستعدادات هي الصورة المُسمَّاة بالبرزخ، وهذا الإدراك حقيقة البرزخ، فما دامت هذه الذرة مقيدة به، وهو استعدادها الحاضر، فهي في البرزخ، فإذا انطلقت منه خرجت من البرزخ، والاستعداد الذي لا يقبل ظهور الإدراك فيه إلا مع تلازم التخيل والإحساس، وتقاومهما في الغلبة والإمداد بحيث يكون صاحبه مهما تخيله أحسه، ومهما أحسه تخيله، فيكون انكشاف مدركاته الشخصية له دائمًا لموضع هذا الكشف المتلازم المتقاوم، فهذا الاستعداد هو الصورة بالآخرة، وهذا الإدراك هو حقيقة الآخرة، وما دامت النفس الذرية مقيدة بحكم هذا الاستعداد فهو في الآخرة، فإذا انطلقت منه خرجت من الآخرة إلى ما ينتقل استعدادها إليه من المراتب القابلية، إلا أن دوامه يمنع من خروجها عنه إلى دائرة التجرد.

وحقيقة الجنة ملكة خيالية من الروح الحكيم، تتحقق بالنفس المدركة تحقق العقل المستفاد بالهيولاني، فيكون به عقلاً بالفعل، فإذا تمَّ تحقق هذه الملكة بالنفس، اقتضت لها إدراك كل ما تعلق إدراكها به حسنًا مرضيًّا مناسبًا لها، موافقا لاختيارها من جميع

جهاته، وذلك هو النعيم، وفي الآخرة مقيم، وحقيقة النار المقابلة لهذه الجنة ملكة خيالية من الوهم البهيم، تتحقق بالنفس المدركة، فتقتضي لها ضد ما اقتضته حقيقة الجنة لمحلها، وذلك هو العذاب الأليم، فالرضا نعيمٌ، والسخط جحيمٌ.

ولما كان التحقُّق الروحاني له الثبوت الخيالي العلمي لم تزل هذه الملكة عمن تحقق بها، ولم تخرج أهل الجنة من جنتهم، وإن حصل لهم ما هو أعلى منها، كما لا يُنتقض المعلوم بالبرهان، وإن حصل علم وجداني أعلى منه؛ لأن نسبة الكسب إلى الوجد نسبة ضوء النار المضرمة إلى ضوء الشمس المضحية، ولما كان الوهم بخلاف ذلك كان زواله عمن تحقق به ممكنًا، فكان خروج الجهنميين من جهنمهم ممكنًا وواقعًا إن شاء الله.

كما يخرج الجاهل من جهله بالعلم، وليس للجهل على محل العلم سبيل.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: 18]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾ [الحج: 62].

اسمع: إن كان تغير النصبات الفلكية تبديلاً يصدق به تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فلا يدل قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [هود: 107] إلا على خلودهم، ما دامت النصبة التي حصل دخولهم فيها باقية، وذلك لا يستلزم عدم التغير؛ لإمكان تغير النصبة، وقد يرد معنى التأييد في قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ [الأحزاب: 65] إلى مدة تلك النصبة، لكن أمر الآخرة كما سمعت فيما تقدَّم من لسان الوجد الحقي، واليقين الصدقي، ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ المُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: 60].

اسمع: نواطق أولي العزم وهم المتسمون في دائرة تشريعهم بآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد جامعهم، وصاحب فتحهم وختمهم، وفي دائرة تحقيقهم وجمعهم، بأصحاب الأزمنة المحمدية، هم مظاهر معاني الواجب القائمة بأرواح الأمر السمائي، ففي ظهورها النبوي التشريعي ظهور بحكم إنسانيتها الإمكانية، وفي ولايتها التحقيقية ظهور بحكم رحمانيتها الوجوبية، وعينها الولائي المقول فيه: أنه وارث أمرها النبوي، ومبعوث على قلبه عند ملاحظة التغاير النسبي، كما جاء: «العلماء ورثة الأنبياء[1]».

---

(1) رواه أبو داود (317/3)، والترمذي (48/5).

«**يبعث الله كل وليٍّ على قلب نبي**[1]»؛ لأنه يأتي بحكم باطنه الرحماني، ولما كانا عينا حقيقة واحدة، وفرقانهم فيها واحد بالحقيقة جاء: «**علماء أمتي كأنبياء سائر الأمم**[2]».

وهؤلاء الأولياء هم المقول عنهم: «**يبعث الله على رأس كل مائة سنة رجلاً يجدد به هذا الأمر**[3]»، وما كان لموروثه شرعة فهو له منهاج.

كما قال: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً**﴾ [المائدة: 48]: أي بما هو نبيٌّ، ومنهاجًا: أي بما هو وليٌّ، ولما كانت الكلمة مظهر معناها وعينه في البيان عبَّر بعض العارفين عن مظهر كل من هؤلاء، وعينه البياني الرحماني بكلمةٍ.

فقال: فص حكمة: أي بيان حكمة كذا في كلمة نوحية مثلاً: أي في عين نوح البياني الرحماني، فكأنه قال: الحكمة الرحمانية التي أوضحها هذا الولي الذي هو على قلب هذا النبي، الذي كانت هذه الحكمة الجمعية باطنة في حكمه الفرقاني.

وفي تعبيره بالفص إشارة إلى أن هذه الأعيان الولائية ختامات تعيناتهم، ولأنهم في زمن الختم.

اسمع: الأدب شهود العظمة في كل شيءٍ بحسبه، شهودًا يستلزم معاملة مشهوده على شاكلته.

اسمع: ﴿**بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُن**﴾ [الزمر: 66]، الأول بحكمه طريق الثاني؛ لأن المحبة طريق تحقق المحب بمحبوبه، والمراد بالتحقق في مثل هذا المقام غلبة ظهور المقبول على القابل عينًا وأثرًا، ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: 99]: أي تأت حقيقتك.

اسمع: المحسوسات أفلاك، والحواس أملاكها المحركة لها في انكشافها للحس مرة بعد أخرى، قال هو سيدي ومولاي:

أَفْلاكُه المحسُوس بَل أمْلاكُه ... إحساسه للضبطِ حِيْنَ يكرر

وكل جسمٍ حركي، أو نفس جسم حركي لها فيه حركة جزئية، بأي حركةٍ كانت، هو

---

(1) لم أقف عليه.

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (384/4)، والقاري في المصنوع (123/1).

(3) تقدم.

فلك من حيث هو حركي وملكه، هي القوة المحركة في كل مقامٍ بحسبه.

وصور الأحكام الحكمية الربَّانية التي هي مبادئ حركة الأجسام، ونفوسها العبدانية في العبادات هي ملكة نورانية ربَّانية، وإنما هي من نور البيان الفرقاني، وجميع الصور الخيالية والتعلقية والتوهمية التي هي مبادئ الحركات الجسمانية المحسوسة، وأنفسها ملائكة، فلكيات تلك الأجسام والنفوس في كل مقامٍ بحسبه، حتى الصور الحرفية الفلكية في المواد الهوائية النفسية، تحركها في المراتب النطقية، فتنزل بتلك الحركات على مدارك السامعين لما في ضمائر الناطقين هي أملاكٌ في أفلاكٍ.

اسمع: أملاك الأشعة التي هي نفوس جسمانيات الذرات الهبائية كلها على الصور الآدمية في إدراكها، وإن اختلفت أشكالها، ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ [الأنعام: 38].

اسمع: إنما هي النفس المدركة الآدمية تتصور بصور تصوراتها في كل مقامٍ بحسبه، حدي مقيد لا مكاني بحسبه، فما هذه الصور العالمية كلها إلا صورها، ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ**﴾ [الانفطار: 8]، قيومها الوجودي الرحماني المقوم لها بعينه الإنساني أحسن تقويم، قوَّمها وركَّبها، وأصلها ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء: 1].

اسمع: الأرواح تظهر بالصور والأشباح التي هي في المواد الجسمانية أجساد، تكون بها تلك المواد أجسامًا على طريقة التمثل والتولد، واقع في تكون الأجسام لا في ظهور الأرواح، فالأرواح باقية، والأجسام متحللة متركبة، والدور بمعنى التكرار إتيان الروح في زمنٍ بحكم مرتبة ظهرت بها في زمنٍ قبله.

اسمع: لولا اختلاف الهيئات المحسوسة، وتقيد الإدراك ما فرَّ أحدٌ من أخيه وأمه، ولا أنكر معارفه عند إتيانهم بحكم الأدوار.

اسمع: من خلص إدراكه من حكم اختلاف الظواهر أدرك بواطنها، فلم ينكر معروفًا وإن اختلفت أطواره، ولم ينافر مألوفًا وإن طالت أدواره.

اسمع: الأرواح قد تتعلَّق بالصور الجسمانية، فتظهر بها استقلالاً، وقد ترد على ما هي كذلك، فتتعلق بها كما تعلقت تلك بتلك الصور، فتظهر هذه أمرها فيما وردت عليه ظهورًا نفسانيًا، وتظهره ملك النفس بالجسم الذي هي متعلقه به ظهورًا جسمانيًا.

من هنا يظهر لك جمع الأرواح الكثيرة في الشخص الواحد، فإنك لا تنكر اجتماع

القوى الكثيرة فيه، ومن ثَمَّ قال السيد الكامل لأصحابه:

«**إخواني قومٌ يأتون بعدكم، للعامل منهم أجر سبعين منكم**[1]»، ذلك بأن يقوم بكل منهم سبعون من تلك الأرواح الصحابية، ﴿**وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 261].

اسمع: رأيت ليلة الجمعة ثالث عشرين جمادى الأولى سنة تاريخه روح أبي الحسين بن المواز، الشهير بابن الحوت، قدَّس الله تعالى سرَّه وسرّ غلمان هذا البيت الشريف أجمعين، متعلقة في نظام روحانية سيدي أبي القاسم ولدي، كما رأيت قبل ذلك روح أبي بكر محمد بن ريمون قدَّس الله تعالى سرَّه وأسرارهم أجمعين، متعلقة بنظام روحانية ولدي أبي الوفا، وروح سيدتي الكبيرة قدَّس الله سرَّها العزيز متعلقة بسيدتي حسنى بنتي، وروح الأستاذ أبي الحسن الشاذلي قدَّس الله سرَّه العزيز كانت متعلقة بي، ثم ظهرت عني في الروحانية التي ظهرت بها صورة ولي سيدي أبي الحسن، ورأيت سيدي أبا العباس أخي روح سيدي زين الدين أخي متعلقة بسيدي أبي الظاهر ولدي، قدَّس الله أسرارهم العزيزة أجمعين.

اسمع: الجنة والنار الجسمانيين ليس إلا في نظام الوهم البشري.

اسمع: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

المثل مظهر المتمثل الذي إذا ظهر به سُمِّي ممثلاً في كل مقامٍ بحسبه، ونور كل شيءٍ تعينه الذي به يظهر ويتبيَّن وينكشف في المدارك متميزًا، وإذا تمثَّل فاعل بقابل فهو عند شاهد ذاته الوجودية متعين بها، ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ**﴾ [النور: 35].

وعند شاهد المثلية والمغايرة متبين بمثاله، ﴿**يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ [النور: 35]، وهم الخواص المقرَّبون، ﴿**وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ**﴾ [النور: 35] للعموم: أي يبين.

﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً**﴾ [الزخرف: 57]: أي بين وهو في الحقيقة عين.

﴿**أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ [الحج: 73]: أي وأطيعوه، وهو مظهر الحق

(1) رواه ابن عدي في الكامل (466/6) بنحوه.

المبين الهادي في الوقت.

اسمع: ثم من وليه ملك أو ملائكة أو روح؛ لأن ذلك مبدأ حركته، وثم من وليه الله رب الملائكة والروح؛ لأنه حركته؛ إذ لا يحركه إلا وجوده الإلهي، فانظر ما بينهما.

اسمع: قيامك بالله أزلية، وقيامك بالمراتب السببية حدود، فليس في الأزلية غير: «**كان الله ولم يكن**»، بالنسبة إلى هذا القابل، «**شيءٌ غيره**»[1]، وإنما يكون غيره بالنسبة إلى المقيدين الإدراك بأحكام حدود الحدوث.

مَوْلاَي عبدك فِي المحبَّةِ لـم أزل أبَدًا عَلَى مَا قَدْ عهدت مِنَ الأزلِ

لا غير ولا بين.

اسمع: من أتاه العلم بالتحقيق انكشف له أن ذاته هي المقصود، ومبدأ الكل فاستغنى، بل ظهر بما هو الغني حقًّا، وانكشف له أنه مظهر الله الذي خلق كل شيءٍ من أجله، فاستغنى بالله عن كل شيءٍ، وافتقر كل شيءٍ إليه، وكان فقيرًا إلى الله، والله لا يتناهى، ففقره لا يتناهى لكن إلى الله، وغناه لا يُحصى؛ إذ هو عن كل شيءٍ دون الله، حيث يتميَّز شيء بأنه دون الله، وفقر كل شيءٍ إليه لا يتناهى؛ لأنه مظهر ما لا يتناهى، ومن ثَمَّ قال السيد الكامل: «**مَن أحبَّني فليعد للفقر جلبابًا**[2]».

وأيضًا هو سرُّ العلم الفرقاني والقرآني، ومن أحبَّه وجده، فكشف نفسه مع العلم كشفًا اقتضى له أن يكون غني النفس عن اقتضاء يستلزم منه أن يكون جوادًا بالعلم، لا يمسكه إمساك احتياج إليه، وإن أمسكه إمساك حكمة، فلم يبدله إلا بإيجاب حكمته، ففقره هو عدم اقتنائه لشيء اقتناء احتياج، وعدم إمساكه لذلك، وذلك هو غناه النفساني، «**إنما الغنى غنى النفس**[3]»؛ لأنه من الغنى الوجوبي؛ إذ الغنى الواجب بنفسه فهو غنى نفساني.

اسمع: الوجود الذات واحد هو ذات كل موجودٍ من الموجودات، فما خصوصية المحقق إلا أنه في مرتبة تحقيق الوجود لما تعلق به تحقيقه، وتحقق موجوده بمحبوبه مما حققه، ولا سيما إذا كان أعلى ما حققه بعد تجرده عن قيود حدوده، وهو بما هو

---

(1) تقدم.

(2) لم أقف عليه.

(3) رواه البخاري (2368/5)، ومسلم (726/2).

في تحققه من لا يُعلم ولا يُحكم عليه، فلا يُقال عليه هو ذلك منكشفًا في إدراكه الوجود، كذلك وفي إدراك من كشف ذلك، وذلك من سواه متحجبًا، فليس له إلا مرتبة الانكشاف، بما هو لمن دونه نتحجب، وكفى مزية، وقسْ على هذا جميع الخصوصيات والمزايا في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: من تقيَّد بمرتبةٍ فحكم ما صبغه أحكام مراتب الوجود كلها عند كل ظهوره بها فيه، فمن ثَمَّ تكون تلك الأحكام كلها متحجبة الظهور في المقيد حكم قيده فيه.

اسمع: نقطة الحرف المنقوط منه بمنزلة الصورة الكونية الجسمانية من النفس المفارقة المتعلقة بها، لا هي داخلة في جوهر الحرف، ولا هي خارجة عن صورته المحسوسة؛ لأنه لا يتم ظهوره بأنه الحرف الفلاني إلا بنقطة، لكن إذا كان لجوهر ذلك الحرف مع مرتبته التعقلية مرتبة هو فيها مستغنٍ عن النقطة، ثم تجرَّد عن نقطته انتقل إلى مرتبته المجردة، وإن تم، وإلا تناسخ، أو حصل في ظلمة الإيهام والنفي الأول، كالغين والعين ذات واحدة هي بعينيتها مجردة غنية في قيامها عن النقطة، حال ما هي مقيدة بغينيتها، محتاجة إلى النقطة، فإذا تجرَّدت عن غينيتها بالتجرد عن غينيتها بالتجرد عن نقطتها رجعت عينًا فقط.

والثاني كالباء متى زالت نقطتها تناسخت في التركيب بين النون والياء والتاء والثاء؛ لتشابه الصورة بلا نقطة، وإلا تلاشت بإسقاط تعيين ما هي، وبذلك فُضِّل العالم على الجاهل، والعامل على الغافل، ومن أحبَّ قومًا فهو منهم.

اسمع: قال قائلٌ: «أنا نقطة الباء»، ولهذا حقيقة سيادية بالنسبة إلى المراتب الإرادية، وأدب إرادي مع المرتبة المرادية، أما الأولى فكأنه قال: من لم يتعيَّن بي تلاشى وانبهم، وأما الثانية فكأنه قال: مرتبتي التي ليس لي تعيُّن بسواها أن أكون تحتًا وعبدًا.

وقال قائلٌ: أنا خفضة الباء؛ لأن محلها أن تكون تحت النقطة؛ إذ النقطة في الظاهر المرتبي، كالجزء من الحرف المنقوط، والشكلة ليست كذلك، فلا تفصل بين النقطة وبين ما هي منه، فكأن هذا قال باللسان الأول: بي يُعرف ما وضعت لأجله؛ لأن بالحركة تعرف ما وضع اللفظ له، كما تقول: (البرام) هو بكسر الباء جمع برمة، بمعنى قدر، وبضمها هو القراد، فلا يتبيَّن ما وُضع له إلا بالحركة، والبراق بكسر الباء جمع برقة، وبضمها جواد المعراج، والبتع بفتح الباء: طول العنق، وبكسرها: نبيذ العسل.

(والبضع) بفتح الباء: القطع، وبضمها: النكاح، وبكسرها: ما لم يبلغ العقد من العدد.

وباللسان الثاني كأنه قال: أنا تحت التحت، وعبد العبد، وإنما خص نقطة الباء وخفضتها بالذكر؛ لأن نقطة الباء هي النقطة المفردة اللازمة للتحتية، مما إذا زالت نقطته تلاشى، والخفضة موضع الكسر، وبذلك الكلمة جامعة بين المعنيين كما تقدَّم.

اسمع: الذرة هي كل ما ذرته مجملاً، فإذا نشأت بخروج ما في قوتها إلى الفعل بحيث صار ذلك هي ما ذرته مفصلاً، صارت هي جزءٌ من ذلك الهيكل المفصل، كالسراج يُوقد منه سرجٌ كثيرةٌ، فيكون جزءًا من جملتها، وما هي في الحقيقة إلا هو ظهر في قوابل متعددة، وقد كان هو كل تلك المقبولات صورة ومعنى، علمًا ووهمًا، قبل تلك الظهورات، كما هي معنى علمًا لا صورة وهمًا، بعدها كالناظر في المرايا الكثيرة يكثر حكمًا ومعاملةً وهمًا، بما هو هو حقيقة علمًا، قال هو سيدي ومولاي:

كُـلُّ سِـرَاجٍ وجُـزْءٍ وَهُـو مقتـبسٌ كَـوَالِدِ أَمْـسِ وَهُـوَ الـيومُ مَوْلُـودُ

وقال هو سيِّدي ومولاي:

فَكُلُّهــم كُلِّــي وَمَــا زِلْــت كُلّهــم وَإِنِّـي لجـزءٌ مِـنْهم جَامِـعٌ شـملاً

اسمع: مَن دخل في دائرةٍ دخول التقيد انصبغ بخاصيتها، ومن ثَمَّ صحَّ الإسراء الجسماني من فلك التراب إلى فلك الهواء، فتلطف الترابي هوائيًا، ثم إلى فلك الأثير فتلطف الهوائي أثيريًا، ثم إلى فلك الهباء فتلطف الأثيري هبائيًا، ثم إلى فلك الشعاع فتلطَّف الهبائي شعاعيًا، فنفذ من ثَمَّ نفوذ المصباح من الزجاجة بلا خرق انفطاري فيها، وقِسْ على هذا العروج إلى الحرم الأقصى بالتلطف، والرجوع منه إلى التراب بالتكاثف، وكل ذلك في الحقيقة ليس إلا تعين المدرك بما حققه وجوده بقضائه الفاعل في قضائه الكاشف القابل، مصرف فيه قضاؤه المرتب، ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1]، فما المرادات كلها إلا أحكامٌ، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، فما ثَمَّ شيء كان فتحكمت به، وإنما ثَمَّ ما حكمت به فكان في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: مَن تطوَّر بمرتبةٍ من شأنها الجوع والعطش والعري والحر، كان بها كذلك، فإذا تطوَّر بضدها تجرَّد عن ذلك الحكم، وقام بحكم ألا يجوع ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وقِسْ على هذا.

اسمع: لا تقل: ما لي أريد شيئًا فلا يكون، فإن ذلك خُلْف؛ لأنك متى أردت شيئًا كان كونًا إراديًا باللزوم، وإلا فما أردته، غاية الأمر أنك قد تتعلَّق إرادتك بشيءٍ فيكون كونًا إراديًا، ولا تتعلَّق به قدرتك، فلا يكون كونًا قُدريًا، ولو أردت كونه مقدورًا لك، لكن كان مقدورًا لك كونًا إراديًا؛ لأن تعلق الإرادة بالشيء هو تكونه مرادًا، وقس على هذا، أليس أنت تعقل شيئًا مقدورًا لك فيكون مقدورًا لك، لكن كونه عقليًا، وقد يكون عكس ذلك، فهو كما أجرى سيدي ومولاي لسان عبده بقوله:

أَيُّ حكم مَغنَى لاَحَ أعطَى حكمه فتمـــثلتُ بِـــهِ فِـــي وَارِدِي

اسمع: الضمير في قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 27].

عائدٌ إلى الرزق: أي ولو بسط الله الرزق لعباد الرزق لبغوا، وهم الذين ليس لهم مكنة التصرف الحكيم الربَّاني فيما لديهم، فتصرفاتهم مغلوبة بالشهوات والحظوظ الكثيفة بما في يديهم، وأما الذين هم أرباب هذه المكنة فهم عباد الله الرزاق، الذين يرزق بهم من يشاء، وهو بهم خبيرٌ بصيرٌ، كما قال: ﴿بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19]، ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: 19]، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27].

فانظر الفرق بين عباد الأرزاق وعباد الرزاق، هؤلاء مبادئ الأرزاق، فالأرزاق محتاجة إليهم في كونها، وعبادها محتاجون إلى عينها بكونها، بل وإلى أثر كونها.

اسمع: العبد عين ممكن لغيبه الواجب في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الحق هو الوجود الثابت على مرتبته، والحقائق لا تنقلب، فما ثَمَّ إلا حق، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ﴾ [الحج: 62].

اسمع: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ [الأنعام: 57]، وما ثَمَّ إلا أحكامه بنفسه على نفسه ولنفسه ليس إلا، فما ثَمَّ إلا الحق، ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ [النساء:78].

فالغير حقٌّ حيث حكم به، وعدم الغير حقٌّ حيث حكم به، وكل واحدٍ من المتقابلين فإنه حقٌّ حيث حكم به في كل مقامٍ بحسبه، قال هو سيدي ومولاي:

فَفِـي الـسّتر كَـشْفٌ لِلْفُـؤادِ محقَّـقٌ وَفِي الكشْفِ بِالأَوْهَامِ عَنْهُ حِجَابه

وَفِي كُلِّ وَجْهٍ عَكْسُ طَرِدٍ وَعَكسهُ وَإِنْ غَـابَ فِـيْهِ بالحـضُورِ إِيَابــه

اسمع: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، وذلك أن الوحدة ذاتية فلا يكره موجودٌ إلا أن يشارك فيما يرى أنه مستحقه وليس بشرك، إنما الراحة العظمى في

الانطلاق من قيود حدود دائرة التغاير.

قال هو سيدي ومولاي: الخير كل الخير في الغيبة عن الغير.

اسمع: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]، ففيه قابلية التصور بجميع الصور عينًا، كما في واجبه قابلية التعين بجميع الصور علمًا.

اسمع: ما ثَمَّ إلا الذات، والحقائق والصور والمراتب كلها أمور حكمية تجريدية لها منها، تتعيَّن بها في كل مقامٍ بحسبه، فهل مفاهيمها من موجودٍ ومعدومٍ وواجبٍ وممكنٍ ومفارقٍ وماديٍّ ومجردٍ ومشخصٍ وبسيطٍ ومركبٍ وحيوانٍ ونباتٍ وجمادٍ، وجميع الحدود والمتصورات هي إلا أمور حكمية تُسمَّى حقائق، لا تنقلب وإن تعاقبت على قابلها أو استقرَّت، بمعنى: إن دام ظهورها فيه أو بطنت، أو بطن بعضها ودام ظهور بعضها.

اسمع: لكل مرتبةٍ أثرٌ لا يأتي به إلا من تصوَّر بها فتوسَّم، ومن ثَمَّ يُقال: في أهل وقت أنهم أهل وقت آخر؛ لتصورهم بمرتبة واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:101]، ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص:53].

ويُقال عليهم باعتبار الشخص الزماني والمكاني والنسبي كلمة ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: 118].

انظر قوله: ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الزمر: 50]، فقالها قائل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: 78] مطابقة، وقالها قائلٌ: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً﴾ [الكهف: 35] إلى آخر كلامه، وقال قائلٌ: ﴿لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾ [مريم: 77]، وقائل: ﴿هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ﴾ [فصلت: 50] إلى آخر كلامه، وأمثالهم التزامًا، وذلك كله أثر مرتبة واحدة تصوروا بها جميعًا، فكانوا بها واحدًا في الحقيقة، وأمثالاً في النسبة، وقِسْ على هذا.

اسمع: النعمة وجْدُ المحبوب على وفق اختيار واجده في كل مقامٍ بحسبه؛ لأن العرب تقول: أنعم الله بك عينًا: أي أقر الله عينك بمحبوبك، وتقول: أتيت أرض بني فلان فتنعمتني: أي وافقتني، و(النعيم): فعيل من النعمة بمعنى: مفعول، و(التنعم): تفعل منه، ولذلك يُسمَّى الشيء الذي يحصل به ذلك متنعَّم به، اسم مفعول، وتسميته

(نعمة) من مجاز تسمية السبب باسم المسبب والفتنة فقد محبوب حقيقي، وما نزل منزلته في ملابسته، ومن ثَمَّ سُمِّي سبك المعادن فتنة؛ لتخلصها به من كل ما كان نزل منها منزلة المحبوب في الملابسة، وسُمِّي خلاص النفس الآدمية الإنسانية من الحجب المانعة من ظهورها بالمعاني الرحمانية فتنة، إذا لابست تلك الحجب ملابسة المحبوب، ومنه ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ [طه: 40]: أي خلصناك تخليصًا، ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً﴾، بفتح اللام وهي في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: 13] من الفتنة التي هي فقد محبوب حقيقي، وهكذا كل فتنةٍ جاءت في معرض الذم والنقمة.

وأما الفتنة التي جاءت في معرض المدح والمنة فمن الأول.

وانظر حينئذٍ كيف جعل صورة النعمة إذا حُجبت عن شهود الحق بشهود غيره فتنة مذمومة أفهامًا؛ لأن الإنسان ليس له محبوب حقيقي إلا الرحمن القائل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12].

اسمع: المرتبة التي هي مبدأ الكشف والبيان والترتيب مطلقًا حتى لنفسها، هي المُسمَّاة في الوجوب بالكلامية، وفي الإمكانية بالناطقية، ويُسمَّى الوجود الإلهي باعتبارها الحق المبين في الوجوب، والإنسان الناطق في الإمكان، وهي المقول بلسانها المحمدي عن درجتها القابلية الظاهرة بما تعيَّنت به من درجتها الفاعلية، ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: 29]: أي بحكم وجوبيته الإلهية، وهذا هو المُسمَّى عند تعينه بالأحكام الحكيمية الفرقية فرقانًا، وعند تعينه بالأحكام الجمعية قرآنًا، والجمع هو استغراق حكم وجوب المراتب لحكم إمكانها، والفرق هو تمايزهما بالتغاير.

فمن الأول: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: 115]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: 62]، ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ [البقرة:255] حيث أفهم تقديم الضمير الاختصاص بالحكم، ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: 14]، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: 17]، ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾ [آل عمران: 154]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء: 80]، ونحو هذا.

والأسامي المطلقة كقوله: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر:22] مطلقًا، فهو المقول فيهم: ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح:29]، ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: 58]، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6] مطلقًا.

فهو المقول فيهم: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة: 233]، ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16] ويخلقون، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة: 37، 38]، ونحو هذا كل هذا اللسان جمع.

وأما ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ [النحل: 17].

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: 20، 21].

والأحكام المبنية على المغايرة وثبوت نسبها، وإن سُمِّيت في الأفعال والتصرفات كسبًا أو خلقًا فهي لسان فرق.

وأما مثل قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، بضم لام (كل)، ومثل: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**[1]» «**ولا شيء معه**[2]».

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3] فلسان إحاطة.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] لسان جمع.

اسمع: مغايرك المُسمَّى غيرك هو ما استقل بنفسه عنك ووجوده وتعينه، وذلك كالجبل بالنسبة إليك حيث رأيته غيرك، وسواك ما استقل عنك بنفسه: أي بمفهومه لا بتعينه، كلونك بالنسبة إليك إذا رأيت أن مفهوم لون منفصل عن مفهومك من كل الجهات، لكن لا تعين له إلا بتعينك، حيث لا قيام لكونك إلا بك، وأما إذا رأيت أنك الكل؛ لأن الكل أحكام جردتها بذاتك من ذاتك لذاتك، فتمايزت وترتبت حكمًا ومعاملةً، وما هي في الحقيقة إلا ذاتك، فهي لا غيرك ولا سِواك، فدائرة الغير تُسمَّى دائرة الفرق، ودائرة السوى دائرة الجمع، ودائرة سلبهما لثبوت الوحدة مع التمايز والترتيب دائرة الإحاطة.

اسمع: كلام الواجب كعلمه فعلي، بمعنًى أنه يوجب متعلِّقه، فمطابقته وقوع متعلقه

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريخه.

به، وما هو كذلك لا يُوصف بالخُلق.

اسمع: أهل الجنة حكم أرواحهم غالب على حكم أجسامهم، عكس حال أهل الدنيا، فكما أن إدراكات الروح البشرية في دنياها تتغيَّر بتغيُّر معاني كيفيات الجسم الذي هي متعلقة به، كذلك الأحوال الجسمانية تتعيَّن في الجنة بتعيُّن ظهورات المعاني الروحانية من الروح المتعلقة به، ومن ثَمَّ تكون الأمور التي هي أنسب للروح كالمناجاة، والمشاهدات الإلهية في أعيانها الحقية ألذ وأشهى عندهم من الأمور التي هي أنسب للبدن من الأكل والشرب والجماع، وهذا هو تقلب القلوب والأبصار بحيث صار غالبها مغلوبًا، وهو الجسم وعكسه وهو الروح.

اسمع: إذا ترتبت الأمور عندك مثالات ممكنة أبدية على حقائق واجبة أزلية، بحيث شهدت أن كل معلومٍ أزليّ في الأزل، وهو الإدراك المجرد، فإنه حاصل في نظام العلم الأزلي بجميع جهاته النسبية كيف كانت، فإنك تجد كل معلومٍ أزليّ هو على كل شيءٍ يكون به ذلك الشيء في الأبد، فإذا حصل ظله في الأبد وهو الإدراك المقيد حصل مجملاً، ثم يفصل على التدريج والترتيب تفصيلاً لائقًا بقابلية مرتبته الأبدية، رأيت أن الحاصل عنه في الأبد أمور كامنة فيه حال إجماله، وانظر بهذا المعنى ماذا ترى.

الهيكل الترابي المستحيل هو قبر النفس البشرية، أعني: المتجسمة، فإن دبرها فيه الروح الحكيم فهو روضة من رياض الجنة، وإن تولاها فيه الوهم البهيم فهو ضدّ ذلك.

اسمع: منكَر هو صورة إنكارك على الحق الحكيم، ونكير هو صورة تنكيره عليك، فهما متلازمان، وبمصاحبتهما تنفتح أبواب الجحيم لشياطين الوهم البهيم، وبمفارقتهما يصاحبك (مبشِّر) وهو صورة استبشارك بالحق الحكيم، و(بشير) هو صورة إيصال بشائره إليك، فهما متلازمان، وبمصاحبتهما تنفتح أبواب النعيم؛ لتمكن الروح الحكيم.

فانظر ماذا يفرشها الأول ويكسوها ويسقيها ويغذوها بما يظهر في شمائل أخلاقها وأفعالها، وصور إدراكها وأحوالها، وما يُسرى إليها الثاني من ذلك، ويأتيها منه هنالك، فرحم الله امرءًا نظر إلى نفسه قبل الموت، فبدل سيئاتها بالحسنى قبل الفوت، فإن حالها مقدمة ما لها، وبحسب المقدمات تكون النتائج، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: 40]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18].

اسمع: الصدِّيق مَن شهد مخبر الخبر الصادق عن الحقائق الربَّانية في عينه بعين اليقين، فمخبر خبر الغيب عمن دونه هو له شهادة فهو غاية الشهيد.

اسمع: البيان والكشف نور روحاني، والتعلق منه بالحقائق شمسي في تصريحه، قمري في تلويحه، ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: 9]: أي يصرف عنه من ضعف عقله ورأيه وفهمه، ومن فتح عين الأعشى لعين الشمس أعماه، فلا يبصر ولا يرى إلا الظلمة المطبقة، فمن ثَمَّ لم يكن لأحدٍ أن يصرح لضعفاء الأفهام والعقول بالحقائق إلا لحكيمٍ متمكن بدوامها بين بيته إلى أن يربيها ويقويها بحكمته، ثم يدخلها في رحمته.

فما واجد بعين الشمس إلا بصيرًا، أو من أراد أن يكشف حال بصره على اليقين في عين الشمس؛ ليجعله بصيرًا بإزالة ما تحققه من ضرره.

اسمع: حب الطاعة غريزي في مراتب الوجود، ولذلك عصى من عصى طاعة لاختياره، وترى الطفل يفرح إن وافقته، ويغضب إن خالفته.

اسمع: أول بديهي عندك وجودك، بل وهو أول ما يحصل في إدراكك من كل موجودٍ، فالخاطر الأول من الله، ولا يدرك أولاً إلا الله في كل مقامٍ بحسبه، وبعد ذلك إن اعترضت مبادئ أحكام التغاير بها حجبت عنه، وإلا فلا، في كل مقامٍ بحسبه، قال هو سيدي ومولاي، ودار عيني ومعناي، وحبيب جملتي وتفصيلي وإياي:

وجُودٌ وَكُلُّ العَالمِينَ ظِلاَلُه ... جَمَالٌ تَجَلَّى بِالجَمَالِ جمالُهُ
كَمَالٌ تَعَالَى أَنْ يرام كَمَالُه ... وَذَلِكَ ذَاتُ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ
تَعَالَى عَن التَّحْصِيلِ وَالعَدَمِيَّة ... توهمت يَا ذَا العَقْلِ أَنَّكَ وَاصِلُ
إِلَيْهِ وَهَذَا الحُكْم فِي الأَصْلِ فَاصِلٌ ... وَأَنْتَ عَن التَّحْقِيقِ لاَ شَكَّ ذَاهِلُ
فَلاَ هُوَ مَعْدُومٌ وَلاَ هُوَ حَاصِلٌ ... لِشَيءٍ سِوَى مِن وجه عِلمِ البديهة

وقال هو سيدي ومولاي:

أَفِي اللهِ شَكٌّ وَهُوَ مُبْدِئ الخَلاَئِق ... وَنُورٌ مُبِينٌ فِي عيونِ الحَقَائِقِ
وَهَلْ تجهَل الألْبَاب كَوْن وجُودِهَا ... وَتَخْفَى عَلَى الأَبْصَارِ شَمس المشَارِقِ
وَلَكِن إِذَا عَم العَمَى كُلّ نَاظِرٍ ... يضلُّ عَن التَّحْقِيْقِ رشدُ المنَافِقِ
أَعُوذُ بِوَجْهِ الحَقِّ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... تحول وَجه الحَقِّ عِنْدَ التطابقِ

فظهر لك أنه أول بديهي أبدًا، بل وهو أول مدرك بذلك الإدراك، فإن وجودك هو

أول من يدرك نفسه منك قبل أن تحدده نفسك عندك بأنك غيره، ولما كان اتصال الشيء بنفسه محالاً في العقل المقيد بالتغاير، كان توهمه الوصول إلى ما هو هو في الحقيقة مع تصوره غيره، مستلزمًا فصله في الحقيقة على زعمه، فهو مع ذلك من جملة الحجب التي يتفق فيها المقيدون بأحكامها فتضلهم عن التحقيق.

اسمع: ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14] مثل خبير هو أعلى أهل الوقت خبرة، بحيث تسميه لعلو خبرته نبيًّا، أو وارثه إن لم تستطع أن تسميه العلي الخبير، أو مظهره، فلسان حاله ومناجِي مقامه يقول لرجل وقته: ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14].

اسمع: لما كان الوجود الحكيم من خاصيته المرتبية البقاء، وهو استمرار الثبوت الانكشافي في كل مقامٍ بحسبه، كانت معانيه أقوى المعاني ظهورًا، ومتعلقاتها أثبتها في الغائب والشاهد حضورًا، فحبه أن يُطاع أقوى حب لذلك وأثبته، وكراهته أن يُعصى أقوى كراهة لذلك وأثبتها، ولولا الموانع الحكمية عن العقوبة من مقتضيات الحكمة والحكم لأهلك المُلك الداخل تحت مكنة تصرفه كله؛ لمعصية شخص واحد منهم لمقتضى قوة كراهته لذلك، لكن الحكم حكيم في كل مراتبه، فرضاه مصلح وغضبه كذلك، فله الحمد في الأولى والآخرة، وعلى كل حالٍ.

وعنه يقول لسانه المحمدي: «**ما من أحدٍ أغير من الله**[1]».

قال تعالى: ﴿**فَمَن يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلله مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة: 17].

«**ما من أحدٍ أحب إليه المدحة والمعذرة من الله**[2]».

«**إن الله رفيقٌ يحب الرفق**[3]»، سبحانه وله الحمد.

اسمع: الوجود أول طالب ومطلوب؛ لأنه قبل تعيين مرتبته الحدية التي يستند إليها ذلك، ومن ثَمَّ قال أهل العبارة: إن مطلب (هل) أول المطالب؛ لأنه أول الوجود.

فتقول: (هل هو) ثم تقول: (ما هو)، ولا يصح عكسه؛ لأن تحديده فرع تقريره.

---

(1) رواه البخاري (354/1)، ومسلم (2114/4).

(2) رواه البخاري (1699/4)، ومسلم (1136/2).

(3) رواه البخاري (2539/6)، ومسلم (2003/4).

فهو الأول الحقيقي مطلقًا، وأوليته هذه لانكشافه متجردًا قبل انكشاف شيءٌ آخر، فانكشافه متجردًا بعد انكشاف كل منكشفٍ سِواه آخريته فهو الآخر والظاهر؛ لأنه حقيقة كل منكشفٍ، والباطن؛ لأنه حقيقة كل كاشفٍ، فـ ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

اسمع: وحي الحكيم إلقاؤه المصالح بحيث يجدها متعلقوها عنده وجدًا ضروريًّا في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الرب الحق هو الوجود المصلح، فلا يتأتى منه إلا خيرة لمربوبه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: 68]، فبذلك كان نور خلوتها ضياء في شمعتها، ونور غايتها وأكلها الأدنى شفاء في عسلها، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ﴾ [النحل:69]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: 82]، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]، فأرضعته لبن الوحي؛ لأنه صاحب مقام التكليم، فمن ثَمَّ يغتذي، وإنما الرضاعة من المجاعة ما فتق الأمعاء وأنبت الجسد.

وقال صاحب الإسراء: «أُتيت بإناءين فتركت الخمر وأخذت اللبن[1]».

فأخذ ما يناسب استعداد الوقت وأهله، وحرم عليهم الخمر إلى آخرتهم حيث:

﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 47].

فمن صار منهم أخرويًّا أو برزخيًّا مفارقًا لدنياه، فهي لَه كأسٌ من معين، ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: 46] روحانية وجسمانية، ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ [النحل: 67]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت:44]، فشفاهم هداهم في كل مقامٍ بحسبه، ولذلك يُقال: (إن العسل شفاء المؤمنين): أي بمنزل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68]، ولذلك جعل شفاء بطن أخي مَن أمره أن يسقي أخاه العسل؛ لإصلاح بطنه في تصديقه لله المتنزل إليه بهداه.

اسمع: الواحد في كل دائرةٍ قيوم قيام مراتبها جميعًا، وواحد الآحاد قيوم دائرة الدوائر، ومراتب واحديته جميعًا.

---

(1) رواه البخاري (1269/3)، ومسلم (150/1)

اسمع: لواحد كل زمانٍ، وفي كل دائرةٍ من دوائره واحد هو مظهر قيوميته فيها، ولواحد كل دائرةٍ في كل جماعةٍ منفردة بأمرٍ ما من أهل تلك الدوائر واحد، هو لذلك كذلك، ومن ثَمَّ لا تخلو قرية من حافظ.

قال حافظ وقته: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 57].

وقال واحد وقت: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4].

اسمع: بك يأتيك من وجودك، ويصدر عنك كل ما يأتيك، فالأمر والخلق كله منك وبك وإليك.

اسمع: من رضاه الله بما آتاه على قلته فقد بسطه في عين القبض، ووسَّع عليه في عين الضيق، وأغناه في عين الفاقة، والمعكوس منكوس.

اسمع: كل ما حصل منه أو به رزق فهو عين من عيون الرزاق، ومظهر من مظاهره في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ما حجب الواحد إلا توهمات مغايرات الأعداد لَه، فمتى ارتفعت خرج من حجبه بوجه إحاطته.

اسمع: ما بطن قيوم الكل إلا في ظهوره بالكل متمايزًا، فأعجب لمن هو الباطن بما هو الظاهر ولا تناقض.

اسمع: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]، فما ثَمَّ إلا هو، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، فما ثَمَّ إلا هو متعينًا بعلمه معلومات، وفي علمه بمعلوماته، وإن سميت علمه فعلاً أو قبولاً أو عقلاً أو وهمًا أو خيالاً أو حسًّا، أو مهما سميته خلاف هذا ما ثَمَّ.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54]، وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد

من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده

على عبده من عنده

اسمع: مهما استُحب لتأديته إلى أمرٍ كُره، حيث أدَّى إلى ضده، كالصلاة تُستحب لترغيم الشيطان، فإذا فرح بها عند إيهام أنه المقصود بها حين تقارن الشمس كرهت حينئذٍ، وكالسلام استحب للتحابب، فإذا أتى به حيث يثقل رده ثقل، فأدَّى إلى التنافر فكُرِه حينئذٍ، كالسلام استحب على المتخلي والمغتسل والآكل، ومصاحب نسائه، ومناجي مصاحبه، وقِسْ على هذا كل شغلٍ مباح يثقل معه رد السلام، وقِسْ على هذين المثالين.

اسمع: إذا علمت أن قدرة الله تعالى منفردة بالتعلُّق الإيجادي منزهة عن الكسب، وان قدرة العباد صالحة للكسب، قاصرة عن التعلُّق الإيجادي.

فاعلم أن الأمور الصالحة لتعلُّق الكسب بها لها نسبتان:

الأولى: نسبة إلى موجدها سبحانه وبحمده، وهي من هذه الحيثية على غاية وجوه الحكمة، فهي في نهاية الحسن كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، والنظر فيها من هذه الحيثية إنما يكون من حيث شهادتها لموجدها، وإرشادها إليه، ودلالتها عليه، وهذا النظر يُسمَّى التعرف، والعلم الحاصل به يُسمَّى معرفة، وعلم المكاشفة وهو طريقٌ نهايتها معروفها عز وجل.

والثانية: نسبتها إلى كاسبها، وهي من هذه الحيثية متفاوتة، فما وافق كسبه منها الأمر الربَّاني فهو حسنٌ، وما خالفه فهو قبيحٌ، والنظر فيها من هذه الحيثية إنما يكون من حيث الآثار اللاحقة بالكاسبين من ملابستها، وهذا النظر يُسمَّى التشرع، والعلم الحاصل به يُسمَّى علم المعاملة، وهو طريقٌ نهايتها ثوابها، فالسالك إلى الله تعالى من استغرق شهوده من كل شيءٍ سوى نفسه في النسبة الأولى، واستغرق شهوده لنفسه في النسبة الثانية في وقت معاملته، لا في وقت مكاشفته، وهذه طريق الصوفية.

والسالك إلى الثواب من استغرق شهوده حال مكاشفته ومعاملته في النسبة الثانية، وتحرى التوقي بالحسن من ضده، وهذه طريق المتفقهين.

وأما الواصلون الكُمَّل فإن الله تعالى مصرف شهودهم في كل مقامٍ بما فيه، وبه صالح نظامه، وكمال قوامه، مع حفظ وجوده وشهوده عليهم، فوظيفة الصوفي أخذ كل أمرٍ عن الله، وردَّه إلى الله، وشهوده من الله، فلا يعيب شيئًا ولا يستنقصه إلا ما كان من نفسه في المعاملة فإنه يناقشها.

وأما الفقيهُ فوظيفته تحسين ما وافق الأمر عنده، والحث على لزومه والمدح على ذلك، وتقبيح ضده والحث على تركه، والذم على ملابسته، فإن تعاطى أحدهما حال الآخر، ونظر بعينه، وتكلَّم بلسانه وليس من أهله، فهو داخلٌ فيما لا يعنيه، فمن حسن إسلامه تركه، وعلامة كونه ليس من أهله وجدانه قلبه غير مطمئن به، ولا ثابت القدم عليه، ولا هو آثر عنده من سواه، والمؤمن أمين ربه على نفسه، ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14]، ورحم الله من عرف قدره، وكفى الناس أمره.

اسمع: التصور الفعلي هو الذي به يتأتى لصاحبه تصوير مثاله في الخارج، فهو سابقٌ عليه، وسبب فيه، وأصل له، والانفعالي عليه لا منتزع من الخارج، وحينئذٍ فما صور أحد في الخارج إلا ما تصور هو به ذهنًا.

اسمع: ما ثَمَّ في الحقيقة إلا الوجود الذات القاضي قضاء يستلزمه لذاته بذاته على ذاته، وله مقتضيات تجريدية على طريقة التجريد البياني يحققها، ويتعيَّن بها لنفسه، ويعامل نفسه على شاكلتها، فهي هو بالحقيقة، وزائدة عليه حكمًا ومعاملةً، وبترتيبه يقدم منها ويؤخر، فمبدأ ترتيبه هو قلمه، وترتيبه مداده، وقضاؤه الانفعالي بذلك الوجه قضاؤه الفعلي بالترتيب، واللوح المتعين بما رُسم فيه كتاب في كل مقامٍ بحسبه.

والوجود هو ذات كل موجودٍ، والموجودات هي هذه القضايا، وكل موجودٍ صفته وعينه وإن لم يظهر في كل موجودٍ إلا بحسب استعداده الذي هو خاصيته المرتبية الانفعالية، فمن ثَمَّ تخالفت المفعولات وتوافقت، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: قيوم الكل ليس إلا هو، فلا حكم إلا له، فلا معقب لحكمه، فلا محول لك عما أقامك فيه سواه، فهو الواحد بأنه قيوم الكل القهار، بأنه المقيم فيما لا يمكن التحول عنه بحيلة دونه، فالزم شاكلتك طوعًا فإنك لازمها ضرورة.

اسمع: الإرادة مبدأ تخصيص معلوم بمعلوم تخصيصًا تميزيًّا، والاختيار الرضا

بالمراد، والحسن موافقة الاختيار، والمحبة علم يستلزم إرادة اختصاص العالم بالمعلوم، واختياره والقدرة مبدأ الإيجاد، والكلام مبدأ تخصيص مراد بمراد تخصيصًا كشفيًا، والروح الناطق هو صورة محبة الله أن يُعرف، ظهر بها عن مرتبته الإلهية، كظهور الشمس بنورها الذي ملأت به الآفاق من غير انتقالٍ ولا افتراقٍ، وبه خلق الله الخلق الحكيم الذي لا يتبدَّل، ودبَّر الأمر، وفصَّل الآيات، واستوى على العرش، وملأ أركانه أرواحًا على صورته، ورش على كل قبول تمييزي نورًا روحانيًا منها، نفى عن قابله ظلمة الإبهام الوهمي في أموره، فهذا الروح الأعظم هو صورة معاني الله، وهو حبيب الله بجميع معاني فعيل، وهو نور وجهه الذي ملأ أركان عرشه، وقدرته التي قدر بها على خلقه؛ لأنه أحب أن يُعرف فخلق، فحبه هذا مبدأ الإيجاد الخلقي.

أعني: الخلق من حيث هو مظهر تعرف الله، وهذا الروح هو الحق الذي خلق الله به السموات والأرض وما بينهما، وهو نور وجه الله الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، وهو أم الكتاب، وهو القلم الأعلى، والرحمة الأصلية، وأحسن تقويم، ومتصور الرحمن عند خلقه لصورة الإنسان على صورته، والذي انكشف لنفسه في هذه المرتبة قال: «**وأنا حبيبُ الله**[1]»، ﴿**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ**﴾ [المائدة: 15].

اسمع: جاء في الحديث: «**الظلم ظلمات**[2]»، وأنت تعلم أن الظلمة ضيق، وأن النور سِعة، فمتى حكم في أرضٍ بالحق أشرقت بنور ربها، فكانت كما قال:

﴿**وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ**﴾ [الزمر: 10]، ومتى يحكم بالظلم ضاقت.

اسمع: انظر كيف ينظر المحسن في حسنته فتفرحه وتعزه وتجمعه، وينظر المسيء في إساءته فتحزنه وتزله وتضيعه، ترَ العمل يأتي لعامله بعقابه أو بثوابه، فصورته الحكمية هي الكلمة التي يلبسها من حقَّت عليه.

اسمع: المخيلة الصادقة هي سوق الجنة التي لا يُباع فيها إلا الصور بالمحبة، فمن أحبَّ صورة التبس بها.

اسمع: ﴿**فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً**﴾ [الكهف: 70]: أي حالي مع ربي هو هذا، فمن اتبعني فليكن حاله كحالي.

---

(1) رواه الترمذي (587/5).

(2) رواه البخاري (864/2)، ومسلم (1996/4).

اسمع: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، فالمعصوم إذا دخل فيما هو لغيره مهلكة كان له هو دار سلام ومملكة؛ لأنه لا يدخل مدخلاً إلا بالحق، ولا ينزل منزلاً إلا بخير المنزلين في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثَمَّ تعاطى أئمة الهدى أحوال عموم مأمومهم؛ ليبينوا لهم فيها رشدهم.

ألم تسمع قول القوم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 12]، فما ذكروا ذلك إلا تنبيهًا على أن المحل القابل للرتوع واللعب متى اعتمد على نفسه في حفظ شيء ضاع، وإلا فلا يخفى على أحدٍ أن طالب التطمين حقيقة، لا يقول لمن يريد تطمينه: (أعطني هذا الذي تخاف عليه الضيعة حتى ألعب وأنا أحفظه)، وأي حفظ مع اللعب، ولذلك لما حصل الإمامي نبههم كبيرهم على إمامته، ببيان أن من رد حفظ أمره إلى الله متبرئًا من حوله ونفسه حُفظ، وزالت ضيعته، فقال لهم: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فقالوا: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: 81]، فحصل المراد وزال البعاد، واجتمع الشمل على أسرِّ حال، وقال الإمام تثبيتًا لقومه: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

اسمع: الأحد: من ليس معه شيءٌ، فهو إله الأزل، والواحد قيوم كل شيءٍ عدد فهو إله الأبد.

اسمع: الاسم عين المُسمَّى في كل مقامٍ بحسبه، فالعلم إما لفظي فهو اسم تسميته، وإما ذهني منتزع من الخارج، وهو اسمٌ يُسمَّى التسمية، أو خارجي وهو اسمٌ مسمَّى الذهني، ويعني بالذهني الحاصل بالعلم الانفعالي، وبالخارجي الحاصل قبله، بحيث انتزع الانفعالي منه في كل مقامٍ بحسبه، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، هي مثالات الحقائق الثابتة في العلم الفعلي، فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ [البقرة: 31]: أي بمثالاتها المحسوسة.

اسمع: انظر إلى بدنك إذا انجرح موضع منه، وتغيَّرت رائحته بعد طيبها، أليس ذلك لفساده، ثم إذا طابت رائحته بعد ذلك أليس ذلك لصلاحه، فهكذا أنت إذا تغيرت نفسك من أخيك فأظهرت عنه، وله ضد ما كنت تظهره من المحاسن، فهو لفساد نفسك، فإذا عُدت إلى الأول كان ذلك لصلاح نفسك.

وانظر كيف أنت تقر بذلك فتقول: تغيَّر خاطري من فلان، فما تغيَّر إلا أنت، وما

جاءت تلك المكاره إلا من ذلك التغير، فإذا زال زالت.

اسمع: وجود إمام هداك هو ربك وإلهك وسيدك ومولاك، فالقائل: «**تخلَّقوا بأخلاق ربكم**[1]»، يريد تخلَّقوا بأخلاق وجودي، ولما كان من أخلاقه أن تغلب رحمته غضبه، وأن يفرح بتوبة من تاب إليه، ويشكر على القيام بما علمه وبيَّنه، ومكَّن منه، وعلى التودُّد إليه ببعض ما مَنَّ به، ونحو هذا وصف الله بذلك لعباده؛ ليتخلقوا فيتحققوا بوداده.

اسمع: ﴿**اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا**﴾ [الشورى: 15]؛ لأنه وجودنا الذي هو ذاتنا كلنا.

اسمع: عين كل جملة الذي به تتوحَّد كثرتها، هو مبدأ تصريف آثار مفرداتها من حيث هي أجزاؤها المتصلة اتصالاً هي به جملة، كزيد بالنسبة إلى روحه وعقله، ومراتبه الباطنة وقواها، وبدنه، وأعضائه الظاهرة وقواها، ولذلك يُسند إليه هذا في الوهم الواضع للنسب والإضافات موضع الحقائق.

وأما في الاستناد إلى الذات المقوِّم لجميع المراتب فليس هو مرتبة، وقولهم: (ذاته) إنما هو عن مرتبة حدية قامت في مداركهم مقام الذات، فأسندوها إلى الذات المقوم لها، الملوح إليها بهاء الضمير، وقِسْ على هذا.

اسمع: باح القمر وبوح بما ألاحا في دوائر اللوح من الهباء المطروح، والأشعة ذات الوضوح بأن الهباء مادة البدن، والضياء مادة الروح، يُوح اسم للشمس، واللوح الفضاء بين السماء والأرض، وكلاهما بضم أوله وسكون ثانيه.

اسمع: الآثار كلها ذكر لمؤثرها عند العقول النظرية؛ لأنها شواهد حتى أن النسيان ذكرٌ للمنسي، والغفلة عن الذكر ذكرٌ للذي أُغفل، والضحك ذكرٌ للذي أضحك، والبكاء ذكرٌ للذي أبكى، وقِسْ على هذا.

وما أحسن ما قيل: «كلما ذكره الذَّاكرون»: أي علموا أنهم وكل أحوالهم ذكرٌ، «وغفل عن ذكره الغافلون»: أي غفل الغافلون عن كونهم ذاكرين حتى بغفلتهم لم يقل وترك ذكره الغافلون؛ لأن ما ثَمَّ إلا آثاره، فالكل ذاكرٌ، وأهل الذكر هم المتأهلون لشهود ذلك وإدراكه، ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: 44].

اسمع: جميع المعلومات الأولى حقائق مفردة، لا يفتقر في قيامه إلى سواه، ولا في

---

(1) ذكره المناوي في التعاريف (564/1).

كونه مفتقرًا، وعند التقارن في الانكشاف مع حقيقة النسبة، وحقيقة الارتباط يكون الترتيب والتركيب، وتأتي الأحكام النسبية بخواصها.

اسمع: النسبة حقيقة من الحقائق الحكمية، كاللذين يكونانِ بها منتسبين، وحصول النسبة بين أمرين مترتب على حصولهما لا منتسبين، وحصولهما منتسبين مترتب على حصولِ النسبة بينهما، وأما الحقائق فكما تقدَّم.

اسمع: كل أمرٍ نسبيٍّ فإن سلبه متقدم على ثبوته من حيث كونه كما تقدَّم.

اسمع: الشعور بكذا أمرٌ نسبيٌّ، فهو كما قد سمعت.

اسمع: لا شعور إلا بجهة حكمية، ولو أنها جهة أن كذا ما لا يشعر به، وما قبل الشعور كله هو ما لا يُعلم، فلا يُقال عليه: وهو المعجوز عنه.

اسمع: ما لا يُشعر به أولاً إلا بأنه لا يشعر به مصطلح عليه بتسميته ذاته وجهاته الحكمية كلها متقومات به.

اسمع: الذات إذا اعتبرت كما يقول المنطقي لا بشرط شيء فهي في مرتبتها الشعورية الأولى، فإذا اعتبرت كما تقول بشرط لا شيء فهي في مرتبة الحكم بتجردها الأصلي، وهي أول مرتبة بعد الأولى، وبعد هذه مرتبة اعتبارها بشرط شيء، وهذا وملزومه اعتبارها لا بشرط هذا الشيء، وبعد هذه اعتبارها بشَرط هذا الشيء، وبعد هذه اعتبارها بشرط لا هو، فالأول مادة العدم والوجود، والثاني هو مرتبة العدم المحض المطلق، والثالث مرتبة الوجود المحض المطلق، والرابع الوجود المقيَّد، والخامس العدم المقيَّد، وهذان المقيَّدان من مراتب الوجود المطلق.

فالوجود المحض مرتَّب على العدم المحض، والعدم المقيَّد مرتَّب على الوجود المقيد، وحيث حُكم بأن العدم هو الذات المتجرِّد تجرُّدًا أصليًا: أي غير نسبي، فالمراد به العدم المحض؛ وحيث حُكم بأن العدم انتفاء التعين النسبي، فالمراد به المقيَّد وحيث يحكم بأن الوجود هو الذات المتعيِّن تعيُّنًا أصليًا: أي غير نسبي، فالمراد به الوجود المحض، وحيث حكم بأن الوجود هو التعيُّن النسبي فالمراد به المقيَّد.

اسمع: إذا كانت الذات هي الأول كما تقدَّم، فليست الأحكام كلها إلا تجريدات نفسه لنفسه؛ إذ لا سواه، والأمور التجريدية هي ما جُرِّدت منه بالحقيقة، وزائدة عليه حكمًا ومعاملةً، فقبل اعتبارها بالزيادة هي باطنة فيه ومعه هو ظاهرٌ بها، فبطون الأحكام

في الذات دائرة العدم، وظهور الذات بالأحكام دائرة الوجود.

اسمع: ما من أمرٍ يُقال فيه أنه شرٌّ لكذا من جهة كذا، إلا وهو خيرٌ من جهات أو جهةٍ أخرى له أو لسواه، فكونه شرًّا يرجع إلى عدم ملاءمته له، وذلك أمرٌ عدمي، وكونه خيرًا يرجع إلى وجود كمال أو تكميل، وهو من هنا حكمة فهو من الوجود الإلهي، وهو من ذاك من النفس المحكوم أنها دونه، وهي باطلٌ وهمي، فما أصابك من حسنةٍ فهي حقٌّ من الله، وما أصابك من سيئةٍ فهي باطلٌ من نفسك، وكلٌّ بما هو حقٌّ هو من عند الله، والحسنة ما كان حكمة شرعيَّة أو وجودية في كل مقامٍ بحسبه، والسيِّئة ضدَّه، والموجودات كلها حكمة، فهي من الله، ﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 73].

اسمع: جاء في الحديث قالت عائشة: «**كان أحب الأشياء إلى رسول الله ﷺ الحُلو والبارد**»[1].

اعلم أن مِزاج الحياة الحار الرطب، فموافقته هو الحلو البارد، المعْدِل بحلاوته رطوبته، وببرده حرارته، فإذا حُمل هذا الخبر على حقيقته ومجازه كان المعنى أحب الأشياء إليه، أوفقها لمرتبة الحياة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لكل موجودٍ روح هي مرتبة ظهور وجوده بحكم معناه المُسمَّى بالحياة، وهو اقتضاء الإدراك والفعل لما هو معناه.

اسمع: الأرواح المتعلقة هي التي لا يتم ظهور صور آثارها إلا بواسطة القوى الجسمانية، وهي على قسمين: أرواح متعلقة بالأجسام، تتصرف بقواها بلا واسطةٍ، وأرواح ترد على هذه الأرواح فتتعلَّق بها؛ لتعلقها هي بالجسم الذي هي متعلقة به، فتتصرف تلك الواردة فيما وردت عليه، وتتصرَّف المورود عليها بتلك التصرفات في القوى الجسمانية التي هي متعلقة بها، فتصور تلك القوى صور تلك التصرفات في مادتها الجسمانية.

وهذه الأرواح الواردة ترد على الأرواح الأخرى تارة من أبواب حواسها الظاهرة، وتارة من أبواب مشاعرها الباطنة، وتارة بالتعمل، وتارة بالبديهة أو ما يقرب منها، وتُسمَّى هذه الأرواح الواردة واردات وخواطر ونحو هذا، ويُسمَّى تعلقها بمواردها ظهورٌ وإشراقٌ وقيامٌ ونحو هذا، وبهذا تدخل الأمم بعضها في بعضٍ، وما دام الوارد

---

(1) رواه الترمذي (307/4)، والنسائي (190/4)، وأحمد (38/6)، (40/6).

قائمًا بمورده فهو محشور فيه، فإذا ظهر منفصلاً عنه كالولد عن أبيه فذلك نشره، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: روح عمل العامل المكلف، هو الذي يعود له مثلبًا أو ضده حتى أنه ليقوم بروح من يجده، فيحسن إليه ابتداء أو ضد ذلك، فيفعل ذلك معه بتلك الروح، وتارة يقوم به من حيث رآه يعمله، وتارة من حيث سمع أنه عمله، وتارة من حيث ظن أنه عمله، وتارة من حيث كان في صورة حركية أو هوائية من الأنفاس، فاختلطت بهواء العالم، فدخل على مورده ذلك من باب الشم بانتشاق الهواء، وتارة يصير بأسباب الكون والفساد ماء، فيدخل على مورده من باب الذوق شربًا، وتارة يتكون من ذلك الماء نبات، فيدخل لمورده من حيث التحق به ما يصلح للحوقلة من ذلك النبات من طعمٍ أو رائحةٍ أو لونٍ، وقِسْ على هذا باقي المداخل الحسية بحسب استحالات الأكوان إلى صورة الداخل.

وتارة يرد بديهة بمناسبة اختصاصية، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7]، ومن ظهر فيه وجوده بحكم مرتبته الإلهية، فكل عمله عمل أحسن الخالقين، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

اسمع: المقدار هو الشخص المحسوس في كل مقامٍ بحسبه، والأبعاد هي الامتدادات المقدارية، والمكان تناهي الأبعاد، والزمان تناهي إدراك الأبعاد لتناهيها، ومن ثَمَّ يُقال: إن الزمان محمولٌ في المكان، والتمكن الثبوت إما في المكان، وهو ما قد سمعت، أو في المكانة وهي المرتبة المرضية، فهي أعم من حيث أن المكان مرتبة مرضية للطبيعة، وقد تسمَّى المكانة مكانًا مجازًا بينهما من الخواص، ولموضع التمكن منهما كما قال بعضهم:

مَكَانــكَ مِــنْ قَلْبِــي عَزِيــزٌ عَــرفته   فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ مِنْكَ مَكَانِي

اسمع: المراتب الجوهرية هي القائمة بأنفسها، مستغنية عما يُسمَّى محلاً وموضعًا ونحو هذا، وهي ثلاثة مجردات، وهي ما ليست بأجسامٍ، ولا متعلقة بها ومفارقة، وهي ما ليست أجسامًا لكنها متعلقة بالأجسام، وأجسام وهي ما كمالاتها تكون بأقوية من المفارقات سارية فيها وبها، تتصرَّف تلك المفارقات في تلك الأجسام.

اسمع: الإدراك هو القضاء التحديدي، وهو أربع مراتب:

تعقل، وهو نظام التجوهر التجردي، وتخيل وهو نظام التشخص المفارقي، وإحساس وهو نظام التشخص التجسمي، وتوهم وهو نظام التعين النسبي، وكل مرتبةٍ من هذه الإدراكات فيها فاعلية وانفعالية، ففعاليته مبدأ ظهور متعلِّقاته، وانفعاليته مبدأ ترتيبها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: السرمد إدراك مسلوب التناهي من طرفين؛ لكونه واجبًا لمدركه، ولازمًا له، والدهر إدراك له أول؛ إذ ليس بواجب لمدركه، ولا آخر له للزومه إياه، والزمان إدراك متناهي الطرفين؛ لكونه لا واجبًا لمدركه، ولا لازمًا له، الأول إدراك المجردات، والثاني إدراك المفارقات، والثالث إدراك المتجسمات.

إنما وجد السبب استعماله في التأدية إلى مسببه، وإلا فهو مفقودٌ، وإن كان في اليد إلا أن فاقده وليس هو في يده معذور، فلذلك فُتح له باب المناجاة لربه في وجْده، ورُفع هم الشغل بفقده عن القلب وفاقده، وهو في يده مأزور بتعطيل الحكمة، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، فلذلك عُوقب بغلق ذلك الباب دونه، مثال هذا الشخص في يده مال لا ينفقه فيما يُرضي به ربه، والله يحب أن يُرى آثار نعمه على عبده، فهذا فاقده، وهو في يده ممنوع من سؤال ربه، ومناجاته فيما يتعلَّق بذات يده، وشخص ليس في يده مال فهو فاقده، وباب مناجاة ربه في ذات يده مفتوح له، وإلى هذا أشار السيد الكامل حيث يقول: «**اخترتُ أن أكون عبدًا نبيًّا، أجوع يومًا وأشبع يومًا، فإذا جعت سألت ربي، وإذا شبعت شكرت ربي**[1]».

اسمع: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 22] بإشراكهم حيث شهدوا لله غيرًا، وللغير فعلاً، ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [الشورى: 22]، حيث ظنوا أنفسهم غيرًا، فكان عند ظنهم وظنوا مما كسبوه فعلاً لهم، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الشورى: 22] إلا أنه فعل غير.

والطامة الكبرى ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: 35]، وإنه لعذابٌ قريبٌ، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: 40]، وأما من لا يرى غير الله، أو يرى أن لا فعل لغيره وإن رأى غيرًا، ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].

اسمع: ما ثَمَّ إلا حقائق لا تتبدَّل، وغواشي خيرية حالية أو قالية تتعاقب عليها بقول

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (133/8)، والبيهقي في الشعب (133/8)، بنحوه.

الممكن مالي وفعلي بقاله أو حاله، فيعطَى في توهمه معاملة على حسب قوله الوهمي، وما ذاك الشيء الذي ذكره إلا في شيئيته مجردًا في حقيقته، عما يحكم به ذلك التوهم عليه، كما أن ذلك القائل ثابتٌ في شيئيته كذلك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2].

مثال ما تقدَّم أن العين المُسمَّى فرسًا إذا قلت عنها قولاً وهميًا نفسانيًا، أو لفظيًا لسانيًا، هي فرسي لم تزد في عينها الثابت شيئًا، وإنما زدت في اسمها القولي نسبة ليس إلا، وترتبت على ذلك أحكام وآثار بحسب التقيد به، وهكذا سائر الأمور النسبية، ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ﴾ [النجم: 23]، فسبحان الله وبحمده، ما التقيد بحكم التغاير إلا أليم، وما التمكن من التخلص عنه إلا نعيم.

اسمع: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ﴾: أي احتجابه ﴿إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس:32]: أي هلاك من حُجب عنه في عذابه، فلا حياة ولا نعيم إلا في وجدان الحق وشهوده.

اسمع: أحسن القابلين قبولاً من أدرك مقبولاته واختارها لنفسه، كما علمها واختارها له فاعلها فيه، فيدرك لذة ما علمه لذيذًا كما علمه، ويرضاه لنفسه كما رضيه له، ويدرك ألم ما علم مؤلمًا، ويرضاه لنفسه كما رضيه له، وقِسْ على هذا، فهذا هو العبد الذي أحلَّ عليه ربه رضوانه، فلا يسخط بعده أبدًا.

اسمع: المؤثر ظاهر بآثاره في المتأثرين بها للمدارك النظرية التي الآثار شواهد المؤثرين عندها بها تشهدهم، ومن ثَمَّ يقول أهلها لمن أثر فيه السلام سلامة له، أو سلامة منه: (السلام عليك)، الأول كما يقول الصديق لصديقه، والثاني كما يقوله لمن يداريه به اتقاء شره.

اسمع: الدنيوي يطلب الجنة بالتجرد عن دنياه، فحاله فيها موافقة التأثير التكليفي، وإذا بلغ من الجنة غايته طلب ربه بتجريد همته عن الجنة، فحاله فيها موافقة التأثير الإيجادي، ومن ثَمَّ قال الرب لأهل الجنة: «**هل رضيتم؟ قالوا: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من خلقك؟**»، وإنما عرفوا النفوس الشهوانية التي وجدوا غاية همها فقال لهم: «**ألا أعطيكم أفضل من ذلكم؟**»، ففتح لهم بهذا التنبيه باب الاستعداد لإشراق نوره فيهم، فقالوا: «**وأيُّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فقال: أُحل عليكم رضواني**»: أي فترضون كل شيءٍ برضاي له، وما ثَمَّ إلا ما أرضاه؛ لأنه مفعولي باختياري.

«**فلا أسخط بعده أبدًا**» [1]: أي ما سبب سخطي بما صدر عنكم إلا سخطكم بما ورد عليكم مني.

ومن ثَمَّ قال هو سيدي ومولاي: «من رضي عن ربه فيما ورد عليه من أحكامه رضي عنه ربه فيما صدر عنه من أعماله».

اسمع: عوام أهل كل أمر من وجده حيث يراه كسبًا لنفسه من غيره، فهو له عنده منتزع بالتسبب والتعمل من يد ذلك الغير المالك له بالأصل، وخواصهم من وجده من حيث يراه هبة له من مالكه الأصلي، باقتضائه له رؤية بعين اليقين.

اسمع: الله لا إله إلا هو الوجود الإلهي المتصف بالصفات المحيطة التعلقات الحكمية اتصافًا ذاتيًا هو له في كل موجودٍ، ف﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ**﴾ [النساء: 79]، الإله الذي هو وجودك الإلهي، ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ**﴾ [النساء: 79] التي ترى أنك في مرتبتها غير الله.

اسمع: الوجود الذات هو الوجود الذات في كل موجودٍ، فله في كل موجودٍ جميع توابعه، كما هي له مجردًا، وإنما يظهر في كل موجودٍ بها أو منها بما ناسب خاصية ذلك الموجود المرتبية، المُسمَّاة بالاستعداد، فتارة يظهر فيه بحكم ما هو الوجود المطلق، المحيط بكل موجودٍ ظهورًا وجوديًا شهوديًا، وهذا لا يحصل إلا في أكمل الموجودات في الحال، وتارة يظهر فيه بذلك ظهورًا شهوديًا فقط، وتارة يظهر فيه بحكم ما هو الوجود الإلهي كذلك، وتارة يظهر فيه بحكم ما هو الوجود العبداني كذلك، وقِسْ على هذا ظهوره فيه بحكم كل مرتبةٍ مجملاً ومفصلاً في كل مرتبةٍ إدراكية أو فعلية، أو هما بحسبها.

﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس: 83].

اسمع: ما أحاط بكل شيءٍ علمًا إلا من علمه بجميع جهاته الحقيقية والنسبية، وليس ذلك إلا لذي العلم المطلق.

اسمع: التابعون على قسمين: تابع نزل أمر متبوعه عنده منزلة الضرورة والوجدان اليقيني، فهو في باطنه متبين منكشف لا تلبسه عليه الشبهة، فهذا واجد أشرق فيه متبوعه بما وجده، وعلامة كون متبوعك منك بهذه المنزلة أنه إذا كشف لك عن أمر

---

(1) رواه البخاري (2398/5)، ومسلم (2176/4).

بيانه وجدته في قلبك، كأنه لم يزل كما بينه، وإنما كنت عنه نائمًا وكان عنك مستترًا، وهو ثابتٌ فيك فأيقظك، وكشفه لك ببيانه، فليس هذا التابع بمقلدٍ؛ لأنه على بصيرة في تبعيته، فحاله قائل: ﴿جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي﴾ [غافر: 66]، وتابع بخلاف ذلك فهو مقلدٌ في تبعيته، يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فحاله قائلٌ: سمعت الناس يقولون شيئًا فقلت مثله، ولا أدري ما هو، فيضربه منكر إنكاره، ونكير تنكير الحق عليه بمرازب سوء ظنه وتوهماته، فيغوص في ظلمات حجبة الحق عنه، وإعراضه عن الحق وإقباله على بهيمياته، ودورانه مع هواه دوران الحمار البليد في رحاه، وأما الواجد فيأتيه مبشر وبشير بضد ذلك من الدرجات العُلى.

اسمع: ناطق مظهر الحق المبين هو كتاب الله الحقيقي، وصحف بيانه تمثلات منه أقامها نائبة عن شخصه الكياني عند تعذر محاضرته ليس إلا، فإن حضر أصيلاً أو وارثًا فالحكم له، ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: 29] في الدينيات الفرقانية الشرعية، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 62] في الدينيات القرآنية الجمعية.

اسمع: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: 16]: أي لا تجعل حظك منه حركة اللسان بألفاظه من غير تحلٍ بأحكامه وحكمه، فإن تلاوته اتباعه، والحسنات المترتبة عليها ما كتب بها في صحيفة نفسك البشرية من أنوارها، ولو بأن حركة لسانك بألفاظه تعصمك في الحال من سقط اللفظ ولغوه، ورذيله ولهوه، فكيف بما فوق ذلك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ [القيامة: 18، 19].

اسمع: جبريل هو روح الفكر الربَّاني الحكيم، من ألهاه حركة لسانه بألفاظ الكتاب عن تنزله على فهمه بشيءٍ من المعاني الربَّانية الحكيمة المقصودة بها، فقد عاجل به جبريل قبل أن يأتيه بوحيه، والخطاب إنما هو من العليم الحكيم، ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، أو أراد أن يكون منهم، ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: 114]، على التلفُّظ به وتلاوته (علمًا).

اسمع: قد قيل: إن المكان هو السطح الباطن من الحاوي المماس للسطح الظاهر من المحوي، وقيل: فراغ متوهم حيث الجسم.

وقيل: بُعد مجرد لو لم ينطبق عليه جسم لكان خلاء، وقيل: كون الشيء بحيث

يُشار إليه إشارة حسية بأنه هنا وهناك، وهذا أقربها، وقد سمعت أنه تناهى الأبعاد كما تقدَّم، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102].

اسمع: قيل بلسان النحاة: إن التصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، وهو حقٌّ في كل مقامٍ بحسبه، فأثبت للتربية من العليم الحكيم ترجع إلى القيومية.

قال تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

اسمع: قد يُراد بالتقليل القرب من الواحد الأول، وعزة النظير، فهو تعظيم.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]، ﴿لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ [النحل: 121]، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: 24]، ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [الكهف: 22].

قال هو سيدي ومولاي:

مُكَمِّـل الخلـقِ مَـا تُحْـصَى خَصَائِـصه   مُنـضر الحسـنِ قَـدْ قَلَّـت نَظَائِـره

اسمع: الأزل والأبد في نظام مبدأ التقدُّم والتأخُّر، وهو الإدراك النسبي، ومن انطلق شهوده من حدود هذه المرتبة شهد تجلِّي الوجود كله حاضرًا، لم يزل ولا يزال، والتفاوت من أحكام حدود المراتب.

اسمع: المنكشف حاصل لكاشفه في كل مقامٍ بحسبه، وما لا فلا.

اسمع: المنكشف في مراتب الأعيان واقع، والبيان أخبر عنه، والصدق من خبره لازم لمعناه، فلا يخبر عما ليس بمنكشف له؛ لعدم فائدة الخبرية، فلا يخبر إلا عن واقعٍ.

اسمع: الصدّيق عوده الله أنه لا يعلق اختياره بأمرٍ غير مقدور الوقوع للقدرة الكاسبة إلا حققه له في كشفه، بانكشافه بالقدرة الموجِدة، فلم يتعبهم من ذلك بالانتظار الذي ابتلى به نفوس المتكلفين، فلذلك لا يحتملون الانتظار فيما دون ذلك، قال بعضهم: (قلوب الصدِّيقين لا تحتمل الانتظار).

وقال السيد الكامل السيد: «**في الجنة وأبو بكر في الجنة**[1]»، حتى عد صديقيه كلهم، ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 82]، ومن دونهم ينتظر ذلك، فانظر نقلتهم إلى ماذا إذا انتقل المنتظرون إلى هذا.

---

(1) رواه الترمذي (648/5)، والنسائي (56/5)، وأحمد (188/1)، وابن حبان في صحيحه (454/15).

اسمع: التصور حصول صورة في النفس، والصورة هي المرتبة المحددة، والتحدد هو التميز بحكم المغايرة، سواء كان يتركب من التركبات الذهنية أو الخارجية، ويُسمَّى المتميز به مجردًا أو واجبًا محضًا، أو سوى ذلك، وذلك أن كل مشخصٍ بحكم المغايرة، وإن سميته واجب الوجود لذاته، فإنه محددٌ كما تقدَّم.

اسمع: إذا تيقنت النفس صورة أعني كانت منها بحيث لا يتغير إدراكها، وأحبتها أعني كانت منها بحيث يكون تحققها بها آثر عندها مما سواه، فإن تلك النفس إذا فارقت ما يحجبها عن إحساس نفسها، وقامت في صورة تصوراتها تكون تلك الصورة هي الصورة التي تشخصها التشخص الخارجي بها، دون غيرها من تلك الصور في إحساسها، وإحساس كل حساس للصور العقلية والخيالية، ومن ثَمَّ عظمت المنة في حصول صورة وجودك الإلهي من تصورك لها بمنزلة اليقين، والمحبة حيث تصورتها صورة وجود لك، منفصل عنك بحكم المغايرة مع حكمك لها بالكمال الإلهي، فإذا ظهرت بنفسك قائمًا بها في حسِّك، وأنت تراها صورة أدركتها إدراكًا انفعاليًا عن إلهك الذي تراه منفصلاً عنك بحكم المغايرة، كانت عندك صورة أوجدك فيها على صورته عيانًا، ورأيت أنها مقعدك الصدق عند مليكك المقتدر، فتسمَّى فيها بمثالات أسمائه، وتتَّصف بمثالات صفاته، وتفعل أمثال أفعاله، وكل ذلك مبني على المغايرة التي لو زالت لعلمت أن ما كنت تتوهمه مثالاً، ليس إلا عينًا، فهو وجودك ظهرت بعينه لنفسك في قوابله منك، فكان أمرك معها كحالك مع ما تراه منك بواسطة المرايا الصقلية، والمياه الصافية الساكنة، وهذه الصورة الشريفة هي المُشار إليها بما قال هو سيدي ومولاي:

إِذَا انحلَّ تَـرْكِيب المعَانِـي عِـنَايَة تُكُـون صـفاة للـذواتِ البَـسِيطَة
وَيحصل مِنْهَا دَاخِل الذِّهْن صُورَة مجـرَّدَة عَـنْ كُـلِّ شِـبهٍ وشُـبهة
تَعَالَـى عُلاَهَـا عَـنْ حَـدِيث محـدِث بِإِخْـبَارِه يُدْلِـي عَلَـى غَيْـرِ خِبـرة

انظر كيف تتصوَّر من إنسانك الكائن الذي تحكم له بالإمكان والحدوث والكون إنسانًا مجرَّدًا مفارقًا، تحكم له بضد ذلك، ويقضي حاكمك بذلك أنه أصل كائنك ومبدؤه، وأنت تعلم أنه مبدأ تصورك، وأصل صورته الحاصلة في إدراكك الانفعالي، وبذلك سمَّاه أفلاطون مثالاً، فأظهرت عنك ما ظهرت فيه بالأصلية وهو فرعٌ، وفي

أصله بالفرعية له، وما هو إلا مرتبتك المجردة عما قُيدت به مرتبتك الكائنة، وبهما ظهور وجودك، وأظهرهما في شهودك، وهكذا كل المراتب التي يتعلَّق بها شهودك، ما هي في دائرة الفرق بالحقيقة إلا حدودك.

اسمع: الأحد متميز لا بعدد، فتميُّزه بذاته، والواحد متميز بتمايز تعيناته، فهو قيوم العدد والفرد، متميز بامتناع التعين بمتساويين، فلا مثل له، والمماثلة هي اتحاد المنفصلين بالتشخص في فصل ماهيتهما، كاتحاد زيد وعمرو في الناطقية، والوتر متميز بالجمع بين متماثلين، بحيث يصيران فردًا، كثالث من الخمسة، والرابع من السبعة.

فوترك أيها الإنسان الآدمي من كان منك مكان قلبك بصدق حبك، فحقق صورة عبدك بما هي عليه من صورة ربك، فاعرف قدر من هو إمام هداك يا غلام، ومن التفت عن إمامه بطلت صلاته والسلام.

اسمع: قلب الحقائق محال، وهو كون الحقيقة سوى نفسها حال ما هي هي، وقلب الأعيان ممكن، وهو زوال غلبة ظهور صورة على قابل بحصول غلبة ظهور سواها عليه.

اسمع: النفس جوهر شأنه الإدراك والفعل، والتعلق بجسمٍ، ومعنى هذا التعلُّق تصرف النفس به في حصول أمور، لولا تصرفها به فيه لم يظهر أن للنفس قوى هي مبادئ تلك الأمور، وهي من حيث هذا التعلُّق نفس مضافة لما تعلَّقت به، فإذا كان جسمًا لا يقبل إلا تصرُّفًا واحدًا على وتيرةٍ واحدةٍ، فهي فلكية، وقسْ على هذا.

ثم إنها إن لم يكن أظهر أمورها فيه إلا حفظ مزاجه، أو نظم شخصه، فهي نفس جمادية، وإن كان الأظهر مع حفظها لذلك تنميته، وتوليد أشخاص نوعه عنه، فهي نفسٌ نباتيةٌ، وإن كان الأظهر مع ذلك تحريكه اختيارًا وإحساسه فهي نفسٌ حيوانيةٌ، فإن كان مع ذلك الأظهر صدور ذلك عن تمييزٍ ونظرٍ، فهي نفسٌ ناطقةٌ آدميةٌ، فلها قوة الحفظ وقوة التنمية والتوليد، وقوة الحركة والإحساس، وقوة التمييز والنظر، وثم قوة تمييزها ونظرها، إما أن يحصل به كمال قواها وآثارها في حال تعلقها بالجسم المعين، وبعد مفارقتها له أولاً، فإن كان فهي قوة ربَّانية تسمِّي النفس باعتبارها روح حكيم، وروح قدس وتقديس، وتسمي قواها الجسمانية وهي صورها التعلقية بمقتضياتها ملائكة، وإن حصل به ضد ذلك فهي ناطقة وهم بهيم، ومبدأ تلبيس، وتُسمَّى قواها

الجسمانية شياطين، وحيث هي صالحة للأمرين فهي ناطقة طبيعية، وتُسمَّى قواها الجسمانية جن، فإذا غلب عليها أحد الأمرين التحقت بعالمه، ثم الناطقية إذا رتبت أمور ذهنية يُتحصل بها مطالب ذهنية، فهي عقل نظري، وقد يُسمَّى فكرًا من حيث رتبت ذلك، وعقلاً من حيث حصلت به ما طلبت.

والعقل النظري والفكر إن سهُل تحصيله لمطلبه، وحصل له حصولاً ضروريًا عنده، فهو عقل قدسي، وصاحب هذه القوة الناطقة إن أسلم لكل ذي حقٍّ حقه بترك منازعته فيه فهو مسلمٌ، فإن عمل على شاكلة ذلك فهو صالحٌ، وإن صدق بالحقية مع إسلام الحق لمستحقِّه، تصديقًا لا ينقص عما لو لأحسه فهو مؤمنٌ، فإن عمل على شاكلة ذلك فهو شهيدٌ، وإن شهد المدلولات في أدلتها بعين اليقين في حال تعلق نفسه بجسمه، كما يشهدها حال مفارقتها له سواء فهو محسنٌ، فإن عمل على شاكلة ذلك فهو صدِّيقٌ، وإن انكشفت ذهنياته الربَّانية في إحساسه فهو نبيٌّ حق.

وانكشاف الذهنيات في الإحساس مع القوة على بيانها نبوة في كل مقامٍ بحسبه، وإن وجد ما يضطره إلى حمل الناس على طاعته فيما يرى فهو رسولٌ.

اسمع: الصديق عوده الله في الحال إنجاز ما وعده المنتظرين من حسن المآل، فلذلك قلوب الصديقين لا تحتمل الانتظار.

اسمع: الموجودات كلها قضايا جرَّدها الوجود الذات من نفسه لنفسه بقضائه الذي ذاته مقتضية له، وهو يقتضي لها أن تقضي به، فكلها موجبات من هذه الحيثية، والواقع منها بالاختيار عبارة عما كان انكشافه في الإدراك بصورة حدية، مقارنًا لاختيار مبدأ انكشافه هذا له، وأما حقيقته فموجب كما تقدَّم.

اسمع: لا يُوصف بأنه نعمة أو ضدها، أو لطف أو ضده، ونحو هذه الأوصاف إلا ما وقع بالاختيار لذلك الغرض، وأما الموجبات بالذات فلا تعلَّل بالأغراض، فلا تكون كذلك.

اسمع: لا يقطع بأن لعبد إلا ما قضاه له ربه، ولا يتبيَّن لك ذلك إلا بعد حصوله منه على فائدته التي خُلق لها بالنسبة إلى ذلك العبد، فلو كان معك طعام فتبدَّد، أو مال فضاع، فالتقطه غيرك أو أكله، فلا تقل: تبدَّد طعامي، ولا ضاع مالي؛ لأنه لو قُضي طعامًا لك ما تبدَّد، ولو قُضي مالاً لك ما أكله غيرك، وإنما هو في قضاء ربك لمن

انتفع به، ولكن قل: ضاع مني مالٌ، وتبدَّد طعام، وينبغي لك حينئذٍ أن تجعل ملتقطه في حل من نسبتك الشرعية للنسبة الحقيقية له كما علمت، وقِسْ على هذا.

قال تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: 23].

اسمع: أئمة الهدى لهم هدايات عمومية بالتنصيص، يدعون بها إلى ترك الدنيا طلبًا للآخرة، وهدايات خصوصية بالتخصيص يدعون بها إلى ترك ما دون الله، محبةً لله، وهم لا يورثون، ما تركوه فهو صدقة منهم على أهله، وإنما يورثون ما تركوا غيرة لأجله في كل مقامٍ بحسبه، كما قال السيد الكامل: «**إنا معشر الأنبياء ما تركناه صدقة**[1]»: أي يورَث عنا ما تركناه مما دون الآخرة لأهل العمل والتكليف، وما دون الله لأهل العلم به والتعريف، وإنما الذي تركناه صدقة؛ حيث لا يورث عنا فهو صدقة، وإلى معرفة قسمة هذه المواريث النورانية ندب في عموم قوله: «**تعلَّموا الفرائض وعلِّموها الناس**[2]»، كما ندب بذلك إلى معرفة قسمة المواريث المالية.

اسمع: قد قيل في العلم الإدراكي: إنه حصول صورة الشيء في النفس، وما ثَمَّ إلا صورة في نفسٍ، فما ثَمَّ إلا علم.

اسمع: الذين عرّفوا العلم بأنه حصول صورة الشيء في النفس قسموه إلى: تصور وهو إدراك الصورة لا مع حكم بها ولا عليها، وإلى تصديق وهو إدراكها مع حكم، فهذا عندهم علم، وأما الحكم نفسه وهو إسناد أمر إلى أمرٍ فهو كلام.

اسمع: إذا كان العلم حصول صورة الشيء في النفس فانظر ما وجد العالم بالله.

اسمع: لما قال موسى للخضر: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: 76]، خرج من نهيه بقوله عند السؤال عما بعدها على الفور: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: 78]، تعظيمًا لحرمته، والتزامًا لطاعته.

هذا من حيث الظاهر، ولذلك قال السيد الكامل:

«**يرحم الله أخي موسى، لو صبر على صاحبه لقصَّ الله علينا من أمرهما عجبًا ولكنه استحى**[3]».

---

(1) رواه ابن عدي في الكامل (86/2)، وبنحوه: مسلم (1378/3).

(2) رواه ابن ماجه (908/2)، والبيهقي في الكبرى (208/6).

(3) رواه البخاري (1247/3)، ومسلم (1849/4)، والترمذي (309/5)، والديلمي في الفردوس =

فقال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف: 76]، فجعل المفارقة باختياره ومن جهته.

وأما في المعنى فهو فرق بين القيام بأمر التكليف والقيام بأمر التعريف، وأما في معنى المعنى فذلك فراقهما بحكم البين، وتخاطبهما بلسان وحدة العين، ولكل مقامٍ من هذه المقامات من قوله: ﴿مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: 82] مقال، ولكل مجالٍ في ذلك رجال.

اسمع: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لله﴾ [البقرة: 165]؛ لأنه حقيقتهم، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ﴾ [العاديات: 8] الذي خلقه على صورته ﴿لَشَدِيدٌ﴾.

وجاء في الخبر الإلهي: «**يا ابن آدم كلٌّ يريدك لنفسه، وأنا أريدك لك**[1]»: أي لنفسي التي أنت على صورتها، فهي حقيقتك.

اسمع: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾ [الصافات: 10].

الخطفة: ورود الروح الحكيم بأمرٍ يغلب على قابله إذا تمكن منه فجأة، والخطف: معارضة الوهم البهيم له، إنما يعوقه عن التمكين من قابله كمعارضة إمام الهدى بتأويلها على ما لا تقتضيه حكمته، أو معارضتها بما يمنع من نزولها منزلة التصديق الجازم، والشهاب الثاقب، ما تزول به حجابية تلك المعارضة عن ذلك المقصود في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: من خاف على نفسه الفتنة عند ظهور عذره فيما يراه بقضائه غفر له ذلك بما يراه كمالاً، ومن ثَمَّ لما ظهر العذر في ضم صاحب التسعة والتسعين نعجة نعجة صاحبها التي نسبها إلى نعاجه في الكمال، على صنفها نسبة كماله، على صنفه إلى أبناء وقته، فكان ضمها حكمة وإن كان في ظاهره غصبًا لمن كانت بيده، واستشعر في نفسه ما قيل فيه: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [ص: 24]، ودلَّ على أنها منهن بتلك المنزلة، وبمنزلة الدرة اليتيمة من اللؤلؤ الصغير بقوله: ﴿نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص: 23]: أي لا نظير لها في صنفها.

-

(263/2)، بنحوه.

(1) لم أقف عليه هكذا.

اسمع: المعاني زوجات الفهوم المدرِكة لها، ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: 5]، في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أراد الفاعل أن يرى صورة زينته في صورته القابلية بإراداته الفاعلية، فانفصلت عنه تلك الصورة المرادية قابلة لصور عنه بسيطة، ومبدئيتها له مشخصة، فهي تحبه لفاعليته التي هي مثال صورة زينتها، حب الشيء لحقيقة نفسه، فهي أشد حبًّا، وهو يحبها لزينتها، حب الشيء لحظه.

ومن هنا كان اللوح للقلم، والنفس للعقل، وحواء لآدم، فترى الرجل يحب المرأة لرونقها وزينتها الشخصية عنده، وإذا زال ذلك عنها زال حبه، وتراها تحبه ما دام قويًّا على الفعل عندها، وإن لم يكن ذا رونقٍ وزينةٍ، أشد من حبه لها؛ لكون حبها باطنٌ وحبه ظاهرٌ.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقَّق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد

من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده

على عبده من عنده

اسمع: الكلام مبدأ تخصيص معلوم بمعلوم؛ ليكون منكشفًا به في الإدراك انكشاف التبين مع تمايزهما التعيني، والإرادة مبدأ تخصيص معلوم بمعلومٍ؛ ليتميز به تمييز التعين، فالكلام الحكم الذي تسمَّى لا يتصور معه تصديقًا.

اسمع: الكلام هو الحكم الإسنادي، فإن كان في العلم العقلي فهو كلامٌ، وإن كان في التشخُّص الخيالي فهو قولٌ، وإن كان في التشخُّص اللساني فهو لفظٌ، وباعتبار

ظهوره باللسان من بطونه في الخيال يُسمَّى حديثًا، وباعتبار ظهوره بالخيال من بطونه في العلم يُسمَّى نطقًا، فلا يُنزل الكلام من السماء إلى الأرض إلا من أظهر الكلمات العلية من غيب الروح إلى شهادة الإدراك الحسي، فظهرت في الحس على ما هي عليه في العقل، من فعل ذلك فقد صيّر الإحساس القابل عنه بصدق تعقلاً، فكلامه كله ﴿**وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم: 4، 5].

أخبرني بعض الأستاذين الكُمَّل، غلمان هذا الجناب الأعلى الوفوي، قدَّس الله أسرارهم العزيزة أجمعين، أن سيدي ومولاي نظر إلى عبده يومًا، والعبد طفل، ثم قال سيدي ومولاي لهم: هذا: أي العبد يملأ الأرض كلامًا، فهذا سر قول الحق المحمدي عن مهديه، أنه يملأ الأرض عدلاً ونورًا، ولا يقبل من أحدٍ إلا الإسلام.

اسمع: جاء في الخبر: «**يبعث الله على رأس كل مائةٍ رجلاً يحيي به هذا الأمر**[1]»، فهذه المئين كل سنة منها ثلاثمائة وستين يومًا، كما قال السيد الكامل في سنة ثواب الصوم حيث يقول: «**مَنْ صام رمضان وأتبعه بست من شوال، فكأنما صام الدهر**[2]»، السنة ثلاثمائة وستون يومًا، والحسنة بعشر أمثالها، وهي عدد الأخلاق المقول فيها: «**إن لله ثلاثمائة وستين خلقًا، من أتاه بخلقٍ منها دخل الجنة**[3]».

وعدد السُّلامى المقول عنها: «**إن لابن آدم ثلاثمائة وستين إربًا، يصبح على كل إربٍ منها صدقة**[4]»، وأول هذه المئين يوم قوله: «**إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**[5]»، وهي القرون القطبانية، وآخرها آخر القرن الثامن وهو سنة أربع وعشرين وثمانمائة هلالية من الهجرية، وبعد ذلك يكون القرن التاسع، وفيه تظهر البدائع وعلامات الانقراض الواقع، ﴿**مَا لَهُ مِن دَافِعٍ**﴾ [الطور: 8].

اسمع: إذا تيقنت أن لا فعل ولا أمر إلا لله ربك الحق، ثم قال لك: لِمَ فعلت كذا؟ فاسمع ذلك تنبيهًا لك على أن تعرف منه حكمته في إظهار ذلك الفعل في مظهريتك، فقل: سبحانك وبحمدك سيدي ومولاي، ما الحكمة في إظهارك لهذا الفعل شاهدًا أن

---

(1) تقدم.

(2) تقدم.

(3) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (39/4) بنحوه.

(4) رواه النسائي في الكبرى (320/5) بنحوه.

(5) تقدم.

التعرف منه وإليه، وأنه لا يُسئل عما يفعل لكن عن حكمة ما يفعل، وهو السائل والمسئول في الحقيقة؛ إذ لا فعل ولا قول ولا أمر إلا له.

اسمع: التقوى الامتناع عن حكم بأعلى منه في الترتيب الربَّاني، وأعلى مراتب التقوى امتناع العبد بشهود الله ربه عن شهود غيره، فلا يرى له غيرًا، وأدناها امتناعه بأثر الحسنات عن السيئات، وبين ذلك درجات.

اسمع: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، (أتقى) هنا إما فعل متعد: أي من جعلكم تتقون، أو من أفعل التفضيل، وهو أعلاهم تقوى، وأئمة الهدى الكُمَّل لهم المعنيان؛ لأن وجودهم الحق المبين، ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56]، غفر وجوبه بإمكانه إذا ظهر بحكم الأول في الثاني.

اسمع: أعلى المراتب التقوى ليست إلا للحق الذي لا غير له عند نفسه، مع علمه بأن له غيرًا عند مراتبه الخَلقية، فلا يجد هذه المرتبة منهم إلا من تحقَّق به، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: 90]: أي ويعرف ويثبت على حكم الواحدية، فافهم.

اسمع: أهل النعيم الروحاني ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات: 41]، وهم عبادٌ مخلصون، وأما من فيهم بقية كفرية: أي حجابية وهمية كثيفة جسمانية فيتمتعون، ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: 12]، ويرونها جنة لهم، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175]، أصبرهم عليها تقيدهم بالحكم الحجابي الذي هو مبدؤها، أو منها وإليها، إن الله يدخل الذين يهديهم ويصلح بالهم جنة عرَّفها لهم.

اسمع: الوجود الذات هو الذات المقتضي لنفسه أن يقضي، وما ثَمَّ إلا هو، فيقضي قضاء يوجب له أن يقضي قضايا يجردها من نفسه لنفسه، هو هي حقيقةً، وهي سواه حكمًا ومعاملةً، لكنها موجوداته وأعيانه ومراتبه وأسماؤه وأوصافه، والأمور المضافة إليه كيف كانت، ولكلٍّ منها خاصية ميزه بها عن سائرها، وحكم مرتبي ألزمه إياه، وظهر في كلٍّ منها بكلٍّ منها أو ببعضها، ظهورًا يناسب خاصيته وحكمه، فاختلفت الحدود، وتباينت القيود، وتغاير بذلك؛ إذ تكاثر في ذلك، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الجملة العدد، وهو هو بما هو، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [الروم: 27]، وما ثَمَّ إلا هو.

اسمع: للقضاء مراتب: مرتبة ما هو مبدأ تجرد مقتضيه عن قاضيه، وهذه مرتبة

إطلاقه، ومرتبة ما هو مبدأ كشفه عينًا قائمًا، مرتبة ما هو مبدأ رتبته، واسمه من حيث ما هو مبدأ الكشف والتمييز علم، فمن حيث تحقق متعلقه تمييزًا يُسمَّى علمًا فعليًّا، وهو حقيقة كل مرتبة فاعلية من حيث أنها فاعلية، ومن حيث تعينه كشفًا يُسمَّى علمًا انفعاليًّا، وهو حقيقة كل مرتبة قابلية من حيث أنها قابلية.

اسمع: العلم الذي هو مبدأ الحدود وتوابعها هو المُسمَّى بالإدراك فعلاً وانفعالاً.

اسمع: إذا أُضيف أمرٌ إلى أمرٍ إضافة لازمة ذاتية لا تنفك ذهنًا ولا خارجًا، فذلك المضاف لا ينعت بمغايرة مضافه؛ إذ المغايرة الانفصال الاستقلالي، وهو مفقود هنا، وأيضًا فالمضاف ليس إلا الإضافة أو متصفها، فحيث قطع النظر عنها فلا مضاف.

اسمع: الوجود الذي هو صورة العقول المعيشية هو رب العالمين بحكم الفرق.

«**فمن عرف نفسه**»، التي هي عقله المعيشي، «**عرف ربه**»[1].

اسمع: ما أعجب ما يتعيَّن الوجود العالم بمعلوم يتغيب بخاصيته عن كونه هو، وعن كونه متعين بكل شيءٍ كما هو متعين به فيما يظهر يكون باطنًا، وبما يتعيَّن يصير غائبًا، وبما يبدو هو مكتوم، قال هو سيدي ومولاي:

غَيبةٌ فِي عَينِ مَا يعلمُه فِي عَمى تنظره كالعلمِ

فمعلومه الذي إذا تعيَّن به ظهر لنفسه بما أخفاه عنه منه تعينه بما دونه، هو أجل معلوماته، والخاص منها بخاصية تعيين إحاطاته، وإظهار أسرار مراتبه وذاته، ﴿فَالْحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: 12، 13].

اسمع: كل اختيارٍ لا تجد له عائقًا عن حصول مختاره معه فهو اختيار الوجود الربَّاني، وما دون ذلك بخلافه، فهو اختيار الوجود العبداني، فاعرف وجودك في كل مرتبةٍ بخاصيتها وسمتها، وإن كنت عندك مقيدًا بمرتبةٍ، فالتزم العمل على شاكلتها طوعًا، فإنك ملتزمٌ به قهرًا ما دمت مقيدًا بها، حتى تخلص بالله لله، فيطلقك الله، أو يقيدك بحكمه الأعلى، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

﴿وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 73].

اسمع: الإدراك أربع مراتب هي بفاعليتها مبادئ قلمية لمتعلقاتها، وبانفعالها ألواح

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (343/2)، والقاري في المصنوع (189/1).

لها، وهي بالوجهين نظامها:

الأولى: نظام الحدود المجردة.

والثانية: نظام الأشخاص المفارقة.

والثالثة: نظام الأمور النسبية الواقعة موقع الحقائق في المدارك الشخصية حكمًا ومعاملةً.

والرابعة: نظام الأشخاص المادية.

وتُسمَّى الأولى بفاعليتها عقلاً، وبانفعالها تعقلاً، والثانية بهما خيال وتخيل، والثالثة كذلك وهم وتوهم، والرابعة كذلك حس وإحساس، والتجرُّد غيبٌ، والتشخُّص شهادةٌ، فالأشخاص المفارقة شهادة غائبة، والمادية شهادة كائنة، وإذا ظهر أحدهما وبطن فيه الآخر، فالباطن كائن بالقوة، والظاهر كائن بالفعل، والناطقة المتصرفة رابطة بين المرتبة الأولى والثانية، والفكر رابط بين الثانية والثالثة، والذكر رابط بين الثالثة والرابعة، والحفظ رابط بين الرابعة والثانية، وبه يصير محل الخيال ذا حِسٍّ، والمتخيل حساسًا، وعكسه بغلبة ظهور حكم المرتبة، لا بانقلاب حقيقتها، ويُسمَّى كل عينٍ غيبي من حيث تعينه المجرد حقٌّ، من حيث ما هو متعين به حقيقةٌ، ويُسمَّى كل عينٍ شهودي بالاعتبار الأول ماهية، وبالثاني صورة وهيئة، والحق لا يزيد على الحقيقة زيادة حقيقية.

إنما هي كما تقول: ما الإنسان؟ فتعيُّنه أنه حيوانٌ ناطقٌ، ويكون ذلك عندك هو هو بخلاف الماهية والهيئة والمادة والصورة؛ حيث النفس عندك مغايرة للجسم مثلاً بل ولقواها.

اسمع: مَن ظهر وجوده في موجوديته الناطقية بحكمه الإلهي أكمل مما ظهر في كل موجودٍ في زمانه، فوجوده الإلهي هو مستحق اسم الله في زمانه، كما أن موجوديته الإمكانية المعنوية بمظهريته، كذلك مستحقة كل اسمٍ إمكاني، مخصوص بالله كرسوله ونبيه ووليه وحبيبه وخليفته أكمل استحقاق، ومجموع هذا الموجود ووجوده هذا هو الله ورسوله معًا، ومن حيث مبدئيته مع ذلك للأنوار الإيمانية هو الله ورسوله والذين آمنوا، ووليهم ومولاهم، وقِسْ على هذا.

ومن ثَمَّ قال الحق بلسانه المحمدي: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: 55]، فهو الكل.

وقال هود: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ﴾ [هود: 54]: أي في نفسي، وبكشفي وبياني.

وقال شعيب: ﴿أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللهِ﴾ [هود: 92]، يعني وجوده الإلهي المتعين في موجوديته، وهذه هي البينة التي قال عنها في سورة الأعراف: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 73]، وإنما لم يقلها لهم لأنها أجلّ من أن يعبر عنها لأمثالهم.

كما قال القائل: ﴿لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50].

وإذا سكت ففي السكوت كلامٌ، كما تقول لمن أنعمت عليه بأشياءٍ: أنا ما أقول إني أعطيتك كذا ولا كذا، ولا كيت ولا كيت، فقلت: ما لا تقوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 10، 11]، فهذا وحي شهودي لا قولي، ورُبَّ تلويح أبلغ من تصريح، ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37].

اسمع: من له اختيارٌ إذا قارن شخصًا خياليًا عنده اقتضاء انكشافه في إحساسه شخصًا كائنًا، فذلك فاعل مختار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

قوله لتشخيصه الخيالي بما خصصته إرادته، واختياره المقتضى انكشافه الإحساسي هو: (كن)، وانكشافه هو: (يكون)، والذي شُخِّص بما خُصص، وكُوِّن بما اختار، هو الكائن فيما كونه؛ إذ الكل أحكامه.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: 47]، ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: 132، 133].

والكلام صفة المتكلم، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: 81]، ما ثَمَّ إلا عالم يتعيَّن بمعلوماته في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لا تركُّب إلا بالوهم، فلا جزء إلا في دائرته، مثال هذا: حكمك بأن ماهية الإنسان جزءان، أحدهما الحيوان، والآخر الناطق، وهي مجموعهما: (الحيوان الناطق)، هذا هكذا حكم وهمك، وإن جزم به عقلك فلتقيده بوهمك، وحكمك بأنها ماهية

مفردة لا جزء لها أصلاً يمكن أن تتحرك اختيارًا، وتحس وتفكر، وتستعمل القياس معًا اسمها حيوان ناطق، كعبد الله علمًا، فهذا حكم عقلك المفارق لوهمك، وقِسْ على هذا.

فالوهم ماهياته مفاهيم تابعة لآثار وأحكام لواحق، والماهيات المتبوعة السوابق ماهيات العقل المجرَّد المفارق.

اسمع: السيد إذا أراد أن يُلحق شأن عبده بالمحاسن وصف به نفسه، فزال ما كان فيه من نقصٍ لولا ذلك، كقول السيد الكامل: «**إنما أنا بشرٌ أنسى كما ينسى البشر**[1]»، فرفع بذلك عن أمته إثم النسيان.

اسمع: من حدد لأستاذه شأنًا فقد قيَّده بصورةٍ لا يعرفه إلا فيها، فمتى اقتضت حكمته التحول في سواها أنكره، ومن أطلقه من التجديد سلم من إنكاره وتنكيره.

اسمع: اجعل ما تراه من البلاء في سواك مرآة، ترى فيها من أنعم عليك بالعافية منه، أو ترى فيها نعمة العافية، ومن ثَمَّ جاء في الخبر ندب من رأى ذا بلاءٍ أن يقول: «**الحمدُ لله الذي عافاني مما ابتلى به غيري**[2]».

اسمع: قال مسترشد متفقّه: هل للعالم أن يتكلَّم في القرآن برأيه.

وقد قال أبو بكر الصديق قدَّس الله سرَّه العزيز: «**أي أرضٍ تقلني، أو سماء تظلني إن تكلَّمت في القرآن برأيي**[3]»، بين لي ذلك بيانًا شافيًا على طريقتي.

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: الكلام في القرآن ضربان: ضرب طريقه السمع، كالقراءات واللغة، وأسباب النزول، ونص القصص، فهذا لا يتكلَّم فيه إلا عن نقلٍ؛ إذ التكلم فيه بالرأي داخل في حدِّ الكذب؛ لأنه إخبار عن غير معلوم الوقوع عند المخبر، وليس من هذا أن يخبر عن رأيه فيقول: أرى أن سبب نزوله كذا وكذا، وإنما يخبر بما توهمه إخبار القطع، مثال هذا أن يقول برأيه: قُرئ كذا، وقُرئ كذا، ويقول برأيه: سبب نزول هذه الآية كذا، أو يقول برأيه: معنى هذه الكلمة في اللغة كذا، أو يقول برأيه: صورة الواقع من هذه القصة كذا وكذا، كل ذلك ليس له به سمعٌ ولا نقلٌ،

---

(1) رواه مسلم (400/1)، وأبو داود (268/1).

(2) رواه الترمذي (493/5)، وابن ماجه (1281/2).

(3) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (136/6).

فهذا ليس لأحدٍ تعاطيه بالاتفاق، وضرب طريقه فهم الحكم والأحكام، وإشارات المواعظ، والترابي، والفضائل، ومعاني التوحيد ومعارفه، فهذا لا يتوقَّف على السمع والنقل؛ إذ لا بُدَّ من انتهاء بعضه إلى من لم يستند قوله لنقلٍ، لكن يتوقف على موافقة القطعيات والقواعد المتفق عليها، والمتكلم بلسان الفهم رجلان: رجلٌ تكلَّم عن فكره ونظره، وأكثر المفسرين والفقهاء من هذا القبيل العمومي، ورجلٌ تكلَّم عن إلهامه المعبر عنه بقول السيد الكامل: «**إن في أمتي محدثين**[1]».

قال سعيد بن المسيب: أي ملهمين.

وصاحب هذا اللسان قد يتحرَّج أن يتكلَّم بلسان النظر المفكر؛ لأنه عنده أُعطي اليقين فلا حاجة له في الظن، وأكثر الأولياء المؤولين من هذا القبيل الخصوصي، وعلامة هذا التأويل وجد صاحبه له ضرورة في الحال كالمسموع، ومن ثَمَّ لم يحدثنا، وأن ينقاد له عقل الناظر إذا فهمه وأنصف، ويعرف عجز نفسه عن استبداد قوته بإدراكه، وعلى الأول والثاني يُحمل قول السيد الصديق، فإنه لم يرضَ أن يقول في القرآن إلا عن سماعٍ أو إلهامٍ، وكل ما ثبت عنه في التفسير أو الاستنباط مما لم يروه هو من هذا الباب، وأدلَّة ما قلناه من الكتاب والسُّنة كثيرة لا تخفى على متفقّهٍ.

اسمع: جوامع الكلم هي الكلمات التي كل منها لها في كل مرتبةٍ من مراتب دائرتها علم وعمل يناسبها، مثال هذا قول السيد الكامل: «**ليس لك من مالِك**»: أي بلا حسابٍ «**إلا ما أكلت فأفنيت**[2]»: أي أكلته عند الحاجة إلى الأكل، فأخذته قواك بفراغ له، فأحالته إلى صورتك، وصار أنت بخروجه عن كونه فيك، فبيّن أكل الحاجة، وبيّن حكمه، وبيّن أن معنى فناك في الشيء تجردك عن صورتك تحققًا بصورته، فتكون هو عند ذلك لا أنت قبل ذلك، وما فعل بك ذلك من نفسه، فهو الذي أفناك عنك فأبقاك به:

يَا مَوْلاَي يَا وَاحِد يَا دَائِم لمنْ أَفْنَاه مَنْ أَفْنَيْته يَبْقَى وأَنْتَ الَّذِي أَبْقَاه

اسمع: هاديك بالحق المبين، عاملك بكشفه العليم، وبيانه الحكيم، فسلّك من حكم الطين، وأذابك لطفًا، فجعلك بصدق حبك له من حضرته في قرارٍ مكينٍ، فمن لم

---

(1) رواه البخاري (1279/3)، ومسلم (1864/4).

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (80/7)، والطبري في تفسيره (284/30).

يثبت لم ينبت، ثم أنشأك إلى أن سوَّاك رجلاً من أهل التمكين، ثم محضك فخلّصك فخصصك، فحققك بحقه المبين، فكيف ﴿تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28]، كن أنت خير الرجلين، وقل بحالك: ﴿لَكِنَّاْ هُوَ اللهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ [الكهف: 38].

اسمع: من وفّى الإيمان بالقدر حقه منع فهمه عنه الهم والحزن، علام يهتم؟ بما قُدّر؟ فلا بُدَّ منه، أو بما لم يقدر؟ فلا سبيل إليه، الهم بكل منهما عبثٌ.

وعلام يحزن؟ على ما قُدر له؟ فلا مخرج له عنه، أو على ما لم يقدر له؟ فلا سكة له فيه.

الُحزن على كلٍّ منهما عبثٌ، ليس إلا ما انتفعت به، فمهما انتفع به غيرك فقد انكشف لك أنه بذلك قُدّر له لا لك، وإن انتفعت به أنت وهو فهو لك من حيث انتفعت به ومدة انتفاعك، وهو له كذلك، فلا تنازعه فيه وإن كان أخذه من يدك، فلا يعار شيء فيحسبه له إلا الأحمق، لا تقل: أُخذ لي، ولا ضاع لي، فإن ما كان لك لا يخرج عنك، ولكن قل: أُخذ مني، أو ضاع مني، وإذا أُعطيت أجرة على عملك، أو ورثت مائة درهم، أو أودع عندك صاحبك مائة درهم، فجاء سارقٌ فأخذ المائة التي اكتسبتها من حاصلك، وجاء صاحب الوديعة فطلبها فدفعتها إليه، فليكن رضاك بخروج الأولى من يدك إلى آخذها، كرضاك بخروج الوديعة من يدك لصاحبها، إن كنت موقنًا بالقدر، موفقًا لحسن النظر، هي لو كانت لك، وسرقت وحزنت عليها لم يكن في ذلك إلا أنك ضممت إلى ضيعة مالك ضيعة سرورك، وهل يفعل ذلك كيّس؟ فكيف وما كان لك لا يتصور أن يخرج عنك؟

نعم بقي، ثم نسبة حكمية ظاهرة تكليفية ينبني عليها أحكام العقاب والثواب، فاختر أنت أحسنهما، واسمح بنسبتك في المال لسارقة تظفر بحكم الثواب على ما هو في حقيقة القدر لمن انتفع به، وقِسْ على هذا، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: 237].

اسمع: جاء في الخبر: «**خلق الله آدم على صورته**[1]»، فإذا قتل آدمي شخصًا فقد تولّى قبض روحه متوليه بما هو على صورة الله، وإذا قتل بما دون ذلك فقد تولاّه بما ليس كذلك، فأيهما أعلى؟ وهل العفو عن الآدمي القاتل بل والإحسان إليه أو ضد ذلك

(1) تقدم.

أولى؟ ﴿وَأَن تَعفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: 237].

ألا ترى أن ذلك هو الشهيد في الأصل، ومراتب الشهادة في القتل كلها ملحقة بهذه المرتبة، ﴿إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: 111].

اسمع: للعبد المدبَّر خاصية، وهي أنه لا يملكه غير مدبِّره، فلا يخرج عن ملكه لملك غيره ما دام حيًّا؛ بسبب اختياري منه، ولا يكون ذلك إلا للمدبَّر؛ إذ الرق عرضة البيع والهبة، والمنجز العتق والمكاتب يخرجان إلى نفسهما، ويسقط استحقاق السيد لمنافعهما، والمدبَّر بخلاف ذلك.

ومن ثَمَّ قال بعضهم: إنما أنا عبدٌ مدبرٌ: أي لست إلا في تدبير مولاي الحي القيوم الحق المبين، وحسن نظره لي فأنا منه بمنزلة العبد الذي دبره سيده، فهو المستحق لخدمتي كلها، ولا يملكني أبدًا غيره.

اسمع: قال بعض المشايخ لبعضهم: كيف حالكم؟ قال له: إن أُعطينا شكرنا، وإن مُنعنا صبرنا، قال له: وهكذا يصنع الكلب؟ قال: فكيف حالكم أنتم؟ قال: إنْ أُعطينا آثرنا، وإن مُنعنا شكرنا، قال: هكذا يكون يا أستاذ الأستاذين: أي يا أستاذي في هذه المسألة، وأنا أستاذ في طريقي.

ففي قوله: (يا أستاذ الأستاذين) دعوى مستورة بحسن قصد المبالغة في شكر المنعم.

اسمع: الإيجاب تحقق الشيء، والاختيار يظهره، والقصد والتعمل قيد في حصول متعلق الثاني لا الأول، في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: التجريد الوجودي التحقيقي إيجابي، والتجريد البياني اختياري، فلا تطلب في الأول ما تطلب في الثاني من مقارنة القصد والتعمل، وقِسْ على هذا كل أمرٍ وقع في دائرة الإيجاب تارة، وفي دائرة الاختيار أخرى، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213]، مع ما أورده وجودهم الطبيعي بلا فرقان، ﴿فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 213]؛ إذ ظهر بنواطقهم حقًّا مبينًا فرقانيًّا،

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: 213]، فافترقوا وزال حكم وحدتهم.

﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]؛ إذ في ذلك تعبدهم لمن تنزه عندهم عما به قيّدهم؛ إذ غايرهم، وبمغايرته عقدهم، وانعقد فيما نزهوا به عنه منه معتقدهم.

﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 119]، فحققهم به بجمعيتهم على ما به فرقهم، فهم أرباب الجمع والفرقان بحقهم المبين، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 119].

اسمع: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾، قول حال وأشداق، ومنهم من يقول كذلك: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: 201، 202].

وبُعْد هؤلاء في العلو بدنياهم عمن حُجبوا، كبُعدهم في دناهم عمن علوا الهمة إلى الله وهبُّوا، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾ [آل عمران: 173]، لا يختارون غيره، ولا يطلبون سواه، قصدوا الله ولا شيء معه، فوجدوا الله فوجدوا كل شيءٍ.

اسمع: قال بعض المشايخ: من استعمل طبعه وصل إلى الله مستريحًا، فتوهَّم بعضهم أن طبعه يدعو إلى كل رذيلةٍ، فاستشكل هذا.

وجوابه على هذا كما أشار بعضهم: الفرق بين من استعمل طبعه وبين من استعمله طبعه، فالأول تصرَّف في دواعي طبعه بدواعي حكمته، فوصل مستريحًا، والثاني صرفته غلبة دواعي طبعه عليه عن مقتضيات دواعي حكمته فانعكس.

وأما من فهم القول على وجهه فرأى أن (مَن) صلة العاقل من حيث إنه عاقلٌ محضٌ، وقلب سليم للحق العلي الحكيم، لا يدعو إلا إلى الأفضل، ولا يختار إلا ما هو في التمييز الفرقاني أكمل، فإنه لا إشكال عليه.

اسمع: رأيت يوم الإثنين ثاني شعبان عام 807 هـ في المبشرة أستاذًا فرقانيًا.

هو أبو جعفر الزيلعي[1]، يسألني: ما معنى قول بعض المشايخ: (من خالفني فكرهته سقط من عين الله)؟.

قلت له بلسانه: عين الله ليست بجارحة، إنما هي علمٌ تمييزيٌّ كشفيٌّ، قال: هكذا هو، قلت له: وكل ملهمٍ ممنوح من الله بعين بصيرة من هذا العلم، فله عينٌ من عيون

---

(1) هو سيدي شمس الدين محمد الزيلعي الوصي على سيدي علي وفا بعد انتقال سيدي محمد وفا. وانظر: بيت السادة الوفائية للبكري (ص35) بتحقيقنا.

الله، فما سقط منها بتعلقها بنقصه وذمه وخسرانه سقط من عين الله، وما كان منها بخلاف ذلك كان من عين الله هنالك، فطرب ذلك الأستاذ لهذا وقال: يجب عليك ألا تخلي الناس من تعليمك، أو كلامًا هذا معناه.

اسمع: الوجود الذات له اعتبارات:

منها: كونه الوجود المطلق الذي هو ذات كل موجودٍ، واسمه من هذه الحيثية الجلالة المطلقة التي ليست مشتقة من معنى صفتي.

ومنها: كونه الوجود الإلهي هو المتَّصف بالصفات المحيطة التعلقات الحكيمة، واسمه من هذه الحيثية الجلالة المشتقة من معنى الألوهية، وكل شيءٍ من الأول، وكل خيرٍ من الثاني.

اسمع: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ [الشورى: 15]: أي هو وجودنا كلنا بما هو المطلق، وهو يجمع شملنا، ويلم شعثنا، ويصلح شأننا، بما هو الإله، وقِسْ على هذا، ورد كل معنى إلى مبدئه.

اسمع: ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195]، فهم جملةٌ واحدةٌ، وآحادها أبعاضها، وكل منهم مرتبة من هيكلهم المجموعي، كالإنسان وأعضائه، وهو أم كتاب الجملة بحقيقته وحقيته، وهو نسخة الجملة وتفصيلها بكونه وطبيعته، وهو شرح النسخة والأم ببيانه وكشفيته.

اسمع: وجود المرتبة المُسمَّاة في دائرة الوجوب بالمتكلم، وفي دائرة الإمكان بالناطق، هو مُسمَّى الحق المبين، وهذه المرتبة هي مبدأ الكشف والبيان والترتيب في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ما جعل الكائنات مظاهر إلا من شهد أن مكونها فيما له ظاهر.

اسمع: ليس في المحال ثبوت إلا في التوهُّم البشري.

اسمع: منك سائلك ومسئولك وسؤالك في كل مقامٍ بحسبه؛ إذ لا فاعل بالنسبة إليك إلا وجودك في مراتبه الفاعلة، ولا قابل إلا هو في مراتبه القابلة، والمفعولات بينهما منه وإليه، لكن لكل مرتبةٍ فاعلة مرتبة هي القابلة عنها، فمتى صادف سؤال قابل منك ظهور فاعله فيك بحكمه عند السؤال، وجبت الإجابة لا محالة وإلا فلا.

اسمع: من لم يحقق أن الوجود الإلهي هو الوجود المتعين بالمعاني المحيطة

التعلقات، وأنه وجوده المتعين منه بذلك، ووجود كل موجودٍ من حيث هو متعين منه بذلك، فليس عنده من الإله إلا صورة إدراكية، استفادها وهمه من الخبر أو النظر في مؤثرٍ، وأثر صورهما الفكر من العادة المحسوسة، كما قال الصدِّيق عمر:

«**البعرة تدل على البعير، والمشي يدل على المسير**»[1].

اسمع: لا يستحق الجلالة الإلهية إلا الوجود الإلهي، وليس يستحقه في كل زمانٍ إلا وجود صاحبه؛ لأنه متعين منه أكمل متعين تعين به من وجود دونه في زمانه، فهو في زمانه للوجود الإلهي كشخص النوع المنحصر في شخصه في كمال ظهوره فِيه، ولكنه لا يظهر في كل زمانٍ إلا بحسب استعدادات مراتبه الزمانية، فمن ثَمَّ كان كل صاحب زمان محيط الكمال بكمالات أهل الزمن الذي قبله؛ لإحاطة استعداد زمانه باستعدادات الذي قبله.

ومن هنا عجب الحق بلسانه المحمدي من الذين سموا عيسى باسم الجلالة في زمن محمد وأنكروا محمدًا، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾ [المائدة: 17]: أي بي مع أن عيسى منظوم الكمالات في جملة نظام كمالي.

﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17]، وكان هذا القول منهم كفرًا أيضًا من وجوهٍ:

منها: إنهم سمُّوه باسم الجلالة من حيث لاحظوه متولدًا عن مريم، وذلك لا يصح.

ومنها: إنهم سمُّوه به في زمنٍ لا يستحقه فيه، وذلك غير مطابقٍ.

ومنها: إنهم دلُّوا بضمير الفصل على أن الله ليس إلا المسيح بن مريم، وذلك كفر به فيما سوى هذا المظهر أو العين.

اسمع: الأسماء الحسنى مراتب اسم الجلالة الإلهية، وكل مرتبةٍ منها أم إحاطي بمراتب حكمه ووجوهه الجزئية رقائقه، ولكل أم منها صورة إدراكية هي روحه الكلي، ومن قام به روح منها فهو قطب دائرة ذلك الاسم، ومن قام به روح اسم الجلالة فهو قطب الأقطاب جميعًا، وجميع الأقطاب نقط دائرته القطبانية، كما كل الأسماء مراتب اسم الجلالة، ومتى ورد على قطب حالة غائبة يسري حكمها في دائرته، وأخذ كل من أهلها من ذلك قسطًا بحسبه.

---

(1) ذكره المقري في نفح الطيب (289/5).

اسمع: لكل موجودٍ إدراكيٍّ صورة حدية مجرَّدة في العقل، وصورة نسبية في الوهم، وصورة شخصية فرعية مفارقة في الخيال، وصورة جزئية كونية في الحس، ومن تقيَّد في إدراكه بصورةٍ منها غلبت على إدراكه بحكمها، فكانت هي وما ناسبها موجودات شهادية له، وخلاف ذلك غيب عنه.

اسمع: قال قائلٌ: كيف أسمع قول بعض المشايخ: من استعمل طبعه وصل إلى الله وهو مستريحٌ بسمع الشرع العقل؟.

قلت وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه: الشرع يريك منك صورة بشرية كاسبة، تجري عليها أحكام التكليف، والعقل يريك منك صورة مفارقة عالمة مدركة بذاتها أنها محبوسة في سجن علاقتها ببدن تدبره، وهو مخالف الشأن لشأنها، فطريقك في سماع الكلمة بسمع الشرع التفرقة بين من استعمل طبعه، فصرف قواه فيما كُلف، وبين من استعمله طبعه فصرف قواه في شهوته وهواه، وطريقك في سماعها بسمع العقل معرفة أن (مَن) صلة ما يعقل، فهي مخصوصة بالعاقل الذي طبعه من حيث هو عاقل العلم والحكمة، اللذان من استعملهما وصل إلى الله في دائرته وصول أمثاله وهو مستريحٌ.

اسمع: إذا كان وصف النقيض بالنقيض بديهي الاستحالة، والوجود ذات الموجود، فعدم الموجود محال، وكذلك لو جعلت الوجود زائدًا على ذات الموجود؛ لأنه ليس موجودًا إلا بالوجود، فلو انعدم لقام به العدم، وإنما الحدوث والزوال نسب عدمية.

الأول ظهور في الإدراك المقيد بعد بطون عنه، والثاني عكسه، والباطن الظاهر ثابت في الحالين، وهكذا ظهوره ببعض صوره دون بعضٍ، وبطونه بصورةٍ منها، وظهوره بأخرى، كالماء يصير هواء وعكسه، والغذاء بخارًا وعكسه تحليلاً وكونًا.

فاللوازم والأمور الوجودية لا تبديل لها بخلاف الحادثة، والأقضية الأزلية منوطة بالأولى، وهي إيجابية لا تكتسب، والشرعية منوطة بالثانية، وهي كسبية، والظلم في الأولى محال بخلاف الثانية لموضع الإيجاب والكسب، وعلى العبد الرِّضا من ربه بهما من حيث اختارهما ربه، فهو يرضى في الحقيقة برضا ربه.

جاء في الحديث: «**من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له**[1]».

وقال سبحانه وبحمده: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ**

(1) رواه الترمذي (455/4).

﴿لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: 65] شرعًا **﴿وَيُسَلِّمُوا﴾** [النساء: 65] للقضاء الوجودي **﴿تَسْلِيماً﴾** [النساء: 65].

اسمع: ربما قضى لك شرعًا على ما قضى لك وجودًا، كغذاء أكلته فأفنيته، أو ثوب لبسته فأبليته، أو ما تصدَّقت به فأبقيته، وقد يكون الأمر بخلاف ذلك، فما لا يقضى لك فيهما لم تنله، ولم تستحق المطالبة به والعفو عنه.

وما قُضي لك شرعًا لا وجودًا لم تنل نفعه الصوري، واستحقيت المطالبة به والعفو عنه، فإن طالبت كان ذلك على خلاف مقتضى القضاء الوجودي بلا حرجٍ لموضع القضاء الشرعي الذي به طالبت، وإن عفوت كان على وفقه، ومن ثَمَّ كان العفو أقرب للتقوى.

وقد جاء في الحديث: «**أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، كان كلما أصبح وأمسى قال: اللهم إني تصدَّقت بعرضي على من ظلمني**[1]».

فانظر كيف أشار إلى أن تسويغ مطالبة الغاصب إنما هي رخصة للمغصوب؛ لكونه جُبل على المغالبة والشح بما حصل في يده، ثم أشار إلى أن ترك المطالبة أولى، إذا علم أن المطالبة لا ترد فائتًا، وذلك لا يحصل برضا إلا لهل اليقين السالم من معارضة الوهم، ومتى عارضه الوهم لم تحصل موافقة القضاء الوجودي، إلا لأهل الصبر السالم من إزالة غلبة الطبع البشري عنه.

ومن ثَمَّ جاء في الحديث: «**فإن استطعت أن تعمل باليقين فاعمل، وإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا**[2]».

أوما أكرم الرب على عبده وأرحمه وألطفه به: لما أوقع في يده ما قُضي وجودًا لسواه من حيث صورته، قضاه له من حيث نسبته شرعًا، فكان انتفاعه به أن يتصدَّق به على من قُضي له وجودًا، أو يهديه إليه، أو ينفقه عليه، أو يعفو عنه، والعفو صدقة، ونحو هذا، فقل: أنت أيها العبد في ساعة يقينك ورضاك ما دمت في هذه الدائرة، إذا وجدتها في عمرك: «اللهم من وصل إليه شيء، أو نال شيئًا قضيته له وجودًا، وقضيته لي شرعًا، فإني قد وهبته له، وأسقطت له حقِّي الشرعي فيه هبةً وإسقاطًا، لا يبقى

---

(1) رواه أبو داود (272/4).

(2) رواه البيهقي في الشعب (203/7)، والحكيم الترمذي في النوادر (242/1).

معهما عليه بسببي حرج شرعي في أخذه له، ولا في تصرفه فيه، ولا في تلبسه به، واجعل ذلك يا رب مباركًا عليه، ورضا مني برضوانك عندك، واعصمني بعده من العمل بخلافه، فإن ابتليت بخلاف ذلك فاعفُ عني؛ إنك جوادٌ غنيٌّ كريمٌ، آمين.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وسلم تسليمًا.

ومتى فهمت ما تقرَّر هنا فهمًا حسنًا زالت عنك شبهة القائل: إني لا أحل من عرضي ما حرَّم الله.

اسمع: ﴿وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 233]، إن فهمت مِن (المَوْلُودِ لَهُ) مَن خُلق المولود لعبادته.

كما قال إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: 78، 79]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ﴾ [الذاريات: 56]: أي متقارنين في هيكلٍ واحدٍ، فكان من كل مولودٍ قرينه ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] الآيات.

وقال: «**يا عبادي كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**[1]».

فالوارث هو المرشد إليه، والدال بروحه الحكيم عليه، وإن فهمت من (المولود له) واضع نطفته من صلبه بالنكاح البشري المباح في رحم أمه إمناءً، فالوارث في الظاهر أقرب أهله إليه من الأحياء، وفي الباطن هو خليفة ربه الهادي الحكيم في إرشاده وهدايته، فعليه من رزقه وكسوته الباطنة النورانية، مثل ما على أبيه الذي ولده من صلبه من رزقه وكسوته الظاهرة الجرمانية.

جاء في الحديث: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد**[2]»، فهو أمرٌ تمثيليٌّ.

اسمع: معك قوة نباتية، وصورتها الإدراكية منك هي قرينك الجاني، وقوة حيوانية وصورتها الإدراكية منك هي قرينك الملكي، وقوة ناطقية وصورتها الإدراكية منك هي الصورة الربَّانية التي معك؛ للتمييز والفرقان بين جان مسلم بموافقة حكمه الملكي، وبين جان بضد ذلك شيطان.

وأما صورتك الجامعة النظام للمجموع فهي التي أنت بموجوديتها الإمكانية آدمي

---

(1) رواه مسلم (1994/4)

(2) رواه أبو داود (3/1).

إنسان، وبموجوديتها الوجوبية صورة الله الرحمن الرحيم، فلا يأكل منك، ويولد إلا الجان، ولا يجهل ولا يجحد إلا الشيطان، ولا يفضل ويعبد إلا الملك، ولا يخلق ما يشاء ويختار إلا الرب الذي للكل دين وملك.

اسمع: ما من فاعلٍ إلا وهو رب قابله، وقابله عبده في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: قال يعقوب ليوسف؛ إذ علمه تأويل رؤياه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 6]، يعني أبناءه وأهله، ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ 6﴾ [يوسف: 6].

فانظر كيف أخبره بما له، ومآل إخوته ليطمئن ويشكر لربه، ولإخوته بدل الشكوى، فبذلك عاش حتى في الجب والسجن متنعمًا بالمناجاة والمشاهدة، قائلاً:

﴿ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ﴾ [يوسف: 38]، وحمل أستاذه يعقوب عنه ألم ذلك ومشقته، ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ﴾ [يوسف: 84]، فانجلت ظلمته عنهما، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84].

ومات يوسف عليه السلام وانطرح أرضًا لربه، حتى خلا لهم ولمن أشار بذلك وجه السيد يعقوب عليه السلام، بل أبيهم، بل ربهم؛ إذ علموا ولزم ذلك المسير به حتى قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: 80].

فمن انطرح لربه أرضًا كان عنده أقرب وأرجح وأرضى، ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: 36]، كالقرينين في سجن البشرية، فما كان سجنًا إلا عليهما، وأما على يوسف فحضرة مناجاة وشهود، كما قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: 100]؛ إذ أحبته سجنًا فجعله لي حضرة، ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: 37]، فكان يطلع على القضاء كما قال: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: 41].

اسمع: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، فتعلم أن ربك هو الذي عمل ما عبدته به لا أنت، ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96].

اسمع: من أيقن أن أمر خلقه راجع إلى حقه قال عبده لربه، وقد قام بحسن عبادته: سبحانك ما عبدتك، وإنما العبادة منك وإليك في مظهريتي.

ومن ثَمَّ يُقال للذين لم يستكبروا عن العبادة المُضافة إلى ربهم مع شهودها منه إليه، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24]: أي الماضية الفارغة من شهودكم من أمرٍ منسوبٍ إليكم، المعمورة منكم بما ليس منسوبًا إلا لربكم.

اسمع: إذا قيل لك: كيف أصبحت أيُّها العبد؟ فقل: الحمد لله ربي في نعمه السابقة، وحكمه البالغة.

واحذر أن تلمز نفسك أو تختانك؛ فإنك منهيٌّ عن ذلك، هذا مع حذرك من خروجك عن هدى ربك لهدى وهمك وطبعك البشري، ما دمت مقيدًا بمراتب الفرقان.

اللهم خلصنا واستخلصنا، وخُذنا من كل شيءٍ إليك، واجمعنا بك عليك، وامحُ صفاتنا بأنوار صفاتك، وكُنْ لنا في شهودنا كما أنت يا وجودنا سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، يا سميع، يا بصير، يا صادق، يا قريب، يا قوي، يا عليم، يا واحد، يا الله، آمين.

اسمع: إدراكك الإيجابي لوح الأزل، وإدراكك المقابل له لوح الأبد.

اسمع: من كان حسن قبوله لربه في أبده كما هو في أزله فقد عظمت سعادته.

اسمع: الحاكم متحيز في أحكامه الاختيارية، فهو قائمٌ بها قيام مطيع في الثبوت والانتفاء، وقيامها بالمحكوم بها عليه-وهو أهل لذلك- عَكسه، والمتمكن حاكم، فلذلك لا يبالي بأي حكمٍ أقامه فقام به بخلاف من دونه.

اسمع: الإيجاب الإدراكي هو القضاء عقليًا ووهميًا، والقدر خياليًا وحسيًا، والاختيار الإدراكي هو القضاء تعقُّلاً وتوهمًا، والقدر تخيلاً وإحساسًا، والثاني فرع الأول، فمن تجرَّد حاكمًا عن التقيد بأحكام الإدراك، وهي الحدود تنزه عن الدخول تحت حكم القضاء والقدر، بل دخل القضاء والقدر تحت حكمه، يا الله، يا الله، يا عزيز، يا وافي، يا الله، يا الله، يا شافي، يا كافي، آمين.

اسمع: أمورك البشرية كلها في مرتبتك الفرقانية بجانك طبيعية، وبشيطانك رذائل، وبملكك فضائل، وبربك آلاء ودلائل، ﴿وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: 20]، بل ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: 123].

اسمع: الرب والعبد متلازمان تلازم المضافين، فهما معًا أينما كانا.

اسمع: قد علمت أن الوجود الذات يقتضي لذاته أن يقضي، وما ثَمَّ إلا هو، فيقضي

قضايا يجردها من نفسه لنفسه تجريدًا إيجابيًا على طريقة التخيل الاختياري، المُسمَّى في اللسان الأدبي بالتجريد البياني، هذه القضايا هي الموجودات، وقضاؤه بها بما هو مبدأ تحققها يُسمَّى علمًا فعليًا، وبما هو مبدأ تعين الوجود بها لنفسه كشفًا يُسمَّى علمًا انفعاليًا، والأول حقيقة كل مرتبة فاعلة، والثاني حقيقة كل مرتبة قابلة.

والإدراك هو القضاء التجريدي فعلاً وانفعالاً، ولما كان ذلك مقتضى الوجود لذاته كان ثابتًا له في كل موجودٍ، لكنه لا يقضي في كل موجودٍ إلا قضاءً مناسبًا بخاصية ذلك الموجود في التحقيق والترتيب، أعني التي تخصص بها في قضائه التحقيقي، وقضائه الترتيبي الخاصية المُسمَّاة بالاستعداد، فمن ثَمَّ تباينت المتباينات.

وإذا تبيَّن هذا فاعلم أن النفس البشرية عبارة عن مرتبة موجودية إدراكية، شأن وجودها القضاء بأجسام وجسمانيات، فهي لذلك لا تخلو عن التعين بجسمٍ، وإذا انكشفت في دائرة إدراكها المقيد متعينة بجسم تعينًا اقتضى وجوده لها، ألا ينكشف لها في إدراكها عين خاص بها كخصوصه، فذلك هو الجسم الذي لا ترى أنها متجسمة بسواه، فمتى دخل عليه اقتضاء تعين بمثله، أو خلافه تغلب اقتضاؤه لظهور استعداد ذلك فيها، فقدت إدراك ذلك الاختصاص الأول بوجدها الاختصاص الثاني، وكان ذلك مفارقًا لها للجسم الأول، وقد ينكشف لها اختصاصها بأجسامٍ كثيرةٍ، فتقوم بها قيامًا واحدًا متساويًا في الاختصاص، وإن تفاوت في التصرف والبقاء بتفاوت الاستعدادات.

ومن تحقيق هذا الكشف تعرف حقيقة الموت والحياة الجسمانية، والتمثل، والظهور بالصور الجسمانية التعدد معًا، ولهذه النفس أربع قوى لازمة في جهة تجسمها:

قوةٌ تُسمَّى بها نفس جمادية، وهي مبدأ حفظ الجسم على نظامه التأليفي، فما دامت متعلقة به بهذه القوة هو قائم الشخص، ومتى فارقته بها تحلل واستحال، وزال قيامه ذلك لوقته، فإن فارقته بها دفعة حصل ذلك دفعة، كما يُحكى عن عيسى بن مريم عليه السلام، وإن فارقته شيئًا فشيئًا حصل ذلك كذلك، كما يحصل لعموم أجسام الموتى.

وقوةٌ تُسمَّى بها نفس نباتية، وهي مبدأ حركة الجسم المحفوظ بالقوة الجمادية واغتذائه، وتوليده لمادة أمثاله، وما دامت النفس متعلقة به بهذه القوة التي لا يظهر

أثرها من المحسوسات إلا فيما تعلَّقت به بقوتها الجمادية، فهو يتحرك ويغتذي ويولد، فمتى فارقته بها زال ذلك كالأول.

وقوةٌ تُسمَّى بها نفس حيوانية، وهي مبدأ ظهورها في الجسم الجمادي النباتي بحكم الإدراك والاختيار توهمًا وإحساسًا وتخيلاً، فما دامت متعلقة به بهذه القوة فذلك ظاهر فيه، فإذا فارقته بها زال ذلك كما تقدَّم.

وقوةٌ تُسمَّى باعتبارها نفسٌ ناطقةٌ، وهي مبدأ ظهورها فيه بحكم التمييز العقلي، ويدوم له ذلك بدوام تعلقها به، ويزول بزواله.

وهذه غاية المراتب الجسمانية كثيفها ولطيفها، وهذه النفس قد تتعلَّق بقواها هذه بشخص خيالي لها، أو بشخص حسِّي لها، وإذا تعلَّقت بها بواحدٍ منها بحيث تراه جسمها انكشفت لنفسها متعينة به في إدراكها تخيلاً وإحساسًا، ومن هنا يطلع على مراتب الأجسام وأحوال أهلها فيها جميعًا.

اسمع: الشكل هيئة مرتبة تلزمها قوة هي مبدأ قريب لغايته التي وضع لها، وتلك القوة تُسمَّى الصورة، وتُسمَّى مع الشكل شاكلة، وذلك في الجسم كهيئة الحدقة لقوتها الباصرة، والأذن لقوتها السامعة، والسيف لقوته القاطعة، والحبل لقوته الرابطة، وقِسْ عليه حكم الروحانيات والمعنويات كلها.

فصورة كل شيءٍ قوته التي هي مبدأ قريب لغاية مرتبته التي هو مفيد التعين به في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لا يصبغ الأشياء بالحكمة إلا الوجود الإلهي؛ فهو ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ﴾ [النساء:28] الآدمي على صورته ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]؛ لأن الحكمة صبغة الحسن الثابت، والحسن مطابقة الاختيار في كل مقامٍ بحسبه، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾ [الشورى: 23] موافقة لاختياره.

اسمع: القابل هو حقيقة مقبولاته بمعانيه التي هي مبادئها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: استقرأ أهل الاستقراء الكتابي فلم يجدوا في الكتاب المحمَّدي أنه قال على لسانه:

(لو) مقرونة بالإرادة، والإشاءة الربَّانية والإلهية، أو الرحمانية، إلا وجوابها واقعٌ لا

محالة، كقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: 4]، فهذه ولدية معنوية حكيمية واقعية، وكقوله:

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الأنبياء: 17]: أي على وجه حكيم، وهذا واقعٌ كما جاء: «إني أمزح ولا أقول إلا حقًّا[1]».

وكما جاء في حديث: «الضحك والبشبشة».

وحديث: «لعب الحبشة في المسجد[2]»، وله في الروحانيات سريانات.

وكقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: 107]، وذلك واقعٌ في الحقيقة، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: 112]، وهو كذلك في الحقيقة، وإن لم يكن فيما يبدو للناس، وكقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: 60]، وذلك واقعٌ لا محالة بالعين عند عود الأمر إلى بدايته بين يدي كون آدم الخليفة في الأرض في الدور الثاني، من هذا الذي الناس به الآن، وواقعٌ بالمعنى في زمن المهدي الذي لا يقبل من أحدٍ في زمانه إلا الإسلام، تحقيقًا لحكم ما نزل به من صورة من أسلم له من في السموات والأرض، وقِسْ على هذا.

اسمع: الذين يُلبسون اللعب رونق الحكمة بكشفهم الرحماني العليم، وبيانهم الربَّاني الحكيم هم الذين إذا مروا باللغو مروا كرامًا.

اسمع: الوارثون هم الخلفاء في كل مقامٍ بحسبه:

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89]، وأنت خير خلفاء ربك بمعنى أنه وجودهم وكمالهم وفتحهم وختامهم.

اسمع: حرمات كل فاعلٍ هم قوابل مدد الكون على صورته منه، بلا واسطة قبولاً كشفيًّا في كل مقامٍ بحسبه، فاعرف حرمات الله الذين تعظيمك لهم أفضل وخير لك من سائر عملك، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: 28]، إلى قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: 30].

اسمع: مهما استفدته خبرًا أو نظرًا فاعلم أن الله أكبر منه ترضية.

﴿لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج: 37].

---

(1) رواه ابن عدي في الكامل (343/2).

(2) رواه ابن عدي في الكامل (51/3)، وذكره المناوي في فيض القدير (443/1).

اسمع: من تعيَّن بمرتبةٍ فهي صفته من حيث هي مبدأ آثاره، وهي اسمه من حيث تعريفها له.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: الوجود هو الذات المقتضي لنفسه أن يُقضى، وما ثَمَّ إلا هو، فيقضي لنفسه بنفسه، وعليها قضاءً إيجابيًا على طريقة التجريد البياني، إلا أنه إيجابي، فهذا القضاء لازمٌ له في كل موجودٍ، وما هو إلا هو في الحقيقة؛ لأنه المقتضي أن يُقضى، ويُسمَّى قضاؤه هذا باعتبار ما هو محقق مقضيه علم فعلي، وباعتبار ما هو كاشف له متعينًا بذلك المقضي علم انفعالي، والأول حقيقة كل مرتبةٍ فاعلية، والثاني حقيقة كل مرتبةٍ قابلية، وقضاياه هي موجوداته، وقضاؤه التحديدي هو المُسمَّى بالإدراك، والإدراك أربع مراتب:

مرتبة التحقيق التجريدي، بمعنى كون الماهية عرية عن لواحقها الإدراكية، وهذه المرتبة بفاعليتها عقلٌ، وبقابليتها تعقل، وكل ما في نظامها أعيان عقلية.

ومرتبة التشخُّص التنويعي، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها خيالاً، وبقابليتها تخيلاً، وكل ما في نظام هذه المرتبة تُسمَّى أعيان روحانية.

ومرتبة التحقق الإضافي، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها وهمٌ، وبقابليتها توهم، وهذه كل ما في نظامها تُسمَّى أعيانًا نفسانية.

ومرتبة التشخُّص الجزئي، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها حسٌّ، وبقابليتها إحساسٌ، وكل ما في نظام هذه المرتبة يُسمَّى أعيان مادية.

الأول: يُسمَّى وجودًا زائدًا لما بعده، والثاني: ماهيات صورية مفارقة، والثالث: حقائق مادية بسيطة، والرابع: صور مادية مركبة، والأول يُطلب بكلمة (هل)، والثاني (ما)، والثالث بكلمة (أي)، والرابع بكلمة (مَن)، مثال ذلك قولك: هل هنا شيءٌ؟ فيُقال: نعم، فتقول: ما هو؟ فيُقال: حيوانٌ، فتقول: أيُّ حيوان؟ فيُقال: ناطق، فتقول: من هو هذا الحيوان الناطق؟ فيُقال: زيد.

وكل كون حركي بأي حركةٍ كانت فإنه فلك، ومبدأ حفظ نظامه منه هو ملكه، فالمحسوسات أفلاك دُنى، وصور النفسانيات أفلاك طرائق لها طرقها بالإمداد التوليدي، وأعيانها الروحانيات أفلاك طباق لها بمطابقتها لها تقوم، وأعيانها العقلية أفلاك عُلا، ونفس حفظ الأولى يُسمَّى: نفسًا جمادية، والثانية: نفسًا نباتية، والثالثة: نفسًا حيوانية، والرابعة: نفسًا ناطقة، وهذا هكذا على عمومه، وإن تفاوتت أحكامه المرتبية بتفاوت خصائصه الترتيبية فعلاً وقبولاً.

واعلم أن هذه الكواكب المحسوسة أجسام غلبت عليها الصورة العنصرية الأثيرية، فهي نارٌ خالصةٌ مما تقتضي الدخانية من الشوائب المائية، والبخارية من الشوائب الترابية، والتأثير الذي يقضي به أهل الأحكام الفلكية إنما هو لأنفسها وأرواحها لا لأجرامها، كما أن ذلك من الآدميين كذلك.

اسمع: الحق الذي هو وجود الأعيان هو الزائد على موجوده زيادة فرقية مع إيجاده العيني، وما ذاك إلا حيث لا يدرك من الوجود الذات إلا صورته الإدراكية الموجودية، ولا يدرك إلا بها هذا، والإدراك منه لنفسه كما تقدَّم.

اسمع: الموت الذي هو شرط في رؤية العبد ربه هو خلاص النفوس من التقيد بأحكام مراتبها الوهمية في مراتبها المادية.

اسمع: ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: 259]: أي أطلقه من عقلات القيود الوهمية، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ [البقرة: 259]، وما قال له: كم مت، فموت العبد في محاضرة ربه حياته، وفناؤه بقاؤه، ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: 259]؛ لأن زمن الوصل قصير عند المحب وإن طال، ولأنه في الزمن البسيط الذي يومًا منه

﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47].

اسمع: حقيقة الزمان الآن الذي لا ينقسم ولا ينفد إلا في صورته الإضافية الوهمية، وهي الدهر إذا لم يمنع ظهورها بحكمها الدوامي ما تقيدت به من المراتب الانقسامية، وهي السرمد إذا لم يتقيَّد بتلك المراتب.

اسمع: علامة صدق المحبة نزول محبوبك منك شأن منزلة وجودك في المعاملة، وغايتها أن يتحققه وجودك حق اليقين، أو يشهده وجودك عين اليقين، أو يعلمه وجودك علم اليقين علمًا قائمًا بحاله.

اسمع: ما تمنى أحد الموت إلا ليتم له وجوده بزوال ما يراه مانعًا من ذلك، ولذلك يقول قائلهم: أشتهي الموت حتى أستريح، فما عنده محبوب له بالحقيقة إلا وجوده، وهو أبده البديهيات عنده مع العجز عن تقييده بتحديده اللساني، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102].

اسمع: إذا توسمت للمعرف وجه إلهك، وربك مالك أملاكك، فهو المتنزل إليك كشفًا وبيانًا بما فيه وبه صلاح نظامك، وكمال قوامك في جميع دوائر إدراكك، ففي أي صورةٍ أتاك بهذه العلامة فاعرفه، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19]، ولا تكن ممن يفجر أمامه.

اسمع: من انطلق من التقيد بحكم الكيان نفذ من أقطار حدود الزمان والمكان، فزمانه دهرٌ، ومكانه تمكنٌ.

اسمع: الطفل إذا ناغى عبَّر عما في باطنه، لكن بحسبه لا بحسب العموم، ومن تكلَّم بحسبه لم يسمع إلا من اتحد به محبةً وخدمةً، فلذلك لا يفهم عنه إلا مربيه، وكفيل تربيته الكلفة بمحبته، ولا يزال كذلك حتى يتنزل في ناطقه فاتق رتق الأفهام، فحينئذٍ يخاطب كل سامعٍ بلسانه، ويعامله بكيله وميزانه، تنزيلاً من حكيم حميد.

اسمع: النواطق الفرقانية كلها إنما كلمت الناس فيما قبل الزمن المحمدي في المهد، وأما في الزمن المحمدي فكلم الناس الناطق الفرقاني كهلاً، ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ [النمل: 66]، وبلغ أشده واستوى ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ [النجم: 7].

ثم في زمن ختم الولا دنا، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 9] الآيات.

اسمع: الحق الذي خلق هؤلاء الخلق إنما يرزقهم بما له خلقهم، وذلك محبته في

الحقيقة وعبادته بكل حالٍ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 17]، فلا تجعل سعيك تسببًا وتكسبًا تتعب، وربما تُحرم، ولكن اجعله عبادةً وتحببًا تراح وترحم، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: 15] امتثالاً، ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ إفضالاً، ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ حالاً ومآلاً، فبدؤهم كان من ربهم، وكلٌّ إلى بدئه عائدٌ.

اسمع: ما من أمرٍ اختياريّ لنفسك البشرية إلا ولديانك الحق فيه، أمر أو نهي، فأوقعه امتثالاً وموافقة لاختياره الدياني، وإذا وقع منك كذلك ضرورة كونية تبلغ إربك وتُرضي ربك، مثال هذا أنك تلبس ما يستر عورتك إلى كل حالٍ، فالبسه امتثالاً لأمره بستر العورة تصير عبادة، وأنت تلبس ثوبًا رخص لك ربك في التجمل به، فالبسه امتثالاً لترخيصه؛ لأنه «**يحب أن تُؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه**[1]»، وقس على هذا.

وجملة هذا رد النسب إلى الحق شهودًا، كما هي له وجودًا، فكما تقول: ﴿صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162]، قل: وأكلي ومشربي ونومي ويقظتي ولبسي وتجردي وركوبي ومشيي وجميع أموري.

اسمع: الحقائق المُسمَّاة بالصفات الثبوتية وهي الحياة، وهي مبدأ الإدراك والفعل الحكيم المرتبي، والعلم وهو مبدأ الكشف والتمييز المرتبي الحكيم، والإرادة وهي مبدأ تخصيص معلوم بمعلوم تخصيصًا تمييزيًّا، والكلام وهو مبدأ تخصيص معلوم بمعلوم تخصيصًا كشفيًّا، والقدرة وهي مبدأ تخصيص مراد بمراد في الكشف الإدراكي تخصيصًا فعليًّا، والبصر وهو مبدأ تخصيص متميز إدراكي بمتميز إدراكي إرادي في الكشف الفعلي، فإذا كان كذلك تخصيصًا كلاميًّا هذه الحقائق الوجود المتعين بها في المرتبة الناطقة المُسمَّى وجودها بالحق المبين، تعينًا حكيمًا عقليًّا روحانيًّا، بحكم الوجوب يُسمَّى الرحمن، وتعينًا حكيمًا نفسانيًّا طبيعيًّا، يُسمَّى الرحيم، والمتعين فيها بها كذلك مطلقًا، بحكم الوجوب هو مُسمَّى الله الإله، والمتعين فيها بها كذلك بحكم الإمكان يُسمَّى الإنسان الكامل المطلق، وهو الإنسان الإلهي، والعين الإلهي، الذي الإله منه كالروح من البدن، بل من المثال الذي هو متمثل به، والإنسان الرحماني هو

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (317/5)، وابن حبان في صحيحه (69/2).

الوجود المتعين بها تعينًا عقليًا وحكمًا وروحًا بحكم الإمكان، والرحيمي وهو المتعين بها تعينًا نفسانيًا طبيعيًا، ومن سر هذا التسبيع واقتضاءاته تسبعت المسبعات كالسموات، وتربعت بمراتبها الإدراكية إلى سموات عُلا، وطباق وطرائق دُنى، وفي أولي العزم السبعة ظهرت بحكمها الفرقاني الدياني تشريعًا، وبسر التربيع تم ظهورها في رابع الأربع منها ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: 13]، فالذي جاء به محمد هو الكل بجمعيته المحمدية، وهو رابعهم باستوائيته الإبراهيمية، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ﴾ [مريم: 43].

ولما ظهر هذا الظهور الرابع كان زمانه من القرب إلى زمان الختم الأعظم الذي به يظهر حكم الانقراض الدوري كله ظهورًا شاملاً، يُسمَّى الساعة لقرب انشقاق القمر نصفين نصفًا منمحقًا، ونصفًا ممتلئًا في ليلة إحدى وعشرين من محاقه كله في ليلة الثامن والعشرين الموفية له أربع أسابيع.

ومن ثَمَّ قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]، وعدد (انشق القمر) بالجمل الكبير (822).

فعند ذلك يأتي الانقراض الكوني من عالم الكون القمري، وهو عالم الاستحالات المادية، والظهور الفرقاني قمري من الظهور القرآني فهذا شمسه، ومراتب سلطنة الأول ليال، والثاني أيام، والخاتم لما ابتدأ خَتْم الأول وفتْح الثاني قال لسان جمعه:

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12].

اسمع: الوجود الذات له في مرتبته التي هي مبدأ الترتيب والكشف والبيان الترتبي حتى لمرتبتها هذه، وهي المُسمَّاة في الحكم الوجوبي بالمتكلم، وفي الحكم الإمكاني بالناطق مراتب يسبقها جميعًا ما لا يعبر عنه لأفهام العجز عن العبارة عنه؛ إذ العبارة قاصرة على الأمور الإدراكية بأكثر من قولك ذات، فإن سُئلت: ما الذات؟ فقل: ما لا يُعلم ولا يُدرَك؛ لأنه مقوم كل علمٍ وإدراكٍ وحكمٍ ومعلومٍ ومدركٍ ومحكومٍ، فمهما عُلم أو أُدرك أو حُكم به أو عليه أو له، فهو متقوم بها لا هي، حتى هذا أيضًا، وهذا وما بعده وإن تسلسل دفعًا للتحكم، وذلك لأن العلم والإدراك لا يقع واحد منهما إلا على أمرٍ متقوم بمقوم، وإن خفي أو تعذر انفكاكهما فحُكم بوحدتهما.

فأول المراتب أنه ما أجبنا به عن السؤال عنه، ويُسمَّى في هذه المرتبة بالمعجوز عنه، وبعدها مرتبة تجرده في نفسه عن كل حكم ثبوتي، ويُسمَّى هنا بالعدم المحض، ويليها مرتبة ما هو مجرَّد عن مقتضياته.

ويُسمَّى هنا (هو)، ويليها مرتبة ما هو مجرد عن كل مقضي حُكم بزيادته عليه من حيث هو زائدٌ، ويُسمَّى في هذه المرتبة (هو هو).

ويليها مرتبة كينونته الوجود المطلق الذي به كل موجودٍ، ويُسمَّى هنا الله الجلالة، الغير مشتقة من معنى وصفي أصلاً، ثم له باعتبار كل مرتبةٍ اسم مشتق من خاصيتها المرتبية في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الوهم المحيط هو القضاء الوجودي الذي مقتضياته مراتب متماثلة ومتقابلة، فهو مبدأ التماثل والتقابل والمجموع من هذه المراتب يُسمَّى دائرة الفرق والوجود من حيث قضاؤه بها، يُسمَّى ذات الفرق، قال هو سيدي ومولاي:

توهُّم ذات الفرق أقصى كما أدنى ....

المشهود كله هو ﷻ.

اسمع: المحقق ليس عنده إلا حقيقة واحدة، تكثرت بمراتبها التي هي هي حقيقة، وسواها حكمًا ومعاملةً، فلا تفاوت عنده بين الحقائق، وإن تفاوتت أحكام المراتب وخواصَها المرتبية، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، فإذا تكلَّم في مرتبة بما هو عند العموم غض منها، فما تكلَّم إلا بيانًا، كما هو عنده كمال حقيقة كاملة نزلت بمرتبتها، بالمرتبة التي لا تنزل إلا فيها من دائرة الترتيب، فهو حامد مادح بكل لسان، لا همزة ولا لمزة، وإنما أتى بما هو عند الهمازين اللمازين همز ولمز، وإنما لكل امرئٍ ما نوى.

﴿وَاللهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ [الأحزاب: 53].

اسمع: النفس المدركة مرتبة تكون في صورة التصورات شأنها التمكين، فيما هو أحق عندها وأعظم، ولها أحب وآثر «مَن أحبَّ صورة التبس بها»، ﴿قُلْ كُونُوا﴾ [الإسراء: 50] كذا وكذا، ﴿أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: 51] إشارة إلى أن كلا يكون ما كبر في صدره، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102]، واختز لنفسك في الهوى من تصطفي.

اسمع: اليقين شهود لا يستحيل مشهوده عند شاهده، كما هو عليه، وإن قبل قوة الظهور وتزايده.

اسمع: الوجود[1] حصول ليس له مبدأ قريب عند محصله منفصل عن وجوده.

اسمع: التمكين وجْد يقيني[2].

اسمع: من تمكَّن من أمر ناطقي أوجده قوة فعالة، قادرة على رد أمور دائرته كلها إليه، تنزيلاً وتأويلاً في كل مقامٍ بحسبه، قال هو سيدي ومولاي:

كُـلٌّ يُـشِيرُ إِلَـى الَّـذِي هُـوَ وَاجِـدٌ وَكَـذَاكَ ينكـر كـل مَـن هُـوَ فَاقِـدٌ

---

(1) قال سيدي محمد وفا: الوجود ثلاثة أقسام: ملك، وملكوت، وجبروت.

فالأول بالفعل مستعد للوصف، والثاني بالوصف مستعد للذات، والثالث بالذات مستعد للذات، جسم وجسماني، وروح وروحاني، وجبروتي رحماني، فالإنسان من حيث آدميته متصفٌ بالجان اتصاف الفعل، ومن حيث هذا الوصف يستعد لقبول الجان الخارج استعدادًا ذاتيًا، لا للإنسانية، وكذلك للملك بالملكية، من حيث روحانيته الناطقة.

وأما من حيث ما هو فمستعدٌ لمعرفة الذات بالذات، بحقيقة قوله: «فبي عرفوني[1]»، ولذلك قال: «الإخلاصُ سرٌ من سرِّي أودعته قلب من أحب من عبادي، فلا يطلع عليه ملكٌ فيكتبه، ولا شيطانٌ فيفسده».

ومن هنا يفهم سر الروح المنفوخة في آدم، ولمن كان سجود الملكوت، ويعلم حقيقة الأكل من الشجرة، وعلى من وقع الهبوط.

واعلم أن الإنسانية مجموع الأسماء الربَّانية التي علمها آدم في ملكوت الروحانية، وهي حقائق ودقائق، ولها أقوية رقائق، وكان المهيمن على دوائرها، والمحيط على بواطنها وظواهرها، الاسمان العظيمان: (الله)، (الرحمن)، وما لهما من أسماء ومسميات وأفعال وصفات، ولذلك قال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: 31]، فهي إذًا أسماء المسميات، ولما سجد جماهير الملائكة للأسماء الربَّانية الإلهية الرحمانية بحضرة الأسماء الإنسانية الآدمية تخلل بهذه الأسماء حب الرئاسة بحقيقة: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:29]، فرسمت لكل منهم في طرسه، وادعاها كل منهم لنفسه، ولكن استيلاء عظمة الأسماء الحسنى منعت ما فيها من القوى عن تجريد الدعوى، فلما كان الأكل من هذه الشجرة، والنزول إلى هذه الدار الكدرة، والقعرة القعرة، وأعرضت الأسماء العظام والأرباب الكرام، وخلت النفس عن الحكام، نهض كل اسمٍ وقام، وادَّعى النقض والإبرام، فتفرق الجمع، وقلت الطاعة والسمع، وضعفت القوى، واختلفت الأهواء، كلٌّ يقول بلسان الدعوى، أنا ربكم الأعلى، وصار بعضهم لبعض أعداء، فمن ها هنا يريد العبد أن يتجرَّد عن أسمائه الربَّانية، وأوصافه النفسانية، ويخرج عنها بالكلية، وبما تلقى آدم من ربه الخمس كلمات، والذوات التامات: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين، جاءت المنَّة، وتتابعت الرحمة، وانفهقت أنوار الحكمة، فمن اقتفى آثارهم تحقق بأسرارهم.

(2) قال سيدي محمد وفا في الشعائر: التمكين: رسوخ القدم في حضرات الفعل.

المشهود تبارك وتعالى.

اسمع: قال الحق بلسانه المحمَّدي:

«**إن الله يتحوَّل في الصور، وإن القرآن وهو كلام الله تعالى يكون في صورة غمامة وطير صواف**[1]».

وقال: ﴿**يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ**﴾ [البقرة: 210].

وإن روح الله تمثل بشرًا سويًّا، وإن القرآن عمى بالنسبة إلى منكري حقيقته، وإن الله كان في عماءٍ، ما فوقه هواء وما تحته هواء، فقد بيَّن أنه يتمثل كيانًا وبيانًا، وكما أنه يظهر بمفاهيم وصفية كثيرة في الذهن، ولا يقدح ذلك في وحدته فيه، ويقارن الحوادث مقارنة المعية فيه، ولا يقدح ذلك في وجوبه وقدمه، فكذلك يتمثَّل بالكائنات حسًّا، ولا يقدح ذلك في تجرده، وحقيقة هذا كله ظهور وجود الصورة الموجودية فيها بحكم الإلهية بالنسبة إلى مدركه، وإن خفي عن سواه الذي هو موجود آخر، به تدري العمى ما هو هو مانع أن تراه، بأن ترى سواه إذا جلى شهيده حقيقة الحقائق.

اسمع: القرآن الجامع: أي حقيقة الجمع ومبدؤه، كما أن القربان المقرّب كما قال: ﴿**فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قُرْبَاناً**﴾ [الأحقاف: 28]: أي ما قالوا عنهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: 3]، فالقرآن هو ناطق الرحمن، كما أن الفرقان هو ناطِق الرحيم.

اسمع: مراتب العدد الجامعة أربعة: آحاد وعشرات ومئون وألوف، والتفصيلية بلا تكرار اثنا عشر: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة مائة ألف، والمتكررات المعدولة ثمانية: عشرون ثلاثون أربعون خمسون ستون سبعون ثمانون تسعون، وأقسام مراتبها اللازمة أربعة: زوج بسيط، زوج مركب، فرد بسيط، فرد مركب.

فأقسام نظامه ثمانية وعشرون كالحروف، ومنازل القمر وضوابطه التي حقائقها مفاتح عوالمه الفردية، وهي التجرد العقلي، والزوجية وهي التعين الإضافي، وهو التصور الوهمي النفساني، والتفصيل الفرداني، وهو التشخُّص الروحاني الخيالي، والتكرار المعدول، وهو التشخص اليد الممسكة لها بها على ظهورها المرتبي، ولما كانت هذه عواميد معنوية لا تُرى بالأبصار المقيدة البشرية قال لهم الحق: ﴿**رَفَعَ**

(1) هذا حديثٌ كشفيٌّ صحيحٌ.

﴿السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2]، ولكنها عمد لا ترونها.

وانظر كيف أتى بالسبب في مبدئيتها لهذه الرتب، فميز بذلك من أطلعه ممن حجب وسلب العموم لا يستلزم عموم السلب.

اسمع: القطب مبدأ أمور دائرته، وصاحب الزمان أصل جميع أمورها، فمتى انقبض من جهةٍ انقبضت، ومتى انبسط من جهةٍ انبسطت، ومن ثَمَّ كان على المتسبب في إدخال القبض على حضرته الشريفة أوزار كل من برّح به ذلك القبض، كما كان على من تسبّب في قبض الخاطر المحمَّدي، حتى ابتلي الناس بسني كسني يوسف أوزار كل من كان لقبضه ذلك وزر، وعلى من تسبب في بسط حضرته الشريفة أجور كل من ظهر فيه أثر ذلك البسط، كما كان للصحابة أجور مَن بعدهم في تدينهم، وقِس على هذا في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: إذا رأيت نفسك بواسطة جرم صقيل حكم بالوهم بأن مرئيك مثالك، انطبع في تلك الصقالة، وحكم العلم بأن مرئيك أنت لا سواك، فهو أنت بالحقيقة العلمية وسواك حكمًا ومعاملة وهمية، فإذا رأيت نفسك بواسطة مرآة، ونظرت في سواد عين ذلك المرئي فرأيت فيه عينك بعينك في عينك، فالرائي فيه وبه واحد بالحقيقة، وأربعة بالمرتبة النسبية، فاقضِ في الوجود والموجودات بذلك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: عوالم العدد كلها منظومة في الحس والخيال أشخاصًا مادية ومفارقة، منحصرة في المقولات العشر التي تذكرها المناطقة والفلاسفة، وحقائقها نفوس الأفلاك التسعة، والنفس الآدمية وهي جوهرها في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الشرك شهود استحقاق المتغايرين بالذات في أمرٍ واحدٍ، والكفر الحُجبة: الكثيفة في كل مقامٍ بحسبه، والغَفْر: الحُجبة عن المكروه، والكفارة منه، ولما لم يتخلص من إثبات الثنوية في مطلق الوجود إلا الأفراد من الخواص، وأما العموم فيعتقدون الثنوية فيما لا يكاد أن ينحصر من الأمور، وعنهم جاء: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، وكل شركٍ كفر، ولا يكاد أحد من الكائنين في دائرة الفرق منهم أن يخلو من رجوع إلى حكم مرتبته الفوقية التي هو بها مقيدٌ، لم يكن

ثَمَّ موحد بلا شرك مؤمن بلا كفر إلا آحاد، أو واحد منهم.

وأما العموم وخصوصهم أيضًا فالشرك فيهم، والكفر وإن خفي وخفي خفاؤه، و﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]، وقال الله لعيسى إني ﴿مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران:55]، فهم نجسٌ، فلا يُعفى من النجس إلا عما لا يدركه الطرف، وما يعسر التحرز منه، فكذلك هذا، وقد عرفت أن الثنوية الحكمية مع تحقق الوحدة الحقيقية، ليس من ذلك في شيءٍ.

فالمحقق موحد خالص التوحيد في عين تشريكه، وهو المؤمن للحق في عين كفره؛ لأنه لا غير بالذات عنده، فكم بين شرك هو خالص التوحيد، وكفر هو حقيقة الإيمان، وبين عكسه، وليس هذا الشهود تغاير بالذات أيضًا، ولكنِ لتفصيل المراتب وبيان أحكامها، قال هو سيدي ومولاي:

فَـلاَ تجهلــنْ قَــدْرًا أَتَــاكَ مقــدّرًا ... وَلاَ تبخــسَن وزنًــا لَــدَيْكَ محــررًا
وَفِــي كُــلِّ شَــيءٍ آَيَــةٌ فتبــصرَا ... مَتَــى مَــا أَرَى تَنْقِــيص شَــيء مــن
فلست مصيبًا وَهِي أَقْصَى مصيبَتِي ... الْــوَرَى قَــضَايَا قَــضَائِي فِــي العمــوم
لتمييــز أَسْــرَار الخــصُوصِ بمــنَّة ... بحكمِــهِ بَــيَانٌ مبــين فِــي اقتــضاء كُــلّ
وَلَكِنْ فِي التفصِيلِ أَحْكَامُ حكمة ... رتبة وتَأْصِيل تَوْصِيلِي الإجمال جملتي

اسمع: قد علمت أن الوجود الإلهي هو المتَّصف بالصفات المحيطة، التعلقات الحكيمة في كل مقامٍ بحسبه، فهو الظاهر بذلك في كل موجودٍ بحسبه، فما يأتيك بما فيه صلاح نظامك، وكمال قوامك سواه، ولا يأتيك منه إلا ذلك، وإذا تصوَّر عندك أن كذا شرًّا، فانظر إلى حكميته في ذلك تجده بحكمته خيرًا، فيكون شرًّا بصوريته وهو خيرٌ بحكميته، ف﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79]، التي إن قصدت بها ذاتك فهي هو؛ إذ لا ذات لك إلا هو، وإن قصدت بها مرتبتك المقيدة بالكون، فهي هو بالحقيقة وغيره بالترتيب الفرقي، فكل من عند الله المحيط بالحقيقة، والفرقان منه حق في الخليقة، وكل حسنةٍ من الله الإله من حيث هي حسنة في حالٍ أو مالٍ، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

اسمع: انظر لنفسك إذا قابلت مرايا كثيرة مختلفة الأشكال، كيف ترى نفسك

بواسطة كل منها على شاكلتها، وترى في تلك المرائي كل ما فيك، فما الكل بالحقيقة إلا أنت، وما الكل بالوهم إلا مثالاتك، وأنت الكل، فكل منهم هو الكل بالحقيقة حقًّا، وبالمثالية وهمًا، ولا اطلاع لكلٍّ منهم على الكل في نفسه ليس إلا.

فالوجود الذات هو كل الموجودات حقيقة، وهو مفهومها مع ما هي زائدة عليه حكمًا ومعاملةً، ولكنه يظهر لكل موجودٍ، وفيه بنفسه في مراتبه كلها من حيث خاصيته الموجودية المرتبية، فلا يظهر لكل موجودٍ منفصلاً عنه، ولا متصلاً به عنده، إلا ما ظهر له به وجوده بحسب خاصيته المرتبية، فإذا رأيت ناطقًا منفصلاً عنك، أو متصلاً بك بحيث تراه ناطقك، قد ظهر بما فيه وبه صلاح نظامك، وكمال قوامك.

فاعلم أنه عين وجودك الإلهي، وإن رأيته في صورة يُحكم بحدوثها أو إمكانيتها، فاعلم أنه إلهك الواجب القديم بوجوبيته وقدمه، تحول لك في تلك الصورة، فعامله في ظاهريته الصورية بما هو أولى به من غاية التعظيم والإجلال اللائق بالممكنات، وفي باطنيته المعنوية بما هو أولى به من غاية التعظيم والإجلال الواجب للواجب، وإذا توجهت لوجه الوجوب فاعلم أنك لست متوجهًا بالحقيقة إلا إلى وجهه، فهو إلهك المُسمَّى بالأسماء الحسنى الإلهية، كلها في حقك، وبالنسبة إليك بوجوبه، هو أستاذك المرشد الهادي لك، المُسمَّى بالأسماء الحسنى الإمكانية كلها في حقك، وبالنسبة إليك بتحوله، فهو الله الرحمن الرحيم، ورسوله ووليه وخليفته بالأول والثاني، وما هو بالحقيقة إلا وجودك الإلهي، تعيَّن لك في إدراكه الخاص بموجوديتك، بحسب خاصيتك المرتبية، فهي مرآته التي ظهر بواسطتها، فقام حقًّا علمًا، ومثاله وهمًا، فكان بالأول الإله، وبالثاني مخصوص به من عباده، وكلا المفهومين قام بحقيقةٍ واحدةٍ هي هي، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: ﴿لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51] لا علينا؛ إذ كل ما يكتبه في ألواح قبولاتنا الإدراكية حكمة وخير، وحسن بالنسبة إلينا، فهو لنا لا علينا، وذلك حكم مولويته، هو مولانا ومولاك، من هو أوْلى بك من نفسك، كما قال الحق بلسانه المحمَّدي: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]، فقال للجماعة عند غديرهم: «ألستُ أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم»، تجديدًا لعهد: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: 172]، قال: «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[1].

(1) رواه النسائي (45/5)، وأحمد (119/1).

فبيَّن أن مولاهم من هو أولى بهم من أنفسهم، فإن أريد بالنفس الذات فـ(من) ابتدائية؛ لأن ذاتك هي المتعينة لك بكل ما عاينت كما تقدَّم، وإن أريد بالنفس المرتبة المقيدة بالكون، فـ(من) هي المقارنة لأفعل التفضيل، ومعناها المجاوزة في المعنى الذي قارنته كـ(عن)، والمعنى: ولايتي بكم، أو أوليتي بكم، مجاوزة في القوة والعلو والحقيقة لولاية نفوسكم وأولويتها، وعلامة ذلك منه غلبته بحكم رحمته وحكمته وأكمليته فيهم على حكم نفوسهم، وعلامة ذلك منهم كونه أحب إليهم مما سواه، ولا يجدون من دونه مأوى ولا ملجأ لقلوبهم إلا إياه، وإيثارهم له على نفوسهم المرتبية، وفداه بها، وتمني التجرد عنها للتحقق به، وطاعة اختياراته عند مخالفة أغراضها.

اسمع: المثالات مشتقة مما هي له، والمشتق لازم للمشتق منه، كالرحم لاسم الرحمن في كل مقامٍ بحسبه، ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: 36]، فقبل ظهوره عني بحكم الانفصال، هو مني متصلٌ بي، فإذا تعيَّن بالانفصال فهو مني منفصلاً، ومن ثَمَّ كان إمام الناس المسلمين إبراهيم أمة مجملاً، قبل انفصال صور أتباعه عنه، فلما انفصلوا صار أمة مفصَّلا بأبنائه، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج 78]، والانفصال ليس إلا وهمًا مثاليًا لا حقيقيًا، فهو في حقهم الله ورسوله، والذين آمنوا؛ لأنه هم بالحقيقة، فاعرف حال أستاذك مع عباده.

اسمع: إذا ظهر الوجه الإلهي ظهر، وفي نظامه كل كمال لمن ظهر إلهًا لهم، وهو أستاذهم، وإمام هداهم كما تقدَّم، فمن رأى أستاذه حقًّا فقد رأى كل مكملٍ وكمالٍ وكاملٍ، ففي وجه من تهوى جميع المحاسن.

اسمع: الهوى الفراغ، فغنما تهوى من تفرغت للتحقق به من الشواغل المانعة من ذلك.

اسمع: أستاذك هو الباعث لما صوّرك فيه بصدقه، فإذا بيَّن لك أنك محل مثل فلان، فقد بعث فلانًا فيك حشرًا إن لم يظهر كونه لك فيما تقدَّم، ونشرًا إن ظهر.

اسمع: قد بعث الحق المحمَّدي موسى في عمر فقال له:

«**مثلك في الأنبياء كمثل موسى**[1]»، وكمّل له الأمور السابقة حتى إنه دخل عمر يومًا وبيده كتابٌ من يهوديٍّ أعجبه؛ لموافقته وتصديقه لما جاء به الكتاب المحمَّدي،

(1) رواه أحمد (383/1).

فكان لوحًا يعتمد عليه، فهو عصا، فجعل عمر يقرأ، فقال له السيد الكامل: «**ألْقِهِ من يدك**»، فألقاه فألقى ألواحه وعصاه، ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ [الأعراف: 29].

وقال له: «**لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتّباعي**[1]»: أي لأظهر لك ظهورًا إيمانيًا تسليميًا، وليس الخبر كالمعاينة.

ولَكِنْ للعيَانِ لَطِيفُ مَعنى لَهُ سَأَلَ المعَايَنَةَ الكَلِيم

وتتبّع أحواله كلها تجدها كذلك، وقسْ على هذا أمثاله.

اسمع: ﴿**قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾ [عبس: 17]: أي ستر روحه بكونه، وموته تجرده عن ذلك الستر، ففيه حياته. هذا معنى.

ومعنى آخر: جعل الإنسان شهيدًا، ولوليّه سلطانًا، ﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ**﴾ [عبس: 21] بنزوله إلى كونه الأرضي، ففي مفارقته كشفه وحياته، ﴿**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾ [عبس: 24]، فغذاؤه رحمانه، كما أن الحكمة غذاء القلوب.

اسمع: العصمة هي الحفظ اللازم من صدور الأفعال الاختيارية بلا حكمةٍ ربّانيةٍ، ومن شهود الضرورية خالية من ذلك.

اسمع: الجليل النزيه نزاهة لازمة عما يُعد خلاف كمال لمثله، والجميل الثابت على ما يُعد كمالاً له، والخلو عن الكمال نقصٌ، فالجليل والجميل متلازمان.

اسمع: الحكيم هو الجليل في أفعاله، والعظيم هو الجليل في صفاته، والكبير هو الجليل في ذاته، والعلي هو الجليل في جميع حالاته، فلذلك يُوصف بالحكيم وبالعظيم وبالكبير، ﴿**إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: 51]، ﴿**وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ**﴾ [البقرة: 255].

﴿**فَالْحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ**﴾ [غافر: 12، 13].

اسمع: الصورة ظل النفس في مرآة الهيولي بواسطة البيان الإدراكي، والنفس ثمرة الروح، والروح فرع الحياة، والحياة اقتضاء الوجود للإدراك والفعل المرتبيين المقيدين، فهو صاحب الحياة والروح والنفس والصورة بالحقيقة، وذلك الشخص الهيولاني بالمجاز، فقوله: ﴿**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ**﴾ [الفجر: 28]: أي تجرَّدي عن النسبية الخلقية

---

(1) رواه أحمد (387/3)، والبيهقي في الشعب (200/1).

بالظهور بحكم النسبة الحقية، ومن ثَمَّ قال عارفٌ: إن المعنى من قوله ﷺ:

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116]، تعلم ما في نفسي التي هي نفسك، ولا أعلم أنا ما فيها، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29].

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، أقر أصلها، وأصل أصلها، وأصل أصل أصلها، فأنا وجودها، و«من عرف نفسه عرف ربه[1]»، وجودها الحكيم، فكل خيرٍ وكمالٍ فهو لها بالأصل، وما دون ذلك هو لها عوارض مرتبية، سيما وهي مقيدة بالصورة الهيولانية، كما أن الجمال ثابت لما رآه الجميل من نفسه بواسطة المرآة المعيوبة ثبوتًا أصليًا، والعيب عارض فيه من المظهر، وثبوته له وهمٌ، كثبوته غير الرائية من نفسه، فـ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: 79]، التي هي المرتبة القابلة لظهورك.

وقد نظرت يومًا في مرآة زجاج فرأيت في لوني صفرة تميل إلى زرقة وسواد، فتوهمت أن ذلك لضعف بي، فاضطرب مزاجي ثم تثبت، فنظرت في مرآة فُولاذ، فإذا لوني أحمر مشرق على عادتي، ففتشت على سبب ذلك، فظهر أن الزجاجة مدهونة بما لونه ذلك، فانظر ما تؤثر العوارض المظهرية، وماذا يصاحبها من الأحكام، والآثار الوهمية والمزاجية، وقس على هذا أمر كل مرتبةٍ بحسبها، وكما أن ذلك اللون لون المرآة، لم يفارق ما دمت أنظر فيها، فكذلك العارض العارف في بدنه.

اسمع: المحدودات كلها حقٌّ في مراتب التقرر، خلقٌ في مراتب التغير من دائرة الإدراك، أمر في دائرة الربط بينهما.

اسمع: الصورة القابلية للصورة الفاعلية حواء آدميتها، ولوح قلميتها، ونفس عقليتها، وطبيعة أقويتها، وهيولي ماديتها، وهما حقيقة واحدة، اختلفت بالنسبة الأثرية، فمفهوم كونها مبدأ محققًا لما حكم بأنه أثر لها، وهو ما ظهرت به من معاني نفسها الوجودية، هو مرتبتها الفاعلية، ومفهوم مبدئيتها الكشفية، هو مرتبتها القابلية، والثاني فرع الأول، كما أن الانكشاف فرع التحقق، وحيث كانت الحقيقة واحدة كان سر كل مرتبة ساريًا في الأخرى؛ لثبوت الملزوم حيث ثبت لأزمه، ولكن للحيثيات أحكام وأحوال، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

(1) تقدم.

اسمع: إنما يغنيك وَجْد ما يُغْنيك، فإن عرفتِ نفسك حسبك بك.

اسمع: الكلام هو الحكم الكاشف، فالأحكام الكاشفة كلها كلمات في كل مقامٍ بحسبه، فمن تصورت نفسه المدركة بكلمة تصورًا غالبًا، حقت عليها في كل مقامٍ بحسبه، فكلمة النعيم وعد الصادق لمصدقه، هي رضوان، وضدها مالك الغضبان.

اسمع: كلمات التخويف حفظة لوح ما وردت من أجله بحفظه عن انتهاك حرمته في كل مقامٍ بحسبه، وقِسْ على هذا.

اسمع: إذا كانت صورتك الهيولانية حاصلة في مادةٍ لها شؤون خاصة بها، ظهرت آثار تلك الشؤون ما دامت مقيدة بها، كما يظهر تغير اللون في الأبيض الأحمر الجميل، ما دام يرى نفسه بواسطة مرآة متغيرة اللون؛ لأن أصل الصورة كمال وجمال، فمن رأى خيرًا فليحمد الله، ومن رأى غير ذلك: أي ومن رأى أن ثَمَّ غير خير وحمد إلهي، فلا يلومنَّ إلا نفسه التي ذلك عارض منها، أما ترى كيف نعت الحق البشر بأنه: ﴿مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، وأضاف الروح الظاهر فيه إليه، ثم أخبر عنه إخباراته الربَّانية للسامعين بما أخبر، فمن أين جاء خلاف كمال روح الحق وجماله إلا من المظهر المنعوت بالتغيُّر المخالف لذلك، اللهم خلصنا واستخلصنا بلطفك ورفقك وجمالك، فما للعبد إلا مولاه.

انظر إلى البدن قبل نفخ الروح فيه، وبعد مفارقته له، بل ومع قلة إقباله عليه، وضعف ارتباطه به، هل له من الزينة والحسن والطيب وظهور آثار معاني الكمال والجمال حينئذٍ ما هو له من ذلك حال تعلقه به، وإقباله عليه، وهل له في هذه الحالة ما كان له قبل ذلك من الأمور المستبشعة المستكرهة.

فَمَا كُلّ خَيْرٍ وَجَمَالٍ وطيبٍ إِلاَّ مِن حَيّ ذَلِكَ الحبيب

كل الجمال جماله.

اسمع: لما كان الزمان المُسمَّى رمضان مخبوء في صومه، طُهرة من الآثام للأمة العربية المحمَّدية، وتفرغها للفكر، وقوة اقتباس النور العلمي في العلم السابق.

دلَّ على ذلك في الفهم اللاحق بأن اشتق اسمه من الرميض، وهو المطر في أواخر الخريف وأوائل الحر، ومن الرمض وهو قوة قرع الشمس للرمل وغيره؛ لما في الماء من الطهارة، وفي الشمس من الإنارة، فأوجب الشرع العربي صومه، وكذلك رآه كل

من فهم ذلك، ألم تسمع قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

اسمع: النفس المادية لا تخلو عن مظهر مادي تتشكل به، وتظهر فيه، فاسأل حقك الفاعل المختار أن يتخيَّر لك من هذه المظاهر خيرها أو أحسنها، إظهارًا لجمال جميلك الظاهر بها على كماله وقدسه الوجودي الإلهي تعش فيه رغدًا.

اسمع: كُلٌّ لا يدعو إلا إلى ما استُحسن، ولا يستحسن إلا ما هو معنى له، وإن اعترضه ما حجبه عن شهوده من نفسه المادية، ومن ثَمَّ قالت الصديقة بنت الصديق لما سُئلت عن خلق سيدها ومولاها، فقالت: «**كان خُلقه القرآن**[1]»: أي من حيث وعى إلى ما فيه من المحامد والفضائل، والمحاسن والمكارم، قال هو سيدي ومولاي:

جُمَلُ الجمالِ تجمَّعت فِي خَلقِهِ ... ولخُلْقه جمعَ الهدى فرقانه

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]؛ إذ فرقانك الربَّاني الحكيم لا يحكم إلا بما هو رحمة وحكمة وحسن وجمال، فهو مبدأ بيانك المُسمَّى بالفرقان، فهو حقيقته الحقية، ونسخته الأصلية التي نُسختها منها بالتنزيل البياني في وسع أفهام القابلين بحسن القبول الإيماني.

اسمع: الرحمن وجود العقول والأرواح، وقواها التي هي مبادئ آثاره الجميلة الجليلة الرحيمة الحكيمة هي ملائكة الرحمن.

والرحيم هو وجود النفوس والقوى المُسمَّاة بالطبيعة، ورقائقها التي هي مبادئ آثاره التي هي كالأولى في دائرته، هي أملاكه ثَمَّ.

والكل أملاك الله الإله الرحمن الرحيم، وجود الحياة والعلم ووجوههما التي العقول والأرواح، والنفوس والطبائع صورها المرتبية، والصلاة منه على الناطق صِلة تفيض هذه الصور عليه.

اسمع: الكون الذي نفسه لا تشتهي ولكن تريد، ولا تريد إلا كمالاً، ومهما أرادته تمَّ لها فيه حصوله بلا مانعٍ ولا عائقٍ ولا شائبةٍ أجنبية منغصة عندها، هو حضرة ودار

---

(1) رواه أحمد في مسنده (91/6).

إلهية ربَّانية لها، والكون الذي نفسه تشتهي، ومهما اشتهته حصل لها فيه بلا عائقٍ ولا مخالفةٍ لاختيارها، هو جنة ودار نعيم لها.

والكون الذي نفسه تشتهي فيحال بينها وبين ما تشتهي وتنعكس، أو لا تتلخص لها اختياراتها، هي جهنم ودار جحيم له،ا والخلاص في التجرد عن قيود مراتب الحدود.

اسمع: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: 22]، يعني وهو الذي يبصركم بأعينكم، ويسمعكم بآذانكم، ولكنكم تظنون خلاف ذلك فلا تعلمون.

اسمع: من لم يؤمن بأن له ربًّا لم يأتِهِ مددٌ ربانيٌّ بلا واسطةٍ، ومن لم يؤمن بأن ثَمَّ واسطة بينه وبين ربه لم يأتِهِ مدد بواسطةٍ، ومتى جهل الناس مرتبة الربوبية وإمامة الهدى إليها حتى أنكروها، أو عمتهم الغفلة فلم يلتفتوا بوجه الطلب والتعظيم إليها، فقد انتزع مقام الرب منهم، ولا ستر لعورات نقائصهم إذا وجد فيهم إلا نُزع منهم، كما أنبأ هو سيدي ومولاي بقوله جلَّ وتبارك:

إِذَا جَـاءَ مِـيْقَاتُ الْقِـيَامِ وَشِـتُّتَهُ ... نَـزَعت مَقَامِـي نَـزْعَةً بَعْـدَ نَـزْعَةِ
وَقَـدْ زَالَ سِـتْر اللهِ عِـنْدَ زَوَالِـهِ ... كَمَـا زَالَ قـدمًا عِـنْدَ مَقـدمِ
وَتَبْقَـى قلُـوب فِـي فلاَهَـا تقلـبت ... زلتِـي بِـصَدَى صَـدَاهَا صـدود وحيـرة
خَلاَيَـا قلُـوب فِـي خَلاَيَـا قـوالب ... مقلـبة بـين العـنا والتعـنتِ

وبداية حصول هذا تساهلهم في حفظ حرمة الحق المبين، وعيونه الناطقين به، اللهم عافنا من كل علةٍ، وطهّرنا من كل دنسٍ، آمين.

اسمع: العجب أن المرتبة الإلهية والربَّانية هما أحب مراتب وجود دائرة الفرق إليه، ومع ذلك خصَّ لسان المتشرعين بمرادات عيَّنها من عباده باسم التكليف، وكيف يتكلَّف محب في امتثال أمر محبوبه لو كان هو المتمثل حقيقةً، فكيف والمتمثل في عباده هو القائم فيهم ببيان مراده.

اسمع: قف فإن ربك يصلي، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ﴾ العليم الحكيم ﴿كُلُّهُ﴾ [هود: 123]، وإنما التكليف لمن ظهر فيه متحجبًا بهم عنهم، ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

اسمع: المعلوم كماله أن يقوم ويظهر بعالمه حاله في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أهل الكشوفات الصريحة عند الأجنة في حجبهم مجانين صفعة مليحة، وما كذَّبوا لأنهم عنهم تحجبوا، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: 11]، وكفاه حقيقة شهادتهم بقدمه ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81].

يا ترى من هو المتَّصف بهذه المتقابلات والمتماثلات، وما ثَمَّ إلا الله، قد أجاب مسائله وله الحمد والسبحان بمعافاته من سطوة غيرته على وجه أحديته من وجوه مغايرته، ربما رجعنا إلى مراتبنا الحجابية فتعجبنا منا كما يتعجب منا أهلها، وربما عرجوا إلى مراتبهم الكشفية فتعجبوا كما كانوا يعجبون بحكم خاصية المرتبة، ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: 5]، أأعجب مما أنا آلف به من سواه إذا صرت في دار غريبة، سبحان الله، والحمد لله، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54]، فما من الله إلا وإليه.

اسمع: النفس البشرية مرتبة تقيد، فلا تدرك إلا مقيدًا، ولا تسع من الجهة الواحدة في الآن الواحد إلا أمرًا واحدًا، فإذا تطورت بهيكل كثيف حجبها بحكمه عن مرتبتها اللطيفة، فضلاً عن العقلية المفارقة قبح العقل النظري أمر ذلك الطور، وكرّهه إليها لتكرهه، فتخلص منه إلى لطافتها إن قبلت أمر عقلها، ومن ثَمَّ يأتيها النفور منه مما تعانيه فيه، وأشد الناس في ذلك أفاضلهم، فعلى قدر فضلهم يكون زهدهم في حبسهم في بشرياتهم، وتقيدهم بحكمها، ولولا ما صُبغ أحوال الكُمَّل بكمالاتهم في بشرياتهم لكانوا أكره الكل لها، كما أنهم إذا رجعوا إلى حكمها نفروا منها أشد نفور، وقال السيد الجميل: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

ثم قال السيد الكامل: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل**[1]»، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً﴾ [الأنفال: 17]: أي موافقًا لاختيارهم، فإن الحسن موافقة الاختيار في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: قال السيد الحسين سبط السيد الكامل[2] ليلة حصره، وقد ذكر معائب الدنيا؛

(1) رواه البخاري (2139/5)، والنسائي (352/4).

(2) كان ﷺ إمامًا سيدًا شجاعًا كريمًا جوَّادًا. من فضائله العظيمة ومناقبه الجسيمة حديث: «حسين مِنِّي وأنا مِن حسين، أَحبَّ الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط»، أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه.
وفي رواية: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».
وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «من أحب الحسن =

والحسين فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضن».
وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ، والطبراني عن ابن عمر وعن علي، وعن جابر، وعن أبي هريرة، وعن أسامة بن زيد، وعن البراء، وابن عدي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».
وأخرج ابن عساكر عن علي، وابن عمر، وابن ماجه، والحاكم، عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما».
وأخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن حذيفة أن النبي ﷺ قال له: «أما رأيت العارض الذي عرض قبل ذلك وهو ملكٌ من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه ﷻ أن يسلم عليَّ ويبشّرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة».
وأخرج الطبراني عن فاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أما الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فله جرأتي وجودي».
وأخرج الترمذي عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا».
وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي بكر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ابناي هذان ريحانتاي من الدنيا».
وأخرج الترمذي والطبراني عن أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «هذان ابناي وابنا ابنتي اللهمَّ إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما».
وأخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبَّان والحاكم عن بريدة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «صدق الله ورسوله: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:28]، نظرت إلى هذين الصبيان يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».
وأخرج أبو داود عن المقدام بن معدي كرب أن النبي ﷺ قال: «هذان مِنّي» يعني الحسن والحسين.
وأخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «الحسنُ والحسين سيّدا شباب أهل الجنَّة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهلِ الجنة إلا ما كان من مريم».
وأخرج أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معدي كرب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الحسن مِنّي والحسين من علي».
وأخرج الطبراني عن عامر أن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين سيفا العرش وليس بمعلَّقين».
وأخرج الترمذي عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أحبُّ أهل بيتي إليَّ الحسن والحسين».
وأخرج البغوي وعبد الغني في الإيضاح عن سلمان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «سَمَّى هارون ابنيه شبرًا وشبيرًا، وأني سميت ابني الحسن والحسين كما سَمَّى بهما هارون ابنيه».
وأخرج ابن سعد عن عمران بن سلمان أن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمَّت بها العرب في الجاهلية».
وأخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أخبرني جبرائيل أن

الحسين يُقتل بعدي بأرض الطَّف، وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه».
وأخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحارث أن النبي ﷺ قال: «آتاني جبرائيل وأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسين فأتاني بتربةٍ حمراء».
وأخرج الإمام أحمد: «لقد دخل عليَّ البيت ملكٌ لم يدخل عليَّ قبلها، فقال: إن ابنك هذا حسينًا مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل فيها، قال: فأخرج تربة حمراء».
وأخرج البغوي في مجمعه من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «استأذن ملك القطر ربه ﷻ أن يزور النبي ﷺ فأذن له، وكان في يوم أم سلمة فقال رسول الله ﷺ: يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحدٌ، فبينما هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يلثمه ويقبِّله، فقال له الملك: أتحبه؟ قال: نعم، قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريك المكان الذي يُقتلَ به فأراه، فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها، قال ثابت: كنا نقول أنها كربلاء»، وأخرجه أبو حاتم في صحيحه.
وروى الإمام أحمد نحوه، وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضًا، لكن أن الملك جبرائيل ويجمع بأنهما واقعتان، وزاد الثاني أيضًا أنه ﷺ شمَّها وقال: «ريح كربلاء».
وفي رواية الملاء وابن أحمد في زيادة المسند: قالت: «ثم ناولني كفًا من ترابٍ أحمر، وقال: إن هذا من تربة الأرض التي يُقتل فيها، فمتى صار دمًا فاعلمي أنه قُتل، قالت أم سلمة: فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول: إن يومًا يتحول فيه دمًا ليوم عظيم».
وفي رواية عنها: «فأصبته يوم قتل الحسين وقد تحوَّل دمًا».
وفي أخرى ثم قال يعني جبريل: «ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصايات فجعلهنَّ رسول الله ﷺ في قارورة، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينًا ... أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
قد بغيتم على سليمان وداود ... وموسى وحامل الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصايات قد جرت دمًا».
وسبب شهادته ﷺ أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين خوفًا على نفسه، فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، ويمحي ما هم فيه من الجور، فنهاه ابن عباس ﷺ وبيَّن له غدرهم وقتلهم لأبيه، وخذلانهم لأخيه، وأمره ألا يذهب بأهله إن ذهب، فأبى فبكى ابن عباس، وقال: واحسيناه فقال ابن عمر نحو ذلك فأبى فقبَّل ما بين عينيه، وقال: أستودعك الله من قتيل.
وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبقَ بمكة إلا من حزن لمسيره، ولما بلغ أخاه محمد ابن الحنفية بكى حتى ملأ طشتًا بين يديه، وقدم أمامه مسلم بن عقيل، فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفًا، فأرسل إليه يزيد بن زياد فقتله، وسار الحسين غير عالمٍ بذلك، فلقي الفرزدق فسأله فقال: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، ولم قرب القادسية تلقَّاه من أخبره الخبر، وأمره بالرجوع فهمَّ بالرجوع، فقال له أخو مسلم: والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نقتل، ثمَّ سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء، فجهَّز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل، فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد، وبيعته ليزيد، فأبى ﷺ فقاتلوه،

وكان أكثر مقاتليه الكاتبين إليه والمبايعين له، فلما جاءهم فرُّوا عنه إلى عدوّه، فحارب الإمام الهمام الأسد الضرغام ذلك العدد الكثير، ومعه من أهله نيف وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتًا باهرًا، ولما حمل عليهم وسيفه وصلت في يده الكريمة أنشد يقول شعرًا:

أَنَا ابن علي الخيِّر من آلِ هاشم كَفَاني بهذا مفخر حين أفخر

وجدِّي رسول الله أفضل من مَشَى ونحن سراج الله في النَّاسِ يزهر

وفاطمة أمِّي سلالة أحمد وعمِّي يدعى ذو الجناحين جعفر

ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه؛ إذ هو الشجاع العرم الذي لا يزول ولا يتحوَّل، ولما اشتد القتل في أهله حتى بلغوا خمسين صاح الإمام: إما ذاب يذب عن حريم رسول الله ﷺ، فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعة جده، فقاتل بين يديه حتى قُتل، ثم فني أصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم، وقتل منهم كثيرًا من شجعانهم، فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه، فصاح: كفُّوا سفهائكم عن النساء والأطفال، فكَفُّوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجروح؛ لأنه طُعِنَ إحدى وثلاثين طعنة، وضُرِبَ أربعًا وثلاثين ضربه، ومع ذلك غلب عليه العطش إلى أن سقط إلى الأرض، وسقي كأس الشهادة المعظمة يوم الجمعة، العاشر من محرَّم عام إحدى وستين، وكانت ولادته ﷺ لخمس خلون من شعبان سنة أربع، وله من العمر ست وخمسون، وأشهر قتله سنان بن أنس النخعي أو غيرهم، ووضع رأسه الشريف المحترم بين يدي ابن زياد وأنشد قائلاً:

املئي ركابي فضَّة وذهبًا فقد قتلت الملك المحجبَا

ومن يصلى القبلتين في الصِّبا وخيرهم إذ يذكرون النسبا .

قتلت خير الناس أمًا وأبًا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال له: إذا علمت ذلك فلِمَ قتلته؟! والله لا نِلت مني خيرًا أو ألحقتك به ثم ضرب عنقه، وقتل مع الإمام من أخوته وبنيه وبني أخيه الحسن، ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً.

قال الحسن البصري: ما كان على وجه الأرض لهم شبيه، فجهَّزه وأرسله مع رؤوس أصحابه وسبايا آل الحسين إلى يزيد، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس أول منزل جعلوا يشربون الخمر، فخرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديدٍ فكتبت سطرًا بدم:

أترجوا أُمَّة قتلت حسينًا شفاعة جدِّه يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ثم عادوا فأخذوه وقدموا به على يزيد، فلما وصلوا يزيد قيل: ترحَّم عليه، والمشهور أنه جعل ينكِّث الرأس بالخيزران.

قال الفاضل ابن حجر الهيتمي: والعجب كل العجب من ضرب ثنايا الحسين بالقضيب، وحمل آل النبي ﷺ على أقتاب الجمال موثقين، ولا عجب فإن يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال والتقوى مبلغًا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره انتهى.

قيل: ثم أن يزيد أرسل برأس الحسين إلى المدينة ومن بقي من أهله إلى المدينة، فكفن رأسه

ذلك ليرغب المؤمن فيما عند الله، وإنما نظر أخوه الحسن إلى أن التميز النفساني من جملة أمور البشرية، وأن الأصل في مظاهر الكمال وقوع أمورهم كلها عن وجودهم الإلهي، قال: «**أحبُّ الأشياء إلَيَّ أحبها إلى الله**[1]».

اسمع: إذا شهدت بعين اليقين ناطقك مظهرًا رحمانيًا فنفسك البشرية المتحدة من

المحترم، ودُفن بقبة أخيه الإمام الحسن.

وقيل: أعيد إلى الجثّة بكربلاء بعد أربعين يومًا، ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة، ومما ظهر يوم شهادته من الآيات أن السماء أمطرت دمًا، وأن أوانيهم مُلئت دمًا، وأن السماء اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذٍ حتى رأيت النجوم، واشتدَّ الظلام حتى ظنَّ الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب ضربت بعضها، وأنه لم يُرفع حجر إلا ورئي تحته دم غبيط، وأن الورس انقلب رمادًا، وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، ثم ظهرت فيها الحمرة، وقيل: احمرَّت ستة أشهر ثم لا زالت الحمرة تُرى بعد ذلك.

وعن ابن سيرين أنَّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قُتل الحسين ﷺ.

قال الإمام الشافعي ﷺ:

تَزَلْـــزَلَتْ الدُّنـــيا لآل محمـــد ... وكـادت بهـم صـمّ الجبال تـذوب
وغـارت نجـوم واقـشعرَّت كـواكب ... وهـتك أسـتار وشـقَّ جـيوب
فهـم شـفعائي يـوم حـشري وموقفـي ... وبُغْـضُهُم للـشافعي ذنـوب
فـإن كـان ذنبـي حـب آل محمـد ... فـذلك ذنـبٌ لَـسْتُ عـنه أتـوب

ثم عن ما أصيب به الإمام الحسين في يوم عاشوراء إنما هو الشهادة العُظمى الدالة على مزيد حظوته ورفعة رتبته عند ربه، وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين.

فمن ذلك اليوم مصابه لم ينبغي أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالاً للأمر، وإحرازًا لِمَ رتب عليه من الأجر بقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:157].

ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم، والإكثار من الصدقات، وإيّاه ثم إيّاه أن يشتغل ببدع الروافض من الندب والنياحة والحزن، فإن ذلك ليس من أخلاق أهل الإيمان، وإلاّ لكان يوم وفاة رسول الله ﷺ أولى بذلك وأحرى، ولا يشتغل ببدع المتعصِّبين على أهل البيت من إظهار الفرح والسرور والاكتحال، ولبس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، فإنه لم يرد في ذلك شيء يُعتمد عليه، ولا أثر صحيح يرجع إليه، فصار هؤلاء بجهلهم يتخذونه موسمًا، وهؤلاء لرفضهم يتخذونه مأتمًا، وكل منهما مخطئ مخالف للسنة، ورضي الله عن سيّدنا الإمام الحسين وأرضاه.

انظر في ترجمته: الاستيعاب (116/1)، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني (23/1)، والكواكب الدرية للمناوي (100/1)، وما أكثر الكتب التي صنفت في فضل سيد الشهداء.

(1) لم أقف عليه.

حيث مفارقتها فردوسٌ، وقِسْ على هذا باقي الجنان، فقد جاء في الخبر:
«إنَّ الفردوس سقفها عرش الرحمن».

اسمع: لما جاء الوجد المحمدي بأن الكمال في تجردك عن مراتب إمكانك بتحققك بمراتب وجوبك، وأن طريق ذلك فناؤك في لاهوت إمام هداك عن التعلق الحبي بما دونه، قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾** [الكهف: 107].

قبل ظهوري بحكمي الخاص بي، **﴿جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾** [الكهف: 107، 108]: أي لظنهم أنها غاية الكمال.

﴿قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدا﴾ [الكهف: 109]: أي مراتب الإمكان كلها متفاضلة تفاضلاً نسبيًا وهميًا، فليس فيها كمال حقيقي، فما حصل عنها كمال إلا ووراءه كمال هو أكمل منه في محله، **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا﴾** [الكهف: 110]: أي إنما الكمال الحقيقي في تحققكم بحقي الواجب، المتحول لكم في صورة خلقي البشري رحمةً بكم، وأدرج ذلك في معنى مثليته لهم، ثم بيّن الطريق إلى ذلك بأنه أفرده بصدق المحبة، وحسن الخدمة، وكمال حفظ الحرمة، وصدق المحبة بوحيه؛ لكون المحب كما يرضى محبوبه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: جاء في الحديث: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**[1]».

فأنت المشرق وهو مظهر الأنوار، وخطاياك المغرب وهو مانع ظهورها باقتضاء خفائها، ومتى ظهر السر الإلهي فيما يُرى أنه خطايا، حتى شُهد أنه حكم وكمالات كالنسخ، فقد طلعت الشمس من مغربها، وأُغلق باب التوبة، بمعنى الإقلاع عن الذنب؛ إذ لا ذنب ثَمَّ، وفُتح باب الرِّضا، وانتشر لواء الحمد:
﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: 70]؛ إذ بدَّل عندهم نسب الأفعال إلى غيره بنسبتها إليه شهودًا حقًّا كما هو وجودًا صدقًا.

اسمع: الأحكام كلها أسماء في دائرة الترتيب، وهي دائرة الباطن، وما ثَمَّ إلا

(1) رواه البخاري (259/1)، ومسلم (419/1).

الذات، وأحكامها التي جردت نفسها؛ لما لنفسها من نفسها كما تقدَّم تحقيقه، فما ثَمَّ إلا الذات وأسماؤها ليس إلا في كل مقامٍ بحسبه.

ومتى ظهر وجوده الذي هو ذاته في إدراكه الناطقي بحكم إحاطته ظهر بجميع الأحكام، فعلمه الأسماء كلها أقول: جسمي نفسي روحي عقلي قلبي صدري فؤادي سري ربي حبي إلهي مولاي، وما هو إلا وجودي وذاتي في مراتبه التي هي أسماؤه، وقِسْ على هذا.

وَلَكِـنْ لأَحْكَـامِ الكمَـالِ مَـرَاتبٌ   يــصرفهَا الفُــرقَانُ فِـيْمَا يُوَافِــق

آه كم تردَّد، وشتان بين مراتب المتقابلات والمتماثلات، عسى وجودي أن يخلص موجودي من تغلب حكم حدودي، وسجن حصر قيودي، ما حل عبدك ينحل يا إلهًا عزَّ وجلَّ.

اسمع: الغَفر: ستر مرغوب عنه بمرغوب فيه في كل مقامٍ بحسبه، فإذا قلت: أستغفر الله، فاجعل معناه: أسأل الله أن بإياه يستر عني شهود سواه، حتى لا أرى ولا أجد إلا الله، ولا يظهر لي أمرٌ إلا بما هو أمر الله، فعسى يفعل، وإذًا قُلْ: فما لي كمال، ما هو شيءٌ يُقال، جميع الجمال، منظوم في نظام سعدي.

اسمع: من خاف ورجا فقد مدح وهجا، ومن رضي وأسلم فقد حمد وعظَّم، ماذا ترى إن رأيت الحق بلا مراء.

اسمع: مَن أورد شيئًا وجوديًا طرد به مانع تكميله لموروده، فقد جاء بالحق على الباطل، فدمغه في كل مقامٍ بحسبه، ألم تسمع أن الخبر وجودي، والشر عدمي، ولما كان الحكيم لا يصدر عنه إلا ما يوجب به طرد مانع تكميله عن مورروده، قال العليم الحكيم: ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً**﴾ [الأنبياء: 17]: أي ما هو عند العموم لهو كالمفاكهة والضحك وأخذ الميثاق ممن لا بُدَّ له من نقضه بإيرادنا عليه سبب نقضه، ﴿**لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا**﴾: أي لجعلناه حكمة، ﴿**إِن كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ لهوًا، ﴿**بَلْ**﴾ إضراب عن كون هذا من الحكيم لهوًا، إنما هو حكمة عبَّر عن حقيقته المرتبية بقوله: ﴿**نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾ [الأنبياء: 18].

ومن ثَمَّ قال السيد الكامل: «**إني أمزح ولا أقول إلا الحق**[1]».

---

(1) تقدم.

والحق هو الوجود الثابت على مرتبته الوجودية، بل هو الوجود الموجود كذلك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الإسلام ترك المنازعة في الأمر في كل مقامٍ بحسبه، وأعلاه ترك نسبة أمر لسوى الله، ولما كان الناطق المحمَّدي أول من جاء بنفي إثبات نسبة أمر لسوى الله، قال: ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: 162] إلى قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 163]: أي بهذا الإسلام الأعلى.

وانظر كيف نسبه إلى ياء المتكلم، ونفى نسبته لسوى الله، فهو السلام أول المسلمين، قال هو سيدي ومولاي:

يغطِّي بِإِيمانِ اليقينِ ظنونَهُ وتَسْلِيمَهُ السَّامِي وَرَا إِسْلاَمه

اسمع: كل صورةٍ مؤلفةٍ فهي حركية، وكل حركي فلكٌ، ومبدأ حفظه وحركته منه ملك، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4].

اسمع: انظر إلى نفسك قد ينشأ لك بديهةً بلا سبب بادٍ رائد عليك، فتصور صورة حرفية، فتحصل في نفسك صورة مركبة، وقد يتعلَّق اختيارك بكتابتها في لوح التظهر الكثرة بعد بطونها عنهم مع ظهورها لك وحدك، فتعلّق يدك التي هي مبدأ فعلك بآلة تُسمَّى قلمًا، وتغمسه فيما يخالف لون اللوح، ثم تظهر بتلك الصورة في يدك، فتتحرَّك بها يدك، فيوجب ذلك ظهورها في القلم، فيتحرك بها القلم فيوجب ذلك ظهورها في اللوح على حكمها المادي الذي انغمس فيه القلم، ترى الوجود المصوِّر يتمثل روح قدرته الناطق بقوة التفصيل والترتيب الكياني، وذلك هو وضعه قلمه المرتبط بيده في المادة، ثم تصوُّره من عاقلته الحكمية بصورته، ثم يظهرها في مبدأ انكشافها، وهو الحس المقيد بالكون، فتقوم صورة مادية لوحية في كل مقامٍ بحسبه، قال هو سيدي ومولاي:

أَوْجَبَتْ بِالذَّاتِ ذَاتُ القدمِ مِن صِفَاتِ الفِعْلِ روح الكلمِ

المشهد العزيز العلي الحكيم كله.

اسمع: ما يحب الرب الحق إلا نفسه ومعانيها، ومن ثَمَّ يأمر عباده بالتخلُّق بأخلاقه؛ ليحبهم بحبه لنفسه حيث ظهر فيهم بها، ألا ترى كيف سمَّى نفسه في لسانه المحمدي بالمحسن وقال: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

والصبور وقال: ﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

وأهل التقوى وقال: ﴿يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4] ونحو هذا، فما أحب إلا نفسه في مظاهره مع حكم الفرق، وأما مع حكم الإحاطة فما ثَمَّ إلا الله، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95]، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: 52]، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1].

اسمع: لا تسأل الولي الحكيم لِمَ أدّب من أدبه بعقوبةٍ، فإن الرب لا يُسأل عما يفعل بعبده، والأمين لا يكون نمامًا، وعليك باعتقاد كمال أمره كله، وإن لم يظهر لك حكمة فعله، فذلك أقوم لك وأسلم من آفة من هلك.

اسمع: إذا رأيت مدَّعي الإرادة يلتفت بعين المحبة، وآثار صدقها لغير أستاذه، فاعلم أنه مصدود عن المراد بعلةٍ نفسانيةٍ.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد

من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده

على عبده من عنده

اسمع: المعلوم في قوة العلم المحقق له، والعقل صورة تأثير العلم في المعلوم، بمعنى تحقيقه وإظهاره، فالحاصل في العلم من المعلوم حقيقته، والحاصل في العقل منه حقه، والحاصل منه التعقل أمره، وفي التخيل خلقه، وفي التوهم قدره، وفي الإحساس كونه، والكل أحكام تجريدية جرَّدها الوجود الذات من نفسه لنفسه في كل مقامٍ من مقامات قضائه الذي اقتضاه لذاته بذاته، بحسبه أثبتها تحقيقًا وتقديرًا، وتعين

بها كشفًا وتقريرًا، ورتبها بما هو الموجود الناطق المتكلم ترتيبًا، وحدَّدها بما هو الوجود المدرِك تحديدًا، وظهر في كلٍّ منها بحسب ما خصصه به من الخاصيات المرتبية، فكان لكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]، هي الحواس الخمس والحس المشترك بما هو وجودها الباطن القائم على الموجب والظاهر الانفعالي المختار، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ [الأعراف: 54]: أي ظهر الظهور التام بمعنى الجلال والإكرام، ﴿عَلَى العَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] الناطق الكائن في إنسانيته الآدمية على ماء النطفة، فهو وجوده الحق المبين، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [الرعد: 2]، ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ [الرعد: 2]، ﴿أَلاَ لَهُ الخَلْقُ﴾ [الأعراف: 54] بالأول، ﴿وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] بالثاني، ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

قيومهم بما فيه وبه صلاح نظامهم، وكمال قوامهم، فالأكوان كلها خلق الله، والإنسان وحده أمر الله، وبالأمر وله قام الخلق، فلولا الأمر الحق ما قامت قائمة لخلق، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾ [الحج: 62]، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: 105]، ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: 64]، فهو عينه الأعظم، وشأنه الأكرم، واسمه بما هو الوجود الإلهي المتعين به عقلاً وروحًا ونفسًا، وقوى تعين ذلك الاستواء، فهو اسم الله الرحمن الرحيم الذي هو كل حقٍّ عظيمٍ، وأمرٍ حكيمٍ، ولا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، وهو المقرِّر للكل في الحدوث، والمنفرد عنها بالقدم، والاسم عين المُسمَّى العلم الدال عليه بالذات، وما ذلك الوجود من موجوداته كلها إلا حقه المبين هو الذي به «**كان الله ولا شيء معه**[1]»، وكوّن بوجوبه سائر الممكنين، وهو الذات ليس إلا هو، فهو الواجب بذاته، وهو هو بما هو.

يا حبيبي إذا كان المحقق حقيقة ما حققه، فكيف يُحاط بك يا محقق الإحاطة والمحيط، أنت محقق الذات المعجوز عما هو، فكيف تدخل تحت قدرةٍ ما.

هو والله معذور يا ممتعي من جعلته لا يفيق ولا يعي.

هو الاسم العظيم الأعظم، والوجه الكريم الأكرم، وهو وجه البقاء، له الحكم

---

(1) تقدم.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: 123]، فلا حكم لشيءٍ معه، كل شيءٍ مطموس في كتم الغيب حتى يعينه بيانه، وهو المتبين بذاته، فهو الحق المبين للكل، لولا هو المميز ما انكشف شيء مرتبيًا، وقِسْ على هذا.

انظر عنوان خصوصه الحقي في عمومه الخلقي، هل ترى في العالم ما يظهر به العالم عينًا ومرتبةً سوى الإنسان المدرك، لولا إبصاره كانت المتلونات غيبًا مكتومًا، ولولا سمعه كانت الأصوات غيبًا مكتومًا، وقِسْ على هذا بقية تعلقات مداركه الباطنة والظاهرة.

وهو وجود الجملة الوجود الزائد بكشفه وبيانه، والذات بكاشفه ومبينه، وهي حروف في مخارجها المادية كامنة تقديرًا، فإذا أورد عليها نفسه البياني تعيَّن بها، فعينها تحقيقًا وتخليقًا، وانصرف كل حرفٍ إلى معنى من حيث صرفه وعناه.

﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس: 32].

الوجود مجمل في إحاطيته، وموجوداته غيب مرتوق في إجماليته، وتعينه هذا المبين فصَّل المجمل تفصيلاً ترتيبيًا، وفتق الرتق فتقًا تعيينيًا، فقام الوجود واحدًا في مراتب عددية.

وتميز في كل مرتبةٍ بما غاير به نفسه في سواها مغايرة في التحقيق نسبية، وكان كذا وكذا وكذا حتى كان هذا الذي يُسمع منه وعنه ذا، فهو الواجب الفاعل بإيجابه العليم، وهو الممكن القابل المختار بإيجاده السميع.

﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ المُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: 60].

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾ [الواقعة: 95].

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88].

﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر: 3].

اسمع: الكل مني وإِلَيَّ، فحيث طلبتني وجدتني أُصرف المراتب بالعليم الحكيم، وأقيمها بالحي القيوم أحسن تقويم.

فانظر هنا من هو أنا، وأعجز حتى عن منع البعوضة من قرص لحمي، وشرب دمي، والتفكه بألمي، وأحتاج إلى أن تنفصل عني رويحة إن خرجت ضُحك مني، وإن

انحبست فلا تسأل كيف تؤلمني.

فانظر هنا من هو أنا ومن هي البعوضة، وصاحب تلك الدعوة العريضة، أنا الوجود وأصله وفرعه ومحله، والحكم حكمي كله، فلا قيام بدوني، المشهد من أوله إلى آخره، وأحكامي هي أعياني، إن تنزلتُ تبدّى عابدي، أو تعززتُ تجلّى ماجدي، المشهد بتمامه متى نظرت إلَيَّ بشهود مقيد ظهرت لك بقيده، وأنا المحيط المجرد، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

أقول وأسمع وأفرق وأجمع وأعز وأخضع، ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾ [ص: 65، 66]، ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: 67]، هو أنا الذي ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: 68]، فينظرون إليه ولا يبصرون.

اسمع: الإله هو الموجود المتَّصف بالصفات المحيطة التعلقات الحكيمة، فإذا ظهر لك فيك وجودك متصلاً بك، أو منفصلاً عنك بحكم مرتبتك هذه، فكن به من وجوه ناضرة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23]، وهل تقوم لموجودٍ قائمة إلا إن ظهر وجوده الإلهي بتقويمها.

اسمع: إذا غلب عليك ظهور وجود موجودك بمرتبةٍ ظهر فيك حكمها ظهورًا غالبًا، فلا تلم من حرمك واستربحك إن غلب عليك ظهور وجودك بحكم من يطعِم ولا يطعَم.

اسمع: قُلْ بلسان ناسوتك للاهوتك: إلهي كرِّم عرشك، وعظِّم كرسيك، واحفظ لوحك، وطهِّر بيتك، وارفع فرشك، وزيِّن سمائك، ووسِّع أرضك، وأحيي بلدك، وأجْرِ بالمنافع مع السلامة مركبك، وأرغد عيش فاقتك، واشدد قوى علاقتك، وأنطق بشكرك وحمدك جميع ألسنة عبدك، فأنت السيد الجميل المحاسن، الله الرحمن الرحيم كافي عبده، ووافي وعده، سبحانه وبحمده، آمين.

اسمع: لا يكون لك في مرتبةٍ إلا ما هو لك في أصلها في كل مقامٍ بحسبه، فأرح نفسك كمن ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: 25]، فزال سخطهم برضوانهم، فعاشوا حيث عاشوا في جنانهم، آمين.

اسمع: ما ثَمَّ موجود إلا والوجود المحيط هو وذاته، وما ثَمَّ قول ولا فعل ولا أمر حكيم صدر عن موجودٍ إلا ووجوده الإلهي مصدره، فلا يتكلَّم بكلمةٍ حكيمةٍ إلا الله

الإله، ومن ثَمَّ لم تسمع كلمة من الله إلا فهم منها معنى حكيمًا.

ومن ثَمَّ يقول: (كل الكلام كلامه)، ومن لم يرَ مسمى إلا رأى وجوده حكيمًا قال: ما ثَمَّ مسمى إلا الله بجميع الأسماء، كما هي عند من شهد إحاطة الوجود كل موجودٍ، والأسماء كلها الله المحيط.

اسمع: يا عليم اليقين بعين اليقين بحق اليقين، ﴿فَلاَ تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: 60]، ما ثَمَّ في زماني من ظهر الله فيه بعلمه بما هو على ما هو إلا هو من حيث أنا، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

اسمع: الآلة الميقاتية المُسمَّاة بالمنكام مثَل للإدراك الذي هو حقيقة الزمان، وذلك أنه متى انفتحت بالتجرد آفاقه، واتسعت بالأنوار أرتاقه، ظهرت عنه به له الصورة الزمانية واحدة لا تتحدد ولا تنتهي، كما أن المنكام متى انفتح رأس زجاجته نزل الرمل منه دفعةً واحدةً، وجملةً واحدةً، هي التي لولا انفتاحه كان مقدارها ألف دقيقة، ومتى انعكس انتكس، فعلى قدر الفتح التجردي يكون زمان صاحبه له دهرًا، وعلى قدر الرتق الكوني يكون دهر صاحبه له زمانًا متعاقبًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: القضاء الذي يقتضيه الوجود الذات لذاته له باعتبار كل تأثير اسم، فباعتبار ما هو مبدأ تحقق مقضيه يُسمَّى علمًا فعليًا ونحو هذا، وهو من هذه الحيثية حقيقة كل مرتبة فاعلية، وباعتبار ما هو مبدأ انكشاف الوجود متعينًا به يُسمَّى علمًا انفعاليًا، ونحو هذا، ومن هذه الحيثية هو حقيقة كل مرتبة قابلية، وقِسْ على هذا.

وهذا القضاء لازمٌ للوجود الذات كما تقدَّم، فهو له في كل موجودٍ، فما من موجودٍ إلا وله شأن فاعلي وجودي هو صبغته، وشأن قابلي وجودي هو فطرته، وقد علم أهل اليقين بما تقدَّم أن الموجودات كلها مفاهيم، جردها الوجود الذات من نفسه لنفسه، فهي هو من غير زيادة بالحقيقة، وهي أمور زائدة عليه بالحكم والمعاملة، فإن فتح لك الحق المبين بهذا فتحًا مبينًا، فأنت تعلم أن لكل مفهومٍ من المفاهيم الممكنة لك قبول، قيامها بك كما لك قبول اتصافك بها، ولولا ذلك لما قامت بك ولا اتصفت بها، ولا صدق حكمها عليك في الجهة التي اتصفت بها منها صدقًا لازمًا، مثال هذا في النظر الفكري أن يكون من المفاهيم الممكنة لك مفهوم عالم، ومفهوم كاتب، ومفهوم شاعر، فلولا فيك صحة اتصافك بعالم لكونك حيوانًا ناطقًا ما اتصفت به، ولولا صحة قيامه

بك لما قام بك، فإذا اتصفت به من حيث أنت زيد مطلقًا أعطاك حكمه في تلك الحيثية، فكنت عالمًا مطلقًا ضرورة، وإن اتصفت به من حيث زيد الكاتب أعطاك حكمه في تلك الجهة، فكنت عالمًا بالكتابة، وهكذا عكسه لو اتصفت بالكاتب من حيث أنت زيد العالم أعطاك حكمه من تلك الجهة، فكنت كاتبًا للعلم، وقِسْ على هذا.

ومثاله في المحسوس الأجرام الصقيلة، لولا قبولك لأن ترى نفسك بواسطتها، ولولا قبولها أن تريك ما أرتك، فإذا أرتك نفسك أعطتك حكم خاصيتها الكونية والشكلية، فيما أرتكه من نفسك فترى وجهك الأبيض المستدير بواسطة المرآة المستطيلة الصفراء، مستطيلاً أصفر، وهو هو في نفسه على ما هو به، وترى وجهك في البيضاء المدورة أبيض مستديرًا، كما هو في نفسه، وقِسْ على هذا، ثم انظر شأن الوجود وموجوداته بهذه العين اليقينية، فانظر ماذا ترى.

اسمع: باختلاف الصبغ والفِطر قامت مراتب دائرة الفرق متماثلة ومتقابلة.

اسمع: أيها الإنسان الآدمي جوهرك المدرك بفطرته هو لوح مَن كتب، وكرسي من غلب، كما أنه بصبغته مبدأ كل محدودٍ، ومبدأ كل مقيدٍ، وإن لجوهرك هذا معنى هو فاعل مختار بالمحبة في كذا يتقيد به، وبالرغبة عنه ينحل منه، فاختزْ لنفسك ما يحلو.

اسمع: جاء في الخبر: «**إنَّ في الجنة سوقًا لا يُباع فيه إلا الصور، ولا تشترى فيه بدرهم ولا دينار، لكن من أحبَّ صورة التبس بها**[1]»، هذا معنى الحديث وغالب لفظه، هذا السوق هو المخيلة المتعلقة بالصور التي تُرى والتي تُسمع بالسمع والبصر الجسمانيين.

اسمع: النفس المدرِكة لها جهة لا تخلو عن التصور بصورةٍ محسوسةٍ عندها، فالصورة المستعدة لظهورها فيها بالإدراك الكامل ظهورًا سالمًا من أسباب التغير عما هي عليه بأصلها الوجودي، هي أكمل الصور بالنسبة إليها، والصورة التي تظهر فيها بالعلم والحكمة هي فيها رب، والتي تظهر فيها بالوعظ والتنزيه وحسن العمل التعبدي هي فيها ملك، والتي تظهر فيها بنقيض ذلك هي فيها شيطان، والتي تظهر فيها بالأكل والشرب والجماع والزينة، والخط بين المرتبة الملكية والمرتبة الشيطانية، فأيهما

(1) رواه الطبراني في الأوسط (18/6)، والبزار في مسنده (282/2).

انصبغت بحكمها كانت من أهلها هي فيها جان، والصورة التي ليس في استعدادها أن تظهر هذه النفس المدركة فيها إلا وإدراكها الحسِّي غالب لإدراكها التخيلي، وقاضٍ عليه بحكم بحيث أنها مهما أحسته فيها تخيلته بلا عكس هي دنياها.

وهذا الإدراك هو حقيقة الدنيا، والصورة التي ليس في استعدادها أن تظهر هذه النفس المدرِكة فيها إلا وإدراكها عكس الأول هي برزخها، وهذا الإدراك حقيقة البرزخ، والصورة التي ليس في استعدادها أن تظهر هذه النفس المدركة فيها إلا وإدراكها ذو تخيلٍ وإحساسٍ متكافئين متلازمين، فلا تحس شيئًا إلا تخيلته، ولا تتخيَّل شيئًا إلا أحسَّته هي أخراها، وهذا الإدراك حقيقة الآخرة التي أمرها دائم لموضع هذا التلازم، وجهة هذه النفس المتصورة القابل فاعل إنسانها لقابله، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8]، مهما تصورت به من هذه الصورة الاستعدادية أعطته حكمها في الحال ضرورة، فتكون دنيوية لا ترى إلا ما يراه أهل الدنيا، أو برزخية لا ترى إلا ما يراه أهل البرزخ، أو أخروية لا ترى إلا ما هو يراه أهل الآخرة، والأجنة في بطون أمهاتهم، والنوام حال نومهم، وأصحاب المكاشفات الكونية حال كشوفهم، ونحو هذا كلهم برزخيون حينئذٍ، فإذا غلب عليهم حكم الاستعداد الدنيوي أو الأخروي رجعوا إليه وصاروا بحكمه.

واعلم أن صورة المرتبة الربَّانية هي المُسمَّاة بالروح الحكيم، وهي مبدأ كل ما هو عند العقل النظري الربَّاني محمود ممدوح، والوهم البهيم مبدأ أضداد ذلك، فحقيقة الجنة ملكة خيالية من الروح الحكيم إذا تَمَّ ظهورهًا في النفس المدركة، وكمل تحققها على قدر استعدادها الصوري أوجبت لها إدراك كل ما صدر عنها، أو ورد عليها حسنًا جميلاً مرضيًّا عندها، مناسبًا لها، موافقًا لاختيارها من جميع جهاته، وذلك هو النعيم المقيم، وبحكمه الأخروي مقيم، وحقيقة النار المقابلة لهذه الجنة وهما دائرة الترغيب والترهيب الفرقاني الربَّاني التشريفي ملكة خيالية من الوهم البهيم؛ إذ تمَّ ظهورها في النفس المدركة، وانتهى تحققها بها بحسب استعدادها، اقتضت لها ضد ذلك، وذلك هو العذاب الأليم، لكن الروح شأنها البقاء في الكشف النظري، فمهما تحقق بها لا يفارقها فيه، وهذا هو الوهم ضدها، فهو بخلاف ذلك، فمن ثَمَّ لا يخرج أهل الجنة من جنتهم في آخرتهم وإن ارتقت فيها درجاتهم بخلاف أهل جهنم.

واعلم أن ظهور النفس الآدمية بحكم الجنة أولاً إنما كان في صورته البرزخية، وبذلك قبل النزول عنها إلى دنياه، فإذا عاد إليها بالانتقال المُسمَّى موتًا من دنياه إلى برزخه لم ينفصل عنها إلا إلى جنته الأخروية التي لا تنفصل، وإنما نزل لتحصيل أسباب العلو إلى تلك، فحبذا نزلة أوجبت علوًّا، إن في الذل المقيد لحكمةٍ يتجلَّى بها الحكيم.

اسمع: كل موصِّلٍ قريب إلى أمرٍ فهو بابه في كل مقامٍ بحسبه، ﴿لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ الله مِن شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67]: أي لا تتصلوا بقربة واحدة تشتركون فيها بحيث لا تُضاف إلى كل واحدٍ منكم على حدته، ولكن ليتوصل كل منكم بما ينفرد بإضافته الشخصية، وإن كان مشتركًا بنوعيته هذا، وإن ائتموا بمرشدٍ واحدٍ، فليكن كل منهم قائمًا له بمحبة وخدمة هي جهده، فِعل من يرى وجوب محبته وخدمته عليه وحده، فلا ينظر إلى غيره ولا يناظره، وقِسْ على هذا.

اسمع: الكاظم للشيء هو الكاف له عن المتالف، كظم غيظه: إذا منعه أن يصل إلى قلبه وباطن نفسه، فظاهره يضطرب غضبًا، وقلبه مطمئن، ونفسه راضية مرضية، ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ﴾ [يوسف: 84]: أي لم تكدر باطنه ظلمة الحزن.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84] له عن نفسه أن يغشاها ظلمته، فكان حزنه حكمة لا غلبة، ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: 62]، فلا يغلبهم بحيث يكدر صفاء وقتهم، ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

كذلك: ﴿لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: 33] فنجَّاه ونجى به.

اسمع: مهما حكمته على نفسك حكم فلا يحكم لك وعليك إلا أنت.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، لمّا حكموا على نفوسهم عقول نظرهم المعيشي أتتهم في مظاهر هيمنتها مرتبة عليهم بما يرونه بأعينها حكمة وحقًّا، فأمرتهم بما يستحسنونه بموافقة اختيارها، ونهتهم عما يستقبحونه بمخالفته، فقالوا: هذا شرع الله وفرقانه، وصدقوا هو ذلك لهم؛ لأن الوجود لا يظهر بحكمه الإلهي في كل موجودٍ إلا من حيث يرى الحكمة والرُّشد، فهو لكلٍّ عند ظنه، فمن شهد في أمرٍ حقًّا وحكمة

فهو من الله إلهه في حقه من حيث شهد، ومن لا فلا، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: 48]، ومن ثَمَّ قال السيد الكامل: «الإثمُ: ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطَّلع عليه الناس، والبر: ما انشرح له صدرك[1]».

وقال: «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، واتركهم بما تحب أن يتركوك منه[2]».

فلسان كل إنسانٍ آدمي قائل: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 62]، وحيث اختلفت الأغراض فلا بُدَّ من إقبالٍ وإعراضٍ، فخذ ما وجدت به وفيه صلاح نظامك، وكمال قوامك، في كل مقامٍ بحسبه، ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ [يونس: 109].

وَكُـنْ شَـاهِدًا للهِ فِـي كُـلِّ شَـاهِدٍ ... بِطرفِ عَمًى عَنْ عيُوبِ الخَلاَئِق

وَخلِ اعتبار المَدْح والذَّم فَهُو من ... رعــونة طــبع للرئَاسَــةِ عَاشِــق

وحسبك أستاذك فإنه من الحق مرادك.

اسمع: القضاء الذي هو مبدأ الكشف والتمييز معًا، هو الذي تسميه الصفاتية بالمعنى (العلم)، والذي هو مبدأ التحديد هو الذي يسمونه بالمعنى (الحياة)، والذي هو مبدأ تخصيص أمر بأمر تخصيصًا تمييزيًا، هو الذي يسمونه بالمعنى (الإرادة)، والذي هو مبدأ تخصيص أمر بأمر تخصيصًا كشفيًا، هو الذي يسمونه بالمعنى (الكلام)، والذي هو مبدأ كشف المراد كشفًا تعيينيًا، هو الذي يسمونه بالمعنى (القدرة)، والذي هو مبدأ كشف المقدور كشفًا تحديديًا، هو الذي يسمونه بالمعنى (البصر)، ومبدأ كشف الكلمة كشفًا تحديديًا هو المُسمَّى بالمعنى (السمع)، ومبدأ تحديد المتعين في كشف السمع والبصر هو المُسمَّى بالمعنى (التكوين)، والسر[3] وجود العلم، والعقل صورته، والفؤاد وجود الحياة، والروح صورته، والقلب وجود الإرادة، والنفس صورته، والصدر وجود القدرة، والطبيعة الجسمية صورته، والقوى وجود التكوين، والهيولي صورته، وأعني

---

(1) رواه مسلم (1980/4)، وأحمد (182/4)، بنحوه.

(2) رواه ابن سعد في الطبقات (56/6) بنحوه.

(3) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: السر هو ما يخفى في البيان، وحقيقته: معنًى يُعْجِز عن تصور ما هو الفكر البشري، وغايته: وجدانٌ يقوم بالقلب لا يمكن التعبير عنه بوجهٍ من الوجوه.

بوجود كل من هؤلاء تعينه بحكم ما هو الوجود في مرتبته، وبصورته تعينه بحكم ما هو موجود في مرتبته.

اسمع: النفس مرتبة قابلة لفاعلية العقل، فإذا حصلت صورته الفاعلية فيها لم تفعل بكشفها وتميزها إلا تحديدًا أو تعيينًا، فهي فيها روح وإن كانت عقلاً بالنسبة إلى أصلها، فللصورة العقلية المُسمَّاة بالعقل المستفاد الحاصلة في النفس المُسمَّاة بالعقل الهيولاني، من حيث قبولها لهذه الصورة التي إذا حلت فيها سُمِّيت النفس بها عقلاً، بالفعل اسمان: عقل باعتبار أصلها، وحكم جوهرها الصوري، وروح باعتبار حكمها وخاصيتها في وضعها القابلي، وهكذا النفس تُسمَّى عقلاً وروحًا لموضع اتحادها العيني بها، وبهذا يظهر لك تداخل المراتب وأحكامها.

اسمع: الروح الحكيم والوهم البهيم المتقدم ذكرهما هما حقيقتا النور والظلمة اللذين يشير إليهما أئمة القائلين بالنور والظلمة، والمشترك منهما هو حقيقة النار التي يشير إليها أئمة عُبّاد النار، وإن كان الرعاع من مقلديهم لا يعرفون سوى ما ألفوا إحساسه بإدراكهم المقيد الكثيف عن كائنات عالمهم البدني، فيتوجهون لها بالتعظيم، وتقرهم أئمتهم على ذلك؛ لما فيه من المشابهة السمعية التي ليس في وسعهم إدراك الحقائق إلا فيها، كما ليس في الوسع البشري أن يكلمه الله إلا في حجاب، ما هو الغالب عليه بحكمه حين التكلم من صورة بشرية، أو ملكية، أو جانية، ومن ثَمَّ جُعلت الكعبة للناس العموم بدلاً من القلب بيت الرب للخصوص، والكتاب بدلاً من منزلة الناطق الحق المبين، والجسم بدلاً من الروح المفارق المتعلق به، فيأتيهم الله في صورته، ويتحول لهم في صورةٍ يعرفونه بها، فالصورة بدل منه، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، فكان البشر بدلاً منه، وقس على هذا، والنور ما به الكشف والبيان، والظلمة ما بها اللبس والإيهام.

اسمع: المحبَّة أصل كل لذَّةٍ.

اسمع: الحركة تدرج في المراتب في كل مقامٍ بحسبه، وقد حصروها في المقولات التسع.

اسمع: كل صورةٍ حركية فلك، والصورة المحركة الحافظة لها ملك، فما في عالم التدرج إلا فلك، ولا فلك إلا وله ملك.

اسمع: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56]، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ [يوسف: 90] الآية، فإنه وجودهم وذاتهم الظاهرة فيهم ولهم، بما فيه وبه صلاح نظامهم، وكمال قوامهم في كل مقامٍ بحسبه.

التقوى درجات أعلاها وقاية الله لك بشهوده في أكمل المراتب، وأعلاها عن رؤية سواه وفيما سواها، وأدناها وقاية آثار الحسنات من آثار السيئات في كل مقامٍ كسبيٍّ حسبه، وبينهما درجات.

اسمع: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: 51]، هو التقوى أمين من الأمانة والأمان؛ إذ لا أمان إلا لأمين، ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [غافر: 9]، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: 56، 57].

اسمع: جاء في الحديث: «**إن النذر لا يأتي بخيرٍ**[1]»: أي لا يوجب خيرًا من حيث هو كسب من الكسوب، وإنما يأتي بخير للعبد ربه الحق ليس إلا.

فنهى عنه محافظةً للعباد على توحيد ربهم الحق من حيث عرفوه، ورد الأمر كله إليه من حيث شهوده، وحكمة ذلك أنهم مجبولون على محبة ما شهدوه محسنًا إليهم، فمتى أفردوا ربهم بذلك في اعتقادهم بالمحبة فتحققوا به، وذلك غاية كمالهم في حالهم ومعادهم، ما للعبد إلا مولاه.

اسمع: اليقين قبول إدراكي، إذا حله مقبول تجرد فيه بالخاصية من الشوائب الأجنبية عنه، المغيرة له عما عليه في تأصيله المرتبي، في كل مقامٍ بحسبه، فإن حله أمر نظري فهو علم اليقين، أو ضروري فهو عين اليقين، أو بديهي فهو حق اليقين، والنظري ما احتاج لمقدمة وقَبِل التشكيك، والضروري ما احتاج لمقدمة ولا يقبل التشكيك، والبديهي ما لا يحتاج لمقدمة ولا يقبل التشكيك.

الأول كالتصديق بأن الشمس تطلع غدًا بواسطة الاستدلال بالعادة ونحوه، والثاني كالتصديق بأن الشمس طلعت اليوم بواسطة رؤيتها، والثالث كتصديقك بأنك موجود الآن، فأهل اليقين أهل التصديق المطلق الذي يستحيل خلفه.

اليقين مرتبة قابلية، خاصيتها المرتبية تجريد مقبولها عن العوارض المغيرة له عما هو عليه في تأصيله المرتبي، فهو أحسن مراتب القبول الإدراكي.

---

(1) رواه مسلم (1261/3)، والنسائي (133/3).

اسمع: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: 37]، هذه الباء سببية، وهذا القبول تعينها الذي كانت تتلقَّى به عن عين قبولها الربَّاني الذي أفادها روحًا حكيمًا إلهيًا، حملته منه بقبولها التعقلي، وتصور في تخيلها في أحسن صورة حركت أفلاكها التوليدية، فأنزلت ماء أوله ذو قوة عاقدة، وآخره ذو قوة منعقدة، ورسمت مثالية تلك الصورة في لوحية ذلك الماء بقلم توهمها، فانعقد عليها بشرًا سويًّا بدنيًّا، كما تشخص في التخيل بشرًا سويًّا شبحيًّا، لما كفلها أستاذها زكريا ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: 16] باختصاصها به، ﴿مَكَاناً﴾ [مريم: 16] ربَّانيا ﴿شَرْقِياً﴾ [مريم: 16] للنور الإلهي، ﴿فَاتَّخَذَتْ﴾ [مريم: 17] بقبولها ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ [مريم: 17]: أي اتخاذًا خصت به عنهم، وأيضًا كان ذلك من أدناهم إلى الله، وهو عينه وأكمل مظاهره فيهم زكريا، ﴿حِجَاباً﴾ [مريم: 17]: أي نورًا إلهيًّا ترى به، وتتمنع فيه عن المدارك المادية، وهذا الحجاب هو الصورة البيانية الإلهية التي قبلتها عن زكريا بقبوله الحسن، ولذلك سمي عيسى ﴿قَوْلَ الحَقِّ﴾ [مريم: 34].

واعلم أن الولد مثال متحلل من والده، والقول وصف قائم بقائله، فوصف عيسى بالقولية أتم وأعلى له من وصفه بالولدية، ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81].

اسمع: قد تقدَّم أن القضاء اللازم الوجود لذاته يُسمَّى باعتبار ما هو مبدأ تحقق المقضي علمًا فعليًّا، وباعتبار ما هو مبدأ انكشافه عينًا قائمًا متميزًا علمًا انفعاليًّا، وأنه بالأول حقيقة كل مرتبة فاعلية، وبالثاني حقيقة كل مرتبة قابلية، وأن بمقتضى لزوم ذلك لوجود كل موجودٍ كان لكل موجود مرتبة فاعلية، ومرتبة قابلية حتى كل من هاتين المرتبتين إذا تعينت لها صورة موجودية، كان لها الرتبتان، ومن ثَمَّ يؤثر القابل فهو فاعل بتأثيره وقابل بتأثره، ثم أنت تعلم أن الانكشاف فرع التحقق؛ إذ لا ينكشف إلا متحقق، والعلم الانفعالي فرع العلم الفعلي، والمرتبة القابلة فرع المرتبة الفاعلة في كل مقامٍ بحسبه، فالنفس فرع العقل؛ لأنها قابله، واللوح فرع القلم؛ لأنه قابله، والأنثى فرع الذكر؛ لأنها قابله، وقِسْ على هذا.

اسمع: المراتب كلها ثابتة لكل وجودٍ موجود لا لمرتبته، فالكل سواء بالوجود، ومتفاوتون بخواصهم المرتبية.

اسمع: إذا رأيت عينك بعينك في عينك التي تراها بواسطة جرم صقيل، فالرائي

والمرئي واحد بالحقيقة، وثلاثة بالنسبة، ومتغيرات بالرتبة؛ لأن رتبة رائي غير رتبة مرئي غير رتبة مرئي فيه في الحكم الرتبي، وهكذا أنت ترى نفسك بواسطة المرآة، فمرآتك هو أنت بلا زيادةٍ حيث قضيت بأنه مثال منطبع منك فيها، ثم لكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، هكذا تظهر من غيب وجود نفسك المدركة إلى شهادة إدراكها صورة كلامية مثلاً، فتتشخص في خيالك شخصًا حركيًا صورة مرتبة هي زيد مثلاً، زينها أولاً، وياؤها ثانيًا بعدها، ودالها ختمها، ثم يراها المدرك في مرآته الناطقية اللسانية.

فبحكم الانطباع المثالي يقول: ظهر من لساني مثال ما في خيالي، وبالحقيقة هو هو، ثم يراه في قبوله النفسي وقد أمسك قلمًا بيده، فيظهر في يده ظهورًا حركيًا بالوجهين كالأول، ثم يراها في القبول القلمي، فتظهر في القلم ظهورًا حركيًا كذلك، ثم يراها في القبول اللوحي، فتظهر فيه كذلك، فإن كان ثَمَّ مادة تقبل ظهورها ظهرت فيها كذلك، ثم تظهر في بصر قارئها، ثم في خياله، فترجع إلى بدئها، لكن بزيادات مرتبية، فكل ظهور من هؤلاء شرط فيما بعده، والظاهر واحد بالحقيقة، ومتعدد بالمجاز، فقس على هذا كل ظاهر عددي.

وكما يظهر للكلمة في كل مرتبةٍ قابلية معان، وتوسعات خاصة بتلك المرتبة، فكذلك لكل ظاهرٍ في مظاهره، **﴿فَتَبَارَكَ الله رَبُّ العَالَمِينَ * هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾** [غافر: 64، 65].

اسمع: حواء صورة قبول آدم تعينت منه له تقبل عن فاعله، فلما قبلت عنه صورته قبولاً صديقيًا عرفانيًا روحانيًا، قام بها قيامًا باطنًا روحانيًا، كما قبلت عنه صور رقائقه قبولاً جسمانيًا، فتولَّدت عنها صورة جسمانية مادية، ثم لما غاب هو الغيبة المُسمَّاة في هذا العالم الكثيف موتًا تجرَّد في باطنها بكماله تحقيقًا على ما قام عليه فيه تصديقًا، فكان ظاهرها حواء، وباطنها آدم، وتوارث ذلك عنها صديقوها، كما ورثته عنه إلى زمن مريم، تعينت فيها حواء بكمالها، وكما أظهرها آدم عنه أولاً أظهرته عنها آخرًا، وسمَّته عيسى، فعيسى بن مريم، وحواء بنت آدم، وآدم هو عيسى بكماله الروحاني، وحواء هي مريم بكمالها الصديقي، وما بينهما شرائط ظهور، **﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾** [النور: 40]، **﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾** [المائدة: 75].

اسمع: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾** [آل عمران: 59]،

وهذه الكاف هنا معناها مثل، فالتقدير: إن مَثَل عيسى عند الله مِثل مَثَل آدم، وإذا كان مَثل عيسى مِثل مَثل آدم، فعيسى مَثَل آدم، وقد علمت أن مرئي الشيء من نفسه بواسطة مرآته هو هو بالحقيقة، ومَثَله بالمجاز، فانظر بتلك العين هنا، ثم انظر ماذا ترى.

اسمع: قال صوفي لفقيه: (ما ثَمَّ إلا الله)؛ لقول الله تعالى: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾ [الحديد: 3]، ولقول رسول الله ﷺ: «**أنت الأول فليس قبلك شيء**[1]» الحديث.

وقوله: «**كان الله ولم يكن شيءٌ غيره**[2]»، فأخبرك نصًا أن الله متَّصف بالكون، ولم يتَّصف بالكون غيره، فقال له الفقيه: أنت زنديقٌ، قال: يا حبيبي، وما تعني بقولك زنديق؟ أليس الدين لله وحده عند الذين أخلصوا دينهم لله.

﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: 5]؟ قال: نعم.

قال: فإن كنت منهم فالدين عندك إنما هو لله؟ قال: نعم، قال له: فأنت الله؟ قال: لا، قال: فالدين إذًا عندك لله لا لك، قال: نعم، قال: فأنت حينئذٍ عندي تُسمَّى زنديقًا.

فسكت الفقيه منصفًا، قال: من تعنت أو لم يفهم هذا سوفسطائي.

فقال له الصوفي: وما السوفسطائي؟

قال: الذي يريد الغلبة بالمغالطة.

قال: معاذ الله إنما أريد الحق، قال: الحق بيدنا.

قال: يا حبيبي، فاكشف لي عنه لأراه بيدك، ولك عليَّ المنة، قال: هو كتاب الله وسنة نبيه.

قال الصوفي: فقد جئتك بهما فسمَّيتني زنديقًا، قال: جئت بهما على غير ما فهمه الفقهاء.

فقال: فقل: بيدنا ما فهمه الفقهاء، قال: نعم.

قال: فأنت تعلم يقينًا أن كل من آتاه الله فقهًا من هذه الأمة المحمدية، قال: بهذا المفهوم في هذا النص، ولم يقل بسواه، قال: لا ولكن من ارتضيناه من أهل الفقه، قال:

---

(1) رواه مسلم (2048/4)، وأبو داود (312/4)، والترمذي (518/5)، والنسائي (408/4).

(2) تقدم.

فليس بيدك إلا ما اخترته.

ثم هؤلاء الذين اخترت قولهم ممن يجوز عليه الخطأ، قال: لا إجماعهم قاطع، قال: فدليل حجة إجماعهم يقبل الطعن عند المنصف؟ قال: نعم.

قال: فكيف مع ذلك يكون قاطعًا؟ قال: عند معتقده.

قال: فخصصت بعد العموم، وأيضًا فهم ممن فوق علمهم عليم أم لا؟ قال: نعم.

قال: فقولهم عندك عين علم الله بيقين أو ظن أو اعتقاد، قال: لا بل ظنٌّ واعتقادٌ.

قال: فانظر ماذا سمَّيته حقًّا، ولا تنكر عليَّ أن قلت: الذي بيدي أيضًا حق، هذا مع أني أرى بأني على اليقين لا على الظن.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، وأنت عندي كذلك.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران: 7: 9]، إدراكي يقيني: ﴿لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ [آل عمران: 9].

اسمع: اليوم عبارة عما له نور جامع، والنور مبدأ الكشف والبيان في كل مقامٍ بحسبه، فالأوقات التي هي من طلوع الشمس إلى غروبها أيام معدودات من العدد، والأرواح الناطقة بالكشف العليم والبيان الحكيم أيام الله وبصائرها في قابليها أيام معلومات، وقابليها أيام معدودات من الاستعداد، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: الوهم البهيم نار تحكماته شرر يرمي بها في آفاق المدارك، فتتولد هناك، فشرُّها ما تولد شيطانًا ماردًا خُلقيًّا أو عمليًّا، وخيرها ما تولد شهابًا يحرس الأفق القلبي من ملابسة تلك الشياطين.

اسمع: السمع قابل الكلام في كل مقامٍ بحسبه، والقابل هو لفاعله عرش وكرسي ولوح وزوج وبيت وفرش ومرآة، ونحو هذا.

اسمع: السمع متى التقمه ملك صبغ ما وعاه وعظًا وتنزيهًا وتأديبًا وتقديسًا، ومتى التقمه شيطان صبغ ما وعاه تصنعًا وملقًا وغرورًا وتلبيسًا، ومتى أخذه الرب الحق صبغ ما وعاه علمًا وحكمةً.

اسمع: ليس سمع الإنسان الآدمي بالأصل إلا للحق الرحمن، فإن التقمه ملك داداه بما فيه من الوفاق، وإن التقمه شيطانٌ فإنما ذلك اختطاف واستراق، فاستعذ بربك أن يسترق منك سمعك، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: 97، 98].

اسمع: كل من شكك في أستاذك، أو حاول صدّك عن سبيله، أو ردك لتنزيله وتأويله بسببٍ من الأسباب، بعد شهودك بعين اليقين أنه حقٌّ مبينٌ، فإنما هو مسترقٌ للسمع فاحذره.

اسمع: لا يعنيك إلا ما لا بُدَّ لك منه، وما دونه فضول من تركه استراح.

اسمع: ليس لشيءٍ مِثل، أما بالحقيقة فلأن ما ثَمَّ إلا الوجود الذات لا غير، وما لا غير له لا مِثل له وإن تكثر، وأما بالتمييز الفرقي فلأن كلا لا يغاير إلا ما انفصل مستقلاً عنه، ولا يكون ذلك له إلا بما ليس عينه إلا له، وحيث له ما ليس لسواه فلا مِثل له إلا في الحكاية الوهمية، فتلك نظام التماثل.

اسمع: جاء في الحديث: «**كان ربنا في عماءٍ، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، وكان عرشه على الماء**[1]».

هذا العماء هو صورة كون الإنسان التي بالتعلق العقلي تعين فيها الرب الرحمن، وغاب في ذلك التعين بالتنزيه الفرقاني عن أعين عقول الفرقان، وتلك الصورة الآدمية هي عرشه الكائن على ماء النطفة المنوية، وهذا العماء في شخصيته المفارقة الخيالية ما فوقه هواء وما تحته هواء: أي ليس تحته شيءٌ، ولا فوقه شيءٌ، فلا فوقه ولا تحته، وفي شخصيته الإحساسية هو كما ترى، فـ (ما) بالمعنى الأول نافية، ونافية أيضًا إذا كان (هوى) بمعنى: سقط، وبالثاني موصولة، وهواء بمعنى: فراغ، أو جوهر هباء، وكلٌّ صحيحٌ في حكم عالمه ودائرة حاكمه[2].

---

(1) رواه الترمذي (288/5)، وأحمد (11/4)، وابن ماجه (64/1).

(2) قال سيدي محمد وفا في الشعائر: اعلم أن فلك الهواء هو الجسم المحيط بجميع الأجسام، والمشكل فيه سائر الأعيان والأجرام، وبما كان عن كثافة الماء، وعن كشف الماء التراب، وكان تركيب جميع الأجسام من الهواء على حكم ما تكثف منه.

وبما كان الجسم جمادًا كان حجاب عما وضع ستر وإغماء، وبما بطن فيه من أقوية روحانية، وعقول علمية، وأسرار ربَّانية وغير ربَّانية، حتى يكون فيه التمييز بالفرق، وليتبيَّن مظاهر الحق ثم
=

اسمع: إذا قال لك: مسترق لسمعك يسرقه باختطافاته، ما وجدت بخدمتك لهذا واتباعك له، ومحبتك فيه من الكرامات والمنح حتى أنت ملازمٌ له، فقل له: وجدت نصيبًا مما وجده أصحاب رسول الله ﷺ بملازمة حضرته، وخدمته من قوة المحبة في الله، وزيادة الإيمان به، وكفى بهذا كرامة لقومٍ يعلمون.

فإذا قال لك: وأنت تجد هذا بغير ما أنت فيه؟ قل له: لا.

فإن قال لك: فقل لي: أيُّ شيءٍ وجدت من المحبة والإيمان؟ فقل: في القلب لا في اللسان، وإلا فعبر لي عن وجْدك من الماء البارد إذا شربته على عطشٍ، بأكثر من قولك: وجدت به ريًّا وتبريدًا وإنعاشًا ولذَّةً، ونحو هذا، فإن قال لك: لو وجدت شيئًا لقلته، قل له: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: 25]، ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ﴾ [الحج: 68]، لا تصده بخلاف ذلك؛ فإنه شيطانٌ لا يدمغه إلا الحق الملكي.

-

الاسم الجامع المهيمن على الأسماء بحكم المتبوع والتابع، تنزل في حجاب كلِّي جزئي، فرقي جمعي، هو شخصٌ في الظهور، قائمٌ في وسط الهواء، آلة من الآلات العظمى، عرش محيط بجميع الأربعة القوى:

«كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء».

فلما حق الأجل وانتهى، وبرز الفعل من القوى، وبلغ أشده واستوى، تنزل من الأفق الأعلى إلى مصاف سدرة المنتهى، ولقد رآه نزلة أخرى، وكيف لا وقد تدلَّى فدنى، حق به يسمع ويرى، ويتكلم ويبطش بلا مراءٍ، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17]، ثم أراد الظهور من خلف حجاب النور إلى منشرح أمهات الصدور، وربات الخدور والستور، فخلق من الكلمات التامات في أرحام الأمهات الطاهرات أشكالاً كاملات، وعقولاً عالمات، ووجوهًا سامعات باصرات، ثم تجلَّى لهم فشهدوا، وتعرف إليهم فعرفوا، وكما قال: «كنت كنزًا لا أُعرف، فأحببت أن أُعرف، فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم، فبي عرفوني»، وبما كان الموجود في الصدور ليس من غير النور، ولا سوى المأثور من كتابٍ مكنونٍ في رقٍّ منشورٍ، أنا من الله والمؤمنون مني، أعارته طرفًا رآها به، فكان البصير لها طرفها.

واعلم أن هذا موضع من له القدم في هاوية التهم، لمن ظن وتوهم وسمع، فلم يفهم الذات المقدسة، تعلم ولا تعلم، وكيف وقد قال ﷺ: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته، فإنكم لا تقدروه قدره»، فنحن إلى الآلاء نصل، وبحقائق مسمياتها نتصل، لا إلى ما لا يتحصل، ولا هو كل فيتبعض، ولا جملة فيتفصل، محيط لا بغيرٍ، لا يُدرك ولا ينزل ولا ضير، وبما قال ﷺ حين سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نورًا أنى أراه»، فالموضع عزيز، والغلق حريزٌ، فرحم الله عبدًا عرف قدره، وكفى الناس شره، خذ ما رأيت ودع شيئًا سمعت به في طلعة البدر، ما يغنيك عن زحل.

اسمع: وليُّك: مَن ظهر لك بما يوجب عليك عندك اتباعه لشهودك أن كمالك في ذلك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الملائكة أولياء أهل الجنة، والشياطين أولياء أهل ضدها، ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: 19]، الذين لا يرون كمالهم إلا في تحققهم به حالاً وشهودًا، كما هو حقيقتهم وجودًا، فانظر ماذا ترى، ولينظر أحدكم بمن يأتم.

اسمع: شأن النفوس المدركة التشكل بما تخيلت وتوهمت، والتصور فيما تصورت وتعلقت، فأيما حاكم قبلت أحكامه صوَّرها فيها، وخلّقها في خلائقها، وحققها بحقائقها التي هي مبلغ كشفه وتصرفه، ومن ثَمَّ تفرَّقت الأمم، و﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: 213]، يتصرَّف فيهم وجودهم الربَّاني كلاًّ بحسبه، تصرفًا يراه متَّصلا به لا منفصلاً، فما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم الفرقاني في مظاهره المنفصلة عنهم في مداركهم المقيدة، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 53]، ومن فرح لشيءٍ حسّنه وأحزنه خلافه المنازع له فقبّحه، فاختلفوا وفرقوا دينهم وكانوا شيعًا، ولو شاء ربك الله الرحمن الرحيم الحق المبين ما فعلوه، فكلٌّ من عند الله، ﴿وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: 20]، ولم يفتح لهم باب هذا الكشف أحد من أنبياء هذا الدور، قبل خاتمهم السيد الكامل، واضع الإصر والأغلال، عمن تلقَّى من إخلاصه، وشرب من عذب اختصاصه.

اللهم خلصنا واستخلصنا، وخذنا من كل شيءٍ إليك، واجمعنا بك عليك، وحققنا بأن ليس إلا الله الواحد الأحد، العلي الحميد المجيد الرحمن الرحيم، الفعال لما يريد، وهو هو بما هو هو، وجودي وسيدي وربي، ومولاي وحسبي، ليس إلا هو، قال هو سيدي ووجودي وحبيبي ومولاي:

تَـــوَهُّم المَـــسْمُوعِ ... يـــــشتّت المجمُـــــوعِ
فَمَـــا خَلَـــقَ كُـــلّ جَـــنَّةٍ وَنَـــارِ ... وَبَنَـــى كُـــلّ دَارِ رحلَـــةٍ أَوْ قَـــرَارِ
وَنَـصَبَ كُـلّ مِيـزَانِ ربـحٍ أَوْ خـسارِ ... وَصِـــــرَاطِ نَجَـــــاةٍ أَوْ بَـــــوارِ
وَلاَ صَـوَّر كُـلّ مَـا يَنْتظـره المنتظـرُونَ ... إِلاَّ الحَاكِم بِهِ حُكْمًا هم بقبولهم متصورون

فلا يحكم على كل موجودٍ إلا وجوده، سواء ظهر له متصلاً به عنده أو منفصلاً عنه، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39]، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾

[الأنعام: 104].

قال السيد الكامل ﷺ: «**إن من أعظم الناس جرمًا فِي الإسلام مَنْ سأل عما لم يُحرّم، فحرّم من أجل مسألته**[1]»، وكان يعيب المسألة، وكان عيسى حامل مفتاح هذا الباب الكشفي، لكن لم يفتحه، وإنما اشتغل بإزالة موانع فتحه بين يدي فاتحه.

﴿**فَانظُرْ مَاذَا تَرَى**﴾ [الصافات: 102]، وتيقن الأعلى على أعلى وجوه الكمال، من حيث أنك تكنه بلا مراءٍ، فإنك لا تكون بعد موتك عينًا إلا فيما كنت متحققًا به قبل ذلك، أو مستعدًّا للتحقق به محبةً وتعظيمًا وعرفانًا وإيمانًا.

اسمع: خاصة المرتبة القابلية المُسمَّاة بالهيولي الجسمانية بتجسيم ما عينته، وخاصه هيولي عالم الكون والفساد منها، وضع ما عينته بحيث يكوّن ويتحلل، وخاصة هيولي المتولدات منها وضع ما عينته بحيث ينشأ ويقف، وخاصة هيولي الكثائف منها تكثيف ما عينته، وقس على هذا، والكل أحكام وجودية كما تقدَّم.

وما كان من حسنٍ وجمالٍ وطيبٍ ونفعٍ وقوةٍ وكمالٍ فيها فمن نظام الفعل الوجودي الروحاني الجميل، وما كان من ضد ذلك في محله فمن المحل، ومن فاعل آخر، وبالجملة فلكل فعل مصدر، ولكل مقامٍ حكم.

اسمع: الظاهر عنوان الباطن إذا كنت في مكانٍ واسعٍ، بحيث تتصرف حسب اختيارك، وتأنس وتستريح، وخرجت منه إلى ضده، فقد أخرجت نفسك من ذلك الوجد أو مظنته إلى ضده، مثال هذا: أن تكون في وطن أهلك فتخرج تسافر متغربًا لا لمعنى، فانظر كيف تصير قلقًا خائفًا على رحلك، محبوسًا في مسلكك، محصورًا في ضيق محلك، واحذر أن تكون في المعنى كذلك، أما إذا كان لمعنى فسم الخياط مع المحبوب ميدان، ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً**﴾ [الإسراء:37]، وقس على هذا.

اسمع: ﴿**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾ [النمل: 27]، جعل إرساله بالكتاب، وخرق العادة له اختبارًا، هل يبقى مع ذلك لمرسله فيكون صادقًا في محبته، مخلصًا في عبوديته أو لا فلا.

اللهم أخرج حب الرئاسة بغيرك من رؤوسنا؛ إذ لا بُدَّ للنفس المميزة من حب رئاسة، فليكن تميزها بالله مولاها، فنعم المولى ونعم النصير.

---

(1) رواه البخاري (2658/6).

اسمع: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3]، وإن ظهر في كل مرتبةٍ بحكم خاصيتها، يظهر بحكم مراتب فعله وقبوله، فيتعبَّد بانفعاله لمجد فاعله، ويتمجَّد بفاعليته على انفعال قابله، جاء في حديث الإسراء أنه قيل له عند الحجاب الأدنى:

«**قف؛ فإن ربك يصلِّي، فقال: وهل يصلِّي ربّي؟ فتلا له ربُّه:** ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: 43] [1]»، فلمن صلَّى ولا معبود سواه، ولا يُعبد إلا إياه، فوجدناه حال عبادتنا هو معبودنا بسيادتنا، ما منه إلا وإليه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] مصدر مضاف، انظر لمن ؟[2].

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الحج: 67].

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ [يونس: 94].

إلهي ارحمني واعصمني وارزقني وانصرني وعافني، واغفر لي، واغلب بأمرك العلي على أمري، فأنا العبد، أنا عبدك الذليل البائس الفقير المسكين الكسير، اجبرني يا جابر العظم الكسير، اجبرني يا جابر العظم الكسير، اجبرني يا جابر العظم الكسير، يا سيدي ومولاي، ما للعبد إلا مولاه، يا سيدي ومولاي، ما للعبد إلا مولاه، يا سيدي ومولاي، ما للعبد إلا مولاه.

إِذَا لَـــمْ يَـــرْحَم المَوْلَـــى   إِلَـــى مَـــنْ يَـــشْتكِي العَـــبْدُ

ارحمني يا أرحم الراحمين، إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي.

ملـئت ذنُـوبًا مِـنْ ذنـوبٍ خلطـتها   بِتَخْلِـيطِ خـبطٍ فِـي الخَطَايَـا لَـهُ جهـد
ومِـــنْكَ أَمَامِـــي ثـــم أمـــن أَأَلله   مِـنَ الفَـضْلِ صَـافِي الـوردِ بالعزِّ مـزيد
وُعِـــدْنا بإبعـــادِ الوَعِـــيدِ بجَاهِـــهِ   وَقَـدْ حَـانَ حِيْنَ الحَين واقترب الـوعد
أَخَـــافُ وَأَرْجُـــو الله والله محـــسنٌ   إِذَا لَـمْ يَجِـدْ مِـنَّا فمـنْ يرتجِـي العَـبْد

أستغفر الله لذنبي وللمؤمنين وللمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، والكائنين في جميع الأوقات، بأني أعلم أنه لا إله إلا الله، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

(1) لم أقف عليه هكذا.
(2) أي لمن أضيف عبادتي.

اسمع: من تعلَّق بمنفصلٍ عنه في إدراكه أتعبه، ولو أنه مما يلذه.

اسمع: الأوضاع اللازمة كالحقائق لا تنقلب، فمن حاول انقلابها أتعب نفسه فيما لا يتم له.

اسمع: مَن ظهرت فيه مرتبة بحكمها بطن فيه حكم ضدها، فالخادم ظاهرًا مخدوم باطنًا وعكسه، فمتى حاول من مرتبته الخادمية ظاهرًا أن يُخدم ظاهرًا أو عكسه أتعب نفسه، وأبى عليه مقامه إلا حكمة.

اسمع: دائرة الإحساس أشخاص مادية، لا تجد في كلٍّ منها إلا ما انحصر في هيئته، ودائرة التخيل أشخاص نوعية مفارقة للمادة، تجد في كلٍّ منها ما لا يُحصر في ماهيته، فمن غلب حسه لم يجد إلا حكمه، ومن غلب تخيله لم يجد إلا حكمه، ومن استويا فيه وجد حكمهما، وقسْ على هذا.

اسمع: من غلب عليه حكم تخيله رضي من كل نوعٍ بشخصٍ واحدٍ لوجدانه فيه كل أشخاصه، ولو تنزلاً يسد به مسد المحسوس، ومن ذلك يقنع العاقل بما وجد، ومن أصبح عنده كفايته فكأنما أصبح كل شيءٍ عنده في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: معاني الواجب لا تزايله، فلا تتعاقب عليه، فليست أضدادًا وإن تقابلت تقابلاً يمنع الجمع في الممكن، فلذلك لا يُسمَّى مثل القابض الباسط، والرافع الخافض، والمقدم المؤخر، والموسع المقدر، في حق الرب الواجب صفات أضداد، ولكن تُسمَّى لتقابلها الأثري صفات قرائن.

اسمع: القابل عبد فاعله، والفاعل رب قابله في كل مقامٍ بحسبه، وليس في القابل إلا ما هو للفاعل بالحقيقة، وللقابل بالنسبة، فهو بالأول كمالٌ فقط، وبالثاني مترددٌ في مراتب حكم الفرقان المبني على الكسب والأسباب، بين كمال ونقص ووجودهما.

اسمع: كلما تجد الوجود حاكم به في الموجود عند رفع حكم الفرقان التكليفي فاعلم أنه الأصل.

مثال هذا: تجد من نفسك أنك إذا أمرت أحدًا بأمرٍ فبادرك بامتثاله بجدٍّ فرحت به، وشكرت له، وعطفت عليه في جهده، فقلت له: تأنَّ وارفق بنفسك، وإن عكس عكست له، وهكذا تجعل مالك في يد أحد، فإن حرص عليه وناقش في فتيله ونقيره سمحت له، وقلت له: ما يبالي هذا قريبٌ، وعذرته فيما فرط منه، وشكرته، وإن عكس عكست.

فلسان حال الرب يقول لعبده: هذه المعاني التي هي صلاة صلتك بي هي بيني وبينك نصفين، فإن حاسبت نفسك وناقشتها وذللتها قمت أنا لها بما قابل ذلك، وإن عكستَ عكستُ، لك واحدة ولي واحدة، فاختر أيها شئت.

فالعبد العاقل من نظر إلى فناء كونه، وبقاء كون ربه، فردَّ إلَيَّ كل منهما ما يحب دورانه معه، فما أحب انقطاعه وفنائه قام به، وما أحب اتصاله وبقائه تخلَّى عنه إفرادًا لربه به.

اسمع: صفات القهر واللطف كلها إنما أصلها اقتضاء مرتبة الفردانية لصاحبها من حيث التفرد، أنْعَم لينفرد بالتوجه إليه بوجه الطلب والرغبة والشكر، وقهر ليُتوجَّه إليه بوجه الرهبة وحده، وأفنى كي لا يُذكر سواه، وأبقى كي لا يُنسى ذكره، وقِسْ على هذا.

اسمع: الحسد من دائرة الغيور، ولا غيرة إلا من غير أن يشارك فيما يجب التفرد به في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ**﴾ [آل عمران: 154]، فاطلب كل معنى من حيث يرجع إليه، وانظره من تلك الحيثية ترى الجمال حيثما توليت.

اسمع: كأنما النفس البشرية من حجب الأحكام الفرقية في لجةٍ تجري بأهلها، في موجٍ كالجبال، كلما خلصت من غمرة واحدة فطفت وصعدت لطمتها أخرى فانغمرت، فمن خلصه منه حكم توحيده نجَّيناه من الغمّ، ﴿**وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: 88].

اللهم خلِّصنا واستخلصنا.

وقد أشار البيان المحمَّدي إلى ذلك بقوله: ﴿**وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾ [لقمان: 32].

فانظر كيف جعلها شبه الظلل التي هي مظاهر النظر إلى الله، ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ**﴾ [البقرة: 210]، وجعل إخلاص التوحيد مُنجٍ من حجب الاشتباه، والرد إليها موبق في أشراك الشرك والاشتراك.

يا ألله يا ألله يا عزيز يا وافي، يا ألله يا ألله يا شافي يا كافي، يا ألله يا ألله يا عزيز يا أحدي، يا ألله يا محيط يا صمدي، يا ألله يا ألله يا عزيز يغنيني، يا ألله يا حسبي ويكفيني،

يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: أيما مرتبة ظهر فيها وجودها الحق بمعناه الفاعل المختار اختار، وفعلَ صاحبها ما يختار، أو بمعناه الفاعل لا المختار فعل بلا اختيارٍ، أو بعكسه فيعكسه، وفي الأول لذَّة، وفي الثاني ضدها.

اسمع: الفاعل المختار إذا ظهر بمرتبته الفردانية ظهورًا لازمًا أوجب ما يؤدِّي إلى تمام ذلك، فينعم لينفرد بالرغبة والشكر، ويقهر لينفرد بالرهبة والخوف والحسد من دائرة الغيور، والغيرة باعث دفع الغير عما يُراد التفرد به، فلا غيرة إلا من غير، كما لا رياء إلا مع رؤية السوى[1].

اسمع: جاء في الحديث: «**ما مِن شخصٍ أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**[2]»، أترى ما هي؟ هي ما نازعت نسبته إلى الله نسبته إلى

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺوعنَّا به: الغيرة هي حرصٌ يُوجب صون المخصوص بالمحبة عن إشراف لواحظ الأسباب المؤدِّية إلى بذله، مع عدم الاستحقاق، واستقباح فحش الشركة فيه، وحقيقتها: حميةٌ تستلزمها المحبة؛ لمنع صفاء ما يكدر صفاء العين مع المحبوب اهـ.

(2) تقدم.

غيره في كل مقامٍ بحسبه، فكل شيءٍ بنسبته إلى الله حسنٌ، ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، ومنازعة نسبته إلى غيره نسبته إليه بقبحٍ.

اسمع: جاء في الحديث: «**ألا وإن حمى الله محارمه**[1]»، الحمى: ما منعه ولي الأمر من غير خاصته، وخاصة الله أهله الذين لا يحجبهم عنه رؤية غيره علمًا ولا حالاً، فهم في كل مقامٍ كأهل سعادته في دار السلام، ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ﴾ [يونس: 10]، فلا يرى كل منهم في صفاء إخوانه إلا مولاه؛ لأنه نور بصره الذي لا يرى فيثبت لرؤيته سواه، «**لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**[2]».

فبذلك زالت عنهم أحكام الشرك الموجب للغيرة، المقتضية للمنع من الحمى، فزال التحريم لزوال علته، وصار ذلك لهم حلالاً طيبًا، ألا ترى أن النبي له خصائص لم تحلَّ لمن دونه، وللوارث حكم مورثه.

اسمع: إذا علمك أستاذك بالحال فقد قال لك: إن كان لك سمع تسمع به المعاني إن العبرة بالحال لا بالقول.

اسمع: الوجود ما يمتنع عليه العدم لذاته المناقضة له، فلا يصدق عليه ما يستلزم صدقه، وصدق العدم على محله بقوة أو فعل، فالوجود ذات أحد لا تركب فيه واحد، لا يقوَّم ولا يتقوم بغيره، فرد لا مثل له، وبه كل موجودٍ موجود، فهو ذات كل موجودٍ، وما ثَمَّ إلا ما إذا أُخذ مجردًا عما تعتبر زيادته عليه، لم يكن إلا ذاتًا، فما ثَمَّ إلا ذات، وما ذات إلا الوجود، فما ثَمَّ إلا الوجود الذات، والزيادات إن كان ثَمَّ زيادات، فإنما هي نسب وإضافات حكمية، وأحكام نسبية؛ لأن النسب والإضافات والأحكام أيضًا، بل والزيادة كل له ذات، فما ثَمَّ إلا الذات، وكل هذا قضاء الذات بالذات للذات.

فالوجود ذات يقتضي مقتضيات هي هو له منه باقتضائه، كالقضايا التي يُسمَّى قضاؤها في علم البديع بالتجريد البياني، كما تجرد نفسك بنفسك لنفسك شخصًا يقوم لك في تخيلك مستقلاً، تعامله معاملة المغاير لك، فهو أنت بالحقيقة بلا زائدٍ، وهو غيرك وزائد عليك حكمًا ومعاملةً، لكن هذا في هذه المرتبة اختياري، فلذلك تكيف

---

(1) رواه البخاري (28/1)، ومسلم (1219/3)، والترمذي (511/3).

(2) رواه مسلم (161/1)،وأحمد (405/4)، وابن ماجه (70/1).

حصوله وتنفيه وتثبته اختيارًا، وفي هذه المرتبة بالإيجاب الذاتي، فلا يكيف حصوله بأكثر مما ذكرناه ونحوه، ولما أن كان الذات يقتضي ذلك كانت قضايا بهذا الاعتبار، فهو المقتضي والقضاء والمقتضيات بالحقيقة.

وهذه أمور متمايزة بالحكم والمعاملة، وهذه المقتضيات هي الموجودات، ويُسمَّى القضاء من حيث هو مبدأ تحقق المقضي علمًا فعليًا، وهو حقيقة كل مرتبةٍ فاعلية، ومن حيث هو مبدأ تعيينه وكشف الذات متعينه به يُسمَّى علمًا انفعاليًا، وهو حقيقة كل مرتبة قابلية، والقضاء من حيث هو مبدأ التحديد يُسمَّى إدراكًا، وهكذا باعتبار كل مبدئيةٍ يُسمَّى باسم، والأسماء أيضًا تُسمَّى مقتضيات، فلها نظام كسواها، ولما كان ذلك للوجود الذات بذاته كان له بكل اعتبارٍ، فما من موجودٍ إلا وكل ذلك ثابت له بذاته؛ للزومه للوجود الذات من حيث هو ذاته، وإن كان لكل موجودٍ خاصية مرتبية، فلا يظهر فيه وجوده بشيءٍ مما هو له بإحاطته إلا ظهورًا مناسبًا لتلك الخاصية المُسمَّاة بالاستعداد ونحوه، فلكل موجود فعل وقبول وإدراك خاص بحسب خاصيته المرتبية، وهو كل موجودٍ بحسب حقيقته الموجودية، قال هو سيدي ومولاي:

تَرَى كُلَّ شَيءٍ كُلَّ شَيءٍ وجزؤه محيطٌ بكلِّ الكلِّ وانحسمَ الحصر

وكلُّ شيء هذا مثاله، ومقابله بالحقيقة، وهو مثل أمثاله، ومقابل مقابليه، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: الصورة هي المبدأ القريب من المحدود؛ لما وضع له كالقوة الباصرة للبصر، والسامعة للسمع، والقاطعة للسيف، وقِسْ على هذا.

وأما الجرم الحامل له بالاستعداد فهو المادة المتكاثفة، كالمقلة والأذن والقطعة الحديد.

اسمع: المادة المحسوسة يُسمَّى استعدادها الذي هو قبولها (هيولي)، والمتخيلة يُسمَّى إمكان، وصور الأولى تُسمَّى جسمانية، والثانية نفسانية.

اسمع: الإدراك أربع مراتب في نظام الترتيب: أولها: مرتبة تجرد الصورة الحدية عن القيود المادية، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها عقلاً، وبقابليتها تعقلاً، وثانيها مرتبة تشخص الصور المعقولية بالمادة اللطيفة التي لا تتكاثف، وهي المُسمَّى استعدادها الحامل للصورة إمكانًا، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها خيالاً، وبقابليتها تخيلاً، قال هو

سيدي ومولاي:

وَفِي كُلِّ وَجْهٍ عكس طرد وعكسه وإِنْ غَـابَ فِـيْهِ بِالحـضُورِ إِيَابِـهِ

المشهد من أوله إلى آخره، فالبعد عين القرب بالحقيقة، وضده بالمرتبة الفرقية، وقس على هذا، و﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: 60]، ورأوا خلافه وهمًا، قال هو سيدي ومولاي:

كُـلٌّ يـشيرُ إِلَـى الَّـذِي هُـوَ وَاجِـد وَكَـذَاكَ يُنكـرُ كُـلَّ مَـا هُـوَ فَاقِـد

وَتَـنَوّعُ الأشـياءِ سِـرٌّ غَـامِضٌ فَالخَلْـقُ شَـتى والمحقـقُ وَاحِـد

والثالثة مرتبة وضع الصور النسبية والإضافية من هذه الصور التخيلية موضع المعقولية في التعقل، والمحسوسية في الإحساس، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها وهمًا، وبقابليتها توهمًا، والرابعة مرتبة تشخص الصور بالمادة المتكاثفة، المُسمَّى استعدادها هيولي، وهذه المرتبة هي المُسمَّاة بفاعليتها حس، وبقابليتها إحساس، وهذا هو نظام الكائنات جميعًا.

اسمع: الطبيعة صورة العقل في الحس، والنفس صورة العقل في الوهم، والروح صورة العقل في الخيال، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: إذا أخطأت بفعل اختياري منك ما تراه صوابًا، فعاد عليك بما تكره، وتود به أن لو لم تكن فعلته، أليس ذلك عذاب هو عقابه.

أستغفر الله أرحم الراحمين به عن كل ما يسوءني، أستغفر الله الرحمن الرحيم، رب اغفر لي ما تقدَّم مما يسوءني وما تأخر، حتى لا أرى لما يسوءني عليَّ حكمًا، ولا إِلَيَّ سبيلاً آمين آمين آمين، وكذلك من أحبَّني، أو حصل لي منه راحة أنت أعلم بها، وسلامك على عبادك الذين اصطفيت، سبحانك من حيث أنت، والحمد لك، اللهم رب العالمين.

اسمع: ما منك إلا وإليك، ولا تتصور إلا فيما تتصور، فمهما حكمت بعلوه علا عندك، فكان فيه علاك، ومهما حكمت له بضد ذلك كان عندك بضد ذلك، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102]، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

اسمع: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ 68﴾ [ص: 67، 68]، هي مراتب إعراض وجودهم عن وحدته وجمعه ورشده، الذي جاء به في مظاهره التي عاندوا

أحكامهم إلى ضده، وكل كائنٍ يكره ضده، ولا يقوم له وزن عنده.

اسمع: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً﴾ [ص: 62]، رؤية الرجال تنجي من النكال.

اسمع: لكل مرتبةٍ فاعلة مرتبة قابلة خاصة بها، هي عرشها وكرسيها ولوحها وفرشها وسماؤها وأرضها وبيتها وزوجها ومظهرها ومرآتها، وما في معنى ذلك في كل مقامٍ بحسبه، ﴿وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ﴾ [الزمر: 10]، ﴿وَالله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

اسمع: صبر العاجز عز يستر ذُلّ عجزه.

اسمع: الزم الصمت عن وجدك المخصوص الوحيد ما دمت بين يدي جاحد وبليد، وخاطبهم إن خاطبتهم بلسانهم فهو أحكم، وعاملهم إن عاملتهم بكيلهم وميزانهم عسى تسلم، وأودعتك الذي لا تضيع لديه الودائع ما دمت بين حواسد وموانع.

اسمع: متى تخلص بخالصة اختصاصك من قيود حدود احتمالك وانتقاصك، فإن الملك بهما عذابك خلفه، ولم يرَ من حيث نظر إلا النار، ومن ثَمَّ يرى في كل عملٍ ما يمنعه عن القيام به، فإن أدَّى ذلك لتجرده عن موانع قبوله المطلقة، فهو سعادة ورحمة، وإلا فالعياذ بالله العلي العظيم من درك الشقاء والنقمة.

اسمع: ناطقي هذا الوفوي لنواطق المحققين، كالناطق المحمَّدي لنواطق النبيين حقهم اليقين، ونورهم المبين.

اسمع: الكل لصاحب الوقت، فمن أعرض من العباد عنه، وشخص إلى غيره، أدركته الغيرة بحكم المقام والحال، وربما ظهرت له من نفسه بواعث تلك الغيرة إلى الانتقام والمنازعة، وهو في مقام الإمامة بحكم المأمومين، فظن بحكمته الإمامية أنها فتنته.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [ص: 24]، إمامة وصيانة من الرعونات لأولي الألباب، فغيرته حقٌّ لزيمٌ، وظنه الفتنة ليمنع الحسد ونحوه عن أتباعه حكمة الحكيم.

اسمع: سوء الظن في مظاهر الحق المبين، بل وفي أتباعهم معطبة، حتى ولا منهم لأنفسهم، ألم تسمع قول الحق بلسانه المحمَّدي:

﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ﴾ [ص: 24]: أي من هذا الظن، كيف يظن بنفسه

ذلك وهو خليفة الحق وعينه ومظهره الحاكم به، وهو له سمع وبصر وقوى ويد.

ومن ثَمَّ قال لمظاهر أنواره: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: 11]، ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [البقرة: 187]: أي من ذلك.

اسمع: الوجود الذات من حيث إنه المتَّصف بالصفات المحيطة التعلقات الحكمية بما ظهر بها من الدوائر، هو مسمى الله الإله، وهذه المرتبة هي الإلهية، ومن حيث إنه الوجود المتَّصف بالمعاني الثبوتية من هذه الصفات الإلهية، هو مسمى الرحمن، وهذه المرتبة هي الرحمانية، ومن حيث إنه الوجود المتصف بالمعاني الفعلية من هذه الصفات الإلهية، هو مسمى الرحيم، وهذه المرتبة هي الرحيمية، ومن حيث هو الوجود المتعين بالمرتبة التي هي مبدأ الترتيب كله حتى مرتبته نفسها، وهي المرتبة المُسمَّاة في نظام الإمكان بالناطق، وفي نظام الوجوب بالمتكلم، هو مسمَّى الحق المبين قيوم المراتب جميعها، فلا تحقق لها ولا تعين إلا به.

اسمع: نظام جميع مراتب التقابل والتماثل هو المُسمَّى بدائرة الفرق.

اسمع: المرتبة الإلهية أحب مراتب وجود دائرة الفرق إليه، وأعلاها عنده في كل مقامٍ بحسبه، ومن ثَمَّ ترى كل موجودٍ فرقي يحب أن يُطاع بالطبع، ويكره أن يعاند بحسب مقامه، حتى أن الصلدين إذا اصطدما كسر أحدهما الآخر، وانكسر الآخر، وما كان من وجودهما ذلك إلا لكراهة المعاندة دفعها، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85].

اسمع: القضاء الوجودي الذي هو باعتبارٍ يُسمَّى علمًا، وباعتبارٍ يُسمَّى حياةً، وباعتبار خلقًا، وباعتبار لطفًا، وقِسْ على هذا.

فهو حقيقة المعاني، ومُسمَّى الله أسماؤها مسمَّى بها جميعًا باعتبارات تعلقاته.

اسمع: النفوس والطبائع هي صور معاني الفعل، فالرحيم وجودها العليم الحكيم جميعًا، والأرواح والعقول هي صور معاني الكمال، فالرحمن وجودها العليم الحكيم جميعًا، ﴿وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: 20]، فهو الرحمن الرحيم.

اسمع: الكمال فرع الإحاطة، والفعل فرع الكمال؛ إذ لا كمال إلا لمن أتم ظهوره، ولا فعل إلا لمن أتقن أموره.

فالرحمن فرع الجلالة، والرحيم فرع الرحمن، في كل مقامٍ بحسبه، وأنت تعرف

منزلة الفروع من أصولها في فعلها وقبولها.

اسمع: وجود المفيد صورة، وروحه للمريد رحمان من حيث هو المفيد رحيم، من حيث هو قائمٌ بالمستفيد، ولذلك قال الناطق الرحماني لمظاهره الرحمانية:

﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: 29]: أي بتعاطي موانع ظهور روحي فيكم.

﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: 29].

اسمع: ما ثَمَّ عندك إلا أنت فيما به حكمت، حسب ما له رتبت، وانطلقت منه بما أطلقت، وتقيدت منه بما تقيدت، ولولا تخصيصك بالحب لما به تعبدت ما حُددت به ولا قيدت.

فانظر أي مرتبةٍ تريد أن تتعيَّن بها بعد هذه المرتبة التي أنت الآن بها، فاجعلها أكبر همك، ومبلغ علمك، واتخذها أحب إليك من سواها، واكسر في صدرك ما عداها.

واعلم أن حبك المعمول بالحقيقة إنما هو لعين العلة المقصورة.

﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: 14، 15].

اسمع: أيها العبد، ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: 54]، فمن طلب القوة بضعفه عامله الله بلطفه.

فَسِرْ زَمَنًا وَانهَضْ كَسيرًا ... وَلاَ تَتَوَانَى فِي القُيُودِ أَسِيرا
وَاعْمَلْ لعلَّةِ الإخلاَصِ ... وَعَلَى اللهِ الخَلاَص
وَلاَ تَترك مَا رَأَيته معلُولاً بعلاَلِهِ ... فَالعَمَلُ المَعْلُولُ أفيد لمثلِكَ مِن البَطَالَة
فَلاَ تجمل السبَطَالَة ... إلاَّ لمنْ تحقَّق بتجريد الجلالة

اسمع: ظلمة التجريد أعز وأعلا من نور التحديد، ونور التمجيد أعز وأعلا من ظلمة التقليد، والإحاطة أيها المريد عزٌ وعُلا، لا مقابل له في كل مقامٍ كثرة وتوحيد، والله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها في كل مقامٍ بحسبه.

وَلِلْنَفْسِ مِنْ عِزِّكم عزة ... ورحمن روحي بِقَلْبِي رحيم

البطون والظهور والغيبة والحضور عبارة عن تعينك في إدراكك بصورة حدية تغلب عليك بحكمها، فتقيد إدراكك تقيدًا يحجبك عن شهود أنك حقيقة متعينة بكل موجودٍ تعلَّق به إدراكك، كما تشهد أنك حقيقة متعينة بها، فتعيُّنك بها من حيث تشهد أنك الحقيقة المعينة بها هو ظهورك وحضورك لك، وتحجبك بها عن شهود أنك لما

عداها، كما أنت لها بحيث لا ترى نفسك إلا مغايرًا بالحقيقة لما عداها، هو غيبتك وبطونك عنك، وشهودك اليقين أنك إياها فقط هو تقيدك بها، وعلامته غلبة حكمها عليك عندك على حكم سواها شهودًا وحالاً، فلا بطون ولا ظهور، ويقابله كذلك لا غيبة ولا حضور إلا في دائرة الفرق التحديدي، ومراتب حكمها التقييدي، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: 5]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: 12].

اسمع: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53]، الشيء عينه الشخصية، والأفق لوح الظهور والتبيين، والنفس يُراد بها الذات المتشخصة وسوى ذلك، ودائرة التعقل أفق أعلى، ودائرة التخيل أفق مبين، ودائرة الإحساس أفق أدنى.

اسمع: إذا تجلَّى الحق المبين في ناطقٍ بحكم مرتبته فعين ذلك الناطق هو عين وجود تلك المرتبة، وكونه كونه، ومن هنا تفهم قول الوجود الإلهي بلسان الكشف لعينه المتعين به في جميع مظاهر الفرقانية، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48].

اسمع: صاحب الوقت في كل دائرةٍ فرقية مَن ظهر وجوده الحق المبين في ناطقه بحكم المرتبة الإلهية، ظهورًا في نظامه كمالات مراتب تلك الدائرة كلها في ذلك الوقت، فهو مفيض صلاحات نظاماتهم، وكمالات قواماتهم فيضًا إلهيًا من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون، ووجود هذا في وقته ودائرته هو مستحق اسم الجلالة، وأسمائها الحسنى من حيث وجوبه، كما أنه مستحق أحسن أسماء الممكنات من حيث إمكانه، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ومن مشهدك يأتيك روح مدادك، وعلى قدر يقينك تظفر بتمكينك.

اسمع: العقل النظري المقيد إذا ظهر فيه وجوده الحق المبين بحكم المرتبة الإلهية على قدر استعداده ظهرت له المعاني الإلهية في مرتبته التقييدية مقيدة، فيجرد منها بخاصته النظرية في قبوله المفارق لحكم قيده صورةً غير مقيدةٍ، هي عند الواجب لذاته؛ لعدم شهوده له قيدًا يعلله فيجعله فرعًا، ويقتضي له شهوده لأصلية هذه الصورة، ووجوبها شهود ما عداها ممكنًا متفرعًا عنها، وهو كذلك لأن الإطلاق أصلٌ والتقيد عارضٌ، لكنه لو نظر وجوده الحق المبين بعين الإطلاق لرأى الكل آياته في الآفاق،

فهذه الصورة النزيهية العلية هي من حيث جردها من ناطقة ابن روحه، ومن حيث توجه إلى مشهوده الإلهي الواجبي منها بوجه التعظيم والمحبة، وأنواع التعبد هي ربه وأبو قلبه.

فإذا تجرد بنفسه المتشخصة بالمراتب الحدية – وهذه الصورة المقدسة أحب المراتب إليه وأكبرها في صوره - تعين بها، فإن كان قد تجرد شاهدًا صحة التعين بها عينًا وحكمًا تعين بها، كالقائلين بالاتحاد أو بالتحول في الصور، وإن تجرد شاهدًا استحالة التعين بها عينًا، وصحته حكمًا، قامت في عينٍ يراها من عينه في الإمداد برقائق المعاني بمنزلة النفس البشرية من بدنها الذي هي متعلقة به تعلق التدبير كالحلولية، وإن لم يشهد منها إلا صحة الاستفادة التأثيرية، ويشهد أنها تفيده هناك مثالات معانيها، قامت له في عين منفصل عنه، وقام بها في عين يجد في نفسه المتشخصة بها مثالات ما، وصف تلك الصورة المقدسة بها من معاني فعل وكمال على حسب استعداده الإمكاني حينئذٍ، وتعينه هذا الحكمي هو مقعده الصدق عند ذلك المليك المقتدر، فيجد نفسه عبدًا ممكنًا كامل المعاني، فعالاً لما يريد، بين يدي رب واجب كامل المعاني، فعالاً لما يريد.

ثم يكون قربه منه في دوام محاضرته له، ونحو هذا بحسب كمال تحققه الحكمي به من حيث المعاني الكمالية، ورفعة درجته التأثيرية بحسب تحققه به من حيث المعاني الفعلية، فهذا نظام العيون والمقرَّبين والأبرار، فبالعيون يأتي المدد للمقرَّبين، ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 28]، وبالمقرَّبين يأتي المدد للأبرار، ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الإنسان: 5]، ﴿يُسْقَوْنَ﴾ بأيدي المقرَّبين، ﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 25]، فيما هو معتمد على أرائك الأدلة، ناضر النضرة نضرته النظرية، فهو بار، ومرآة رؤيته كذلك، هو المقرب، وهو أبو قلبه، وبما هو ناظر ذلك في عينه هو المقرب، ومنظوره ربه، ومولاه الذي لا واسطة بينه يحجبه عنه سوى أنه سواه بالفرق بين ممكن وواجب، يا ترى متى يتعيَّن بالكون إسماع هذا الكلام الإلهي بإيقان، آه واشوقاه إلى شواهد شاهد غيبي أن تتعيَّن في أعيان عين مرآة.

اسمع: لا تعب إلا بمنفصل مغاير، فلا راحة إلا بمتصل ليس بغير، قال هو سيدي

وحبيبي ومولاي ووجودي وعيني ومعناي: الخير كل الخير في الغيبة عن الغير.

اللهم خذنا من كل شيءٍ إليك، واجمعنا بك عليك، وعافنا من كل علةٍ، وطهرنا من كل دنيسٍ، يا سائلي ومسئولي، ودليلي ومدلولي، وكليمي وسميعي، ومقصودي وشفيعي، ويا فرائدي وجميعي، ويا من هو إياي الذي هو بي مني أعلم وأرحم وأكرم.

آه من فرط لوعتي وغرامي وصبوتي، زاد بي الغرام، متّ والسلام، مولاي متى تسمع شكواي وترحم، أنا والله مغرمٌ بك، والله أعلم.

يا مخلصي خلصني، ومسلمي سلمني، فما منك إلا وإليك، ولا إلَيَّ إلا ومني.

اسمع: جاء في الحديث: «**كَانَ الله ولم يكنْ شيءٌ غيره**[1]»: أي هو المتصف بالكون ولم يتصف بالكون غيره.

وجاء فيه: «**كان الله ولا شيءٌ معه**[2]»، فمن شهدته معه فهو لا شيء.

أَلاَ كُلّ شَيءٍ مَا خَلاَ الله بَاطِل[3]

﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ الله هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ [الحج: 62]، فليس إلا هو، ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾ إحاطة ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد: 3] جمعًا وفرقًا.

أعدمتني نَفْسِي بَسِرِّي دلاَل بَسِرِّي
بِـالله يَـا أَسْـيَادِي بَسِرِّي مِن البعَادِ

اسمع: من رآك بيقينه عبدًا ممكنًا فلا تعامله إلا بكيل العبد الممكن وميزانه، ولا تخاطبه إلا بلسانه، وإن رآك بظنه ربًّا واجبًا فإنه لا يرجع عند تمكينه إلا إلى مقتضى يقينه، ومن ثَمَّ قال الواجب العليم الحكيم لممكنه: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ [الكهف: 110].

﴿**لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ الله وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: 50]؛ لأن ذلك يقينهم فيه، وليس كل ما يُعلم يُقال لكل أحدٍ، ولما أتى بجوامع الكلم قال أقوالاً

---

(1) تقدم.

(2) تقدم.

(3) رواه البخاري (1395/3)، ومسلم (1768/4).

يأخذ منها كل ذي سمعٍ بوسعه، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، فأتى بالمصدر مضافًا لياء المتكلم، فمن يقينه فيه أنه الرب الواجب رآه مصدرًا مضافًا للفاعل، ومن يقينه أنه عبد ممكن رآه مصدرًا مضافًا للمفعول، لا كقول القائل: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: 78] الآية، فإنه لسان عبودية وإمكان محض، فربما اختار لذلك من يقينه فيه أنه الرب الواجب، ولم يتمكن في مقام التفصيل بين يقينه وصدق الخبر، فبحقٍّ قال صاحب جوامع الكلم: «**لو أن موسى حيٌّ ما وسعه إلا اتّباعي**[1]»، «**أتيتكم ببيضاء نقية** [2]».

اسمع: الأمور كلها سواء ما كان المقصود بها واحدًا في كل مقامٍ بحسبه، ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: 21]، كلاهما لله مولاهم.

جاء في الحديث: «**إني لأحتسب نومتي كما أحتسب أكلتي كما أحتسب صومتي**[3]».

اسمع: العاقل من صرف همته عما يعلم أنه لا بُدَّ له منه إلى ما يرى له منه بُدٌّ، ولا من اشتغل بما لا بُدَّ له من مفارقته عما لا بُدَّ له من ملازمته، ولا من أعرض عما هو عنده العظيم الباقي إقبالاً عما ليس هو عنده كذلك.

ذو الهمة الرفيعة من آثر الله على ما دونه، كل شيءٍ في نظام إحاطة الله، فمن وجد الله وجد كل شيءٍ في كل مقامٍ بحسبه، مهما أدركته، ولم تعامله على ما تقتضيه شاكلته التي أدركته عليها، فاعلم أن إدراكك له ظنٌّ لا يقين، وإن سميته يقينًا.

اسمع: اليقين يوجب معاملة ما تعلق به بمقتضى شاكلته فيه، فإن تحقق أحد حصول ما يخاف حصوله بالطبع أو التطبع الغالب فلم يخف أو ما يسره فلم يسر، وقِسْ على هذا.

اسمع: إذا أنزل عندك أمر منزلة اليقين فلا يريبنك فيه عجزك عن تنزيله من سواك بمنزلته منك، فإن الوجد مقام، والإيجاد آخر.

اسمع: جاء في الحديث: «**ألا وإن حمى الله محارمه**[1]»: أي حمى الله أهله الذين هم منه وهو منهم، هم منه وجودًا وهو منهم شهودًا.

اسمع: القابل بيت مقبوله، والقلب بيت الرب المتعين بالروح الحكيم، فحيث وجدت ناطقًا عليمًا حكيمًا، ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾ [العلق: 19] إيمانًا وتسليمًا ومحبةً وتعظيمًا.

اسمع: المقصودات كلها معلومات محدودات، فلذلك لا يجد كل متسببٍ بالاختبار إلا مقصد سببه على حسب قصده، فقصده بابه، وعلمه فتاحه، وعقله مفتاحه.

اسمع: إنما يُسرت الأموال لأصحاب الضرورات المفتقرة في حصولها لهم إليها خدمة تكفيهم هَمّ تلك الضرورات؛ ليتفرغوا لما هو أولى بهم من الشغل بها، فمن جعلها مخدومه وهمّه فقد عكس وانتكس، وضيع الحكمة، وبدَّل النعمة كفرًا فانتعس.

اللهم عافنا من كل علةٍ، وطهِّرنا من كل دنسٍ، آمين.

اسمع: الذي قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين، قسم الصفات القرائن الربانية بينه وبين عبده، فمهما قام به العبد منها لنفسه قام الرب له بقرينه، فإن قام لنفسه بالمسامح قام له ربه بالسريع الحساب وعكسه، وإن قام لها بالمعز قام له بالمذل وعكسه، وقِسْ على هذا، والعبد ليس من مرتبته أن يحكم فلا يثبت ولا يُنفِّذ، إنما ذلك شأن الرب، ومن حرره فاستخلفه.

فقم لنفسك ما دمت عبدًا بما يجب أن يثبت لك، وينفذ فيك حكمه، ودع لربك قرينه تكن سعيدًا.

اسمع: جاء في الحديث: «**ألا وإن حمى الله محارمه**[2]»: أي إنما المحارم ممنوعة بالنهي عمن لم يتصرف بعلم الله وحكمته، وأما أهله وخاصته المتصرفون به فلا، فهي منهم مكارم لا محارم، فإن الحكمة صبغة حُسن في كل مقامٍ بحسبه، ألم ترَ إلى العباد كيف يحل لهم في الجنة وعند الاضطرار ما كان حرامًا عليهم قبل ذلك؛ لأن الحكمة في تعاطيه حينئذٍ.

اسمع: كما أن البحر لا بُدَّ أن يتموَّج أمواجًا مختلفة الأحوال، فمن أبى الشرب

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

والتطهر منه لذلك مات عطشًا، ودام جُنبًا، وهو لا يكون إلا متموجًا، كذلك الذي ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، ومظاهره لهم خواطر وأحوال متفننة، فمن أبى اتِّباعهم لذلك أهلك نفسه بضلالتها، وهم لا يكونون إلا كذلك.

اسمع: إذ قال لك إمام هدى كلمةً، ترى أن قولها لا يناسب علو قدره، فانظر إن كانت مما ينفعك القول به فقل به اتباعًا وامتثالاً؛ لأنه أمرك بها في حجاب قولها لك، وإن كانت مما لا ينفعك القول به فقل: هذه كلمة كانت مدسوسة في نفسي لتهلكني من حيث لا أشعر، فأظهرها هذا السيد لأتوقى منها، وأستعيذ بفضل الله تعالى من شرها، وأحذرها وأتركها امتثالاً، فإنه يقولها لك وأنت تعلم أن قولها استحسانًا ليس من شأنه، إنما هو نهيٌ عنها، وقس على هذا أفعاله.

مثال هذا أن سمعته يقول في وليّ أو عرضٍ أو محترمٍ كلمة نقص، وهو يدل على أن جناب المقول فيه ذلك محترم، فكأنه قال لك بذلك لا تقل هذه الكلمة ونحوها وكذلك الفعل.

اسمع: متى ظهر فيك وجودك بمعنى أظهر بك حكمه، فلو ظهر فيك بمعناه الفعال لما يريد في دائرةٍ انفعل لك فيها ما تريد، وسجدت لوجهك الفعلي أسبابه وآلائه، وسائر ما يتوقف عليه ظهوره وما لا فلا.

اسمع: جاء في الحديث: «**إن في الجنة لحسرات**[1]»، هي تفريطات أهلها في بعض حقوق ربهم ومظاهره.

اسمع: مَن جذبه المحبوب فلا عائق لمجذوبٍ، ومن دعاه داعي الغيوب فما على القلوب دروب، ومن شُغل عن المطلوب فآه ثم وآه على المحجوب، متى تنكشف الكروب، والنفس غارقة في الذنوب، أين من يتفانى يؤوب لربٍّ يفرح بعبدٍ يتوب، متى فرح بك المحبوب أنلك منه فوق المرغوب.

اسمع: العُروض والتأصل من أحكام دائرة الإحساس والتخيل، فإذا ظهر فيك وجودك بمرتبة حدية فقيّدك بها، فتلك إذًا هي مرتبتك الأصلية، وذلك التقيد هو التأصُّل فيها، وإن ظهر فيك بمرتبةٍ حديةٍ ظهر فيك حكمها ولم يقيدك بها، فتلك المرتبة عارضة لك، وذلك الظهور بلا تقيد بها هو العروض، وذلك في كل مقامٍ

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

بحسبه، وعلامة المرتبة الأصلية ظهور حكمها فيك خالصًا إذا خلا من منازعة الأحكام العرضية، وعلامة المراتب العرضية أنها لا تظهر أحكامها فيك إلا مشوبة بحكم مرتبتك الأصلية، ومن ثَمَّ ترى من مرتبته الأصلية الاعتقادية إيمانية بالحق، لا يرى الحق إلا من حيث آمن به إيمانًا خالصًا ولو وقتًا ما، ولا ينكره إلا إنكارًا مشوبًا بخوفٍ أو ترددٍ، ونحو هذا، ومن كان بالعكس كان معكوسًا، يا مسلم سلم.

اسمع: ربما غيّبك حكم مرتبتك الأصلية عن إلقاء بالك لحكم مرتبة عرضت لك، فغلبت بحكمها عليك، فتصير ظاهرة الحكم فيك لمن تنكشف له فيك، وأنت محجوب الإدراك عنها من نفسك، منكر لكونها فيك، وهذه المراتب العارضة هكذا هي المُسمَّاة بالغلبات.

وأما أحكام المراتب الأصلية إذا غلبت على أحكام عوارضها فهي الملكات، ومن ثَمَّ وجب على المريد التسليم لمرشده البصير فيما أخبر به عن نفسه، وإن لم يشعر به من نفسه، كما يجبِ على الضعيف التسليم للطبيب فيما أعلمه به من نفسه، وإن لم يشعر به منها، وأن المغلوب لغلبته في حال تحكمها فيه كالمغمى عليه، تظهر عنه أمور إذا أفاق أنكرها، وأخبر أنه لم يدرِ بشيءٍ منها، وصدق لكنه ربما جهل أمر نفسه، فكذب من يخبره بشيءٍ من تلك الأمور، وكرهه وآذاه ونزه نفسه عما رآه منه، فرواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12].

اسمع: الأصول لا تتغير فلا فائدة لمحاولة تغيرها، ولكن المتأصِّل فيها بالتلبُّس بها صالح للتجرد عنها، التجرد المسمَّى في اصطلاح الصوفية بالفناء، فمَن أسلم لأستاذٍ متمكِّن من تجريده جرَّده عمَّا يراه أصلاً ناقصًا، وأصله فيما يراه أصلاً كاملاً؛ وهذا هو الذي ظهر فيه وجوده الإلهي بمعناه الولي الذي ﴿يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9].

قال هو سيدي وعيني ووجودي ومولاي:

فَأمكِن مَكينًا مِنك صَاحبَ مكنة ... يُميتُ ويُحيي كُلَّ حَيٍّ وَمَيتِ

فَإن كَان كُفؤًا للكفَالةِ كَافيًا ... كَفيت بِهِ آفاتَ فَوت التَلفُّتِ

وأمَّا العوارض، فعُرضة للزوال، فلا رأي لمن نازع معافيه أو مُداويه فيما يؤذيه.

قال هو سيدي مولاي، وقد جاد على عبده بالكشف عن النفس البشريَّة ذات التلون بين وهمٍ بهيمٍ، وروحٍ حكيمٍ:

وَهَذِي هِي النَّفسُ التي قَد تولَّدت ... تَـولُّد دود الخـلِّ فِـي المَثلـيَّة
فأعْرِض مَتى مَا شِئت عَنهَا فَإنَّ فِي ... عَوارِضـهَا أغْـرَاضُ نَفـس زَكِـيَّة
وَمَـا وَضـعت إلا مَوانِـع غَيـرةٍ ... عَلى حَسراتِ الكِنزِ في كلِّ حسرةٍ
فَفـي قُـبحهَا حُـسنٌ إذا زَالَ قُـبحهَا ... وفِـي حُـسنها إن زَالَ كـلّ قَبـيحةِ
فَفِـيها تَربَّـى طِفـلُ عَقلـكَ مِـثل مَـا ... تَـربَّت فِـي أَرحَـامِ بَطـنِ المـشِيمةِ
مَتـى مَـا تجلَّـى فِـيكَ وَجـه جَمَالِهَـا ... فَأنـتَ لِعُمـرِي فِـي بِدايـةِ بِذأتِـي

مصدر مضاف للفاعل.

اسمع: أنصار كل حاكمٍ هم صور مَلكاته، وأكوانهم مثالات تمثَّلت بها تلك الصور له في كل مقامٍ بحسبه.

ومِن ثَمَّ قال السيد الكامل: «**أنا مِن الأنصار والأنصار منِّي**»[1].

وقوله: «**علي منِّي وأنا مِن علي**»[2].

قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ**﴾ [محمد: 7].

وقوله: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ**﴾ [التوبة: 14].

وقوله: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ الله قَتَلَهُمْ**﴾ [الأنفال: 17].

وقس على هذا: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِالله هُوَ مَوْلاكُمْ**﴾ [الحج 78] يعني: أنا ﴿**فَنِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ [الحج 78]، الله كافي عبده، ووافي وعده سبحانه وبحمده.

اسمع: مبدأ الشيء ما به تحقَّق وتعيَّن في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: مبدؤك هو المعنى الذي يسمَّى وجودك باعتباراته بالأسماء المؤثِّرة فيك من حيث مرتبتك المقيَّدة؛ فهو ربُّك بما هو مصلح نظامك ومكمِّل قوامك، ولاهوتك بما هو مدبِّر أمرك ومصوِّر قدرك وموجودك، بما هو مبدؤك وهو أبوك بمعناه الفاعل فقط، وأمك بمعناه القابلي فقط، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجال رجال.

وقواك القابلية مثل معاني أمك في كل مقامٍ بحسبه، ومِن ثَمَّ تكون أمك ولي تربية

---

(1) رواه ابن حبان (261/16)، والطبراني في الكبير (46/22) بنحوه.

(2) رواه الترمذي (636/5)، وابن ماجه (44/1).

مرتبتك الانفعالية، وأبوك ولي تربية مرتبتك الفاعلية، وربُّك ولي تربيتك فيهما في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: القضاء الوجودي الذي هو باعتباراته يسمَّى معاني هو معني هو معنى العلم بما هو مبدأ الكشف والتمييز، وهو معنى الحياة بما هو مبدأ الإدراك والفعل التقييدي، وهو معنى الإرادة بما هو مبدأ تخصيص أمرٍ بأمر تخصيصًا تمييزيًّا، وهو معنى الكلام بما هو مبدأ تخصيص أمرٍ بأمر تخصيصًا كشفيًّا؛ وهو معنى القدرة بما هو مبدأ كشف المتخصص في المدارك القابلية وقس على هذا.

اسمع: الصورة عند متصوِّرها، فمهما أُمرت بتعظيمه مما تنسبه إلى صورة ولا تكاد تحسَّه إلا إذا استحضرت تلك الصورة، فإنما أُمرت به لذكرك تلك الصورة واستحضارها؛ لأنك لا تستحضرها إلا أعطتك أثرًا مناسبًا لاستعدادك في الحال بحسب ما هي عليه عندك من الاعتقادات، وبهذا الحضور يكون الحاضر جليس المستحضر وأنيسه ومعه.

ونحو هذا كما جاء في الحديث الربَّاني: «**أنا جليس مَن ذكرني**»(1).

وقوله: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني**»(2).

وقِسْ على هذا فما أُمرت بالصلاة تلقاء الذي تسمِّيه بيت ربك؛ إلا لتذكر الصورة الموصوفة بالربوبيَّة عندك فتكون صلاتك لها لا لما تراه بيتًا.

وكذلك تعظيمك لملابس الأولياء وآثارهم؛ إنما هو لكونها أسبابًا في استحضار صورهم الكريمة حضورًا تعظيمًا تحصُل فائدته، وإذا حصل ذلك بثوبه ونعله فبولده من صلبه أولى، فببدنه الكريم المُودع في تربته الطيبة بعد الموت أولى، فبصديقه الذي نفسه له حينئذ بمنزلة بدنه له قبل ذلك أولى لموضع اتِّصاله به في الحال، فإنَّ ولده لصلبه هو صديقه؛ فقد وجدت له فوق السمَّاكين مظهرًا.

اسمع: انظر كم قد يتولَّد عن عفنيَّة بدن الآدمي من قُمَّل أو دُودٍ ونحوه، ولا يُسمَّى ولده إلا ما يتولَّد منه على صورته، هكذا كم قد يتولَّد عن نفسه المدركة من صور

---

(1) هو جزء من حديث تقدم تخريجه.

(2) رواه البخاري (2694/6)، ومسلم (2067/4)، والترمذي (581/5)، والنسائي في الكبرى (412/4)، وابن ماجه (1255/2).

وليس الكامل عندها إلا ما رضيت غلبته عليها بأحكامه، وأحبّت أن يتأصّل فيها.

اسمع: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: 18]؛ لأن استحضارها العددي من جملتها، فإن ذكر النعمة من ذكر المُنعم، وذكره يفيد حُكمه.

اسمع: الأُعطية نعمة من حيث يُتنعَّم بها، ومنَّة من حيث تقطُّع الحاجة والالتفات إلى سواها وإلى سوى مُعطيها، فالنعمة أعمُّ من المنَّة وأهلها كذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: 11].

اسمع: الأصل أن الكل أنت بك منك إليك، والتوسُّط أن الكل فيك، والفرع أن الكل معك، والثمرة تحقِّقك بكل الكل، واللب رجوعك بالمجموع إلى الأصل.

اسمع: أتدري لم تستوحِش إذا كنت منفردًا؟ لحجاب جمعك عنك، ومن ثَمَّ تأنس بالمجالس، فإن وجدت بك منك مجالسًا وأنيسًا متَّصلاً؛ أغناك وأقصاك عن كل جليسٍ منفصل في كل مقامٍ بحسبه حتى أن الصبي يحادث نفسه زمنًا طويلاً، ويستغرق في لذَّته بذلك، حتى أنه إذا عرضه ما يقطع عليه ذلك تألَّم، وتمنَّى العود لما كان فيه، فكيف بمَن وجد لنفسه من نفسه كليمًا وسميعًا حقًّا عليمًا حكيمًا؟ وما عظمت لذَّة المريد الصادق بمناجاته أستاذه الحق الناطق؛ إلا لأنه أجلُّ مراتب وجوده تعيُّن له، فيراه عند انغماسه في حكم الفصل منفصلاً، فإذا ناجاه بالمحبَّة والوجد، نقله من غمرة الفصل إلى حكم الوصل، فيجده إذ ذاك وجوده وإن لم يشعر بذلك.

كما أنه لا يمكنه الانفكاك عن العلم بوجوده، وهو في أكثر أحواله مُستغرق عن ذِكر ذلك، ألا ترى أنه يستغرق في مناجاته وجماله العَلي العظيم عن ذِكر مرتبته المقيَّدة التي إذا رجع إلى حكمها، رأى أنه ليس إلا هي فماذا إلا كما تقدَّم.

قال هو سيدي ومولاي:

وأطرح كَاسَاتَ النَّديمِ وَمَا أَرَى مُدَامِي سِوَى سرّ جَلاه خِطَابه

اسمع: الجمال هو الاتِّصاف بالصفات الثبوتيَّة المعظمة المؤثِّرة على مقابلتها، والجلال هو الاتِّصاف بسلوبات مقابلات تلك الصفات الثبوتيَّة والكمال جميعهما في كل مقامٍ بحسبه، والحمد صورة الجمال في دائرة الكمال والسُبحان صورة الجلال فيها.

اسمع: الروح صورة الحياة، فهي نظام الكمال لما تعلَّقت به في كل مقامٍ بحسبه،

فمَن تجرَّد بروحه، قام كاملاً بحسب مقامه، ومَن تقيَّد روحه بكون امتزج حكمه إلا على مَن شهد أن كل ما تَمَّ من جمالٍ وجلالٍ؛ فمِن المرتبة الروحانية، وكل مَا تَمَّ من مقابلات ذلك؛ فمِن المرتبة المادية في كل مقامٍ بحسبه.

ألا ترى النطفة بل والبدن كله حال خلوه من إشراق الروح كيف يكون عديم الحسن في كل عضوٍ منه بحسبه، فإذا أشرق الروح فيه كيف يحسن كل أمرٍ منه بحسبه على قدر إشراق الروح فيه.

قال هو سيدي ومولاي:

رَقـت وَقَـد رَقَّ الـزجاجُ بِلطفِهَـا فَكأنَّهـا الأروَاحُ فِـي الأَشـبَاحِ

فمَا تلطُّف الأشباح إلا بلطافة أرواحها المشرقة فيها.

اسمع: من الأرواح تصل المحبوبات إلى الأبدان، ومن الأبدان تصل الآلام والمكاره إلى الروح، فالكثيف يُسيء إلى مَن أحسن إليه، واللطيف عكسه.

اسمع: جاء في الحديث، قال الله تعالى: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي**[1]»، فما دام عبدًا فالصلاة نصفين بينه وبين الله، فإذا تحقَّق بالله؛ فني العبد وبقي الله ولا شيء معه، كما لم يزل في الحقيقة، فصارت الصلاة كلها لله.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله**﴾ [الأنعام: 162] الآية.

اسمع: الصورة الروحانية إذا تجرَّدت عن المثال المحسوس؛ وردت على الصورة الروحانية المتعلِّقة بمثال محسوس المستعدة لقبولها بما بينهما من المناسبة، فبثَّت الواردة قواهَا التي هي صور معانيها ومتعلقات معانيها، بثًا روحانيًا فيما وردت عليه.

كما بثَّت تلك المورود عليها استعدادات قواها في مثالها الجسماني بثًا جسمانيًا وتستعملها بتلك القوى في آثارها، فتنفعل تلك الروح المورود عليها بذلك انفعالاً روحانيًا، وتستعمل قواها الجسمانية، فتنفعل انفعالاً جسمانيًا فيخرج الأثر محسوسًا فتكون تلك الروح الواردة من الروح التي وردت عليها بمنزلة تلك الروح الموروردة من مثالها الجسماني.

فهذا هو دخول الأمم في الأمم، وقيام المجرَّد بالمجسَّم من غير أن يتجسَّم في كل مقام بحسبه، ولا يزال ذلك كذلك إلى أن يتَّحد الوارد بالمورود، ويسقط حكم الثنويَّة

(1) رواه مسلم (296/1)، والترمذي (201/5).

عنهما باتحاد الحكم، فهناك يفارق المتعلق علاقته إن كان الاتحاد لغلبة الوارد، ويقوم الوارد بعد اتحاده بموروده من المثال الجسماني مقام موروده منه قبل اتحاده به؛ لغلبة حكمه، فهذه الأرواح الواردة هي المسمَّاة بالواردات والخواطر ونحو هذا.

اسمع: إذا ظهر الوجود الروحاني بحكمه الإلهي في عينه الروحاني؛ فتلك روحٌ إلهي، وقس على هذا، فمن روحه المتعلق بمثاله الجسماني إلهي؛ فهو المقول فيه: «**كنت سمعه وبصره**[1]»، وسائر قواه بحسب كمال الظهور والتعلق، فإن كان هو في شهوده ذلك الروح لا المثال الجسماني فهو المقول فيه: «**فإذا أحببته كنته**[2]».

وذلك المثال هو المقول فيه: «**خلق الله آدم على صورته**[3]»، وهو حجاب عزَّته على مدارك تنزيهه عن ذلك، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: قال الرب عن إسماعيل: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ [الصافات: 107]؛ فهو الذي فداه على يد مظهره، يا ترى ممَّن فداه؟ ولمن فداه؟ ومَن هو الذي قبل وانتفع وأكل فداه؟.

حكمةٌ بالغةٌ: انظر ماذا ترى، شرع الأُضحية فداءً وقُربة وطهرة لهم، وهم أكلوها والمنتفعون بها.

قال تعالى: ﴿**لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ**﴾ [الحج: 37]، فنصب الجلالة في موضع المفعولية، ولم يرفع على الفاعلية.

قال تعالى: ﴿**ذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: 37].

اسمع: اللغة العربية رحمانية، يُشتق فيها اللفظ من اللفظ إذا كان معناه مشتقًّا من معناه فنزل منزلة الظاهر من الظاهر على منزلة باطنه من باطنه.

اسمع: قد علمت أن الموجودات كلها ثابتة الوجود الذات ثبوتًا لازمًا بالاقتضاء الذاتي فذلك كذلك ثابت بكل اعتبار وجودي حقيقي كان أو نسبي، فما من موجودٍ إلا وجميع الموجودات ثابتة في نظام وجوده الذاتي الذي هو ذاته الحقيقية، لكن لا تُظهر لشيء من ذلك بالنسبة إلى ذلك الموجود إلا بحسب خاصته التي هي استعداده

---

(1) تقدم.

(2) لوفي رواية (كنت هو) صححها أرباب المكاشفات.

(3) تقدم.

المرتبي فعلاً وانفعالاً، فالبطون والكمون؛ هو كون الشيء في نظام وجود الموجود الفاقد في الحال تصوره بالمرتبة القابلة لظهوره عنه أو فيه، بالقبول المسمَّى بالاستعداد القريب لذلك في كل مقامٍ بحسبه.

فمِن ثَمَّ يُقال: العلوم كامنة في النفس، كالنار كامنة في أحجار الزناد.

اسمع: الكامن في نظام العلم واجبٌ أزلي، وفي نظام العقل مُوجب قديم، وفي الخيال موجد أبدي، وفي الحس حادث متلوِّن بين القوة والفعل.

وفي الحقيقة كل كامن في مرتبة، فهو بالنسبة إلى بروزه أزلي، وبروزه متشخِّص من باطنها الفعلي إلى ظاهرها الانفعالي؛ هو تنفُّس وجودها به، فإنَّ الأزل ضيِّق والتوسُّع منه تنفس.

اسمع: الصبغة هي الإيجاب الترتيبي للموجود المقيَّد في مرتبة من مراتب النقص والكمال؛ بحيث يظهر في مراتب الإدراك كذلك.

اسمع: للنطق الرحماني الفرقاني صبغتان؛ عالية وسافلة في كل مقامٍ فرقي بحسبه حتى في النفس البدني من الفمِّ والدبرِ.

اسمع: إذا انصبغت عندك الأشياء كلها بالحكمة؛ لم ترها إلا محامد ومسبِّحات بحمد الحكيم المُنعم بها، فالنَّفس الخارج من الدُّبرِ قائلا عندك: سبحان المُنعم بالفرج والراحة.

ومِن ثَمَّ قال السيد الكامل إذا خرج من الخلاء، قال بالحق المبين: «**الحمد لله الذي رزقني لذَّته، وأخرج عنِّي مشقَّته، وأبقى في جسمي قوَّته**»[1].

وقال: «**لا تسبِّي الحمى فإنها تنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد**»[2].

وقال عن كل مصيبةٍ ومكروهةٍ، وإن قلت: «إنها خيرٌ للمؤمنين».

وقال: «**حالُ المؤمن خيرٌ كلُّه**»[3]، وقِس على هذا.

فكان لا يرى إلا محامد حتى قال بحقِّه المبين عنه: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: 44] فبحق تسمَّى بمحمد، وأحمد، وصاحب لواء الحمد والمقام

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (128/5)، وابن حجر في فتح الباري (373/6).

(2) رواه مسلم (1993/4)، وابن حبان في صحيحه (200/7).

(3) رواه أحمد في مسنده (15/6)، والبيهقي في الشعب (116/4) نحوه.

المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون.

اسمع: لما ظهر الحق المبين في ناطقه المحمدي بحكم الإلهية المتجليَّة بكمالات مراتب العالمين كلهم وصلاحاتهم، استحقَّ اسم الجلالة بمرتبة وجوبه، كما استحقَّ بمرتبة جلالته: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] أتم من كل استحقاقٍ صاحب وقتٌ فرقاني قبله.

اسمع: صاحب الوقت هذا هو أبو الأرواح الصدِّيقين به من أتباعه من حيث هو إمام هدايتهم الممكِّن، كما أنه ربهم الحق بوجوبه، وإذا لوحظت وحدة حقيقة المرتبتين.

قال قائلهم بتلك الملاحظة: «أنا ابنُ الله»، ولا يصح ذلك إن صحَّ إلا لأكمل القائلين، فإن الابن مَن كان على كمال صورة أبيه.

ومِن ثَمَّ نسخ الديان المحمَّدي إطلاق الأبوة والبنوة بين العباد وربهم؛ لأنها لا تصح للعموم.

وقال بلسان أكمليَّته المظهرية: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾ [الزخرف: 81].

اسمع: المحبة إرادة الحقيقة أن يتحقق ظهورها بحكم مرتبتها الخاصة بها، باتحادها بمبدئية في كل مقامٍ بحسبه، فلا محبَّة في الحقيقة إلا بين فاعل وقابله، فالفاعل يحب القابل: أي يريد الاتحاد به؛ ليتحقق ظهور عينه الذي هو مرتبته القابلية، ولا يوافق فاعل قابله في مرتبة إدراكية إلا اتَّحدا لذلك بصدق المحبة، وهو ظهور المحب بها تمام الظهور، فمن ثَمَّ تعلم أن صدق المحبة يُوجب تحقق المحب بالمحبوب في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم﴾ [الزمر: 15] فكفى بالمحبَّة عبادة.

اسمع: الحكمة ما فيه وبه صلاح النظام وكمال القوام في كل مقام بحسبه.

اسمع: الرحمة مبدأ الحكمة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الاختيار إرادة مرجحة كون ما يشهد الحكمة في كونه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الحسن موافقة الاختيار، فالحكمة صبغة الحسن في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: الذي غلب على إدراكك روحًا حكيمًا، صبغ بحكم مرتبته ما تعلَّق به

إدراكك عندك، هو الذي أدخلك جنات النعيم حيثما دخلت.

اسمع: مَن شهد الحكمة في شيء استحسنه، واستقبح ضده لكن حكم صاحب الوقت حق لا يُقبل من أهل الوقت إلا الإسلام لحكمه، فموافقته شرطٌ في بقاء حُسن محاسن المستحسنين نظرًا وخبرًا منهم.

اسمع: ما كان لعدم موافقته لحكم صاحب الوقت مداهنة، فهو بموافقته لطف ومحاسنة ومناقشة.

اسمع: قال مشايخ الصوفية: لا يزال الصوفية بخير ما تناقشوا: أي ما سعى كل منهم في زوال المكاره والمؤذيات عن صاحبه، وانطاع له صاحبه حتى أزال كلاً عنه لوجه ربهم لا للدنيا، فإن عبد الدرهم والدينار والخميصة «**تعس وانتكس**»، بجعله العبد معبودًا، «**وإن شيك فلا انتقش**»[1]: أي وإن أصابه مكروه فلا أطاع مَن يزيله عنه كما تزال الشوكة من البدن بالمنقاش.

وربما قالوا: لا يزال الصوفية بخير ما تناقروا: أي ما أزال كل منهم عن صاحبه الأذى الذي يدركه من نفسه والذي لا يدركه منها، كما يزيل الطائر الأذى عن صاحبه بمنقاره مودة ورحمة من حيث يصل صاحبه من نفسه بمنقاره، ومن حيث لا يصل كالذي فوق رأسه وتحت حلقه؛ فهذا مرادهم من التناقر هنا، وليس مرادهم التقاتل كتقاتل الديكة بمناقيرها.

اسمع: إذا حكمت بقضاء وقدر قديم من ربك العليم الحكيم، فقيل لك: فلم تتسبب وما قضي وقدِّر كونه كان، وما لا فلا.

فقل: أتسبب فيما قُضي وقدِّر لي أن أتسبب فيه، وربما قضي وقدِّر كونه بتسببي فأنجح تسببي، وربما قضي وقدِّر بخلاف ذلك، فكان لذلك فالكل بقضاءٍ وقدر.

اسمع: القضاء الحكم، والقدر تنزيل الأمر المحدود منزلة خلافه في المعاملة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: إذا علمت أن الوجود الذات يقضي بقضايا يجرِّدها من نفسه لنفسه، ويحددها ويعاملها معاملة المخالفات له، وما هي في الحقيقة إلا هو، وهي موجوداته الحدية، علمت أن الأمر كما قال بلسانه المحمَّدي: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:

---

(1) رواه البخاري (1057/3)، وابن ماجه (1389/2).

49] على قراءة مَن قرأ برفع لام كلُّ.

اسمع: الرب هو الوجود المصلح في كل مقامٍ بحسبه، فلا رب إلا الله، والحمد لله رب العالمين يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي.

يا مَن هو بكل خبر عليم، وعليه قدير، أسألك الخير كله وإن جلَّ، وأعوذ بك من الشرِّ كله وإن قلَّ؛ فإن إعاذتك لي من الشرِّ من جملة خيرك يا ربي.

يا وجودي، يا حسبي، يا مولاي، يا حسبي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، بلا ملل من قولي: يا ربي.

يا مَن لذَّذني بذكره أوجدني حكم حقيقتك في خاصية مرتبتك، يا موجب راحتي وبسطي وجميع خيراتي، يا ربي، يا سيدي، يا حبيبي، يا مولاي اكشف عني ما يعذِّبني بحجبي عن شهود حكم الخاصية المرتبية من خيراتي برؤية أضدادها؛ فقد :

﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

وأنت أرحم الراحمين، وأنت أرحم الراحمين، يا ربي، يا ربي، يا ربي اصبغ إدراكي بك، واجعله صبغة حسن وجمال وكمال لما تعلق به، صِبغة كاملة شاملة حاليَّة غير حائلة، حقيَّة حائقة فوق كل صِبغة فائقة يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي آمين آمين آمين.

والحمد كله، والسبحان لك يا وجودي الإلهي يا الله يا رب العالمين وربِّي، بالربوبية العامة لهم والخاصة عنهم، فيما خصصتني به من المراتب المربوبة بك من بينهم، يا ربي يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي، يا ربي يا ربي بك يا جُلَّ النعم والمنن، أعذني من الهم والحزن، ومن جميع المؤلمات والمحن، يا ربِّي آمين والسلام منك وإليك في جميع مظاهرك آمين.

اسمع: الأحكام النسبية كلها صِبغ بها يكون مصبوغها ملذًّا لمن صبغ في إدراكه بها، أو مقابله، وقس على هذا، وصابغه هو مكونه كذلك بحكمه عليه بذلك الحُكم الذي صبغه به، وتقديره ذلك في الإدراك الذي صبغه منه وفيه، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

اسمع: وصفَ علي ﷺ السيد الكامل فقال في وصفه: «**كان أنور المتجرد**[1]».

ومعنى هذا في الحقيقة أنه نور الموجودات التي هي قضايا جرَّدها الوجود الذات من نفسه لنفسه.

ومعناه في التمييز العقلي: إنه أنور الموجودات المجرَّدة، بمعنى: إنها ليست بأجسام ولا جسمانيات.

ومعناه في التمييز الكوني البدني: إن بدنه الشريف كان أنور الأبدان قُوى وكونًا، فكأنما طُلي بنور، أو كأنه نور يلمع.

الأول: وصف حقيقته الموجودية، والثاني: جوهريته المفارقة، والثالث: وصف بدنيَّته.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حقَّقه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبَّة الشاهد لمشهوده.

وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو سيدي وربِّي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي، يا حكيم.

فوائد
من فيض فضل الحق سبحانه وبحمده
على عبده من عنده

اسمع: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، فالوجود الذات يقتضي مقتضيات تجريدية من نفسه لنفسه على طريقة التجريد البياني، إلا أن ذاك في هذه المرتبة الاقتضائية بالإيجاب، والتجريد البياني في مرتبة التخيُّل

(1) رواه البيهقي في الشعب (155/2)، والطبراني في الكبير (156/22).

بالاختيار، فهذه المقتضيات هو هي بالحقيقة، وزائدة عليه حكمًا ومعاملةً، والوجود الذات بما يقتضيها حيث تسمَّى مقتضيات هو قضاء.

فبما هو مبدأ تحققها هو قضاء فعلي، وهو حقيقة كل مرتبة فاعلية.

وبما هو مبدأ انكشافه متعينًا بها هو قضاء انفعالي، وهو حقيقة كل مرتبة قابلية، وهذه المقتضيات هي الموجودات، وبما القضاء مبدأ تجريدها يسمَّى إدراك، وبما هو مبدأ ترتيبها يسمَّى بيان، وحيث ميَّز المراتب تحديدًا بالمغايرة، فجعلها متماثلات ومتخالفات ومتقابلات، فنظام جمعها يسمى دائرة الفرق؛ وحيث ميزها متغايرة بأنفسها المرتبية الحديَّة، وواحدة بوحدة وجودها الذي هو ذاتها جميعًا، فنظام جمعها يسمَّى دائرة الجمع، وحيث ميَّزها بأنها الوجود الذات حقيقةً لا سواه مع ثبوتها في مراتب تغايرها على ما تقدم.

فنظام جمعها يسمَّى دائرة الإحاطة، وحيث اعتُبر التغاير الفرقي، فكل شيء منفصل مستقل بجملته عن كل شيء، وحيث اعتُبر الأمر الجمعي فكل شيءٍ في كل شيءٍ لثبوت كل شيءٍ للوجود الذي هو مبدأ كل شيءٍ وذات كل شيءٍ.

وحيث اعتُبر الوجود الإحاطي، فكل شيء كل شيء، وحيث علمت أن الوجود كما سمعت لا سواه، فلا حكم إلا له، فلا معقب لحكمه، ولكل مرتبة من مراتبه خاصية مرتبية تسمَّى الاستعداد للفعل والانفعال، فبحسبها يكون ظهوره فيها، وبها من حيث هو وجودها بما ظهر به من موجوداته.

فمِن ثَمَّ يحصل التفاوتات والتلونات والمراتب القابلات، فِطر للمقبولات بقبولاتها، والأحكام التي لا يظهر المقبول في قابله إلا متلبِّسًا بها؛ هي الصبغ، فلكل مرتبة فطرة وصبغة متى ظهر الوجود فيها بموجود، ظهر ذلك الموجود منصبغًا بتلك الصبغة.

مثال هذا المرتبة المُسمَّاة بالوجوب، متى ظهر الوجود فيها؛ ظهر ذلك الموجود منصبغًا بحكمها فظهر واجبًا.

والمرتبة المُسمَّاة بالإمكان متى ظهر الوجود فيها بموجود؛ ظهر ذلك الموجود منصبغًا بحكمها فظهر ممكنًا.

والمرتبة المُسمَّاة بالقدم متى ظهر الوجود فيها بموجود، ظهر ذلك الموجود

منصبغًا بحكمها فظهر قديمًا.

والمرتبة المُسمَّاة بالحدوث متى ظهر الوجود فيها بموجود؛ ظهر ذلك الموجود منصبغًا بحكمها، فظهر حادثًا.

وقِسْ على هذا الانتفاء والثبوت والبطون والظهور والتجرُّد والكون والمفارقة والتجسُّم والغيبة والحضور، وسائر المراتب الحديَّة.

قال هو سيدي ومولاي:

فَلا مُضمرَ إلا وَفِي الهُو ضَميرهُ   فَنَحنُ إذًا أَنتم وَأنتم إذًا إنَّا

وقال هو سيدي ومولاي:

تَرى كُلَّ شَيء كلَّ شيءٍ وَجزؤُه   مُحيطٌ بِكلِّ الكلِّ وانْحسَم الحَصرُ

وقال هو سيدي ومولاي:

وَلولا كَثيري مَا تميّز وَاحِدي   وَلولاَ قِيامِي فِيهِ لَم تَدرِ قِيمَتِي

فانظر كلا من هذه المشاهد الأقدسيَّة بلسان أي دائرة تنزل، وقِسْ على هذا صبغك الله بصبغة التوفيق إلى حيث يصبغك بصبغة التحقيق، وجميع المحبِّين آمين في لطفه وجماله.

اسمع: الوجود الذات للموجودات في مرتبة ما هو الوجود الذات مطلقًا اسمه العَلَم هو، وفي مرتبة ما هو الوجود الذات للموجودات مع قطع النظر عمَّا زاد عليه منها، مع ثبوت زيادتها عليه في أنفسها اسمه العَلَم هو هو.

وفي مرتبة أنه الوجود الذات المطلق المقوِّم لجميع الموجودات اسمه العلم الله الجلالة، التي ليست مشتقة من معنى أصلاً، وفي مرتبة أنه الوجود المتصف بالصفات المحيطة التعلقات، الحكيمة مطلقًا، اسمه العلم الله الجلالة المشتقة من الألوهية، وهذه المرتبة الاتِّصافية هي الألوهية.

وفي مرتبة أنه الوجود المتَّصف بالصفات الثبوتية الإلهية اسمه العلم الرحمن، وهذه المرتبة الاتصافية هي الرحمانية.

وفي مرتبة أنه متصفٌ بالصفات الفعلية الإلهية التي هي الصور النسبية، الإضافة للمعاني الرحمانية اسمه العلم الرحيم، وهذه المرتبة الاتِّصافية هي الرحيمية.

وفي مرتبة أنه الوجود المتَّصف بمبدئية الترتيب تحقيقًا وكشفًا عيانًا وبيانًا اسمه

العلم الحق المبين، ومرتبته هذه هي المُسمَّاة في صبغة الوجوب بالمتكلم، وفي صبغة الإمكان بالناطق، ولا ظهور رتبي إلا بها في كل دائرةٍ بحسبها، وقِسْ على هذا أسماء الوجود بحسب مراتبه.

والعقل صورة العِلم الرحماني، والروح صورة الحياة الرحمانية، والنفس صورة الإرادة، والطبيعة صورة القدرة، والجلالة الإلهية صورة الرحمانية، والرحمانية عينها في صبغة الوجوب، والإنسانية عينها في صبغة الإمكان، والرحمن للرحيمية كذلك، والآدميَة عينه في صبغة الإمكان، وهذا كله ثابت للوجود الذات لزومًا بذاته، فهو له مطلقًا، فما من موجودٍ إلا ولوجوده ذلك كله كمال سائر المراتب الوجودية، لكنه لا يظهر بها من حيثيته إلا بحسب خاصيته المرتبية كما تقدَّم، فالكل لك وبك ومنك وإليك وفيك وعنك، وأنت وإن ظهر لك في أي صبغةٍ ظهر كما تقدَّم، خلّصك الله به له من القيود، وخصصك منه بمطلقه من الحدود، وسائر المحبِّين، آمين.

اسمع: بالواجبات قوام مُثُلها الممكنات، فالرحمن قيوم الإنسان، والرحيم قيوم آدم، أعني تشخص وجود المرتبة الآدمية في كل مقامٍ بحسبه، وكما أن الرحيم فرع الرحمن فكذلك آدم فرع الإنسان، وكما أن الله بالرحمن الرحيم مبدأ تمييز مراتب الماهيات وأشخاصها تمييزًا حكميًا في صبغة الوجوب، كذلك الله الرحمن الرحيم هو مبدأ تمييزها الحكيم بآدم الإنسان في صبغة الإمكان، هذا هو الأصل المرتبي، فإن انحرف آدمي الشكل عن هذا القوام الأكمل الأعدل، والتقويم الأحسن الأفضل إلى صورة صبغة وفطرة دون ذلك، فهو إلى ما انحرف إليه، ومقامه هنالك حال ما هو منحرف إلى أن يتجرَّد عن ذلك، فانظر بما تتقيَّد وتتحدد، واخلص لأعلى ما إليه تتجرَّد تظفر بحظك الأعز الأسعد، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: الآدمي الإنسان هو خلق الله الرحمن الرحيم، الذي يظهر به في الصبغة الخلقية، وأمره الذي يظهر به في الصبغة الأمرية، وهو عينه في كل صبغةٍ إمكانية تعين بها، فبمثاله فيها يتمثَّل، وفي تمثله به فيها يعلم ويدرك، ويفعل كل ما يُعلم ويُدرك ويُفعل، فإذا وجدت الإنسان الكامل فقد وجدت الواحد الشامل.

اسمع: الروح الحكيم العليم هو وجه الملك المعبود، فله لا لغيره يجب السجود على جميع الجنود، قال هو سيدي ومولاي:

لــسَاقِهِ القــيومِ مِـــن غَـــيْب   تهجّـــد الـــرَّاكِعُ والـــسَّاجِدُ
أَحَــاطَ الكُـــلّ بِـــهِ وهُـــوَ فِـــي   جَـــد وإلَـــيْهِ مَقْـــصد القَاصِـــد

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29].

اسمع: الروح الحكيم العليم المصبوغ بالإنسانية هو المثل الأعلى، والمثال المولى، والولي الأولى في الآخرة والأولى، وبرؤيته ترى الله الأبصارُ، وفي حجابه البشري يخاطب الإنسان باللسان الآذان، والأفهام بالخواطر والأفكار، وهو تعالى به الفاعل المختار، والإحسان شهوده في مرآة مثاليته في المدارك المقيدة بصبغة الأغيار، والإيقان شهوده عينه، هذا مقام المقرَّبين، والذي قبله شهود الأبرار، قال هو سيدي ومولاي:

ولـوجْهِكَ البَاقِي المحِيْط توجَّهت   روحُ الـسِّجُودِ بمظهـرِ الإِنْـسَانِ

اسمع: المرتبة الفاعلة: رب وأب، والمرتبة القابلة: عبد وأم، والحاصل بينهما: ابن ذو وجهتين.

قال السيد الكامل ﷺ: «**الأنبياء إخوة، أبناء علات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى**[1]».

قوله: «أبناء علات» ليس معناه نساء متعددات فقط، ولكن معناه أيضًا مراتب قابلة مختلفات الخاصيات، وإن كان الفاعل فيها هو الفاعل الرحماني الرحيمي، لكن بمعانيه، فمن ثَمَّ تنوَّعت قوابله، وهو واحد هذا حقيقته الروحانية، وأما معناه الجسماني فظاهر عند من جعل الكل أبناء آدم أو نوح أو إبراهيم، وأنت تعلم ما يرد على كلٍّ منهم؛ إذ لهم أبناء كذلك ليسوا بأنبياء، والروح المحمَّدي هو الفاعل في مراتبهم النفسانية الفرقانية جميعًا، فهو أبوهم وهم أبناؤه من أمهات شتى، باختلاف خاصياتهم اختلفت طرق مواجيدها ومشاهدها وشرائعها ومناهجها، وبوحدة أبيهم اتفقت حقائقها جمعًا وفرقانًا، فالطرق مختلفة والمقاصد متفقة.

اسمع: مَن وجْده أعلى وأحْيط فهو أصلٌ لمن وجْده من جملة مواجيد نظام وجْده، ومن ثَمَّ تعلم أبوة محمد لآدم فمن دونه في الدائرة الروحانية، كما محمد ابنه في الدائرة الجسمانية.

(1) رواه مسلم (1837/4)، وأحمد (437/2).

اسمع: الاستواء تمام تجلي الظاهر بمعاني كماله في مظهره، فمظهره عرشه وكرسيه وبيته وداره ولوحه وقابله وسماؤه وأرضه وفرشه وثوبه ورداؤه ومثاله، ونحو هذا كلٌّ باعتبارها.

اسمع: ما الظهور في المظهر إلا كما ترى عينك بعينك في عينك، فهي ثلاثة بالاعتبار المرتبي، وواحد بالحقيقة.

اسمع: معاني الأستاذين شمسية ذاتية، ومعاني المريدين قمرية استفادية، وليس بين الشمس والقمر إلا اعتبار الفرق بين المرتبة الفاعلية والمرتبة القابلية، فمتى غلب حكم أحدها في الظهور كان الظهور لمرتبته، حتى إن القمر في نقطة الاجتماع ما هو إلا الشمس، فلو صوبت بصرك إليه لم ترَ إلا الشمس، وهذا غاية محاقه وسراره باعتبار نفسه، وهو غاية محاقه وإبداره باعتبار أستاذه الذي تحقَّق به بتحقق نفسه فيه عينًا مع بقاء ملاحظة المرتبتين، ولو رفع حكم الوحدة حجاب صبغة التغاير بينهما من كل وجهٍ لكان الله ولا شيء معه، ﴿لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ﴾ [فصلت: 37] الذي ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: 2]، وما في الحقيقة إلا هو.

اسمع: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، التقدير تنزيل ما ليس ثم منزلة ما هو ثَمَّ حكمًا ومعاملةً، وقد قُرِئ برفع لام (كل)، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102]؛ ليظهر لك ما تقدَّم بلا مراء.

اسمع: مَن قال إنه مؤمنٌ لأحدٍ، بأنه أولى به من نفسه، ثم عامل نفسه معاملة من هي أنصح له، أو أعلم به، أو أحكم فيه، أو أعطف أو أكرم عليه منه، فمن ثم كذب قاله بحاله، ومن عاملها بعكس ذلك فقد اتفق شاهداه على صحة مدعاه.

اسمع: إذا وجدت ناطقًا عليمًا حكيمًا متنزلاً إليك بما فيه وبه صلاح نظامك، وكمال قوامك، فاعلم أنه وجودك الإلهي الربَّاني تعيَّن لك بتلك العين، فهو بوجوبه مسمَّى الأسماء الحسنى الواجبات كلها بالنسبة إليك، وفي إمكانه مُسمَّى الأسماء الحسنى الممكنات بالنسبة إليك، ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصافات: 102]، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19]، وبالجهتين يتسمَّى بالله ورسوله ووليه.

اسمع: النور مبدأ الكشف والتمييز البياني في كل مقامٍ بحسبه، والظلمة مقابلة، والنار مرتبة مشتركة منهما.

اسمع: أيام الله هي الأنوار الناطقة الإلهية في الروحانيات، وأزمنة ظهورهم من حيث تلقي إفاضاتهم في المحسوسات، في كل مقامٍ بحسبه، الأولى أيام معلومات، والثانية أيام معدودات.

اسمع: يوم العهد الربَّاني هو النور الناطق الفرقاني الربَّاني، وزمن تلقي فيضه الروحاني، وقد عبَّر الصديق عن هذا اليوم بيوم يوم ويوم لا يوم بالاعتبارين.

اسمع: إذا سرى فيك سر يوم العهد الربَّاني الروحاني وجدت في روحك أثره الفرقاني تمييزًا ربَّانيًا، وجدًا يؤيده إدراكك النظري على قدر خاصيتك المرتبية لذلك، فإذا اعتراك قصور عن غاية مثلك في ذلك، أو غفلة أو عارضة تلبيس، وتعين لك الناطق المرشد لتلك الغاية المزيل عنها اللبس والغفلة، فظاهره يوم ترجع فيه إلى الله ربك، وترجع إلى أصل وجدك، الذي عرضك دونه ما عرض، فنوره الروحاني يوم عهدك الروحاني، وزمن تلقيك لفيضه يوم جسماني زماني.

قال الحق المبين بناطقه المحمَّدي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]، بين فيها العهد بيومه الروحاني، ثم بين يوم الرجوع إليه باليوم الإرشادي، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 174]: أي إلى حكم شهودهم الأول الروحاني، والكل إنما هو سريانه في كل مقامٍ بحسبه المحسوس والمعقول.

اسمع: الطيب الخالص من الشوائب الأجنبية المغيرة لما خالطته عن تمام ظهوره بحكم مرتبته الحدية، ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97]: أي خالصة، فحيّها حيٌّ لا يموت ولا موت فيها.

اسمع: الجمال هو الاتِّصاف بالصفات الثبوتية التي يُشهد لها الفضل والعلو على مقابلها، والجلال هو الاتِّصاف بسلوبات أضداد الصفات الجمالية، وشوائب مقابلاتها لها، والكمال مجموع الجمال والجلال، في كل مقامٍ بحسبه.

والملاحة الظهور بحكم الجمال، وهي من لاح يلوح إذا ظهر، كالمقامة من قام يقوم، والحسن موافقة الاختيار، والاختيار إرادة ترجح تعلق القدرة بمرادها لشهود كونه حكمة، والحكمة ما فيه وبه صلاح النظام، وكمال القوام، والرحمة مبدأ الحكمة في كل

مقامٍ بحسبه، والكسب الذي يشير إليه الأشعري وأمثاله إرادة ممكنة ترجح تعلق القدرة القديمة بمرادها؛ لسبق القضاء والقدر بذلك مع الشعور بترتيب حصول مرادها عليها، وبهذا القيد الأخير يمتاز الاختيار الكسبي عما ليس بكسبي، والعمد عن الخطأ ونحو هذا، والإرادة مبدأ تخصيص أمر بأمرٍ تخصيصًا تمييزيًا، والقدرة مبدأ كشف المتخصصات في مرتبة إدراكية، والإدراك هو القضاء التحديدي فعلاً وانفعالاً.

وهو أربع مراتب: مرتبة تجرد المحدود بصورته الحدية عما يعدُّ زائدًا عليه من المحدودات، وهذه المرتبة تُسمَّى عقلاً باعتبار فاعليتها، وتعقلاً باعتبار قابليتها، ومرتبة تشخُّص الصورة الحدية بزوائد لا تمنع ما تشخصت بها عنده أن يراها قائمة به، مع حكمه بزيادتها عن كونه، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها خيالاً وبقابليتها تخيُّلاً، ومرتبة تنزيل النسب والإضافات منزلة الحقائق في الحكم والمعاملة الشخصية، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها وهمًا، وبقابليتها توهمًا، والرابعة مرتبة التشخص بزوائد مانعة مما لا يمنع من الخيالية، وهذه المرتبة تُسمَّى بفاعليتها حس، وبقابليتها إحساس، والكل من الوجود الذات والله كما تقدَّم، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللهِ﴾ [النساء: 78]، ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾ [آل عمران: 154].

اسمع: ما من فاعلٍ إلا وهو يحيي مفعوله بتعيينه في قابله، ويميته بتحليله، وفصله عن نفسه إلى قابله، هذا والفصل وهمي كانفصال مرائيك منك بواسطة المرآة الصقيلة، فالموت وهمٌ والحياة حقٌّ في كل مقامٍ بحسبه، ﴿فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9].

اسمع: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]؛ لأن ربه هو وجوده الحكيم.

اسمع: الشخص المحسوس ظل الشخص المتخيل، ومثاله الذي تمثَّل به في الإحساس، وهو كونه بصورته الوهمية، وخلقه بصورته الحسية، والخيالي أمر، والعقلي حق، وفي أي فطرةٍ ظهر خرج منصبغًا بها، وعلى صورة مرتبتها، والكل معلومات جردها الوجود الذات من نفسه، فالمحسوسات متعلقات علمه الحس، والمتخيلات متعلقات علمه الخيال، والمتوهمات متعلقات علمه الوهم، والمتعقلات متعلقات علمه العقل.

اسمع: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1، 2]، فهو وجود الناطق العليم الحكيم المفيد لأنوار الجمع والفرقان الإلهي كشفًا وبيانًا، ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 3، 4]، فالرحمن المتمثل بمثاله في الفطرة المُسمَّى صبغتها خلقًا هو خلاقه المتخلق به ثَمَّ، وفي فطرة الكون هو مكونه الكائن به ثَمَّ، وقس على هذا.

اسمع: كل الموجودات موجبات الوجود الذات منه له، ومن جملتها المرتبة المُسمَّاة بالاختيار، فالاختيار موجب، وأثره وصبغته ترجيح تعلُّق القدرة بمتعلقه من المتقابلات، فالفاعل به مطلقًا قادر على وضع كل من الضدين موضع ضده، بل على وضع كل مفروق موضع ما وُضع غيره من المفروقات، وله من حيث هو مقيد حكم تقيده في ذلك.

اسمع: الحاصل بالوجود المحيط إيجابي، والحاصل بالوجود الإلهي بل والحدي كله اختياري.

اسمع: الناطق الإلهي الكامل الذي ظهر فيه ذو الجلالة الإلهية، أعني وجوده الإلهي أكمل ظهور في دوره ودائرته يفيد في الزمن الفرد تخصيصًا وتنصيصًا، ما لا يفيده من دونه في مدة دوره الزماني، بل وما تقدمه من الأدوار الزمانية، قال الحق المبين بلسانه المحمَّدي إشارة لذلك: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47].

اسمع: لا يأتي موجودًا ما هو حكمة في حقِّه إلا من وجوده إلهي، سواء أتاه مما يراه متصلاً به، أو منفصلاً عنه.

اسمع: يا عجبا لمن يعظم ذو المعاني لأجل معنى من معانيه، وأعجب منه من يعظمه لأثرٍ من آثار معانيه، إن كان لا بُدَّ من الفرق، أليس المقوم أولى بالأصالة في النظر من المتقومات به، قال هو سيدي ومولاي:

فَمَنْ كَانَ مِنِّي كُنْت مِنْهُ وَهَكَذَا   وجُود وجُودِي فِي ابْتِدَائِي وعَوْدَتِي
وَمَنْ كَانَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي فَإِنَّهُ   وَلَو قَالَ بالتوحِيدِ فِي ثنوية

اسمع: إذا ظهر في المدرك حكم خياله، وبطن فيه حكم حسِّه، فكان تخيله المقيد منه مكان إحساسه المقيد وعكسه، فقد تقلّب قلبه الكوني وأبصاره، وبُليت سرائره الكونية وأخباره، وما كان قبل ذلك له باطنًا قلبيًّا صار يومئذٍ عليه ظاهرًا قالبيًّا، فمن

رأى خيرًا فليحمد الله، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ [فصلت: 36] فالقلب التقي الذكي يوم تقلبه من ذا يتقى، والعياذ بالله من حال الشقي.

اسمع: الجسمانيات كلها ليست إلا في نظام المدارك التي هي مبادئ التجسيم، فليست جسمانية الجنة والنار إلا في نظام وهم الأبشار.

اسمع: مهما حصل لك به نفعٌ فهو نعمةٌ في حقك، فالخوف من العقوبة الواقعة بغيرك إذا أداك إلى ترك سببها، فحميت بذلك منها هو نعمة في حقك، وقِسْ على هذا، قال هو سيدي ومولاي باللسان الإلهي الربَّاني:

وَحَيْثُ الكلِّ عَنِّي لاَ قَبِيح وَقُبْح القبحِ مِنْ حَيْثِي جَمِيْل

لأن استقباحك للقبيح عند الغير حامل لك على ترك التظاهر له به، فتسلم بذلك من شره المترتب على التظاهر له بما يستقبحه، فهو نعمة، ولا يأتيك بالنعم كلها إلا ربك، والحمد لله رب العالمين.

اسمع: الرحماء هم الأئمة وولاة الأمر حقًّا، فوَجْد الحاكمين الرحماء في الناس أم النعمِ، وفقدهم بضدهم ضد ذلك في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: نظام الدنيا إدراك حسه غالب ممد لتخيله الاختياري بلا عكسٍ، ونظام البرزخ عكسه، ونظام الآخرة إدراك إحساسه وتخيله، متلازمان متكافئان في الغلبة والإمداد، فالدنيوي لا يتخيل اختيارًا إلا ما أحسه، وإن حلله وركبه، والبرزخي عكسه، فأمرهما إلى انقضاء لذلك، والأخروي لا يتخيل شيئًا إلا أحسه، ولا يحس شيئًا إلا تخيله لزومًا متسلسلاً دائرًا، فلا انقضاء لأمره، ولكن كل مدرك لا تظهر له مدركاته إلا بحسب صبغة المرتبة الغالبة عليه هو في نفسه، فمن انصبغ بروح حكيم، وهي مبدأ ما هو في الفرقان النظري الدياني محامد ومكارم ومحاسن وفضائل، ظهرت له مدركاته بحسب ذلك، كذلك ومن انصبغ بوهم بهيم، وهو ضد الروح الحكيم، ظهرت مدركاته بضد ذلك.

والتفاوت في الدرجات بحسب علو مرتبة الصبغة، وحقية آلات الانصباغ والروح صورة الحياة، فلها البقاء، فلا تزايل ما تحقق بها من حيث هو واجد قبولها، والوهم البهيم بضد ذلك، ولما كانت حقيقة الجنة ملكة خيالية من الروح الحكيم، تحققت بها النفس المدركة، فانصبغ إدراكها بصبغتها انصباغًا مشبعًا، وحقيقة جهنم المضادة للجنة

ملكة خيالية من الوهم البهيم، اتحدت بها النفس اتحاد الصورة بالهيولي، وانصبغ إدراكها بها انصباغًا مشبعًا، أمكن خروج أهل جهنم منها بالتجرد عن حقيقتها، والتخلُّص من قيود حكم حديتها، بخلاف أهل الجنة كما تقدَّم، ما دامت النفس من أُسراء الفرق الفرقاني للمتفرقين، ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

ومن جمع الله شمله خلصه وخصصه ومكَّنه كيفما شاء تبدَّى، وكيفما اختار تحجَّب واختفى.

اسمع: الخالق هو وجود الخيال، والبارئ هو وجود الوهم، والمصور هو وجود الحس في دائرة الكون.

اسمع: الحكمة من الله رب العالمين وإلههم، فما من أمرٍ إلا وهو من الله من حيث هو أمرٌ حكيمٌ، فمهما قيل لك: إنه من الله، فشهدته من حيث هو حكيمٌ فقل: نعم، وما لا فلا.

اسمع: إذا شهدت في إثبات القول بالقضاء والقدر الإلهي على العباد حكمةً، ولو حفظهم حرمة إلههم فأثبته، وقل به، واعلم أن قولك به حقٌّ من الله، وإن شهدت خلاف ذلك فلا، وإن شهدت الحكمة في نفي القول به فانفِه، واعلم أن ذلك حقٌّ من الله، وقِسْ على هذا، ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].

فما عليك ولا لك أن تعمل إلا بشهودك الذي تجده؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: 17]، فمن مشهدك يأتيك روح مددك، وعلى قدر يقينك تظفر بتمكينك.

اسمع: ما المفيد مع المستفيدين بما أفادهم مع اختلاف استعداداتهم، إلا كالمرئي بواسطة مرايا مختلفة الهيئات والأشكال والأوضاع والأحوال، فيظهر بواسطة كل منها على صورتها، وهو في نفسه التي هي حقيقة ذلك الظاهر المرئي على ما هو عليه، فبتلك الصور العرضية هو كثير متعدد مختلف، وبما هو الكل هو واحد متعين كالألف، فهم هو مفصلاً، وهو هم مجملاً، فهم هو بالحقيقة، ومنه بالتقويم، ومثالاته المغايرة له بالنسب والإضافات، فقِسْ على هذا في كل مقامٍ بحسبه.

قال الإمام إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: 36].

وقال عنه حقيقةً: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120].

وقال عنه: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج 78].

كما قال هو وإسماعيل: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: 128].

فانظر كيف هو الأمة بالحقيقة؛ لأنهم أعيانه الروحانية الإسلامية في مظاهرها الكونية، وهم منه وهم مُثُله وأبناؤه كما تقدَّم، ومن ثَمَّ قال ربهم: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [ص: 45]، بصيغة الجمع فهو الكل.

وقال: ﴿واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾، بصيغة الإفراد، فكلهم واحد كما قال: «وكلنا لك عبدٌ[1]»، بل لما جاءهم بحكم العبودية الجامعة قال:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: 93].

افهم هذا ونظائره مما تقدَّم، فما المريد شيء غير أستاذه، وهو متحجب في تعينه به بصورة استعداده، فمن تجرَّد عن الصورة العرضية ظهر في العيان بصورة أستاذه على ما هو به في الحقيقة، من حيث ما ظهر به فيه من معانيه الراضية المرضية، وعلى قدر ظهور ذلك به قبل ذلك التجرد.

اسمع: ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق: 3] هي خاصيته المرتبية.

اسمع: الإمكان هو الاستعداد للظهور في الإدراك، والخاص منه بالحادثات هو الاستعداد للظهور التقييدي في التخيل والإحساس والحدوث هو الظهور الزماني، فضده ثابت؛ لتناهي الزمان هناك، وانقضائه بما هو زمانٌ لا بما هو دهرٌ، ومطلق آنٍ.

اسمع: القوة بمعنى الإمكان لا تكون حاصلة بالفعل الذي هو الظهور الغالب بحكم الصبغة إلا لحادث، وأما الواجب فإمكانه العامي ليس هو له بالفعل؛ لغلبة حكم صبغة الظهور على حكم صبغة الإمكان لزومًا للانصباغ بصبغة الوجوب.

قال هو سيدي ومولاي:

وَأَيْــضًا فَمَفْهُــوم الوجُــودِ لِذَاتِــهِ ... بِــنَعْتِ اشْــتِرَاكِ فِــي تحقُّــق وِحْــدَةِ

وَعَـنْ كُـلِّ مَوْجُـودٍ بحُكْـمِ سـلوبه ... تميـــــزه الأَذْهَـــــان بِالعَدَمِــــيَّةِ

وَعِــنْدِي بِالتحْقِــيْقِ لَــيْسَ بِــزَائِدٍ ... كَـذَاكَ عَلَـى الإِطْـلاَقِ فِـي كُـلِّ رتـبةِ

وَقَامَتْ بِهِ كُلّ الصِّفَاتِ ثَمّ حَقِيْقَة ... وَوَصـف كَـذَا التَّجْسِيمِ فِي الجَسَدِيَّةِ

(1) رواه مسلم (347/1)، وأبو داود (224/1)، والنسائي (224/1).

وَفِـيْهِ التَّجَلِّـي لِلْوجُـوبِ بِذَاتِـهِ وقـــوته بالفعـــلِ للمُمْكنـــيَّةِ
فَهَـــذَاكَ حَـــقٌّ لاَ يَـــزُول ثـــبوته ومِـــنْ خلقـه هَـــذَا بعكـسِ القـضيةِ

اسمع: الملائكة صور أحكام الروح الحكيم ومعانيه، والشياطين صور أحكام الوهم البهيم ومعانيه، والجان هيولاهما، فبأيهما تصوَّر الجان التحق به.

اسمع: من ذكر ربه في نفسه، وروحن نفسه بروح قدسه، انتعش قلبه بروح أُنسه، واستغنى بنور ربه عن قمر الكون وشمسه، وأضاء بالحق آفاق خياله وحسه.

اسمع: «**ليس الغنى عن كثرة العَرض، إنما الغنى غنى النفس**[1]»، فلا غنى للعبد إلا صدق إفراد ربه في كل حالٍ يتوجَّه بوجه قلبه، ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ**﴾ [الرعد: 28].

﴿**وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ الله لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ [الطلاق: 2، 3].

﴿**وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ**﴾ [الحديد: 20].

وذلك لغلبة ضد الحياة عليها، ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً**﴾ [النساء: 120]: أي ما لا يتعلَّق به أحدٌ تعلُّق المحبة إلا كان حسرة عليه، ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [البقرة: 268]؛ لأن الفحشاء تحجب النفس عما هو غناها، فيلحقها الفقر المذموم وإن كان بيدها القناطير المقنطرة ﴿**مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾ [آل عمران: 14]، فمن أمرها بالفحشاء فأمره يسبب الفقر ويعد به، ﴿**وَالله يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً**﴾ [البقرة: 268].

انظر رحمة العليم الحكيم في قوله لعباده: ﴿**وَالله يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ**﴾ [البقرة: 268]، ولم يقل: (عصمة من الفحشاء)، فالحكيم من خاطب كلا بلسانه، وعامله بكيله وميزانه.

اسمع: الروح صورة الحياة فما فيها ومنها إلا جمال البدن وصلاحه وكماله، وكل ما لحق الروح من أضداد موجبات معنى الحياة فهو من قِبَل البدن، فالعجز والضرر والألم ونحو هذا كله من البدن، والحسن والقوة واللذة كلها من الروح، فالروح يحسن إلى البدن، والبدن بالعكس، فمن انصبغت نفسه بصبغة روحه أحسنَ حتى إلى من أساء

(1) تقدم.

إليه، ومن ارتتق بصبغة بدنيته عن ظهوره بصبغة روحه عَكَس وانتكس.

اسمع: روح الروح مع الروح كالروح مع البدن، إلا أن أمر الروح نور، فهو في الروح ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: 35]، وجمالٌ أعلى على جمالٍ عليّ، وقِسْ على هذا.

اسمع: الشرع هو الفرقان الربّاني، وهو ينقسم إلى ما فيه وبه صلاح النظام الجسماني، وهو نظام النفس البشرية معاشًا ومعاملةً، دنيا وأخرى، وهذا القسم هو المُسمَّى بالشريعة المقابلة للحقيقة في اصطلاح أصحاب الترابي الفرقانية، والقسم الآخر المُسمَّى بالحقيقة ما فيه وبه صلاح النظام النفساني الروحاني في حالها ومآلها، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: الظل مرسل من الحقيقة عنها ينبسط، وإليها ينقبض، فمن اتبعه وصله إلى أصله، والسلطان ظل الله في الأرض، الظاهر للظاهر، والباطن للباطن.

اسمع: إنما يدرك كل مدرك عوالم إدراكه ومباديها ليس إلا، فليحكم كلٌّ على عوالمه بما شاء، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

اسمع: إنما الحساب مع الشركاء، فمن لم يرَ لنفسه المربوبة شركة مع ربها في شيءٍ لم يحاسبه عليه.

اسمع: معاني المجردات عن قيود المتشخصات قائمة بها قيام الكائن بنفسه، فالمجرد يتعيَّن بكل معنى من معانيه تعيُّن الاستقلال، فيكون كليمًا، ويكون سميعًا، ويسمع بما هو سميعٌ ما تكلَّم به ذلك السميع بما هو متكلمٌ، وقِسْ على هذا جميع معانيه.

وأما الكائن المادي سيما الكثيف الجسماني فليس له ذلك، فمن ثَمَّ إذا قامت به المعاني قصرت بقصوره، وانحجب حكمها بصبغة كثافته، فالنفس المتعلقة بالكون الجسماني من حيث هي مقيدة به لها حكمه، فإذا فارقته رجعت لحكمها التجردي، ومتى غلبت على ما تعلقت به، وصبغته بحكمها كانت معانيه بالنسبة إليها كمعانيها، وبذلك تكون النفس السعيدة البشرية في جنتها في هيكل آكل أبدًا بمعناها الآكل، وفي هيكل شارب أبدًا بمعناها الشارب، مع شعورها في كلٍّ منهما بأنها هي، ووجْدُها في كلٍّ منهما أثر ما متعاطاه بالآخر، فالهيكلان المستقلان لها كالعضوين المتصلين من بدنٍ واحدٍ بالنسبة إلى النفس المتعلقة به، وقِسْ على هذا جميع المعاني، وهذا هو

توسع المفارقات في تشخصاتها بلا قيدٍ.

اسمع: قال بعض العارفين: مَن جرَّد توحيده، يعني قال بالوحدة المطلقة جمعًا وإحاطةً، لم يقم له وزن، وقد صدق هذا العارف؛ لأن الوزن ليس إلا في دائرة الفرقان من دوائر دائرة الفرق، ومن انصبغ بتجريد التوحيد كما تقدَّم خرج من دائرة الفرق؛ إذ لا مثل له ولا مقابل، فلا ميزان في دائرته ولا وزن.

اسمع: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 23]، ظاهره أنهم يتعاطون هذه الكأس فينزعها كل من صاحبه، وفيه أيضًا أن تنازعهم ليس كتنازع الغافلين عن الحكمة، إنما هو تنازع حكيم مفيد للمتربي والمريد ما فيه وبه صلاح نظام نفسه النزوعية، وكمال قوامها، وإذا كان هذا حال تنازع الحكماء الربَّانيين فكيف بمطاياباتهم.

قال السيد الكامل: «**إني أمزح ولا أقول إلا الحق**[1]».

وقيل لمن كان يكتب كل ما كان يسمع منه أنه يقول من الرِّضا والغضب، فلا يكتب ما يسمع منه، فقال له هو: «**اكتب؛ فوالذي نفسي بيده ما خرج من هذا - يعني فمه الشريف- إلا الحق**»، وأنا على هذا من الشاهدين له ولورثته، ولكل ناطقٍ بالحق المبين.

اسمع: عِزُّ العبد في محض نسبته إلى ربه الحق، فمن حاول نسبته إلى سِواه فقد حاول إذلاله، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 121]، فلا يحل للمؤمن أن يذل نفسه؛ فإن العزة لله ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، ولا يتعزَّز بغير ربه الحق عبدٌ مؤمنٌ؛ فإن عز الرب امتناعه عن المشارك، وإن العبد من مولاه.

قال هو سيدي ومولاي:

وَلِلنَّفْسِ مِنْ عِزِّكُمْ عِزَّة ... وَرَحمن روحِي بِقَلْبِي مُقِيمُ

اسمع: الوجود في مرتبة فاعليته رب، لما هو في مرتبة قابليته عبد، فالعبد والرب هما قيوم المرتبتين، والعبد مرتبة تعين الرب، كما الرب مرتبة تحقق العبد، في كل مقامٍ بحسبه، ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، قال هو سيدي ومولاي:

---

(1) تقدم تخريجه.

تَــبَارَكَ اللهُ الَّـــذِي قَـــدْ بَـــدَا فِـــي رُتــبةِ المعْــبُودِ وَالْعَابِـــدِ

اسمع: القابل قواه لفاعله الإلهي والإحاطي ملائكة، ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، وبذلك لا تزال قوى المريد الصادق تخدم أستاذه الحق المبين الناطق في أي مظهرٍ ظهر، ويظهر له حسب مراده حتى في ذريته ومحبيه في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: لا يخلو العبد من نفعٍ هو أثر الإلهية فيه، ولو تمييز الضد، فالنقائص تميز الكمالات، والمذام تميز المحامد، والمكاره تميز المحاب، والمشاق تميز الراحات، وقِسْ على هذا، وذلك لوحدة الوجود في كل مرتبةٍ، وإحاطته بسائر المراتب إحاطة ذاتية.

اسمع: رأيت صبيحة يوم الجمعة 17 شوال عام تاريخه، رؤيا، من جملتها:

شخصًا كأنه مشرقي لابسًا جبة سوداء، وقلنسوة سوداء، وكأن أحدًا يسألني أن أولّيه ولاية باطنة على الناس، فقلت له في جملة كلامي معه: ما ترى هذه الظلمة الشديدة التي في الناس، ولكني أرى النور قد قرب خرقه لها، فلا بُدَّ عن قريب أن يخرق هذه الظلمة ويظهر، والحمد لله رب العالمين.

اسمع: واحد الوقت وعلامته هو فيه روح الوجود ونظامه، وسر أمره وقوامه، وجلال الله وإكرامه، فهو علمه وكلامه.

اسمع: ما فيك في الحقيقة إلا وإليك، ولا إليك إلا ومنك، لكن تقيُّدك بمرتبةٍ يمنعك أن تدرك بإدراكك المقيد بها من شهودك أنك المقوم لسائر المراتب، كما أنت المقوم له ما دُمت مقيدًا بها، فإذا ظهر فيك وجودك بحكم إحاطته وإطلاقه شهدت ما قلته لك عيانًا، بحسب ذلك الظهور في كل دائرةٍ بحسبها، فما ثَمَّ في إدراكك من يقول إلا وهو أنت، ولا من يسمع إلا وهو أنت، ولا يتعلق إدراكك أبدًا إلا بك في حدودك، فمن أبطلت قوله فإنما أبطلت قولك، ومن حققت قوله فإنما حققت قولك، وقِسْ على هذا، وهكذا شأن الوجود بالنسبة إلى كل موجودٍ، ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39].

اسمع: إذا قلت: (أنا) فاعلم أنك لم تقل إلا عنك في تعيُّنك الذي أنت به متكلمٌ، وإذا قلت: (أنت) فاعلم أنك لم تقل إلا عنك في تعيُّنك الذي أنت به مخاطبٌ، وإذا

قلت: (هو) فاعلم أنك لم تقل إلا عنك في تعيُّنك الذي أنت به غائبٌ عند تعينيك الأولين، وعلى هذا قِسْ جميع الضمائر والظواهر، ولا ترى أنك تدرك إلا أنت في تعيُّناتك بالحقيقة إن كنت محققًا.

اسمع: ﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: 86]، بقية الله: هي الناطق الإلهي الذي يتجلَّى به لأهل المدارك المقيدة التي تعين بها فغاب عنها، فلم يتعيَّن لها بمرتبته إلا بناطقه هذا فيه يبقى فيهم عرفانًا، ويبقيهم على علمٍ به عيانًا، قال هو سيدي ومولاي:

بَقِـيَّةُ اللهِ تُجلَـى فِـي شَـمَائِلِهِ ... قَدِيمـة فِـي بَقَـاءِ جـلّ عَـنْ أَمَـدِ

اسمع: أنت عند كل حاكمٍ منك مصبوغٌ بالحكم الذي صبغك به، أنت مقيَّد عند حاكمك المقيّد ما دام حاكمًا عليك، وأنت محددٌ عند حاكمك المحدد ما دام حاكمًا عليك، وأنت مجسمٌ عند حاكمك المجسم ما دام حاكمًا عليك، وأنت مُرَوحنٌ عند حاكمك المروحن ما دام حاكمًا عليك، وقِسْ على هذا.

وإنما يُستغرق إدراكك في صبغة من غَلب بحكمه على جميع مداركك، فإن غلب على إدراكك حاكمك الإلهي فكنت في إدراكك بما صبغَك به ليس إلاَّ، كنت في إدراكك لاهوتًا مجردًا، فحكمت في مراتب إمكانك فاعلاً مختارًا.

اسمع: العصر إخراج اللطائف والبواطن من موانع ظهورها في كل مقامٍ بحسبه، والعصر المقسم به في الذكر هو زمن إخراج الديان لطائف الفرقان، وبواطنه بالكشف والبيان من موانع ظهورها في مدارك عموم أشخاص ناسوت الإنسان، فقال: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [والعصر: 1: 3].

﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 49].

ويستخرجون لطيف الحَبِّ من كثيفه، فزمن ظهور كل وجهٍ من وجوه الحق المبين في العوالم الفرقانية، بل والفرقية، بحكمه المخرج لهم ما لطف وبطن عنهم من موانع ظهوره لهم، هو عصر زماني لعصر روحاني أغاثهم به كل في كل مقامٍ بحسبه.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 76].

قال هو سيدي ومولاي:

طَابَـتْ بِـكَ الأَمْـصَارُ والأَغْـصَارُ ... وَتَـرنمت بحدِيْـثِكَ الأَطْـيَارُ

اسمع: الموت مانع ظهور الحياة بحكمها أو عدمه، الأول يقابلها مقابلة التضاد، والثاني يقابلها مقابلة العدم، والملكة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: أئمة الهدى لا يخوِّفون بالموت الظاهر الخاص بحيوانات عالم الكون والفساد؛ لأنه عالم في أبدانه الكثيفة، وهو المقول عليه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ [النساء: 78]: أي بهذا الكون الكثيف ﴿يُدْرِككُّمُ المَوْتُ﴾ [النساء: 78]، وإنما يخوِّفون بالموت الباطن؛ لأنه خاص بأهل الحُجب الكثيفة عن أنوار الحكيم العليم وأرواحه، وهو المقول فيه:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122]، «المؤمنُ حيٌّ الدارين، والكافرُ ميّتُ الدارين[1]».

وأما الموت الذي يرغبون فيه فهو خمود حركات الوهم البهيمي في النفس البشرية، «موتوا هذا الموت قبل أن تموتوا[2]»، الموتتين اللذين قبله.

«لن تروا ربكم حتى تموتوا[3]»، هذا الموت فهو سبب استواء الحياة بالروح الحكيم في محلها، وهي الحياة الطيبة التي تُكتب لصاحبها بقلم التمييز في صحيفة عيانه: «من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت[4]».

اسمع: مبدأ الإدراك والفعل والروح صورة الحياة، ومظهرها المفارق، والنفس ظل الروح في استعداد مظهرها الكائن، فالكائن المذكور بالنظر إلى مرتبته جماد موات، والنفس بالنظر إلى وهمية ثبوت المنفصلات الظلالية فانية، والروح بالنظر إلى حقيقتها الحياتية باقية، والمستوي بحياته في مستواه حيٌّ لا يموت، قال هو سيدي ومولاي:

الجِسْمُ مَيِّتٌ وَالنَّفسُ فَانِيَةٌ وَالروحُ بَاقٍ وَاللهُ حَيٌّ لاَ يَمُوت

اسمع: مراتب الوجود التحديدي: الذات، والصفات، والأسماء، والأفعال، ونظامه الوجود الزائد.

ثم بإزائها: النفي، والإثبات، والتجرُّد، والتشخُّص، ونظامه الكمال الفرقي.

(1) تقدم.
(2) تقدم.
(3) تقدم.
(4) تقدم.

ثم بإزائها: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

ثم بإزائها: العلم، والحياة، والإرادة، والقدرة، ونظامه مبدأ الترتيب.

وبإزائها الفرقاني: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، ونظامه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم بإزائها الروحاني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت ﷺ، المُسمَّى بإسماعيل وبعزرائيل، ونظامه روح القدس.

وبإزائها الرباني: الناطق النوحي، والناطق الإبراهيمي، والناطق الموسوي، والناطق العيسوي، ونظامه الناطق المحمَّدي.

وبإزائها الوراثي: الناطق الأبي بكري، والناطق العمري، والناطق العثماني، والناطق المعاذي، ونظامه الناطق العلوي.

وبإزائها التحقيقي الشرعي: القطب والغوث والفرد والجامع، ونظامه واحد الوقت.

وبإزائها الكشفي: الوحدة والاتحاد والحلول والمعية، ونظامه التوحيد.

وبإزائها البياني: اليقين والإخلاص والمحبَّة والصدق، ونظامه التفريد.

وبإزائها التشريعي الشرعي: الناطق المُسمَّى في مظهره المشهور الآن بـ (أحمد بن حنبل)، والناطق المُسمَّى في مظهره المشهور الآن بـ (أبي حنيفة النعمان الكوفي)، والناطق المُسمَّى في مظهره المشهور الآن بـ (مالك بن أنس الأصبحي)، وبالناطق المُسمَّى في مظهره الآن بـ (محمد بن إدريس الشافعي)، ونظامه البدل.

فالناطق الحنبلي هو الناطق النوحي في شريعته، والحنفي بالإبراهيمي فيها، والمالكي بالموسوي فيها، والشافعي بالعيسوي فيها، والبدل بالمحمَّدي فيها، وبإزائها الكشفي نبوة التشريع والصديقية والشهادة والصلاح، ونظامه رجوع العبادية إلى الربوبية بخالص العقد والنية.

وبإزائها في البيان: الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان، ونظامه التوفيق والبر.

وهذه مراتب دوران هذا الوجود بتجلياته عينًا وبيانًا، ولذلك ظهرت بالعدد الدائر وهو الخمس، وكل هذه المراتب مراتب الوجود التحديدي، وهو قيومها الفعال بكلٍّ منها فيما تحته كمال آثاره، كما أنه المتجلِّي به تجلي التقويم والقيام في جميع أطواره.

اسمع: جاء في الخبر: «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد[1]»، وفي رواية:

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (665/2)، والترمذي (585/5)، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

«بين الماء والطين[1]»، فآدم أمر جامع لهذه المراتب لا هي.

اسمع: الجسد هو النفس المتجسمة.

اسمع: النفس إذا تجرَّدت عن قيدها التجسمي انطوت ظلتها في عينيتها، وقامت في مرتبتها الروحانية روحًا، ثم قد ترِد على ما استعد لورودها عليه من النفوس المتعلقة بالأبدان، فتكون متصرفة بتلك النفس كتصرُّف تلك النفس بقوى ذلك البدن، وبذلك تظهر أفعال تلك الروح بذلك البدن بواسطة نفسه، وهذه المناسبة الاستعدادية هي المعبر عنها في البيان المحمَّدي بتشابه القلوب، حيث يقول حقه المبين: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: 118]، وهذا الورود هو الدخول المقول عنه: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: 9]، ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ [الأعراف: 38].

وبذلك يبلِّغ الشاهد الغائب ما تبلغ النفوس أبدانها، قال هو سيدي ومولاي: (الخواطر أرواح متجردة عن أبدان بني آدم، ترد على قلوب أمثالها بحسب ما تجرَّدت عليه)، وهذا هو الكون المقول فيه، ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: 88، 89]، فتصل الروح الواردة إلى كل ما تختاره مما لا يحصل لها إلا بآلة بدنية ببدن النفس التي وردت عليها، وإدراك تلك النفس وتصرفها فيه ببدنها، وتلك النفس نون وقاية بين تلك الروح وبين ما لا يناسب تجردها، أو يكدر صفاءه من لواحق ذلك البدن، وآثار المتعلِّق به، كما يقي نون الوقاية بين الاسم المضمر، والفعل المسند إليه من ظهور الفعل فيه، هذا حكم تمييز الفرق في دائرة الأمر والكون والخلق.

وأما في حقيقة تحقيق محقق الحق فما منك إلا وإليك، ولا إليك إلا ومنك، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، قال هو سيدي ومولاي:

حَلـل وجُـودك وانْظُـرْ سِـرّ مَغـنَـاكَا   تَعْلَـمْ بأنَّـكَ مَـا الإِدْرَاك أدْرَاكَـا

اسمع: جبريل حقيقته المرتبية الإدراكية أنه قوة فكر الروح الحكيم، وميكائيل قوة تخيله، وإسرافيل قوة انبساط الحس في قابله، وملك الموت قوة انقباض ذلك البسط، والقائم بهذا القبض والبسط، صاحب هاتين القوتين، المتصرف بهما في القوة المادية، هو صاحب الصور والنفختين فيه، فبالقبض هو نافخ نفخة الصعق، وبالبسط هو نافخ

-

من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن ميسرة الفجر.

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (54/5)، والعجلوني في كشف الخفا (169/2).

القيام.

اسمع: الوجود الإلهي هو العليم الحكيم، فلا علم ولا حكمة في كل مقامٍ فرقيٍّ بحسبه إلا منه وله، وبما هو وجود العقل النظري العارف فهو العارف والمتعرف، وحيث تعرَّف بشواهد المرتبة الإلهية إلى هذا العقل حتى أدرك ما ناسبه منها في إدراكه الخاص بمرتبته النظرية المُسمَّاة بالمعرفة[1]، كان الله الإله بذلك هو العارف والمعروف حقيقة بما هو نفسه المرتبية حقيقة هنالك، والمعروف للمرتبة العقلية مجازًا فرقيًّا في ذلك، فهو العارف والمعروف حقيقة بما هو الوجود القابل، والفاعل للمعرفة في هذه المرتبة النظرية، وهو المعروف بما هو الفاعل فيها، والمتعرف العارف بالتعرف بما هو القابل فيها، الأول بما هو الحق القائم على خلقه، والقيوم بأمره، والثاني بما هو الخلق المتقوم بحقه، والقائم بربه، القائل ببعض نواطقه: «**كنت كنزًا لا أُعرف**»: أي حيث لم تتميز مرتبة النظر التي هي ذات الإدراك المُسمَّى عرفانًا وتصورًا وتصديقًا تمييز الفصل الفرقي الإمكاني، «**فأحببت أن أُعرف**»: أي باقتضاء الحقائق الوجوبية مثالاتها الإمكانية، «**فخلقتُ خلقًا**»، هم مراتب كون العقول النظرية، «**وتعرَّفت إليهم**»: أي بشواهد أعيان غيوب المعاني الإلهية، «**فبي عرفوني**»[2]؛ لأني وجودهم ووجود عقولهم، ووجود شواهد شهودها، وهذه الصورة الإلهية العرفانية هي التي ما تصورت في إدراك إلا عامل مدركه، مهما عامله حكمه بهذا المعروف الروح القدوس السبوح العليم الحكيم، بحسب إدراكه وتحققه به تصورًا وتصديقًا، وغلبته بحكمه عليه تخلقًا وفعلاً، فهذه هي المعاشرة بالمعروف، أعني المعاشرة بالحكمة في كل مقامٍ بحسبه.

اسمع: ظهورك في إدراكك بصورةٍ هي عندك الكاملة هي مبدأ لذتك ونعيمك، وبهجتك بك في دائرة التحديد، فمن ثَمَّ ترى الوجود المدرك يحب العارف؛ لأنه بالمدارك العارفة يعرف نفسه، ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: 13] من المعرفة، ومن المعاملة بالمعروف.

اسمع: أليس العقل المُستفاد صورة إذا تصوَّر بها العقل الهيولاني، واتحد بها اتحاد

---

(1) قال سيدي محمد وفا ﷺ وعنَّا به: المعرفة هي أعلى مراتب العلم الثلاثة؛ لاستغناء موصوفها في حصول ما تعلَّقت به عن إعمال النظر الصحيح، وهذا هو حق اليقين، وحقيقتها: وجودٌ ينتفي معه وَهْمٌ مرجوحٌ وظنٌّ راجحٌ والشكُّ المتساوي، وغايتها: تعلق العلم بمعلومٍ ذاتيٍ لموصوف مغايرة من عينٍ واحدةٍ الذي لا يستقل غيره بنفسه دونه اهـ.

(2) تقدم.

الصورة الجسمانية بهيولاتها صار بها عقلاً بالفعل، هكذا الروح الواردة إذا تحقَّق بها الروح التي وردت عليها اتحدا، فصار حكمهما واحدًا؛ لوحدة عينهما في الظهور الإدراكي، كوحدة وجودهما في الحقيقة، وبذلك يكون الأستاذ الناطق بعد مفارقته لبشريته عند صدِّيقه الصادق هكذا، وما مريده في الحقيقة إلا صورته التي ظهر بها في قبول القابل عنه تجليات حقه المبين بإيمانٍ وتسليمٍ، فكيف إذا قبلها بإيقانٍ وتحقيقٍ، ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: 36].

اسمع: وجودك من حيث هو الوجود المدرِك هو الظاهر فيك بالإدراك، وبما يتعلَّق به، فما منك إلا وإليك، ولا إليك إلا ومنك، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال.

اسمع: إذا ظهر الوجود في موجوداته العددية بمعانيه الإلهية استحق في كل موجودٍ منهم اسم المعنى الذي ظهر به فيه، على قدر قوة ظهوره فيه به، وفي مظهر أكمل ظهوراته به منهم ظهور الأحقية يستحق اسم الأفعلية التفضيلية عليهم مطلقًا، في كل مقامٍ وزمانٍ بحسبه، فلا يستحق في كل زمانٍ اسم أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وأكبر وأعلى وأجلّ، و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 9]، ونحو هذا إلا وجود صاحبه من حيث هو الوجود الإلهي الظاهر فيه بتلك المعاني، أكمل من ظهوره بها في موجودٍ آخر في زمانه ذلك، فلا أرحم إلا الله الوجود الإلهي، ولا يتَّصف بالرحمة، ولا يظهر بحكمها إلا هو، وهو في أكمل مظاهره أرحم من نفسه فيما دونه، فالأمر كله له.

﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3]، وقِسْ على هذا.

اسمع: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون محبة الشاهد لمشهوده، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقَّق به عينًا وأثرًا، ولكل مقامٍ مقال، ولكل مجالٍ رجال، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: 54].

وهو هو بما هو هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو، يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم.

خاتمة نسخ المسامع

تشرَّف بمطالعة هذه المسامع الشريفة فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه عبد أهل الوفاء المتطفل على جنابهم السعيد بالعبودية رجاء القبول فإنهم كرام لا يردوا من آتاهم ولو متطفلاً بل يبلغوه من قربهم المأمول [....] كتابي بذلك من إذا قبلني عبده فله الفضل [...] قطب الوجود وغاية المقصود القطب الفرد الغوث الجامع والسر الباهر القاطع والنور المتلألأ وغاية آمالي أستاذي وأستاذ الوجود بلا إنكار سيدي وأستاذي وملاذي وذخري وعمدتي وبابي ووصلتي القطب سيدي محمد أبو الأنوار بن وفا خير من بالوعد الصادق وفا، أمدني الله والمسلمين من إمداداته، وأعاد علينا من صالح دعواته، وارحم أسلافنا من المسلمين ببركاته نسألك اللهم من فضلك يا أرحم الراحمينأطال البقاء له في أمن وعافية وأن ترزقه ذرية صالحة مع طول البقاء لهم.

[...] في يوم الجمعة يوم الموسم الشريف المفاض فيه الرحمات غرة محرم 1189 هـ،

فلله الحمد والمنة، لله الحمد والمنة.

[وفي نسخة أخرى: كان الفراغ يوم الثلاثاء في ربيع الثاني سنة 1297 هـ].

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة يوم الثلاثاء في ربيع الثاني سنة 1297هـ.

والحمد يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم

***

فهرس المحتويات

AL-MASĀMIᶜ

by

Sīdi ᶜAli Wafā ibn Muḥammad Wafā

preceded by

AL-MINAḤ AL-ᵓILĀHIYYAH MIN MANĀQIB AL-SĀDĀT AL-WAFĀᵓIYYAH

by

Abu al-Laṭāᵓif ben Fāris al-Wafāᵓi

Edited by

Aḥmad Farīd al-Miziyadi

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

من تراث السادة الوفائية

صدر من هذه المجموعة:

- **كتاب الأزل**
  تأليف: محمد بن محمد وفا الكبير
- **شعائر العرفان في ألواح الكتمان**
  تأليف محمد بن محمد وفا الكبير
- **بيت السادة الوفائية بالديار المصرية**
  تأليف: محمد توفيق البكري
- **المسامع**
  تأليف: علي وفا بن محمد وفا
- **المنح الإلهية من مناقب السادات الوفائية**
  تأليف: أبي اللطائف بن فارس الوفائي
- **العروش الإنسانية**
  تأليف: محمد بن محمد وفا الكبير
- **النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية**
  تأليف: عبد الباقي بن يوسف الزرقاني الوفائي
- **نفائس العرفان من أنفاس الرحمن**
  تأليف: محمد بن محمد وفا الكبير
- **المعاريج**
  تأليف: محمد بن محمد وفا الكبير
- **مزيل نقاب الخفا عن ساداتنا بني الوفا**
  تأليف: محمد بن محمد مرتضى الزبيدي



Designed & Printed By: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

ص.ب. 9424 - 11 بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت 2290 1107
هاتف: 12 / 11 / 804810 5 961+
فاكس: 804813 5 961+
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com

المسامع
سيدي علي وفا
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان